

مناهل الصفا  
في  
مآثر موالينا الشرفا

لأبي فارس عبد العزيز الفششالي

دراسة وتحقيق

الدكتور عبد الكريم كريم

أستاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة محمد الخامس الرباط

مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة

# مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرف

للأبي فارس عبد العزيز الفشتالي

دراسة وتحقيق

الذكتور عبد الكريم كريم

استاذ التاريخ آسحدث نكلية الآداب والعلوم الانسانية  
جامعة محمد الخامس الرباط

مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية

عرف القرن العاشر للهجرة الموافق للسادس عشر للميلاد صراعا قويا بين امبراطوريات ثلاث الاثراك العثمانيون فى الشرق الاسلامى والاسبان والبرتغال فى الغرب المسيحى من أجل السيطرة والتحكم فى حوض البحر المتوسط وقد تركز هذا الصراع منذ منتصف هذا القرن فى الشمال الاقريقي وفى بلاد المغرب الاقصى بوجه خاص للاهمية الاستراتيجية التى كانت للمغرب

فالاثراك العثمانيون الذين أعلنوا الخلافة الاسلامية سعوا الى ضم المغرب فى نطاق توحيد البلاد الاسلامية والوقوف بها صفا واحدا ضد الهجومات الخارجية المسيحية ولتأمين حدود امبراطوريتهم الغربية ثم لاستغلال الموقع المغربى فى مهاجمة غربى أوروبا وشبه جزيرة ايبيريا قلعة المسيحية الحصينة بالاضافة الى أن التوسع فى المغرب يمكن الاثراك من التحكم فى طرق المواصلات البحرية الاسبانية والبرتغالية مع العالم الجديد والشرق الاقصى وتهديدها

ومن جهة أخرى فقد ادرك الاسبان والبرتغال بدورهم أهمية الموقع المغربى للدفاع عن غربى أوروبا المسيحية ضد خطر العثمانيين المسلمين وللتسرب نحو افريقيا لاستغلال خيراتها ولشتر المسيحية بها ، وقد احتلوا لذلك قواعد مختلفة على شواطئ المغرب الشمالية والغربية وعززوا تحصيناتهم بها

وأمام هذه الاخطار الخارجية ، برزت القيادة السعدية التى تزعمت الجهاد الوطنى لرد الاخطار الخارجية ولتوحيد البلاد ثم للحيلولة دون تسرب النفوذ العثمانى ولقاومة أى تدخل عسكري أوروبى وقد كملت اعمال السعديين بالنجاح عند انتصارهم على الحملة الصليبية البرتغالية فى معركة وادى المخازن يوم الاثنين 30 جمادى الاولى عام 986 هـ الموافق 4 غشت 1578م ، والتى بويح على اثرها المولى أحمد خليفة باسم المنصور تغليدا لهذا الانتصار العظيم

لقد عرف المنصور كيف يستغل انتصار المغاربة فى وادى المخازن لتدعيم نفوذه الداخلى ولغرض احترامه على خصوم المغرب فى الخارج وأعنى السلطان العثمانى مراد الثالث فى صطامبول والملك الاسبانى فيليب الثانى فى مدريد فأوجد بذلك

للمغرب كيانا مستقلا امام النيارات الخارجية التي كانت تنربص به اللوائر ، ولم يقف المنصور عند هذا الحد بل استغل سمعة المغرب الخارجية وموقع بلاده الاستراتيجية للتدخل في مشاكل خصومه الداخلية سواء بالنسبة للاتراك في الشرق الاسلامي والبلاد العربية أو الاسبان في شبه جزيرة ايبيريا وغربي أوروبا ، مما أجبر هؤلاء الخصوم على التقرب منه والسعى الى كسب وده واصبحت لذلك بين يدي المنصور ولفترة من الزمن وسائل التأثير على حفظ التوازن الدولي وترجيح كفة أي من الجانبين المتصارعين . وكنتيجة لذلك تمكن المنصور من تأسيس امبراطورية واسعة بغربي افريقيا لا تقل عظمة وغنى واتساعا عن امبراطوريات معاصريه الاتراك والاسبان كما ازدهرت مختلف المظاهر الحضارية في المغرب الى الحد الذي جعل دولة المنصور تتصف بأنها الدولة التي (أثرت العديم واكسبت المحروم) (1)

وللوقوف على الكثير من الحقائق التي تميز بها المغرب في عهد السعديين والمولى أحمد المنصور بوجه خاص في المجالين السياسي والحضاري ، نرجع الى مخطوط (مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرقا) لابي فارس عبد العزيز الفشتالي الذي تم العثور عليه اخيرا والذي توجد منه نسختان في خزانة القصر الملكي بالرباط ابو فارس عبد العزيز الفشتالي

اختلف في تاريخ ولادة عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الصنهاجي الفشتالي فاحمد ابن القاضي جعلها عام 952 هـ في حين ان المقرئ آخر ولادته الى عام 956 هـ نشأ عبد العزيز في قبيلته فشتالة بنواحي فاس حيث درس بها على (الامام العالم ابي العباس أحمد بن علي المنجور والقاضي الجليل ابي مالك عبد الواحد الحميلي والفقير الاستاذ النحوي ابي العباس أحمد الزموري) (2)

وعن اتصال الفشتالي بدولة المنصور وانخراطه في سلك كتاب الانشاء فالذي دلت عليه دراسة مخطوط (مناهل الصفا) هو أن ابا فارس ربما بدأ حياته ككاتب في ديوان انشاء ولي عهد المنصور المولى محمد المامون بفاس فقد تحدث في الصفحة (210) من المخطوط عن وصول الشاعر المكي الى فاس واعتناء المامون به (وكان ممن أزجى مطيته الى حضرته العلية مادحا ومسترفدا شاعر المشرق والمغرب بلا مدافع الشريف الفاضل أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل المكي وقد عل حضرة امير المؤمنين أيده الله من مكة فسقط على المغرب في عام ثمانية وثمانين (أي 988 هـ / 1580 م) وأناخ على

(1) مخطوط مناهل الصفا للفشتالي ، ص 146 .

(2) المقرئ : روضة الآس ، ص 163 .



ولى العهد بفاس فأكرم وفادته ثم وصل صحبة ركابه العالى الى باب امير المومنين ايده الله عند مقدمه عليه لمسكره على نهر تانسيفت فى جمادى العام فمدح امير المومنين بقصيدتيه الطنائين)

فهل انتقل الفشتالى مع ولى العهد من فاس الى نهر تانسيفت عام 1581/989 لما استدعى المنصور ابنه ليأخذ له البيعة بولاية العهد مصافحة ؟

هناك ما يدل على حضور الفشتالى هذا اللقاء على نهر تانسيفت

اولا الوصف الدقيق للاستقبال الذى خص به المنصور ابنه وولى عهده المامون (ولما هوى الى الارض ساعيا على اقدمه الطاهرة للثم الركاب العلى الامامى شرفه الله وفضاء فرض التحية راجلا برز امير المومنين ايده الله عن العساكر ووقفت بمركزها وتقدم وحده للقاءه مرحبا وشفيفا ومتبسطا حتى أمكنه من لثم قنمه المشرفه وحتى متطاطئا من صهوته على رأسه حتى قبله واستركبه الى جنبه وسارا معا فى الالوية والعساكر) (1)

ثانيا لقد ذكر الفشتالى بأن من الحاضرين فى هذا اللقاء سفير اسبانيا الذى رغب فى الحضور وأذن له المنصور بذلك (حضر جمعه العظيم رسول عظيم الملة النصرانية طاغية قشتالة بما كان ساعتئذ بمراكش سفيرا الى حضرة امير المومنين فاستأذن المقام العلى الامامى ايده الله فى البروز يوم اللقاء لمشاهدة شعار الاسلام وسار من الحضرة الى مخيم عساكر المسلمين) (2)

وأول اشارة وردت على لسان الفشتالى فى المقطوط تدلنا على انخراطه فى عداد موظفى الدولة ، ترجع الى عام 990 هـ / 1582م وذلك فى معرض الاشادة بفصاحة المنصور وبلاغة ولى عهده المامون كما جاء فى احدى توقيعاتهما وقد جرت الحادثة ( يظهر الزاوية من ساحة فاس المعروسة عام تسعين فلم ندر ساعتئذ بأيهم ايدهم الله تعجب) (3) وربما انتقل الفشتالى فى هذه السنة من خدمة ولى العهد الى خدمة المنصور الذى كان قد وصل الى فاس فى زيارته الاولى لها ، وعاد مع الخليفة الى مراكش حيث بدأ بها أعماله فى ديوان الانشاء بتحرير نص بيعة برنو المؤرخة بعام 991 هـ / 1583م (4)

(1) الفشتالى مخطوط الناهل ص 32  
(2) ص 35  
(3) ص 254  
(4) ص 19

ومما يؤكد هذا الرأي هو أن الفشتالي لما تسرع في تدوين تاريخ دولة المنصور أكد غير  
ما مرة بأنه قد اعتمده في جمع اخبار المنصور في نشأته واثناء ولايته اخيه المعتصم  
والصدر الاول من حكمه على عدد من المعاصرين بما فيهم الخليفة المنصور

- (من ذلك ما اخبرني به الشيخ (1) )

- (وسمعتة ايده الله يحدث أنه لما (2) )

- (ورأيت أن أعول في تحقيق هذا على تقييد شريف بخط ايده الكريمة ناوليه

ايده الله) (3)

لم يصبح الفشتالي من جلساء المنصور وخاصته المقربين الا في عام 1585/993م  
كما اثبت هو نفسه في الصفحة (201) من المخطوط (ومن كرمه الذي كاد ان يكون  
بالسنة التجارية الصلات والعوائد التي يصل بها ايده الله خاصته وأهل بناطه غالباً  
عند المواسم حضرت مجلس الخواص مع بابه العالى ايده الله ليلة عيد الفطر عام  
ثلاثة وتسعين وقد استدعاني لشغل تعين وكتب تاكد فالقيت القوم ينتظرون الخلع  
الموسمية لوعده سبق لهم بها وتقدم من قبل أن أخرج فبرزت اليهم ونشرت عليهم فقلت  
في ذلك مخاطب مولانا الامام المنصور بالله امير المؤمنين ايده الله ثم مازال يتنال  
على بعد ذلك من شائب احسانه ايده الله المتواليه ما اضعم الكيس واثقل الظهر  
والرأس)

وقد ازدادت مكانة الفشتالي عند المنصور خلال هذه السنة بدليل أنه قد كلف  
بتحرير نص بيعة ولي العهد المأمون وبقرائها على الملا ( وأمرني  
ايده الله بالقيام على رؤوس الاشهاد برسم البيعة فرفعت بقراءته عقيرتي ليتأدى الى  
الناس فهمه وقام الى جنبى قاضى الجماعة مفسراً لما اشكل على الناس من احكام  
البيعة التي تضمنها الرسم الكريم) (4)

وهكذا أصبح أبو فارس عبد العزيز الفشتالي (وزير القلم الاعلا) (5) في دولة  
المنصور بحيث ان معظم رسائل المنصور ووظائره من انشائه ولم يكن هناك من  
أحد يجاربه في هذا المجال (فتركت ايديكم الله الصدر لمن هو منى أقعد وتعاميت عقده  
لمن هو له أقعد أبي فارس عبد العزيز الفشتالي) . (6) .

(1) الفشتالي مخطوط المناهل ص 5  
(2) " " " ص 213  
(3) " " " ص 219  
(4) " " " " " ص 91  
(5) ابن القاضى درة الحجال - ج 2 ص 377  
(6) الفشتالي : مخطوط المناهل - ص 45 . وذلك كما جاء في الرسالة التي وجهها العالم الجليل ابومالك  
عبد الواحد بن أحمد الشريف الى المنصور بعد أن كلفه بتسويد رسالة الى اسكيا اسحق ملك السودان

وقد كلف المنصور أبا فارس بتدوين اخبار الدولة السعدية وتسجيل وقائعها  
(ويأمر لي أنا عبده ومن خصه من كتاب الانشاء ببابه العالي بكتب ما يجدد بعلامته  
الكريمة من رسوم اسلافه الكرام والوامر القديمة) (1) فأصبح الفشتالي بذلك مؤرخ  
الدولة الرسمي على غرار ما كان عند الاتراك العثمانيين في الشرق الاسلامي والمعروف  
بكتاب وقائع آل عثمان وقد اكد هذه الوضعية معاصره أحمد بن القاضي في درة  
الحجال (وهو متولى تاريخ الدولة المنصورية أبقاها الله) (2)

تدرع الفشتالي في تأليف كتاب تاريخي عام عن الدولة السعدية منذ نشأتها في  
مطلع القرن السادس عشر وقد أطلع عليه بعض اصدقائه كابن القاضي (وتاريخه  
المذكور في مجلدات اشتمل على تاريخ ساداتنا الشرفاء من أولها الى الآن) (3) وأحمد  
المقري (ولهذا الكاتب اسماء الله جملة تأليف منها (مناهل الصفا في مآثر موالينا  
الشرفاء) المشتمل على عد اسفار اجداد فيها غاية الاجادة وذكر ما اشتملت عليه الدولة  
الاحمدية من الاعلام وكذا ما يسر الله لها من الفتوحات التي لم يوجد مثلها في ملوك  
الاسلام) (4)

ولعل الباعث على التأليف يرجع فيما يبدو الى أن المنصور كان قد توصل من  
بعض علماء الشرق الاسلامي - وقد يكون القاضي مصطفى بن حسن بن سنان بن أحمد  
الجنابي قاضي حلب وصاحب كتاب (العيلم الزاخر في اخبار الاوائل والاواخر) - بتأليف  
تاريخي وجد المنصور به اخطاء ومغالطات تاريخية ، دفعته الى أن يكاف الفشتالي بتدوين  
تاريخ الدولة السعدية والى التعجيل بالكتابة الى العالم المذكور لينبئه الى الاخطاء التي  
تضمنها مؤلفه السابق (وعلمنا لذلك أن هذه الدولة الكريمة قد غابت عنكم رأسا  
حقائقها واشتبهت على علمكم طرائقها وعلمكم في ذلك واضح لتثنائي الديار وبعد الآفاق  
والاقطار) (5) وأنه قد كلف احد كتابه المشهورين بتأليف كتاب تاريخي عن الدولة  
السعدية ليعتمد عليه في تواريخه (ولا انقنا أن يبقى ذلك الخيال والقلط المنبت الحجال  
فيكون في تأليفكم وصمة وفي جانب الدولة العلية ثلثة توجهت اشارتنا الامامية  
المشرفة الى احد كتابنا وعميد أيادينا وفرسان الانشاء بعل بابنا بتلخيص موضوع  
يكون لاخبار هذه الدولة الكريمة ان شاء الله الشامل المستوعب والموجز المسهب يعتمد  
الفضلاء أهتالكم المعنيون بهذا الشأن عليه ويتخلونه ان شاء الله قبله يصلون اليه  
وعرفناكم لتمسكوا ان شاء الله عن نشره ما لفقتهوه في تاريخكم هذا حتى ياتيكم  
ان شاء الله من قبلنا مرتبة في اسلاكها) (6)

- (1) الفشتالي مخطوط المناهل - ص 194 .
- (2) ابن القاضي درة الحجال - ج 2 ص 377
- (3) ابن القاضي درة الحجال - ج 2 ص 378 .
- (4) المقري روضة الآس - ص 161 .
- (5) عبد الله كتون رسائل سعدية - ص 237
- (6) المصدر السابق .

ورغم أن الرسالة قد اغفلت ذكر اسم الكاتب الذى كلفه المنصور بتدوين اخبار السعديين فان اوصاف الكاتب المذكور تنطبق جميعها على ابي فارس الذى كان صاحب القلم الاعلا بحضرة الامامة مع كثرة الاعلام بها فحاز قصب السبق واتخله قسهم وسحبانهم فى غرض البلاغة امامه (1)

ومهما كانت الاسباب التى أدت الى قيام الفشتالى بتأليف كتاب (الناهل) فان ظروف المولى احمد المنصور الداخلية والخارجية وفتوحاته العظيمة وما بلغته دولته من عز وعظمة وغنى بالاضافة الى ما كان يطمح اليه المنصور من نشر مآثره فى الشرق العربى الخاضع للعثمانيين ، كل ذلك يعد من الاسباب الرئيسية التى دفعت الفشتالى الى تدوين الكتاب التاريخى والاشادة بالمولى أحمد وامبراطوريته وبلولته التى قال عنها (انها اثرت العديد واكسبت المحروم) (2).

واعتمادا على ما أورده المعاصرون فان (مناهل الصفا) قد تعدت اجزأه واسفاره (عهدى به أنه أكمل منه ثمانية مجلدات وهو مقصور على السلطان المذكور وذويه) (3) وان بعض المجلدات كانت متعلقة بموضوعات خاصة (أخبرنى أنه ذكر فى فتح السودان فقط ما تحمله سفر ضخمة فما ظنك بغيره) (4) الا أن معظم ما دونه الفشتالى قد ضاع أو هو فى حكم المجهول وقد تجرد به الايام يوما ما .

عمر الفشتالى بعد المنصور بنحو عشرين سنة حيث عاصر الاحداث المؤلمة التى عاشها المغرب بعد وفاة المنصور ، ولاسيما النكبات الثلاث التى حلت بالبلاد والعباد من جراء الطاعون الاسود المميت والمجاعة الاقتصادية الخطيرة والحرب الاهلية الطويلة التى دامت بين ابناء المنصور واحفاده سنوات طويلة ضاع بسببها ثرات حضارى عظيم وامجاد سياسية لا تنسى ، ومن بين ذلك الخزائن العلمية العديدة التى بلغت شأوا رفيعا أيام المنصور ، فطويت بعدها الى أجل غير مسمى صفحة مشرقة فى تاريخ المغرب الحديث وتوفى الفشتالى عام 1031 هـ / 1621 م .

ظلت مؤلفات ابي فارس والكثيرين من أمثاله فى حكم المفقود خلال القرون الاربعة الماضية ولا يعلم عنها الا ما تناقله الرواة من اخبار متفرقة ومنقطعة وبالاخص ما حرص بعض المؤرخين الثقات على ابرازه والاشادة به والتنبيه الى مؤلفه الحقيقى الذى أصبح فى حكم المجهول ، الى أن سمحت الظروف أخيرا بالعثور على مجموع مخطوط للفشتالى من كتابه (مناهل الصفا) يتعلق بدراسة بعض الاحداث والوقائع التى تعود الى عهد المولى أحمد المنصور بوجه خاص وهذا هو مخطوطنا الذى نحن بصدد دراسته والاعتماد عليه للتعرف على مؤرخنا الفشتالى ولتكشف النقاب عن الكثير من الاخبار التى دونها عن أوضاع المغرب الداخلية أواخر القرن السادس عشر وعن بعض البلاد الخارجية المعاصرة له فى الشرق الاسلامى والغرب المسيحى

- (1) المقرئ : روضة الآس - ص 151
- (2) الفشتالى مخطوط المناهل ص 146
- (3) المقرئ : نفع الطيب - ج 5 ص 645
- (4) المقرئ : روضة الآس ص 162 .



توجد النسخة المخطوطة من المناهل في خزانة القصر الملكي بالرباط تحت رقم (274) ، عدد صفحاتها (304) صفحات كل صفحة بحجم (26،5) سم طولا و (21) سم عرضا وبكل صفحة (26) سطرا وكل سطر يتضمن نحو (15) كلمة (1)

## أصالة المخطوط

مخطوطنا هذا ليس النسخة الاصلية التي كتبها الفشتالي أو أطلع عليها لخلوها من أية اشارة الى ذلك ، ولان اضطراب موضوعاتها وعدم تصنيفها يؤكد بأنها منقولة عن نسخة أخرى ، ربما ترجع الى ناسخها على اعتبار أنه قد أطلع على مذكرات الفشتالي مسؤولية عدم ترتيب ما جاء بها من معلومات وفق الترتيب الزمني سهوا منه أو جهلا. وعندما نتساءل هل هناك ما يكشف النقاب عن هوية الناسخ ومتى نسخ وأين ؟ نلاحظ

أولا بأن العبارات والتراكيب وصيغ الافعال في الخبر والتكلم والمخاطبة ، لا يترك أي مجال للشك بأننا نقرأ مذكرات الفشتالي كما وضعت لأول مرة ، والفضل في ذلك يرجع فيما يبدو الى الناسخ الاول ومن نسخ عنه الذين سعوا الى المحافظة على الاصل والمجئ باللفظ دونما تصرف يذكر وان كان في ذلك ما يزيد من عنائنا في البحث والتنقيب عن الناسخ المجهول

(1) توجد بخزانة القصر الملكي بالرباط نسختان مخطوطتان للمناهل اهتمت احدهما برقم (274) . والاخرى تحت رقم 5182 وهي مشكولة تم الفراغ من نسخها أوائل رمضان عام 1128 هـ - وفي دار الوثائق التابعة للخزانة العامة بالرباط (ميكرو فيلم) تحت رقم 779 لنسخة المناهل المخطوطة الموجودة بتونس ومن مقارنة النسخة التونسية مع التي اعتمدها تاكدت من أن النسخة التونسية منقولة عن المغربية ومن ابرز الادلة على ذلك النقص الموجود في النسخة التونسية والتي ترتب عن النسخ بالدرجة الاولى ، وعلى سبيل الامثلة لا الحصر صفحات 38 ، 75 ، 76 ، 92 من النسخة التونسية لقد اشبه الامر على ناسخ المخطوط التونسية عند عبارة (مما ذهب اليه) المتكررة (ص 38) ان ذلك اكثر مما ذهب اليه ابن خلدون باضعاف الا أن يكون قد قصد فيما ذهب اليه ثيكورادين) وحلف سهوا الكلمات ( ابن خلدون باضعاف الا أن يكون قد قصد) .

في صفحة 75 ينقص النسخة التونسية سطر (لما تم مولانا الامام الخليفة المنصور بالله ناصر المؤمنين ايده الله)

وفي صفحة 76 اشبهت كلمة (جنود) على الناسخ وحلف العبارة التالية ( لعلمهم انه لا طاعة لهم بمقاومة عساكر المغرب و جنود الامام ولم يكن الا أن يادر ملوكهم باللحاق الى العسكر واللياذ بالطاعة دفعا لتيار الهلكة بذلك عنهم وعن قومهم وثقادي من هجوم العساكر عليهم في منازلهم واستخراجهم من صياصيمهم ووصلوا الى معسكر جنود الامام ) ومن الادلة أيضا عدم وجود زيادة ما في النسخة التونسية ، بالإضافة الى اتفاقها مع النسخة المغربية في الملاحظات العامة التي ائتمناها عند الدراسة والتحقق من اضطراب في ترتيب المعلومات ووجود نفس البياض وغير ذلك .

وأصالة مذكرات الفشتالي قد تدفعنا من جهة أخرى الى القول بأن مخطوطنا لم تتداوله الايدي الكثيرة أو على الأقل لم يتيسر لاي كان الاطلاع عليه والبحث به ، إذ توارثته اياد أمينة حافظت عليه وأخلت عنه بكل نزاهة ومن هذا القبيل الافرائني في (نزهة العادي) وبلقاسم أحمد الزباني في (الترجمان المغرب) الذي سجل على هوامش المخطوط بعض ملاحظاته ، ومحمد اكنسوس في (الجيش العرمم) الذي ذكر بأن السلطان محمد بن عبد الله قد أمر أحد كتّابه أثناء رحلته الى أعماق عام 1178 هـ أن يروى له فصلا من فصول الفشتالي وقد اورد صاحب دليل مؤرخ المغرب بأن الوزير أحمد بن موسى كانت له نسخة من الناهل يطالعها كلما فرغ من اشغاله في دار المخزن .

ثانياً اما عن زمن النسخ فالذي تأكد هو أن المخطوط قد نسخ في فترة سابقة لعهد الزباني الذي عاش في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فهل كتب المخطوط في القرن السابع عشر ؟

ثالثاً وعن مكان النسخ لا توجد أية إشارة الى ذلك ، ولا يدعنا العثور على المخطوط بفاس الى القول بأن نسخة قد تم في هذه المدينة ، فقد يكون في فاس أو في مراكش أو في غيرها

والسؤال المطروح هل يمكن القول بأن ناسخ المخطوط قد اعتمد على بعض الكرايس من مسودة الكتاب التاريخي الذي ألفه الفشتالي عن السعديين وعن عهد المنصور بإشارة من الخليفة ، والذي كان المولى أحمد حريصا على ارساله الى الشرق العربي ؟ وهل كانت من مهام السفارة المغربية التي سعى المنصور الى توجيهها الى حلب عام 1008 هـ / 1600 م القيام بنقل الكتاب التاريخي ونشره في الشرق العربي ؟

ففي الوثائق التاريخية رسالتان من المنصور الى ايليزابيت ملكة إنجلترا الاولى بتاريخ 12 رمضان 17/1008 مارس 1600 جاء بها (واللى أوجه لكائك المكين انه يرد على مملكتك خدامنا حملة الكتاب الكريم الدين وجهناهم الى حلب لقضاء بعض مآربنا مما عن من اغراضنا) (1)

والثانية بتاريخ 23 شعبان 1/1009 ماي 1601 جاء بها (وأماما اقامه مكانكم من العذر عن علم تجهيز أصحابنا الى جهة حلب فقد قبلنا عنكم) (2) .

أي ان الملكة الانكليزية قد رفضت السماح للسفارة المغربية بالتوجه مع الاسطول البريطاني الى الشرق العربي للتوتر الذي عرفته العلاقات المغربية - الانجليزية وللروابط

(1) مجلة تطوان العدد الثامن - ص 79

(2) المصدر السابق ص 81 .

الحسنة التجارية والسياسية التي كانت تربط الانجليز والاتراك ولم تكن تخفى عن الملكة نوايا المنصور الحقيقية وما كان يسعى اليه من تدخل في الشرق العربي الخاضع للعثمانيين لصالح خلافته ودولته .

ان في هذا الرأي أى كونه ناسخ المخطوط قد اعتمد على بعض الكرايس من مسودة (مناهل الصفا) ما يفسر لنا الاضطراب الموجود بمخطوطنا سواء فيما يتعلق بالموضوعات الغير المرتبة او فيما يرجع الى الكثير من أماكن البياض للكلمات والعروف التي ربما صعب على الناسخ فهمها ونقلها

ويبقى هناك سؤال آخر هل تمكن المنصور من ارسال كتاب (مناهل الصفا) الى الشرق العربي أم أن الايام لم تساعده على ذلك ؟

متى بدأ الفشتالي في تدوين اخباره ؟

أول ملاحظة تعترضنا في هذا المجال : هو أن الفشتالي قد دون معلوماته بشكل كرايس منفصلة عن بعضها يتعلق قسم منها بوقائع مختلفة من عهد المنصور ويكون القسم الآخر موضوعات خاصة ، وقد اشتبه الامر على جامع المذكرات او ناسخها فقدم وأخر ومن هنا جاء الاضطراب الذي نلاحظه في مخطوطنا والذي سنفصل فيه القول فيما بعد

وعند تصنيف مذكرات الفشتالي وترتيبها تاريخيا ، نتأكد بأن مؤرخنا لم يشرع في تدوين اخباره الا في حدود عام 997 هـ / 1589 م بعد تولية المنصور بأحد عشر عاما أى بعد أن توجهت اليه اشارة المنصور بالتأليف أو لان الاحداث الهامة الداخلية والخارجية التي عرفتھا هذه السنة يمكن اتخاذها نقطة انطلاق للامجاد والعظمة التي تميز بها عهد المنصور فقد شهدت هذه السنة

1 - معركة الاراماد البحرية وانهزام الاسبان لأول مرة امام الانجليز

2 - محاولة الاستفادة من الانهزام الاسباني لتحرير مدينة سبتة بوجه خاص من

الاحتلال الاسباني

3 - وصول اميرين اجنبيين لاجئين الى المغرب هما (دون كريستوف) البرتغالي

وداود بن علي السوداني .

4 - تفكير المنصور الجدى في غزو السودان والتمهيد لذلك

5 - اتصالات المنصور القوية مع الحلف (البرونستانى) ومع الانجليز بوجه خاص

لعمل ضد الاسبان

6 - قيام المنصور برحلة ثانية الى قاس بعد القضاء على ثورة ابن قرقوش التي لم

يشك المنصور في مساعدة الاسبان لها

7 - استرجاع المنصور لمدينة أصيلا وتحريرها من الاحتلال البرتغالي - الاسباني

ودلينا على ما ذهبنا اليه ، هو أن أبا فادس الفشتالي منذ هذه السنة (997 هـ / 1589) قد استعمل في مذكراته عبارات تؤكد بأن التدوين كان في حينه علاوة على إثباته للتواريخ التي وقعت خلالها هذه الاحداث باليوم والشهر والسنة .

واعتمادا على ذلك ، فإن الفشتالي قد دون معلوماته كما يلي

اولا لقد سجل الاحداث التي عرفها العهد الاول من حكم المنصور خلال السنوات (986 - 993) بعد حدوثها وذلك كما يفهم من العبارات التالية التي تؤكد بأنه يدون أخبارا يعرف جميع تفاصيلها وتطوراتها

- (وبلغت الدولة الى اشرف نصابها حسبما نذكر هذا كله ونحسنه ان شاء الله) ص 3

- (وقارن ذلك كله حسبما يأتي التعريف بذلك ان شاء الله في محله) . ص 5

- (حسبما نذكر ان شاء الله عند قسمة الاعمال بين الامراء) ص 34

- لما تحدث الفشتالي عن السفير المغربي الهوزالي قال انه قد توفي عام (994 هـ)

في حين أنه كان يتحدث عن سفارته الى صطامبول عام (989 هـ).

عندما ذكر مكائد المنصور في السودان عاد بها الى سنة (991 هـ) واستمر في سرد

التفاصيل الى عام (997 هـ)

- يلاحظ ترابط قوى بين الفصول والمذكرات بأن يشير في نهاية الفصل الى ما

سيعرض له في الفصل التالي بل ويتخذ أحيانا آخر جملة من الفصل السابق عنوانا للفصل الذي يليه

ثانيا هناك فترة دامت سنتين تقريبا لم يدون الفشتالي عنها شيئا يذكر (بين 994 هـ و 995 هـ) . ولعل ذلك كان بسبب المرض الذي ألزمه الفراش سنتين ، فقد ذكر في الصفحة (259) من المخطوط ( وأما ما قابلتني به عنايته ايده الله عند انغماسي في العلة المتطاولة لآمد من حولين كامين)

ثالثا بدأ الفشتالي منذ عام 997 هـ/1589م يدون الاحداث بشكل مذكرات يحمل بعضها تواريخ تدوينها وتتضمن ايضا عبارات يفهم منها أن الموضوع الذي هو بصدد الحديث عنه لم ترد بشأنه معلومات جديدة بعد ، ويلاحظ على هذه المذكرات

أ - التدوين حسب الموضوعات غالبا : فتح السودان ثورة الناصر

ب - الدقة والضبط في الوصف وتحديد الزمان والمكان كما فعل مثلا في وصفه

لرحلة المنصور الثانية لفاس .



ج - الاكثار من استعمال هذه العبارات (لهذا العهد) (وفى هذا التاريخ)

(شرع الآن) ، ومن الامثلة

- (وهو الآن ايدى الله لهذا العهد من عام سبعة وتسعين واقف على أهبة  
الاستعداد) ص 90 .

- (وهم لهذا العهد غالبون تجاهها كتب الله سلامتهم) ص 112

- (وشرع امير المؤمنين الآن بعد ارسال الرسول فى تجهيز العساكرى ص 57

- (على امداده بالعساكر ليحلب بها على السلطان اليوم بكاغوى ص 69

- (وتسايلت لهذا العهد كتائبها على هذا النمط) ص 97 .

- (فكان مبدأ الشروع فى تأسيسه واتصل العمل بهذا العهد وهو عام اثنين  
وعشر مائة) ص 226

- (فتهاكوا لهذا العهد فى مضايقته) ص 136

- (وفى هذا التاريخ صمد اليه اسطول بلاد نكلطيره فى مائتى مركب) . ص 36 1.

د - تفق مذكرات المخطوط السياسية عند حدود عام 1005 هـ / 1596 م .

رابعا والى جانب الاحداث السياسية ، هناك موضوعات هامة تتعلق بمظاهر

حضارية مختلفة لعهد المنصور ويمكن تصنيفها كما يلى :

- جوانب ادارية مع تنظيم القوات العسكرية والبحرية

- اوضاع اقتصادية تتعلق بزراعة قصب السكر ومعامله وبعض المصانع  
الحربية

- مظاهر اجتماعية وعمرانية

- الناحية الثقافية ومميزاتها فى عهد المنصور .

والذى اكدته الدراسة والبحث أن القشتالي قد دون المظاهر الحضارية السالفة

الذكر اثر انتهائه من تسجيل اخبار الفتوحات المغربية فى السودان وبالضبط غداة

الانتصارات العسكرية التى احرزها محمود باشا فى السودان خلال عام 1002 هـ / 1594م

بدليل أنه :

1 - عندما تحدث عن بناء المنصور لقصر البديع قال (فكان مبدأ الشروع فى تأسيسه

فى شوال خامس الاشهر من خلافته السعيدة فى عام ستة وثمانين وتسعمائة

واتصل العمل لهذا العهد وهو عام اثنين وعشر مائة لم يتخللها فترة) 226 .

2 - عندما تحدث عن القائد المغربى منصور باشا الذى ولاء المنصور القيادة للجيش

بعد تعيين محمود باشا حاكما على السودان قال (فمن الاكابر منصور باى ..

لما رقاها لهذا العهد من قيادة الانكشارية) (ص 197) ومعلوم أن محمود باشا  
قد حكم السودان بين (999 هـ و 1002). ولا تتضمن مذكرات الفشتالي الحضارية اية  
اشارة الى اى حدث تاريخى وقع بعد عام 1002هـ/1594

هل المخطوط كل ما دونه الفشتالي ؟

ان مخطوط المناهل يتكون من مجموع عدة أسفار تتعلق بموضوعات سياسية  
وحضارية ومن بينها موضوع فتح السودان الذى اكده المقرئ - وهو معاصر - بأنه  
يكون سفرا خاصا فأين بقية الاسفار ؟

1 - هناك الاشارات العديدة الى الاسفار التى دونها الفشتالي عن العهود التى سبقت حكم  
المنصور (حتى اذا كان زحف صالح رايس من الجزائر بجنود الاتراك مع الاعور  
بوحيسون حسبما قدمنا) ص 59

2 - وهناك العزم على أنه سيستمر فى التأليف (فقد آن لنا أن نختم هذا السفر بمؤثره  
الثريفة الى أن يسنى الله تعالى بفضل من الفتوح والظفر الممتوح ما يستفتح  
به ان شاء الله سفر آخر). ص 170

3 - لقد اكده المقرئ فى (روضة الآس) بأن الفشتالي لم ينقطع عن التأليف والتدوين  
فى الصفحة (162) ذكر من جملة مؤلفات الفشتالي كتاب (تقديم الامام) وقال  
(عهدى به فى المحلة المنصورية عام عشرة و الف قد كتب جله) أى قبيل وفاة المنصور  
بسنتين تقريبا

لقد ضاع جزء هام مما كتبه الفشتالي للاحداث الخطيرة التى عرفها المغرب منذ  
وفاة المنصور وارى أن أبا فارس يتحمل قسطا من المسؤولية فى ضياع بعض مدوناته  
وفى التحريف والبتر الذى اصاب البعض الآخر منها فقد ذكر المقرئ فى (روضة الآس)  
(وقال ايضا ابقاه الله فى غرض يضاهى ما تقدم من قصيدة لم أجد أولها فلذلك كتبت  
منها ما وجدت فقط ولعلى أجد أولها ان شاء الله تعالى فالحقه) (ص 167) وفى  
الصفحة (150) من المناهل دليل آخر على ما ذهبنا اليه وهو أن الفشتالي لم يكن يولى  
عناية كبرى بجمع كل ما دون وبحفظه (وكنت شرعت ساعتئذ فى قصيدة اساجل بها  
القوم فتجاذبتها مع الاشغال المثالة حينئذ فغلبتني عليها من بعد الجهد فى المكافحة  
وأنا مورد ما خلص لى منها) وربما يلاحظ البعض أن عدم اهتمامه بتدوين جميع  
القوائد مثلا لا يفهم منه اهماله لتدوين الاحداث السياسية ، الا ان الدراسة تستلزم  
الاشارة الى ذلك ولان تدوين بعض القصائد التى قيلت فى مناسبات سياسية مثلا قد  
تكشف الكثير من التفاصيل التى تساعدنا على فهم بعض الاسباب والنتائج ولله

الإصطبل وغيرها ضاع قسم من اخبار الفشتالي عن السعديين والمنصور ، وجاءت معلومات المخطوط مضطربة وغير مرتبة

- 1 - ان ما جاء في بعض المذكرات يفرض معرفتنا لبعض الاحداث التاريخية التي كانت الاشارة قد سبقت اليها في حين ان الخبر عن هذه الاحداث جاء متأخرا
- أ - في الصفحة (52) يتحدث عن (ارتجاع العساكر من كاغو الى تنيكتو) ثم في الصفحة (68) يتحدث عن وصول القوات المغربية الفاتحة الى كاغو
- ب - في الصفحة (62) يتحدث عن رجوع القوات المغربية بعد اخماد ثورة توات ، في حين ان الحديث عن هذه الثورة ورد في الصفحة (112)
- ج - في الصفحة (67) ذكر بأن المنصور قد فتح المناطق الصحراوية الشاطئية كتهديد لفتح السودان في حين أن الحديث المفصل عن فتح هذه المناطق قد جاء في الصفحة (84)

2 - لقد تنبه المؤرخ الزياتي الى هذه الملاحظة ودون على هامش الصفحة (48) من المخطوط قوله (هذه الترجمة التي جعلها المؤلف هنا محلها يأتي عند فتح السودان وليس هذا محلها كتبه بلقاسم بن أحمد الزياتي)

3 - الفصل بين معلومات الموضوع الواحد فمعلومات الصفحة (114) هي تنمة لما في الصفحة (54) ، ونفس الامر بالنسبة لمعلومات الصفحة (163) و الصفحة (58)

وعلى سبيل المثال لقد حاول المنصور استغلال وجود الامير السوداني داود يبراكش للضغط على أخيه اسكيا اسحق في كاغو بالسودان وتحدثت الفشتالي في مخطوطه عن ذلك فقال (ورأى أن له بذلك التحكم فيما يشاء عند صاحب السودان فابتدر من انتهاز الفرصة في تشهير الخراج الموظف على معدن تغازي واعتمل في اتمام ذلك بأن دس مع ولده المولى أبي فارس عتاتها) (ولبض على ولد سكية الواقد على الحضرة في منييه بأن يكتب الى امير المومنين يرغبه على اعداده بالعساكر ليحلب بها السلطان اليوم بكاغو)

فالقرة الاولى توجد في الصفحة (114) بينما الققرة الثانية في الصفحة (54)

4 - هناك احداث ووقائع حصلت في عهد المنصور و اشار اليها بعض المعاصرين، ويتدخل ضمن الاحداث التي تحدث عنها المخطوط دون أن نجد لها اشارة ما ولا يخالفنا شك في أنها قد ضاعت ومن ذلك مثلا

- الاشعار الكثيرة التي نقشت على جدران البديع وهي في معظمها للفشتالي وقد

اثبت المقرئ في روضه الآس بعضها

– زيارة الفشتالي لفاس في سفارة خاصة خلال محرم 1007 هـ لدى ولي العهد كما أشار الى ذلك المقرئ .

– وصول جوذر باشا من السودان الى مراكش في قعدة عام 1007 وقد سجل المقرئ وصفا لذلك .

5 لقد نشر الأستاذ الفاضل عبد الله كنون ملخصا لمناهل الصلا ، وقد تصرف الملخص كثيرا والى حد بعيد في اثبات وحذف العديد من الموضوعات والمعلومات الهامة التي لا تترك قيمتها الا بالرجوع الى المخطوط أولا والمختصر ثانيا الامر الذي يؤكد لنا بان مذكرات الفشتالي قد تعرضت كثيرا للتحريف والتشويه من قبل بعض المعرضين والنساح ويجعلنا نقف على حقيقة الرأي القائل (كم من ناسخ ما نسخ) ولعل هذا من الاسباب التي جعلت الأستاذ الفاضل عبد الله كنون يثبت في الصفحة (13) قوله (فضلا عن أنه اذا نشر الاصل فان هله الملخص سوف لا يرى النور ولا يجد سبيلا الى الظهور أبدا) .

6 – ومن الاحداث الخطيرة التي عرفها العهد الاخير من حكم المنصور والتي لم يتضمن المخطوط أية اشارة اليها

– الطاعون الذي حل بالمغرب منذ عام 1598/1007 ودام نحو خمسة عشر عاما

– موت فيليب الثاني ملك اسبانيا وعمو المنصور اللدود وتولية ابنه 1598

– اتصالات المنصور السرية مع الانجليز للعمل سوية ضد الاسبان

– تمرد المأمون ضد والده والقضاء على ثورته

– موت المنصور في فاس 1603/1012 وتحارب ابنائه على الحكم والتكبات التي

توالت على العباد والبلاد

وهكذا ضاع الكثير مما دونه المؤرخ الفشتالي عن احداث المغرب في عهد المنصور بوجه خاص ، فالفشتالي قد أرخ للدولة السعدية منذ تاسيسها في مطلع القرن السادس عشر وقصص احداث عصر المنصور كما كتب الكثير عن المغرب بعد المنصور حتى وفاته عام 1621/1031 أي ان تواريخه قد شملت حوادث قرن تقريبا ، الامر الذي يؤكد ما ذكره بعض المعاصرين من أن الفشتالي قد دون تاريخ السعديين بما ملا به مجلدات ضخمة وعديدة (عهدى به أنه أكمل منه ثمانية مجلدات وهو مقصور على السلطان المذكور ودونيه) (1) و (اخبرني أنه ذكر في فتح السودان فقط ما تحمله سفر ضخمة فما ظنك بغيره) (2) ويضيف ابن القاضي (وتاريخه المذكور في مجلدات اشتمل على تاريخ ساداتنا الشرفاء من اولها الى الآن) (3)

(1) المقرئ نفع الطيب ج 4 ص 645

(2) المقرئ روضة الآس ص 126

(3) ابن القاضي : درة العجال ج 2 ص 378



أما مخطوطنا فلا يُورخ إلا لسنوات معدودة من حكم المنصور لا تزيد عن خمسة عشر عاما ولا يتضمن جميع تفاصيل الاحداث التي عرفتها هذه السنوات المدة التي أورخ لها اذ يوجد بها نقص وبترا كثيرا ما يعولان دون تتبع الوقائع مما يدل على أن المخطوط النبى بين ايدينا لا يمثل الا جزءا يسيرا من اخبار الفشتالى ويجسم لنا فى نفس الوقت الخسارة التي لحقت بمؤلفات الفشتالى التاريخية وعرضت معظمها للتلف والضياح

### النقد التاريخى

الاسلوب يقرب على المخطوط الطابع الادبى الى حد بعيد ، للرجة يمكن اتخاذ الكتاب نموذجا ادبيا للنثر الفنى الراقى وللعبقرية الشعرية الواسعة الخيال ، التي اتصف بها بعض الادباء المغاربة فى هذا العصر ، ولا غرابة فى ذلك اذ الفشتالى كان ادبيا وشاعرا قبل أن يكون مؤرخا رسميا ، وهذا الطابع الادبى تجل فى عنوان الكتاب الذى هو على شكل قافية موزونة (مناهل الصفا فى مآثر موالينا الشرفا) وظهر فى الاستطرادات الكثيرة التي لا تغلو منها صفحة من الصفحات ثم فى تعدد القطع السياسية والدينية والاجتماعية وغيرها ، الشعرية التي القيت فى مختلف المناسبات وقد تضمن المخطوط نحو (27) قطعة شعرية اعدد من الشعراء المعاصرين يصل تعداد أبياتها الى (850) بيتا تقريبا

ولقد حاول الفشتالى أن يجعل مؤلفه التاريخى وفقا على مآثر الخليفة المنصور والاشادة باعماله فى الداخل والخارج ، وتناول الاحداث السياسية ومختلف المظاهر الحضارية التي تميز بها هذا العهد ونادرا ما كان يتعرض الى احوال العامة او يقف على نواح من انماط حياتهم اليومية

وعن الفشتالى المؤرخ وثقافته التاريخية ، يثير اهتمامنا

- 1 - المصادر التي اعتمد عليها فى تدوين الاحداث ، وترجع فى معظمها الى :
  - أ - ما نقله عن معاصريه من وجهاء القوم ، وذلك فيما يتعلق بالحوادث التي حصلت فى العهد السابقة لحكم المنصور او خلال الفترة الاولى من حكمه (من ذلك ما أخبرنى به الشيخ ... ) ص 4 .
  - (ما حدثنا به سفير الخلفاء ... ) ص 5.
  - ب - ما رواه عن الخليفة المنصور (وعى ما حدثنا به ايده الله ونصره) ص 2 (قال امير المؤمنين ايده الله ولم أشعر يومئذ ) ص 3
  - ج - ما نقله عن المراسلات والوثائق الرسمية بحكم وظيفته (قرأت فى كتاب الفتح الى امير المؤمنين ان الشيخ... ) ص 43

د - ما اطلع عليه وسمعه (فالذى يدل عليه خبر من لقيناه بالابواب العلية)

ص 39 .

هـ - ما شاهدته ووقف عليه وعاصره من احداث (فرفعت بقراءته عقيرتى وقام الى جنبى قاضى الجماعة ... مفسرا لما أشكل من احكام البيعة التى تضمنها الرسم الكريم) ص 92 .

و - وهناك معلومات رجع فيها الى مصادر تاريخية كابن خلدون (وقد ألم الامام ابن خلدون فى كتاب العبر بذكر تيكورارين) ص 38

2 - سعة معلوماته التاريخية فقد تعرض الى اخبار تتعلق بالغرب فى عهد المنصور وأخرى بالعالم الخارجى المعاصر شرقا وغربا وسيأتى التفصيل فى ذلك فيما بعد

اما طريقة التدوين فالشئالى جمع بين طريقتين فى التدوين هناك المذكرات التى دونها وفق الترتيب الزمنى واثبت فى نهايتها تاريخ التدوين فجاءت بشكل حوليات ( ومما يحكى فى هذا الباب فى صفر من عامنا هذا وهو عام سبعة وتسعين) ص 190

وهناك المذكرات التى خصصها لموضوع خاص (ذكر ما اشتملت عليه هذه الممالك المنتظمة فى سلك الايالة العلية المنصورية من الخصائص والمزايا والمفاخر التى لا توافى) ص 129

اما قيمة المؤرخ الفشتالى كشاهد للاحداث التى رواها ومعرفة مدى عدالته وضبطه ، فتشير اول الامر الى أن ابا فارس قد ساعده ظروفه الخاصة كجلس للمنصور وكوزير للقلم أن يطلع على الاسرار والمعلومات التى لم يكن من السهل على أى كان التعرف عليها والوصول اليها ، فهو لذلك كان يحظى بجميع شروط المشاهدة الصحيحة ، وقد سعى الفشتالى الى :

أ - تدوين الكثير من المعلومات فى الحين (وهو الآن ايدى الله لهذا العهد من عام سبعة وتسعين واقف على قدم الاهبة والاستعداد لذلك) (ص 90) . ويبدو ان مؤرخنا كان يهتم كثيرا بالاحداث السياسية قبل غيرها فى التدوين ، مما كان سببا فى ضياع الكثير من القصائد الشعرية مثلا والتي قيلت فى مناسبات سياسية (وزجرت له يوم خروجه على عادة الشعراء الفال الحسن باييات شد عن حلقى بعضها) (ص 140)

ب - تحديد زمان ومكان الحادث مما يعطى صورة واضحة عن مقدار ضبطه كما يروى (فقال لهم امير المؤمنين لذلك محتجا عليهم رأيتم لو فرضنا قيام اخى عبد الله

بنفسه فضلا عن ولده وبيعتي في اعناقكم ايسوغ لكم اتباعه ثم عرض اجتماعي  
في ذلك اليوم أو بعده مع شيخنا العلامة فحدثني بشأن القضية لعدم اتفاق  
حضورى ساعتئذ فقال شاهدت اليوم أو أمس .. (ص 193)

ويدخل هنا وصفه لنفسية المنصور وما كان يشعر به أحيانا من فرح وسرور  
(فاهتز له سرورا من اعواده وزجر فيه الفال الحسن لرحلته) (ص 109) أ ومن ألم  
واستياء (ووصل الخبر الى امير المؤمنين بفاس فانبعثت له حفائظه) (ص 112)

ج - تدوينه لعدد من الوثائق المتعلقة بعهد المنصور ، وهي كما يلي

- 1 - بيعة ملك برنو (ص 19 - 23) .
- 2 - رسالة المنصور الى الجهات والاقطار بعد فتح السودان (ص 48 - 52)
- 3 - رسالة المنصور الى اسكية اسحاق (ص 55 - 57)
- 4 - رسالة المنصور الى عمر بن محمود بن عمر قاضي تيبكتو (ص 74 - 77)
- 5 - نص البيعة بولاية العهد للمولى محمد الشيخ بن المنصور (ص 92 - 103) .
- 6 - رسالة المنصور الى قائديه بالسودان جوذر باشا ومحمود باشا بعد القضاء على  
ثورة الناصر (ص 151 - 153)
- 7 - رسالة المنصور الى اهل قاس واهل التفور من بلاد الغرب يشكرهم على الثبات  
على العهد وعلى موافقتهم أيام ثورة الناصر (ص 154 - 156)
- 8 - رسالة المنصور الى صاحب مكة والمدينة وارض الحجاز السلطان حسن  
( ص 156 - 157) .
- 9 - رسالة المنصور الى كبير المشايخ علم الطريقة بالديار المصرية زين العابدين البكري  
(ص 158 - 160) .
- 10 - تقييد شريف بخط يد المولى أحمد متضمنا لذكر ما قرأ من العلوم وذكر من أخذ  
عنه من الشيوخ وسنده عنهم (ص 219 - 221)
- 11 - نص اجازة الشيخ الامام رئيس ائمة العلم بالديار المصرية ابي عبد الله محمد بن  
ابي الحسن البكري الصديقي للمولى أحمد المنصور (ص 222 - 226)
- 12 - نص اجازة الشيخ الامام قاضي القضاة المالكية بمصر بدر الدين القرافي للمنصور  
(ص 226 - 250)
- 13 - مقدمة كتاب (العارف في كل ما تحتاج اليه الخلائف) للمنصور (ص 258 - 259).
- 14 - مقدمة كتاب الادعية للمنصور (ص 259 - 260)
- 15 - ظهير تولية المنصور لابراهيم الشط على رئاسة الاسطول المغربي (ص 302 - 303)

ومن جهة أخرى ، تشير الى أن الفشتالي لم يدون الكثير من مراسلات المنصور الصادرة عنه او الواردة عليه من الداخل والخارج ولعله اعتبر ذلك من اسرار الدولة وما يستلزم السكوت عنه أو لان بعضها كان مكتوبا برموز خاصة أى بشيفرة يرجع الى المنصور فضل ابتداعها (اخترع اشكالا من الخط على عدد حروف المعجم يكتب بها فيما لا يريد الاطلاع عليه من اسرار ومهمات أموره واخباره يمزج بها الخط المتعارف فيصير بذلك الكتاب ملمعا مستغلقا فلا يجد المطلع عليه بابا يدخل منه الى فتح شئ من معانى الكتاب ولا الوصول الى فهم سر من اسراره حتى لو تلف الكتاب او سقط أو ضاع أو وقع في يد عدو لأمنت غوائل الاطلاع على اسراره ثم نوع أيده الله هذا الخط الى انواع يخص ولى عهده منها بنوع يرجع اليه فى فك معنى كتبه ثم اذا جهز أحد بالعساكر الى جهة أو بعثه فى غرض رسالة أو قلده جانباً من اطراف ممالكه وثغوره ناوله خطاً من تلك الخطوط يفك به رسائل امير المؤمنين اليه ويكتب به هو من عنده فيما يريد تعميته من الاخبار وخبايا الاسرار) . (ص 206) .

ورغم أن الفشتالي لم يثبت نصوص العديد من الوثائق فإنه قد استفاد منها فى وصفه للاحداث والوقائع وضبط تفاصيلها كأنه شاهد عيان والامثلة كثيرة الفتح المغربى للسودان والمعارك الحربية التى خاضتها قوات المنصور ضد السودانيين تفاصيل عن ثورة الناصر ضد عمه المنصور..

وعدم اثبات الكثير من المراسلات فى مخطوطنا هذا لا يدفعنا الى القول بان الفشتالي قد اهل ذلك ، فقد سبقت الاشارة الى أن المخطوط ليس كل ما دونه الفشتالي ، ثم إن وجود بعض الوثائق فى مصادر نقلت عن الفشتالي كالأفرانى فى (الزهوة) مثلا لا يترك مجالاً للشك بأن مذكرات الفشتالي قد ضاع قسم منها وقد تجرد به الايام يوماً ما

اما قيمة شهادة الفشتالي فيزكى جانباً هاماً منها أخلاقه الفاضلة التى عرف بها وشهادات المعاصرين له (فتركت ايديكم الله المصدر لمن هو منى أقعد وتحميت عقده لمن هو له أعقد أبى فارس عبد العزيز الفشتالي) (ص 54) .

على أن وصف الفشتالي بالعدالة والضبط وصدق الرواية ليس امراً جامعاً مانعاً ، فهو أبعد ما يكون عن ذلك عندما يصف المولى أحمد المنصور ويعدد معاصنه الخلقية والخلقية وخاصة شجاعته التى فاقت الحد والوصف اذ تصبح روايته مخالفة للمنطق ومعقولة الاحداث (ان رجاله الابطال كانوا اذا أحرقتهم شرر البندق ولفحت وجوههم نار البارود تقهقروا يتدرق بعضهم ببعض حتى يتدرق جميعهم بامير المؤمنين ويمتلوا من ورائه جبلاً فيبدو تحت الالوية غير متوار بنو القصر من تحت الغمام) (ص 213) .



ورغم البعض من هذه الهفوات التي أخذت على الفشتالي فإنه لم يقصد ثقة معاصريه واحترامهم ووصفهم اياه بأحسن النعوت وفضلها ويكفيها دليلا على ذلك أن معلومات هامة عن دولة المنصور قد تناقلها الرواة والمؤرخون خلال القرون الاربعة السابقة (الافرائي ، الزباني اكنسوس الناصري ) وأن العثور اخيرا على هذا المخطوط قد كشف عن كثير من الحقائق التاريخية والسياسية والحضارية التي تميز بها المغرب في عهد المنصور ومن الانصاف أن نثبت هنا ما ذكره الخليفة المنصور عن مؤرخنا الفشتالي كما اورد ذلك المقرئ في نفع الطيب (ص 852) (ان الفشتالي نفتخر به على ملوك الارض ونبأى به لسان الدين ابن الخطيب)

### مميزات المخطوط العامة :

اولا يعتبر مخطوط (مناهل الصفا) كتاب تاريخ خاص ، من حيث كونه يتعلق بدراسة احوال المغرب ومختلف التطورات التي عرفت فيها دولة المنصور وصفة الخصوصية هذه تشمل النواحي السياسية والحضارية ولما كان الفشتالي قد ترك آخباره بشكل مذكرات وكراريس رتبنا من قبل الغير ترتيبا مشوها يحول دون الاستفادة من المعلومات التي تضمنتها - كما سبقنا الاشارة الى ذلك من قبل - فهل يمكن القيام بترتيب مذكرات الفشتالي ترتيبا يساعد على البحث والدراسة ويجعل الدارس يستفيد أكثر ما يمكن من اخبار الفشتالي وتواريخه عن مغرب المنصور ؟

لقد أكدت لي الدراسة أن أفضل طريقة يمكن اتباعها في هذا المجال هي ترتيب مذكرات المخطوط ترتيبا زمنيا وفق التسلسل التاريخي لان احداث التاريخ يؤثر بعضها في البعض الآخر ولا يمكن فهم حوادث اليوم الا بالتعرف على مشاكل يوم أمس ، ولا أخفى هنا مدى الصعوبات التي وجدتها عند ترتيب المعلومات ترتيبا زمنيا فقد كان على أن أعيد المخطوط الى كرايس وأسفار كما وضعها صاحبها وكما وجدها ناسخ مخطوطنا ، وحتى في هذه الحالة لم يتيسر لي ترتيب المعلومات لأول وهلة ، لان النسخ سامحه الله قد تصرف أو اشتبه عليه الأمر فجمع بين كرايس وأوراق تختلف موضوعيا عن بعضها البعض ولأن المذكرات من جهة أخرى بها الكثير من البتر والنقص الامر الذي استلزم قراءة كل مذكرة على حدة وتنظيم ما جاء بها من معلومات سياسية وموضوعات حضارية

وترتيب معلومات المخطوط لم يقع معه افعال حرف واحد مما في الأصل ، ولم يخرج عن نطاق السعي الى تصحيح الطريقة التي اتبعها جامع مذكرات الفشتالي أو ناسخها والتي لو قدر لمؤلفها أن يقوم هو نفسه بترتيبها لتبع المسلك نفسه ودون أن يكون هناك اختلاف يذكر بين الطريقتين

والترتيب الذي انتهت اليه كالتالي الاحداث السياسية

1 - معلومات متفرقة عن الحكام السعديين الاوائل

- النزاع بين الاخوين أحمد الاعرج ومحمد الشيخ (ص 40 - 41)

- الصراع بين محمد الشيخ وأبي حسون وحلقائه الاثراك (ص 58 - 60) .

- اخبار عن الثالب وابنه المتوكل

2 - المنصور قبل توليه الخلافة

- صفاته ونشأته (ص 1 - 6)

- هجرته الى تلمسان (188 - 189)

- حروبه بسوس (189-190) + (217 - 218) + (213 - 217)

٢ - معركة المخازن (212 - 213) + (301 - 302)

٧ - المغرب عند تولية المنصور (6-7)

3 - الخليفة المنصور

- في فاس غداة توليته (7 - 14)

- في مراكش خلال السنوات الاولى لحكمه (14-16) + (23-38) .

- زيارته لفاس (16-23)

- التوسع في الصحراء الشرقية (39-44)

- التوسع في الصحراء الجنوبية وبعثه اليه (87-105)

- ثورة ابن قرقوش (105-107) + (184)

- زيارته الثانية لفاس (107-112) + (57)

- تأديب بعض القبائل (163-169) + (58-62) + (192-193)

- عودته لمراكش (57-58)

- استرجاع أصيلا (64-65)

- تأديب ثوار توات (52-57) + (58-64)

(65-68) + (114) + (113-114) + (54-57) + (69-87) } فتح السودان  
(48-54) + (114-124) + (44-48) + (124-133)

- ثورة الناصر (133-134) + (138-160) .

- تأديب قبائل الخلط (160-163) .

- اوضاع أوروبا الغربية المعاصرة (112-113) + (134-137)

- غزوة المنصور الجهادية (303)

لقد قمت بترتيبها حسب الموضوعات ، ولم أجد صعوبة كبرى كما حصل عند ترتيب الاحداث السياسية طالما أن المؤلف قد جعل كل مظهر من مظاهر الحياة في عهد المنصور موضوعا مستقلا ، فاقصر عملي على ترتيب هذه الموضوعات كالتالي  
٨ - تمهيد (169-170).

- الناحية الادارية وتنظيم القوات العسكرية والاسطول (193-200) + (302-303) + (204-208)

- الناحية الاقتصادية (279-281) + (303-304)

- الناحية الاجتماعية (170-212) + (281-303) + (264-279) + (218)  
- الناحية الفكرية (218-264)

ثانيا يمكن اعتبار المخطوط كتاب تاريخ عام للاهتمام الذي أولاه الفشتالي للاحداث الخارجية سواء في الشرق الاسلامي أو في الغرب المسيحي ، مما يمكن اتخاذه حجة لابطال الرى الذى طالما أبداه بعض المؤرخين الاجانب من أن المسلمين والعرب عامة والمغاربة خاصة قلما ابدى مؤرخوهم اهتماما كبيرا باحداث اقطارهم بله الاقطار المعاصرة لهم والتي كانت معادية لهم بوجه خاص  
ويمكن تفصيل هذه العمومية كما يل

- أوضاع الموريسكوس بالاندلس وهجراتهم الى المغرب

- أحوال بلاد السودان والمناطق الصحراوية في شرق المغرب وجنوبه

- الاثراك العثمانيون في الشرق واحوال مصر بوجه خاص

- احداث أوروبا الغربية وتفصيل القول في الصراع الكاثوليكي - البروتستانتي  
أواخر القرن 16م

- دراسة عامة لتاريخ بعض القبائل العربية بالشرق والمغرب خلال احقاب مختلفة  
من التاريخ

ثالثا أغنى وجود المخطوط عن الرجوع الى المراجع التى نقلت عنه لقد نقل عن (مناهل الصفا) مؤرخون عديدون كالأفراني في (نزهة الحادي) والزياني في (الترجمان المغرب) واكنسوس في (الجيش العرمم) والناصرى في (الاستقصا) وخلال العصر الحديث وبعد ضياع مؤلفات الفشتالي أصبح الاعتماد على ما نقلته هذه الكتب عن (المناهل) من قبيل اذا ضاع الاصل حل الفرع محله والآن وقد وجد الاصل فان الباحث عن السعديين وعهد المنصور ملزم بالرجوع الى المناهل الا ما كان يتعلق

ببعض الموضوعات والاحداث والوثائق التي سبق لهذه المراجع قد نقلتها عن الفشتالي والتي لا يتضمنها مخطوطنا هذا عملا بالقاعدة السابقة

رابعاً يطلعنا المخطوط على نموذج عام للتأليف التاريخي في المغرب عند مطلع العصور الحديثة ، وذلك من حيث

- 1 - السعى الى جمع الاخبار بالرجوع الى الوثائق الاصلية المدونة منها والمروية ، والحرص على ذكر مصادرها جرياً على قاعدة السند والتمن
- 2 - التنوع في طرق تدوين الاخبار كأن يهتم المؤرخ الى جانب الاخبار السياسية والحوادث العامة ، بتسجيل الانطباعات الخاصة ومختلف الوقائع اليومية مما يعدد الموضوعات من جهة ويجعل المؤلف انعكاساً لواقع الحياة من جهة أخرى
- 3 - اتباع احدى الطريقتين في تسجيل الاخبار حسب السنين بشكل حوليات أو حسب الموضوعات مع السعى الى تدوين الاحداث في حينها وضبط تواريخ وقوعها بالسنة والشهر واليوم وهذا منتهى الدقة والضبط
- 4 - الكتاب من انواع التأليف التاريخي التي تدخل في عداد التراجم والسير والاسر الحاكمة ، فهو يهتم بتاريخ الاسرة المالكة وبسيرة أحد ملوكها كما يدون اخبار دولته واهم مميزاتا دون أن يغفل عن التعرض لاهم رجالها في ميادين السياسة والحرب والعلوم .

- 5 - سعة المعلومات التاريخية التي لا تقف عند حدود الاخبار الداخلية وانما تهتم أيضاً بالاحداث الخارجية المعاصرة ومختلف التطورات التي عرفتها بلدان الشرق والغرب.
- 6 - محاولة تحليل بعض الاحداث التاريخية بالوقوف على اسبابها وأهم نتائجها ومضاعفاتها أي عدم الاقتصار على السرد وحشو المعلومات كما درج على ذلك العديد من المؤرخين السابقين

- 7 - توجيه عناية كبرى للمظاهر الحضارية المختلفة التي تكون جميعها مع دراسة الاحداث السياسية صورة متكاملة عن واقع الحياة خلال الفترة المؤرخ لها وهذا تطور هام في التأليف التاريخي في المغرب عند مطلع العصور الحديثة

خامساً يبرز المخطوط صورة عامة لثقافة العصر في أواخر القرن السادس عشر في المغرب بعلومها الاسلامية ولغتها بما في ذلك قواعد القراءة والكتابة المتبعة يومئذ مع ملاحظة الكثير من الالفاظ والمصطلحات الاجنبية التي دخلت اللغة العربية في المغرب شرقية كانت أو غربية وذلك لوجود عدد من الجاليات الاجنبية في المغرب وللتعامل اليومي معها والاتصال المستمر بها أي أن دراسة المخطوط تطلعنا على مرحلة هامة من مراحل تاريخ الادب واللغة العربية في المغرب عند مطلع العصور الحديثة ، وهذا جانب

هام يحرض المؤرخ المعاصر على الوقوف عليه كما يسعى الى التعرف على الاحداث السياسية ومختلف المظاهر الحضارية  
المأخذ على المخطوط

كان بودنا أن نقف طويلا عند هذا الموضوع لولا أن المخطوط الذى بين ايدينا قد ثبت بأنه ليس كل ما دونه الفشتالى بل ضاعت اقسام هامة منه نجعل نسبتها لمجموع الكتاب ونجهل الموضوعات التى تضمنتها واهم ما جاء بها  
وكيفما كان الامر فان المأخذ التى تلفت النظر فى هذا المخطوط والتى تتعلق خاصة بما كتبه عن عهد المنصور هي

- 1 - لم يكون جميع معلوماته فى حينها ، فقد اثبتت الدراسة أنه لم يبدأ فى التأليف الا منذ عام 1589/997 أى بعد مرور أحد عشر عاما من تولية المنصور .
  - 2 - لم يدون كل شئ عن عهد المنصور فقد اعترف الفشتالى بأنه لم يول العناية الكبرى للقصائد الشعرية مثلا التى قيلت فى مختلف المناسبات والتى كان من الممكن أن تلقى بعض الاضواء على هذا العهد
  - 3 - غلبة الاسلوب الادبى بل انه قد أغرق كثيرا فى التعابير الادبية والاستطرادات ومختلف ضروب التعبير الادبى
  - 4 - عدم الاهتمام بالطبقات الشعبية والدنيا من المجتمع المغربى
  - 5 - لم يثبت الكثير من الوثائق والمواصفات الواردة الى المنصور أو الصادرة عنه
  - 6 - غلوه فى تعظيم المنصور وتحيزه المطلق لولته وسعيه أحيانا الى تبرير بعض تصرفات المنصور مثل تسليم جثة دون سباستيان دون عوض وعدم تحرير المنصور لقواعد الاحتلال الاجنبى بالشواطىء المغربية قبل التوجه الى فتح السودان ومحاولة تبرير سلوك قوات المنصور الغازية فى السودان
  - 7 - يبدو أن الفشتالى قد أولى عناية كبرى للمولى احمد المنصور ولوالده المولى محمد الشيخ كما تدل على ذلك دراسة وثيقة عقد بيعة المامون وكانه جعل عهد محمد الشيخ مرحلة البناء والتأسيس للدولة السعدية وعهد ابنه المنصور هو فترة الازدهار والعظمة
- وخلاصة القول ان من أهم النتائج التى أدت اليها دراسة مخطوط (مناهل الصفا) للمؤرخ الفشتالى

الوقوف على ما لحق بعض مصادر التاريخ المغربى على قلتها من عوامل التلف والضياع والبتر والتحريف الامر الذى يستلزم الاهتمام الكبير بجمع مصادر التاريخ من وثائق ومخطوطات كيفما كانت وانى وجدت فى الداخل والخارج للوقوف عليها

ولحفظها وتبويبها وتصنيفها ويستوجب اهتمام المسؤولين وتضافر جهود الاختصاصيين لدراسة هذه المصادر والاستفادة منها وذلك لكشف النقاب عن حقائق التاريخ المغربي خلال عصور التاريخ وسعيها الى كتابة تاريخنا بأسلوب علمي وفق طرق البحث ومناهج الدراسة العلمية الحديثة

والامل كبير في وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة لتحقيق غايات ثلاث  
اولا السعي الى جمع المخطوطات والوثائق التاريخية واقامة معرض جلاله الملك الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق محاولة هامة لجمع مصادر التاريخ الموجودة بالمغرب والتعرف عليها ونرجو أن تتلوها خطوات أخرى وخاصة فيما يتعلق بالبحث عن المصادر التاريخية المغربية الموجودة في الخارج ، وعلى سبيل المثال في خزنة الايسكوريال ودار الوثائق بسيمانكاس باسبانيا وفي صطامبول بتركيا  
ثانيا تكوين لجان من الاختصاصيين لدراسة مصادر التاريخ المغربي وتصنيفها وتبويبها وجعلها في متناول الباحثين والدارسين .  
ثالثا القيام بطبع مصادر التاريخ المغربي ونشرها

الرباط في 1972/12/29

الدكتور عبد الكريم كريم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

ذكر خلافة أمير المؤمنين المنصور بالله المولى أبي العباس المجاهد أحمد (1) بن الامام مهدي الأمة أبي عبد الله محمد بن الشيخ الخليفة الامام القائم بأمر الله رضى الله عنهم.

وأمر المؤمنين هذا أعلى الله كعبه ، وأناخ في صدور المسلمين رعبه هو اليوم امام الجماعة وانسان حذقة الاسلام وقبة تاج الخلافة النبوية وهتعد كرسيا المنصوب على قواعد العدل وسريرها المرفوع على دعائم الحق وركن الامامة المستلم عند أهل الارض والخليفة المخصوص بشرات الرسالة وهالك امرة المؤمنين بحكم السواء والكفالة ستام هذه السولة الحسنية وذروة عزها وأوج فلکها ووسطى عقدها كان أيده الله جوادا كريما سخيا دمث الاخلاق ظاهر الحياء والحشمة بعيد الهمة ناهض الجند سعيد الطنقة ميمون النقيبة مطعم النصر مخمى الحوزة مرهوب السيف معطى القبول فى الارض مؤثرا للعدل حسن السيرة جيد الطريقة ناهج المسعى موفق الرأى عفيف الازار نزيه الخلوۃ مطواعا للحق نافذ العزيمة قوى الشكيمة شديد الوطاة على الاعداء مرضخا فى البر للاولياء محبا للعلماء خدن العاقبة مغدوم الاقدار جماعة للمال مستكثرا من ذخائر الملك مولعا باقتناء نفسها طامح العين الى كل مرمى بعيد موهوب الكمال واسع الخطة رحب المجال يقظ الجفن ساهر العين نهوضا باعباء الخلافة مباشرا الامور سلطانه مخدوم المقام عزيز الجوار راعى الزمام منتاب الجناب غاص الغناء بارسال ملوك الدنيا ووفود الارض وما عسى أن يطنب اللسان أو تفى العبارة أو يسبح القول فى وصف من خرق الله له سياج العادة وأقر الوجود بفضله وعقم الزمان عن ولادة مثله اجماعا لا تحليه وقولا بالحق وبعدا عن الاهواء ونشر اللواء النصفة ولولا الاختصار الذى اشترطنا لأوردنا من شريف خلاله ما يضيق عنه الرحب ولا يسعه الكتب ، حفظ الله على الاسلام ظله الوارف وخلع على \* الدنيا نور كماله ورواء جماله أبهى الحلى والمطارف بعزته وقدرته بوبع له ايده الله عشي الاثنين الآخر من جمادى الاولى بمشهد الفتح(2) الذى حضرته ملائكة الرحمن وجليت فيه حور الجنان وشهدته جنود الارض والسماء فكان ذلك

ص 2

(1) هو المولى أحمد بن محمد الشيخ بن محمد بن عبد الرحمن الملقب بالقائم بأمر الله، وأمه مسعودة بنت الشيخ أحمد بن عبد الله الوزكىتى ولد عام 956 هـ / 1549 م أى فى السنة التى دخل فيها المولى محمد الشيخ مدينة فاس فاتحا بعد القضاء على الوطاسيين الحاكمين بها

(2) جرت معركة وادى المغازن يوم الاثنين 30 جمادى الاولى عام 986 هـ الموافق 4 غشت 1578 م وتعرف هذه المعركة أيضا بمعركة القصر الكبير أو معركة الملوك الثلاثة وعلى اثرها بوبع المولى أحمد خلفا لآخيه المتصم واتخذ لقب الخليفة المنصور تخطيا لهذا الانتصار العظيم .

القرآن السعيد من دلائل القدرة وعلامات السعادة وشواهد الاقبال الدالة على عناية الله بانتظام آخر هذا الأمر العزيز بأوله وكانت ولايته ايده الله على رأس الثلاثين سنة من ولادته فكان ذلك تعبير رؤياه المباركة الشهيرة وهي ما حدثنا به ايده الله ونصره درارا أنه لما ترامت به همته العلية الى منصب الخلافة الذي أهلت له خلاله الشريفه وصفاته في الفضل والكمال النفسية وفاق الى اقتعاد كرسيها وتسلم سريرها وشغل باله الكريم الاهتمام والتفكير فيما طوى له من ذلك في جب الغيب رأى ذات ليلة في عالم النوم النبي صلى الله عليه وسلم وهو على شرف عال شبه الربوة والى جنبه شخصان تشهد لهما منزلة الدنو منه صلى الله عليه وسلم بانهما من كبار الصحابة رضى الله عنهم غير أنه لا يسميهما قال فعن لي عندما بصرت به صلى الله عليه وسلم أن أسأله عن ثلاث مسائل اهمنى امرها احداها نصيبى من هله الخلافة ومصير امرها الي قال فصمدت تجاهه صلى الله عليه وسلم بهذه النية الى أن شارفت الوصول اليه صلى الله عليه وسلم والدنو منه فأدركنه وهو قائم وواقف وأرى قيامه عليه السلام قد كان لي من أجل ترحيبا بقدمى واقبالا علي وعنما استقبلت وجهه الكريم لاداء التحية فاضت علي أنوار النبوة واعشيت بصرى اشعتها وبهرتنى هييته فارتج علي ووقفت أمامه مطرقا وبصرى الى الارض خاشعا مهابة له صلى الله عليه وسلم وتادبا لعظيم جلالة ولم أملك من نفسى نطقا بكلمة ولا نبسا بينت شفة قال ثم كاشفنى صلى الله عليه وسلم فيما عن لي السؤال عنه فاجابنى عن الخلافة بما حقق لي منالها ومصير امرها الي ثم اشار لي عندما أفهمنى ذلك وكشف لي الفطاء عنه بأصابعه صلى الله عليه وسلم الثلاثة وقد ضم الابهام منها الى السبابة والوسطى قال امير المؤمنين ثم استيقظت وأنا بما وعيت من كلامه صلى الله عليه وسلم وارتسم من خيال صورته الحسنه فى ذهنى أشد يقينا أن لو شاهدته صلى الله عليه وسلم بحال اليقظة أو رأيته رؤية بصرية قال فلم أرتب من يومئذ فى منال الخلافة ببشارة النبي صلى الله عليه وسلم وخبر الصادق المصطفى \* ص 3 الذى لا ينطق عن الهوى فطويت على ذلك السر من يومئذ كسحى ووزرت عليه أزرار ضميرى ولم يتعد العلم به صدرى الى أحد الى أن كان من زحف طاغية يرتقال(1) فى

(1) دون ساستيان Don Sabastian بن الملك جان الثالث تولى عرش لشبونة سنة 1562 م وقد كان يراود خياله أمل استعادة الامجاد البرتغالية فى المغرب بعد الهزائم التى منى بها البرتغال منذ قيام السعديين وأول محاولة قام بها لغزو المغرب كانت سنة 1574 إذ أرسل ابن عمه دون أنطونيو Don Antonio حاكما على طنجة ثم لعق به على رأس قوات عسكرية يوم 17 غشت للملاحة المناطق الشمالية المغربية الا أن القوات المغربية كانت له بالرصاد (دى كاسترى : De Castries فرنسا ج 1 • ص 339) •

وقد ظل ملك البرتغال يعمل فى الخفاء ويتحين الفرص الى أن حصل الخلاف بين التوكل وعمه للمصمم فأتى مسرعا لتلبية طلب النجدة الذى تقدم به المولى محمد التوكل •



جموع الشرك لوادى المخازن وارجاف الناس بمرض أخى المعتصم (1) ما بلغ من اجله العزام الطبيعيين فارتبك الامر وأرعدت سماء الهول وابرقت بتداعى زحوف العدوتين واحزاب الملتين الى اللقاء للغد واضطربت احوال المسلمين وانحلت عزائم المستضعفين منهم وراء قائد القواد كان عند المنصور حينئذ أبو عبد الله محمد بن سليمان من تلك الاحوال ما هاله قال امير المؤمنين المنصور اينه الله ولم أشعر يومئذ حتى استأذن على الدخول على بالقساط مدعورا فوصف لى من اضطراب احوال الناس لهول اليوم وانحلال عزائم المسلمين ما شاهده وأذهله قال فضحكت من حال فزعه واشتبه المسالك عليه حتى بدت نواجذى ثم قلت له هلم أبشرك ببشارة تعفى على قنطك وتبعث من نشاطك فقصصت عليه رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم وبشارته لى بمصير الخلافة الى حتى انتهت الى عقد إصابه الثلاثة صلى الله عليه وسلم فتاوتها له ساعتئذ بانها كناية عن الثلاثين سنة مبلغ السن حين الولاية وأخبرته أن بتلك السنة استكملت العدد فسر حينئذ بتلك البشارة وسرى عنه من حينه وخرج مستبشرا وقد راجعته حياته وزايله قنطه فكان من مصداق تلك الرؤيا الكريمة للقرب بما صنع الله فيه على يد امير المؤمنين من الفتح العظيم الطائر الصيبت فى جميع المعمور ومصير الخلافة اليه بذلك المشهد الكريم الذى حضرته ملائكة الرحمان وجنود الارض والسماء ما شمل الناس يمنه وبركته وسعدوا بطائره الى يومنا هذا ولله المنه وكان هذا الخليفة المنصور ايدى الله منذ نشأ فى حجر الامامة المهديّة وتبيطت به تمانم المجوزر على جيده طوق العلا تلوح عليه مغايل السعادة وتسمه احواله الطاهرة بتدر الفضل الواضحة وحجوله وتزاوّل منه العيون فى سن الشيبية هلال الكمال ودرى الاريكة وشعلة ذكاء وفرع نباهة ولبنة التمام وأنموذج الفضل وجوهر السؤدد الفرد وسر النصبه وحكمة البيت والاشارات الكريمة الامامية المهديّة تحوم أيضا عليه دائما بما له فى الغيب من السر المكنون بشهادة الاثر المخزون وتبيط به آمال الخلق وتصرف لجاهه وجوه العبطة والرجاء بما ينبىء أن الوراثة له حتى صار بذلك عند الامام رضى الله عنه وبما لاح عليه من المغايل وتفرس فيه من الشواهد انسان عينه وعين انسانه وملهج لسانه وقسيم روحه وزين مجلسه وداعية بسطه ومورد حبه ومصرف دعائه والمعتمد برضاه \* من بنيه والمخصوص منهم لديه بالمكان الاخص من خلداه وقد حدث عنه رضى الله عنه فى شأنه الثقات من كبار الدولة باشياء تدل على علو الشأن وامتداد السلطان من ذلك ما اخبرنى به الشيخ المعمر القائد أبو محمد مومن بن غازى

(1) يؤكد المؤرخ المغربى المعاصر أحمد بن القاضى بأن الاتراك هم الذين دبروا مؤامرة تسميم المعتصم (ان قائد الاتراك الذين كان معه - اى مع المعتصم - بعث لبعض قواده أن يلقاهم بكمك مسوم هدية لعبد الملك المذكور قبل وقت جوازهم عليهم قصد بذلك بعد أخذه به مدينة فاس ليثبت الملك لهم فيها) • درة السلوك • مخطوط بدار الوثائق بالرباط رقم د 1428 •

العمري المعقل وكان ممن ربي في جو الدولة المهديّة أن امير المؤمنين المنصور أيده الله أقبل يوما في شببته طفلا يافعا على أبيه الامام والمجلس غاص بالخاصة والاكابر من أرباب الدولة فاندفع يخرق السماطين قال وكنت أحد من حضر ذلك النادى الكريم فلم أشعر أن صاح بي الامام رضى الله عنه وأنا أصغر القوم يا مومن ارفعه فسينفعك وينفع عقبك فابتدرت حمله وتخطى الاعناق به حتى اجلسته الى جنب الامام على سريره قلت ان الرجل اليوم لحي يرزق وقد أمهلته الايام وسالته الحمام وقطع به نجيب العمر من عشرة السبعين عقبه كؤود حتى أشرف من دولة أمير المؤمنين المنصور هذا وأيامه الهنية على جناب مريح وحمى منيع ورياض أريضة ودنيا عريضة وانه اليوم لبحال المشاهدة راتع هو وعقبه بنين وحفدة فى جميمها وغريق فى بحر نعيمها جانبا ثمرات ذلك الخبر وواقف منه على العين من بعد الاثر وحدثنى الرجل ايضا من هذا النمط أن الامام رضى الله عنه لما أدرك بنوه الامراء الاصاغر واهتبل بأخذ البيعة عليهم لولى عهد المولى عبد الله (1) بما كانوا صفارا حين العقد له بفاس خرج فى جنود المغرب من الحضرة لمخيمه بتامسنا (2) وأهاب بولى العهد من فاس دار الامارة وعندما اقترب ركابه اقتضى التنويه بشأنه استركاب الاجناد للاقائه على رسم الخلفاء فى ذلك فنادى الامام رضى الله عنه بالمولى المنصور امير المؤمنين من بين ولده وكان اصغرهم وجميع أرباب الدولة وعلية الاكابر والخاصة فقال لهم قوموا وأركبوا مع سلطانكم يعنى المنصور الى لقاء أخيه فكانت تلك المقالة الكريمة من احدى البشائر التى استبصر الناس بها فى شأن المنصور أمير المؤمنين أيده الله واستوضحوا منها سر الله فيه ثم قال لى هو وغيره ان من أقوى العزائم الباعثة حينئذ على عقد الجمع الذى كان آخر ملتقى الامام رضى الله عنه فى دار الدنيا بولى عهد ايضا بأخيه المنصور والاخذ عليه بعهود الوفاء فى كل ما تضمنته وصايته الكريمة الشهيرة ومن حدثنى ايضا بشأن هذه الوصاة الكريمة القائد الشهير الكبير أبو محمد عبد النبى ابن أحمد أحد أوتاد الدولة وبيوت الاحلاف الكبار قال سعى يوما بى الى الخليفة الغالب بالله أبى محمد عبد الله خاله صنو أمه الشيخ أبو يعقوب يوسف بن محمد الملولى \* بما أمل به اهتمام ركنى لديه لانطواء كشح ابى يعقوب على الكره فى ورسوخ العداوة القديمة لى فى صدره لسوابق الحلف الكائن بين قومه بنى ملول وأخواننا الاضداد كانوا لنا من الاحلاف واولاد عبد الكريم قال فنبأ سمع الخليفة عن الاصغاء

ص 5

(1) المولى عبد الله الغالب بالله رابع ملوك الدولة السعدية تولى بعد اغتيال والده المولى محمد الشيخ من قبل الاتراك يوم لاربعا 27 ذى الحجة عام 964 الموافق 23 أكتوبر 1557 . وقد تميز عهده بالتقارب القوى الذى حصل بين المغرب ودول غربى أوروبا وذلك لمقاومة الخطر العثمانى وصدى هجوم تركى ضد المغرب .

(2) تامسنا : المنطقة السهلية الواسعة الممتدة بين وادى أبى قرقاق شمالا ونهر أم الربيع جنوبا .

الى تلك السعاية بى وأبطل كيد خاله فى ذلك بأن قال له ان الامام رضى الله عنه لم يوصنى حين العهد الى بشىء من أمور الدنيا والدين كوصافه الى باخى المنصور وبخالصتنا القائد أبى محمد عبد النبى هذا واخبار الامام رضى الله عنه الواردة فى شأن امير المؤمنين المنصور وفراساته فيه الصادقة لا تحيط بجمعها هذه القلادة من ذلك ما يحكى ايضا عنه رضى الله عنه مستفيضاً انه كثيراً ما كان يقول ويشير الى امير المؤمنين المنصور هذا شيخ الشرفاء يعنى أهل بيتهم الكريم تكرر منه ذلك مرات عديدة فى مجالس شتى وذكر القائد أبو محمد مومن بن غازى المتقدم الذكر ان امير المؤمنين المنصور كان قد أقبل يوماً الى ابيه الامام فى مجلسه الكريم حال الشيبية فهش الىه على العادة ورحب وفدى وضمه اليه وجعل يمسح على رأسه وهو يقول ما اكثر ما ضم هذا الرأس من الرأى وجمع من التدبير وأخذ يكرره حتى وعاه الحاضرون وأقول ليته اليوم رضى الله عنه نشر ونفخ فى شخصه الكريم روحه حتى يشاهد صدق فراسته الربانية ويسرى من ثقافة الرأى واحكام التدبير واستبحار الدهاء ما تقربه عينه ويعلم منه أن للامة من خلفه الكريم خليفة كاملاً واماماً كافلاً واماماً رويماً من طرق شتى فى شأنه ايده الله عن كيار الاولياء وشيخة الدين وأهل المكاشفة فاعلاه سندا واثبته فى مركز الصبغة قلما ما حدثنا به سفير الخلفاء الشيخ الفقيه العالم الولى الحاج أبو عبد الله محمد بن الولى الصالح أبى عبد الله محمد بن الشيخ البركة الصالح القدوة العالم أبى الحسن على بن محمد الدرعى الدار الجزوى النجار انه لقي فى حجته الأولى بالديار المصرية بعض أهل المكاشفة من أولياء الله تعالى والعلماء العالمين قال فسألنى لما ضمتى معه مجلس الخلوة بمنزله عن أبناء الامام رضى الله عنه وبحث عن أسمائهم فجعلت أذكرهم واحداً فواحداً حتى أتيت عليهم عدا وهو يستزيدنى ذكر من بقى ولم يكن لى من علم بكون المنصور امير المؤمنين هذا حينئذ عند الامام لصغره وازدياده فى مغيبى عن دار الخلافة فقلت له لم أحط علماً بغير من سميت فقال اليس فيهم أحمد فقلت كلا وقولاً مع علمى فقال أى فهو خليفة الاسلام العظيم الشأن القوى السلطان المفتوح له وعلى يده بتمهيد الاقطار واقتتاح الامصار والاطوان(1) قال أبو عبد الله ولما فعل بنا الركاب الى المغرب ووقفت بنا مطايا الترحال على الوطن تنكبت عن المنزل بدرعة وجعلت وجهى الى حضرة الخليفة بدار الخلافة مراکش فالفيتته غائبا فى بعض حركاته الى السوس فأرجيت المطية تبعاه حتى أنمت على مقامه العالى برباط ماسه(2) فرحب رضى الله عنه وبر وعظم وأكرم قال وعند ما

ص 189

(1) يدخل هنا فى إطار فكرة المهدوية التى عادت الى الظهور زمن المنصور ، ومن ذلك ما ذكره الأفرانى (ان دخول ريات السلطان أبى العباس فى حياته للسودان واستيلائه على سلطانه) .. كل ذلك من امارات قرب خروج الامام الفاطمى (المهدى) (ترجمة العاصمى : ص 111) فهل كان المنصور يعنى نفسه يان يكون هذا الامام المهدى المنتظر ؟  
(2) ماسة : من مدن القطر السوسى الساحلية

جاذبني اطراف الحديث والمسايلة عن أحوال المشرق(1) كان أول شيء قصصت عليه وفضضت عنه ختام المقال حديث الرجل الصالح وما اشار اليه في شأن المنصور أمير المؤمنين قال فسر الامام رضى الله عنه بتلك المقالة سرورا هزه من أجله الارتياح على وقاره وفي الحين قال أهاب من فسطاطه الكريم بالخليفة المنصور بما كان لا يفارقه في حركاته وسكناته لفرط حبه والقاء محبته عليه فأوتى به اليه قال وهو صبي صغير فقال رضى الله عنه هذا هو ذاكم ولدى أحمد واياه يعنى الرجل الصالح ففديت وهنأت ودعوت قال أبو عبد الله ولم أكن أرتاب من يومئذ بعد علمي بالمنصور وبما وعيت من مقالة ذلك الصالح وخبرت من حاله ومقامه في الولاية أن المنصور لا محالة بالغ امره قال ولجزمي بذلك والقطع به تجشمت بنته يوها الى أخيه الخليفة الغالب بالله ولم يظهر منه انكار لذلك ثم أسررت أيضا بذلك الى المنصور لعهد أخيه الغالب بالله هذا أبشروه بمصير الامر اليه قال فاصغى الى حتى استوعبت مقالتي وحصل على كل ما لدى من ذلك وانتقل بي لبعده غوره وعظيم دهائه الى غير ما أفضنا فيه من ذلك الحديث وأضرب عن ذلك صفحا ولم يجبنى عنه بنفى ولا اثبات مكررا ودهاء وما زال التحزى والمنجمون وأهل الاثارة بكل قطر وفي كل أرض الى اليوم يحومون عليه بفتنوتهم ويجرون في شأنه بما دل انتظام أول الامر فيه على تمام آخره بمن (2)

وقد شهد له بالتوكل وجميل الاخلاص وصلاح النية وطيب السريرة والطوية فيما وصفنا من أحواله أيده الله ما صحبه من النجح والاستقامة في جميع أحواله فلا يلقى في أموره عسرا ولا يعرف صعبا ولا يعتاد شدة ولا يفتقد من الله لطفًا وهو الآن أيده الله على أحسن مما وصفنا وأما صبره أيده الله عند الشدائد واحتماله العظائم وتجلده عند جلول الخطب ونزول المقدور فحدث عن الجبل سكونا ورسوخ قدم وعن الضيفم ثبوت جأش وعن الماء المطرد على العصى الرضراض حسن خلق وبسط نفس وكرم شيمة يزداد ذلك عند ازدياد الامر الجلل ويعظم بحسب العظائم ولنورد نبدا مما

(1) دخل المولى محمد الشيخ في صراع حاد ومسلح ضد الاتراك وذلك منذ أن أصبحت للسعديين حدود مجاورة للاتراك في الجزائر سنة 1549 م ويرجع سبب ذلك الى رفض الشيخ الاعتراف بالسلطان العثماني سليمان القانوني ، والى قيامه بمهاجمة الاتراك في وجدة خلال ابريل 1549 وفي تلمسان في يونيو 1550 وقد كان رد الفعل التركي قويا اذ تمكن القائد حسن كورسو من اخراج السعديين من تلمسان ووجدة ، كما استطاعت القوات التركية أن تدخل بمدينة فاس في مطلع سنة 1554 وأن تعلن بيعة الامير الوطاسي (ابو حسون) بها ورغم أن المولى محمد الشيخ قد استعاد مدينة فاس وأرجع القوات التركية الى الجزائر خلال أواخر سنة 1554 م فإن الجو لم يصف بين السعديين والعثمانيين واتقاء لاي تدخل عسكري تركي في المغرب ، أخذ الشيخ يتقرب من دول أوروبا الغربية ويتعاون بصفة خاصة مع الاسبان والبرتغال لخصوم الاتراك العثمانيين ، وقد كان ذلك من أهم العوامل التي دفعت السلطان العثماني الى تدبير مؤامرة اغتيال الشيخ وهو بهم بعقد حلف عسكري مع الاسبان والبرتغال ضد الاتراك في شمال افريقية . وقد اغتيل الشيخ يوم الاربعاء 27 ذي الحجة 964 الموافق 23 أكتوبر 1557 .

(2) يقتضى سياق الحديث عن المنصور والتعرض الى أوضاعه قبل توليه الخلافة الانتقال الى صفحة 188 .

شاهدناه من ذلك أو حدثنا به أيده الله وأعلى كعبه من ذلك ما لقيه من العنت والشدة منصرفه من سجلماسة الى تلمسان عند صيرورة الخلافة الى المتوكل (1) حسبما قدمنا اخبرنا أيده الله في مجالس شتى وأصحابه أهل الهجرة حضور غائب انه لما نزع من سجلماسة الى تلمسان وركب اليها القفر والفلاة وافتقد العمران ونفذ الزاد وأعوز الاقتيات وتفاقم الامر حتى ضن كل من الحاشية والخدام بما احتكره من القوت ليسد به رمقه فلا نجد أحدا يرحم أحدا فكان أيده الله اذا نزل على ماء لصلاة أو ابتغاء راحة ورافقة نفس من دؤب السير وحيث الاعداء عمد أصحابه الى خبثاتهم فأقبل كل على ما عنده فيأكلون مثنى وفرادى ومولانا أمير المؤمنين مجردا منهم منبدا عنهم وحده ولا يلوى أحد مهم عليه بغرض لتزول القحط بهم من اشتداد المسغبة وربما لعن بعضهم بعضا وتناشدوا بمحابة أمير المؤمنين ببعض ما لديهم فمنهم من يجود بما لا بال له ومنهم من يبخل فاذا أكلوا اجتمعوا اليه ليركبوا فلا يزيد هو على جرعة ماء يشربها فيركب فيهم ويقبل عليهم بوجه طلق لا يبدو عليه أثر انقباض ولا مخايل الموجة والانحراف ولا افتقدوا قط ما الفوه من كرم الخلق وبسط النفس صبورا منه أيده الله واحتمالا للشدائد ولقد افضى بهم الهلع وءال به هو أيده الله الاحتمال الى أن تصيدت له يوما في وجهته تلك أرنب وجيء بها اليه فنزل على ماء وأمر بها لتشوى بين يديه فأحلق بها أصحابه احداق العين الجائعة وتهافتوا عليها تهافت الفراش من فرط الجوع والمسغبة فكانت هيبة أمير المؤمنين تمنعهم من اصطلامها ثم استدبرهم أيده الله وجعل يتوضأ فاغتتموا لذلك فلم يلتفت حتى الفاهم قد اختطفوها من قبل ان تنضج ولم يبق منها غير نتفه في يد الحرس الذي تولى شواءها فابتلعها وأمير المؤمنين ينظر فلم يزد أيده الله على أن استضحكوا عليه فقد كان أيده الله اشدهم قوة وأكثر نشاطا وأعظم صبورا وتجلدا على مواصلة السرى بالتأويب وطى الشقة واحتمال المشقة معه قدس الله وتأييدا أعجز أصحاب الاكلة فكانوا يقتضون العجب العجاب ويتحدثون بذلك الى هلم

وأعجب من هنا صبورا وأفظع خطبا وأعظم شدة مصابرتة الأهوال التي تلقاها بالسوس في خلافة أخيه المعتصم (2) والشدائد التي كابدها هنالك في سنين كسنيين

(1) هو محمد المتوكل بن الغالب بالله تولى بعد وفاة والده عام 1574 وحكم الى عام 1576 حيث انهزم امام عمه المعتصم ، والتجأ الى بلاد سوس ومنها الى طنجة احدى قواعد الاحتلال البرتغالي بشمال المغرب طلبا لنجدة البرتغالي وساعدتهم .

(2) دامت خلافة المعتصم سنتين تقريبا (1576 - 1578) ولد كلف المعتصم أخاه المولى أحمد بملاحقة محمد التوكل ومخاربتة ببلاد سوس اثني التجأ اليها وفي الجنوب المغربي جرت عدة معارك حربية بين المتوكل وعمه المولى أحمد أهمها معركة تينزوت ، ومعركة أساطس التي يفصل المؤرخ الفشتالي الحديث عنهما .

يوسف فاجتمع عليه أيده الله من حروب العدو وانحراف الرعايا وفساد الضمائر ونفاذ المال واقواء المخازن من الحبوب واعراض أخيه الخليفة عنه بملء يجهزه أو مال ينفقه ما لا يقدر على النهوض باعبائه والثبات الا عظيم مثله فقاوم أيده الله تلك الشدائد الهائلة بعظيم صبره وقوة جلده وكريم احتماله حتى نقشمت غياهيها وانجاب ليلها وكان أصحابه اذا نزل بهم القنط خلال ذلك عند اعياء الحيلة وفراغ التدبير فزعوا الى بابہ ايسين ومستقرين فاذا رأوه \* راوا جبلا راسيا وبحرا لا تكدره الدلاء فيظامنوا أنفسهم ويراجعوا صبرهم وتبعث قواهم ويتحايون بجميل صبره حتى عصم الله به من ذلك الطوفان وأرسي به عمود الاسلام من عواصف تلك الزلازل وجعل الله من بعد العسر يسرا ببركته وجميل صبره نفعه الله بذلك ولقد بلغت به الشدة ايام المقابلة مع المتوكل في الحركة الشهيرة تينزرت التي استجر فيها ابن ويسعون ظهير المتوكل الثشوك والمد من قبائل السوس وذوبان البربر حسبما قدما الى أن هجر أيده الله مرقدہ مدة من خمسة عشر يوما انقطع فيها بقسطاط جلوسه عن مضربه وحرمه ولم يكتحل في تلك الليالي جفنه بالكرى الا لما وسنة طالت المقابلة بانقباض العدو عن الانحدار للسهل حتى اشتدت المسغبة في معسكر امير المؤمنين لانقباض الرعايا عنه وانحرافها الى المتوكل الباعليه باغراء غويهم ابن ويسعدن فبلغ به الصبر أيده الله عند تفاقم الامر وتناهى اشده يومئذ الى أن عمد لما في خزائنه الكريمة من الدقيق فقسمه على أهل العسكر كافة ولم يضرب لنفسه الا بما نابه في سهمه من بينهم وهو قومة تلك الليلة لا غيره وللغد أرسل الله الفرج من بعد الشدة فاتيح له الظفر والظهور على العدو وعلى نحو ما وصفنا في محله فكان شأنه أيده الله في الصبر والاحتساب آية عجا نفعه الله واجزل ثبوته

ومنها(1) ما كان من ايقاعه أيده الله بالمتوكل وظهيره ابن ويسعدن في جموعهم المذكورة بالحشد يوم تينزرت الكائنة قبل وبيعة اساطس وهو أقل ما كان أيده الله يومئذ عددا والعدو ايسر ما كان قوة وأوفر جمعا فقد كان أقصى ما تبلغ اليه عساكر هولانا امير المؤمنين ذلك اليوم الفا وثلاثمائة ما بين عساكر النار والاسل وجموع العدو تناهز ستمين الفا ما بين المدونة والخوارج ونهيات الملحمة في بسيط من الارض وأطبق على جميعه سوادهم المنتشر أطباق الجفن على العدة فصعبت الورطة من ضحك المقام فنظم أيده الله التعبئة نظاما محكما أحاط على الظاهر من خلفه سياجا من النار حذرا عليه من نهب العدو المحيط به أن ينشب به أظفاره من وراء وصم أيده الله أمامه فلم

(1) يقتضى الترتيب الزمني لسرد الاحداث الانتقال الى صفحة 217

يهله أمر تلك الجموع ولا ارتاع لها وعدل بنفسه وشجاعته ما زادت به جموع العدو على جمعه فاشتبكت الحرب واشتعلت وأثار أيدى الله على سعيد بن فرج الدغالي وكان قائد جيش الاندلس وممن يدلى بالصرامة والشجاعة أن يصمم بعسكره من جيش النار تجاه المتوكل وكان قد تخيز يومئذ عن القلب الى جهة الميمنة ليخفى نفسه واعتاض بابن ويسعدن ليتيامن به زعم وليس بما اعطاه من الاله فتفرس مولانا امير المؤمنين فى المتوكل بما رآه على جهته من شعار الجندييه وحده الشوكة واستنجد لصدمة الدغالي من بعد أن ناوله تهليل أوراده وأدعيته وعلقه عليه تميمه فخام عن ذلك واحجم فاعرض عنه امير المؤمنين وصمم أيدى الله نحوه وعلم أن بانفضاض المتوكل تنفض سائر الجموع وارتفع القتال الى السماء وطبق منه على امير المؤمنين وجنوده ليل داس فصب أيدى الله من خلل النقع على المتوكل كأنه شهاب ثقاب فانصاع منهزما أمامه ولم يتمالك لصدمة وافض بانفضاضه ابن ويسعدن وسائر جموع الخوارج والحشود واستمرت عليهم الهزيمة وبعدت عنهم الجبال فركبتهم \* جنود امير المؤمنين بالعراء وحكمت فيهم أسياهم واحصيت القتل فى الملحمة فكانوا أربعة آلاف ويقال قتل رجلان من جيش النار وحدهما تسعين شخصا من الخوارج فكانت هزيمة لم يسمع بأعظم منها ولا أشنع من خطبها وحدثنى الفقيه القائد أبو الحسن على بن منصور الشيعضى وكان ممن شهد المعترك مع امير المؤمنين أنه لما التقى الجمعان واشتد الزلزال واستحكم الطعن واستفحل الامر وشوهد الموت ومولانا امير المؤمنين أيدى الله ثابت الجأش راسخ القدم مترام بطرفه الى العدو كالصقر الى سرب الكراكى قال انشدته أيدى الله بيتى ابن عيسى الكاتب من قصيدة له فى امداحه الشريفة وهما

س 218

هو الغيث ثم البحر فى الجود والندى وليث اذا جد الطعان هصور  
 يفوق السهام عزمه وانبعائه ويقصر عنه فى الثبات ثبير  
 قال فاجابنى أيدى الله على البديهة بيتى أبى فراس وهما  
 ونحن أناس لا توسط عندنا لنا الصدر دون العالمين أو القبر  
 تهون علينا فى المعالى نفوسنا ومن يخطب الحسنا لم يفله المهر  
 فصار ظهوره أيدى الله بجمعه القليل على جموع العدو المتكاثرة واقتحامه لذلك  
 السواد الاعظم فى ذلك المقام الضنك والمجال الضيق آية مع الايام تتلى واجل منقبته فى  
 الشجاعة تروى ويقال ان أهل السوس لما وضعت الحرب أوزارها وسكن رجفان المغرب  
 بالجبل الذى أرسى الله به أرضه من امير المؤمنين عند مصير الخلافة اليه احصى كل  
 قبيل من القبائل ما اساره الموت واستجمه السيف فى حروب امير المؤمنين مع المتوكل  
 لحولين كاملين فكانت جملة المفقود من العدد الذى اثبتوا به فى دواوين الخراج

سنة عشر الفا ولو تتبعنا ماله أيده الله في هذا الباب من المآثر لكنت جياذ الاقلام  
وتقطعت اجيادها في هذا المضمار واقتصرت على ما ذكرت ليدل دلالة الغدير على المطر  
والله ولي التوفيق والاعانة

ومنها (1) اجلابه أيده الله على ابن أخيه المتوكل وعلى جنوده بمضيق اساطس في  
حروبه معه بالسوس واقتحامه عليه وهو ما هو منعة وحصانة وما زال الخوارج على  
الدول في الحديث والقديم يتمنون به ويدفعون في صدور الملوك والخلفاء ولقد لجأ  
اليه على بن يدر لما استبد بالسوس ونبذ طاعة بني عبد المومن فنهض اليه \* أبو دبوس ص 214  
آخر خلفائهم في عساكر الموحدين قاطبة ومدد بني مرين الذين ظهر بهم على المرتضى  
وابتز ملكه فآناح بتلك الجنود على ابن ايدر ثم عظم على شأن ذلك المضيقي ونكل على  
اقتحامه وتخشمه فافرج عنه ولم يفن شيئاً وارتاده المتوكل لاجل حصانته وزاده منعة  
بما ضرب على بابه من الاسداد بالصخور فخنم عليه بجنوده ومن معه من الاتراك  
النازعين اليه وكان من خبرهم أن هذه الفئة من الاتراك كانت من حصنة جنود امير  
المؤمنين المتحيزة اليه من جيوش الشرق التي استجرها هو وأخوه المولى عبد الملك  
المعتصم بالله للمغرب ثم بدا للخليفة المعتصم من بعد استوائه على كرسى الخلافة أن  
يستبد بجيش الاتراك كلها ويجمعهم اليه فساعده مولانا امير المؤمنين على ذلك ونزل  
له عن الحصنة التي عنده منهم فما كان الا أن انحرف المعتصم عن سيرة مولانا أمير  
المؤمنين معهم ولم يحسن في مسايستهم فنزعوا عنه الى المتوكل بالجبل ولقاهم مبرة  
واجل لهم العطاء وانزلهم بمنازل القرب والاختصاص لديه فامحضوا له النصيح  
والمخالصة وعضوا على خدمته والاستماتة دونه بنواجدهم وكانوا أحد شوكته في  
الحروب السوسية وحذر مولانا امير المؤمنين ايده الله مغبة هؤلاء الاتراك ان جثم بهم  
المتوكل على تلك الاسداد المضروبة على باب اساطس ومطاوله نزالهم مع نفود الاقوات  
وقطع الميرة والعلوفة عن معسكره فكان ذلك مما اضطره الى اقتحام اساطس على المتوكل  
على علمه بشدة حصانته ومنعته واعتياصه على سلف الدول .

إذا لم يكن الا الاسنة مركبا فلا رأى للمضطر الا ركوبها

فما كان الا أن اعتمل ايده الله في استفساد الاتراك عن المتوكل بمكيدة نفت  
بها بالسوس فيما بينه وبينهم فاستحكمت النفرة وتمكنت الاسترابة وهو أنه أيده الله  
بعث الى رئيس هؤلاء الاتراك وقائد زمامهم قارى حماد تذكره بسوائف الخدمة ومواقع  
الاحسان ووعد ومنيأ وزين له النزوع عن المتوكل والفنك به فتغادى من ذلك حماد

(1) يقتضى الترتيب التاريخي للوقائع الانتقال الى صفحة 213



بمعاذير القاهها الى مولانا امير المؤمنين ولما استئیس ايده الله منه اعتمل في كتاب انشاء على لسان حماد وكأنه جواب منه الى أمير المؤمنين عن خطاب سبق ومحاورة تقدمت وأنه يخبره بما كان من عزمه على الغدر بالمتوكل بواقعة الملتقى باساطس ثم أكد ايده الله المكيدة بأن ذكر في الكتاب على لسان حماد أنه يقرر لامير المؤمنين سوائف العداوة والبعضاء التي بين جيش الاتراك وزواوة منذ المشاقفة الكائنة بين الجيشين المذكورين على عهد المعتصم حسبما قدمنا وانه يطلب لذلك من امير المؤمنين أن يخلى لهم وجه المصاف عند التقاء الجمعين \* من زواوة مخافة ما يلقاهم منهم عند النزوع الى أمير المؤمنين في المعترك واقام شاهدا عدلا على صدق ذلك بأن جعل ايده الله جيش زواوة يومئذ في الساقفة وبنى ذلك على ما ورى لهم به ايده الله من الضئانة بهم في اصطلاء الحروب وفنائهم فيها وأراهم الرغبة في استبقائهم ذخرا لامثالها لكونهم من جيوشه المختصة به ثم تحيل على ايصال هذا الكتاب الى المتوكل فاطلع على هذه المكاييد ولم يشك في صدقها وقامت لها قيامته فاستراب بالاتراك واتهمهم على أنفسهم وسكت بدائه وبلغت به الحيرة والاياس من الناس والاسترابة بهم حتى من ثوبه بسبب مكيدة امير المؤمنين له الى أن وقع بخطه على ظهر الكتاب ما نصه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طالت به حياته (1) ووقع هذا الكتاب بيد مولانا امير المؤمنين لما استولى ائاته وملايسه في وقيعه اساطس هذه ثم ما وسعه يوم الزحف الا أن أقصى الاتراك عن مصافه استرابة بهم فوقفوا على ربوة منتبذين عنه وحدهم وتم من ذلك لامير المؤمنين ايده الله ما أراد ثم ما أخل مع ذلك ايده الله بالحزم ولا عول على تمام المكيدة بل عمل على مجاربة الجميع واستجر الانفاض من المحمدية(2) قاعدة السوس وصمم نحو المتوكل والاتراك وسائر جموع الخوارج وحمله فرط شجاعته وجراته وشدة بأسه واقدامه على اقتحام ذلك المضيق الذي لم يفتض احد من الخلفاء والملوك قبله عذرتة فالح على المتوكل وجهوعه واخترق اليهم الاسداد المنضودة رصفا بالصخور ففضهم واجفلوا امامه فركبتهم سيوفه ايده الله واستولى على محلثهم وسوادها وانحجر معهم في المضيق وأوغل فيه رجاء أن يقبض على المتوكل ويكبس جموعه فيه فكان الناس يملون على الصراط من ذلك المضيق لكون طريقهم على شفا جرف هار لا يصل من زلت به القدم منها الى الحضيض حتى ينقطع شلوه قطعا وفي اثناء المضيق وقعت نفرة في جنود امير المؤمنين ايده الله لالتقاء اول طلائع خيله المغاوره مع الاتراك الذين كانوا مع المتوكل وقد كانوا افترقوا عنه وسلخوا على غير طريقه لانتباذهم عنه في المعترك

(1) يوجد بياض في المخطوط .  
(2) نسبة الى المولى محمد الشيخ وهي تارودانت اليوم ببلاد سوس .

ووفوهم لسنال وحدهم على رهوة تحيزوا لها لاستراية المتوكل بهم لكيية حسبما قدمنا  
فما كان الا أن فرت الاتراك على غير سبيل المتوكل عند استمواهم الهزيمة ففدفت بهم  
الشعاب والجبال الى خيل امير المؤمنين على حين غفلة وكانوا نزولا على ماء هنالك  
فاجفلوا ناكسين الى امير المؤمنين فانجفل بانجفالهم سائر الاجناد وولوا الادبار وقد  
انسدت فى وجوههم المسالك لاطباق الجبال عليهم من كل جهة وانسداد الطريق بالكرام  
والظهر \* فصاروا يبتغون نفقا فى الارض أو سلما فى السماء خشية ورهبة وهنالك  
حل الخطب وعمت الفضيحة من كان لا يرضى الدنيا من الابطال واسود القراع والنزال  
فاخترط حينئذ امير المؤمنين ايده الله سيفه واعترض الناس فى المضيق ولم يترك أحد  
يتخطاه الى وراء وربما ترجل بعض الفرسان من شدة الرعب رجاء أن يتوارى عن امير  
المؤمنين ويهرىء من خلال أرجل الخيل وحمل ايده الله على الرجوع الى العدو  
كارهين فتدامروا ثم بصر عن يمينه وشماله بالبرابر فى قنن الجبال وقد تاهبوا  
للانقضاض على الجنود عند تحقق الهزيمة وأعدوا الصخور لرحمهم بها فيهلكوا جميعا  
والناس كلهم من شدة الرعب وهول الهيعة فى غفلة فاغرى امير المؤمنين ايده الله من  
حف بركائبه من صنف السلاق بالرمى عليهم بالبندق واحراقهم بالرصاص فسردهم  
واجفلوا فانقذ الناس بذلك من الهلكة وهم لايشعرون وشد على الاجناد فى الكرع ودفع  
عليهم بسيفه مسلولا فتراجعوا هيبة وخشية وثبت فى المضيق ثبوت الاسد العاوى فانقذ  
الناس من الورطة بفضل شجاعته وثبوتته للصدمة وذهب بفخر ذلك اليوم وحده ايده  
الله وقد تحدث الناس بشأن اقدامه ورسوخ قدمه فى ذلك المقام الصعب وصار حديثا  
للسمر الى اليوم وما زال الحاضرون يغربون به حدثى صاحبنا الفقيه الاديب شاعر  
الدولة ابو عبد الله محمد بن على الهوزالى وكان ممن شهد الزلزلة وحضر هولها انه لما  
عظمت الحيرة واستفجلت المحنة بارتداد الجنود على اعقابها كافة الابطال منهم  
والمستضعفين حتى جعل يقول لمن حوله هلم الى اتلوديع قطعا بعاول المنية لعدم المسلك  
واستداد طرق النجاة قال ثم استثبنتى احد الاعيان من قبائل السوس كان بازائها وقال  
لى اتئد واسكن ولا تنظر لشيء سوى امير المؤمنين فان ثبت للصدمة وجبر لزلزال الهيعة  
فارج المياه والا كلا لا وزر الا الموت قال وجعلت لذلك انظر آل مولانا امير المؤمنين  
وهو معترض للاجناد الذين ذهبت بهم النفرة اعراض الاسد وسيفه بيده مسلول يسوق  
به الناس للكرة سوقا عنيفا حتى تسايلاوا مع المضيق اثر العدو ونصلوا الى المتسع وحمدوا  
العاقبة قال فلم يكن انجى للناس من الورطة فى ذلك المقام الصعب الا مولانا امير المؤمنين  
ايده الله وحده بفرط شجاعته وعظيم صبره وقوة جأشه والا كان آخر العهد بجميع من  
حشره الله فى ذلك المضيق من العساكر والاجناد وسائر السواد فكان له فى اقتحام

اساطس الذي انفرد بانقضاء عدرته وصبره النفرة الواقعة في الاجناد اثناء الفخر الباقي مع الايام ومن قصيدة للفقير الاديب \* ابي الحسن علي بن منصور الشبيظمي يصف التحام الحرب في وقعة اساطس قوله

اثخنهم يوم وجل الما فلم يجدوا  
لله اقدامه المشهور حين سطا  
وهال هول بغاة في الكد اصعدت  
والجيش قد جاش وارتجت جوانبه  
ثم تقدم كالليث الهزبر وقد  
فرد فردا صروفا الدهر مرغمة  
من بأسه نفقا ينجى ولا سببا  
بهم وقد رجموا من ساطس شغبا  
اذ أرسل الجو من احجارهم سحبا  
وهاله الخطب وشط الشعب فاضطربا  
هاجت حفيظته وأرعدت غضبا  
لحين ما صرفت انيابها نوبا

واما(1) الشجاعة فحدث عن الاسد في تاموره صرامة وبأسا واقداما وثبوت جاش ورسوخ قدم في منافع الموت والمآزق الهائلة التي تشيب لها النواصي وناهيك بما كان له في ذلك من الايام المذكورة والوقائع المشهورة فمنها ما كان من فخر الجلال والثبات يوم الركن ووقعة الريحان وبوادي المخازن الذي اجتمعت فيه جموع الملتين وأمم الكلمتين فقاوم أيده الله احزاب الشرك وطواغيت الكفر وحده لانقضاء أخيه المولى عبد الملك أمير المؤمنين رحمه الله لاول المصطدم وعندما افتتح زناد الحرب فكان في موته ساعتئذ واحزاب الطاغوت فاغرة الافواه لالتهم انصار الملة كجوة للاسلام وعشار لجد الدين لولا أن الله تعالى جبر الصدع وأقال العنار بمولانا أمير المؤمنين مقيم أود الملة ومجدد الدين للامة اذ لا خفاء بما يعترى الدول عند موت الخلفاء والملوك وعلى مهاد الاطمئنان وسرير العافية من اضطراب حبلها وتزلزل قواعدها ويخامر الفحول من ولاة العهد عند تحويل الدعوة اليهم من الحيرة والجزع وهذا بحيث لا يخفى على احد في الحديث والقديم نظر عبد الملك بن مروان لما حضرته الوفاة الى والده الوليد بن عبد الملك وهو ما هو جرة واقداما وكان يدعى فارس بنى مروان فراه يبكي جزعا فقال له ما هذا احنين الحمامة اذا أنامت فشمم واثترز والبس جلدة هر وضع سيفك على عاتقك فمن ابدى ذات نفسه اليك فاضرب عنقه ومن سكت مات بدائه وقد شاهدنا من الاضطراب في المغرب وتلون الخطوب عند وفاة المولى عبد الله الغالب بالله أمير المؤمنين رحمه الله على سرير ملكه ما أغنى فيه الخبر عن الخبر واذا كانت الامور تشتبه على فحول الخلفاء عند تحويل الدعوة اليهم وهم \* في سعة من الامر وفسحة من الزمان والمكان فما بالك بذلك

ص 213

(1) يقتضى سياق الحديث عن المولى أحمد قبل توليته وذكر حروبه ببلاد سوس في معركة وادي المخازن الانتقال ال صفحة 212 .

عند ضيق المجال ومصافحة الاجال ومقارعة السيوف والنصال هذا والاهواء مفترقة والعزائم ضعيفة والقلوب دخيلة وعلى هذا فما ارتبك امير المؤمنين لخطب ولا اعترته حيرة لهول اليوم وضنك المقام ولا تضعض لذلك ركن جلده وصبره بل تعاضم عند العزائم ولم يحفل بما قارن هجوم العدو من موت أخيه (1) ولا زاد أيده الله على أن وكل برعى محفته من وثق بمكانه وصمم هو أمام في الوثبة الى المشركين حتى زحزحهم عن مصافهم واجرهم في عريشهم وصبر لهول اليوم وجربه وثبت محتسبا لزلزل المشركين وصدمااتهم المتتالية ثبوت الجبل الراسي حتى منحه الله العافية وحكم له بالفتح والظفر فاستولى على سواد المشركين من بعد اختلال صفوف المسلمين وارتداد جنودهم كافة على اعقابها الاجيشه المظفر المنصور الذي ضبطه ايده الله بهيبته ووقاه بنفسه لما قدمنا أن رجاله الايطال كانوا اذا احرقهم شرر البندق ولفحت وجوههم نار البارود تفهقوا يتدرق بعضهم ببعض حتى يتدرق جميعهم بأمير المؤمنين ويمتلوا من ورائه جبلا فيبدوا تحت الالوية غير متوار بدو القمر تحت الفمام والليث تحت اللبد حتى كان المشركون يجعلونه غرضا للرمي فاصابته ايده الله يومئذ جراحات بالبندق مشطت احداها ظاهر قدمه وخاضت في احشاء فرسه من تحت ركابه فمات الفرس منها في المعترك واصابته أخرى ايده الله في صدره فكانت بردا وسلاما وخارقا أظهر الله به عجائب لطفه وعصمته للمسلمين والا كانت القاضية وسمعته ايده الله يحدث أنه لما وكزته في صدره لم يشك لشدتها أنها نافذة من تابوته قال ايده الله فادخلت يدي من تحت الاطواق لالمس الجرح فوجدت حصاة البندق وقد اخترقت الاطواق وبردت عند الثوب الذي هو الشعار وتورم المكان من ساعته وربما مغرطا عقب الله فيه باللطف الشامل فكانت احدى الكرامات التي أظهر الله بها عصمة الاسلام وصار أثره ايده الله في هذه الفزوة العظيمة وشجاعته في ذلك المصطدم الهائل ومصابرته لذلك الزلزال اثرا مجمعا على استفراجه والتحدث به في البلاد

واما (1) ما له ايده الله من المآثر الشريفة في الجهاد الذي جلبت على منصبه عروس خلافته واقتعد كرسى الامامة الشريفة بمشهده واعتنق بكر الفتوح التي حضرت ملائكة الرحمن زفافها الشريف دولته فما عسى أن أعد أو أذكر بعد يوم المخازن الذي حضرته ملوك العدوتين وجموع الملتين وانصار الكلمتين على حين ما انقضى أخوه الخليفة وفاضت نفسه واترع من الحمام كأسه وواراه من المحفة الحجابة رسمه ولاذ بالخذلان من مثل به للشقاء تعسه ونجسه فاظلم الجو وتلون الدهر واشتد الخطب وتفاقم الامر

(1) يقتضى سياق الحديث عن دور المنصور في معركة المخازن ادراج ما جاء من الاخبار في صفحة 301 .

واستأسد الكفر وانتسب الناب والظفر فاثبت أيده الله في مستنقع الموت قدمه واحتسب في اللب عن الملة نفسه وتدفت عليه كتائب المشركين وجموع الكفر وطواغيت الشرك واحزاب التثليت فصابر زلزالها كالجبال الرواسى وثبت تحت الاكوية كالليث العادى وانصرف وجه القتال لموكب واحرق البندق رجاله الابطال واسود الحرب والنزال فتزحزحوا عن مراكزهم وتدرق بعضهم ببعض حتى تدرقوا جميعا بهولانا امير المؤمنين أيده الله وامتدوا من ورائه جبالا فخلا وجه القتال للمشركين من رجاله وأبطله الا من \* منحه الله الصبر وقليل ما هم حتى صار أيده الله هدفا لرمى المشركين فاصابته جراحة بالبندق مسحت احداها ظاهر قدمه الطاهر فى الركاب وخاضت احشاء فرسه فمات منها حسبا بسطته هول فى ذلك فى محله وثبت أيده الله لضحك المقام وهول اليوم حتى جبر الله الصدع وأقال العثار وحكم لدينه بالنصر والظهور ونصر على يده الاسلام وتل عرش الكفر واستأصل شافة الاصنام فذهب ايده الله وحده بفخر اليوم جلادا وصبرا وثباتا واقداما على كثرة من ضمه المعترك من ابطال الملثين على تجهم اليوم وضحك المقام وخشونة المعترك واشتداد زلزال الحرب وناهيك من يوم اجلى عن ثلاثة ملوك موتى ما بين هجمل وغريق وفائض النفس حتف الانف وعن ثمانين الفا من المشركين ما بين قتيل واسير حسبا تقرر فى موضعه كل ذلك نتيجة صبر امير المؤمنين الذى أجمل الله به العقبى وجلب للاسلام المسرة الكبرى أبقاه الله للامة يحمى سرحها وللملة ينصر دينها وحزبها

ولما (1) انعقدت بيعته المباركة باصفاق المسلمين عليها كافة فى مشهد الفتح ورسخت بذلك قواعد خلافته نظر فى اعطاف الدولة وقد ادركها بآخر الرمق تجود بنفسها لتوالى المرض عليها خمسة اعوام تباع عمر دولتى التوكل والمعتصم (2) التى نفقت فيها أسواق الفتن وأظلم الجو فيها بالهرج فى سائر اقطار المغرب حتى تنمرت الرعايا واستنسر بغاتها وطفى الجند الذى به قوام مائلها فغلب فساده على صلاحه وتمذر النفع به وتعطل الخراج منذ سنين حتى نفذ الطارف والتالد واقوت بيوت المال من كل صفراء وبيضاء وانتسفت مخازن الحبوب والاقوات واصبحت خاوية كأن لم تغن بالامس واستشوى الداء \* واعضل الخطب وكاد سلك الدولة يتنسر وذيلها يتقلص ثم

ص 201

(1) الانتقال الى صفحة 6 .

(2) المولى محمد التوكل بن عبد الله الغالب بالله ، بويج بعد وفاة والده سنة 1574 م ، الا أن عمه المولى عبد الملك المعتصم استطاع أن يحصل على مساعدات عسكرية تركية من الجزائر وأن يهزمه بعد معارك طاحنة اضطر معها التوكل الى الالتجاء الى طنجة طلبا لمساعدة البرتغاليين . وفى شهر مارس 1576 دخل المولى عبد الملك مدينة فاس ومنها انتقل الى مراكش . واستمر المعتصم حاكما الى أن توفى صبيحة المعركة (4 غشت 1578) .

جبر الله الصديق بأمير المؤمنين أيده الله فشمع لا ابتداء الامر من أوله وتشييد الملك من أساسه. وافتتاح المغرب فتحا ثانيا من أصله فسكن زعازع هوله واقتلع جرثومة أهل البغي والشقاق من اجناده ثانيا واستأصل شافة الخوارج والثوار على الدولة ثالثا وطاب الجنى وذرت اخلاف الجباية فامتلات بيوت المال وغصت بالحجوب مخازن الاقوات ثم جاء نصر الله ففرت الفتوح واتسع نطاق الملك وبلغت الدولة الى اشرف نصابها حسبها نذكر هذا كله ونحسنه ان شاء الله بعد

ولما كانت فاس اقرب الى مشهد الفتح من مراکش ردا أيده الله أن يتبدى أمره بتثقيف أطرافها وتمهيد ممالكها وأعمالها فارتحل ثالثة الفتح من مخيمه بوادي المخازن يوم الاربعاء الثاني من جمادى الاخرى ووصل لفاس للنصف منها فدخل في يوم مشهود عند اهلها دخولا فغما لكثرة ما استاق من سبي المشركين واقتاد من جنود الله وعلاه من نور الخلافة ورواء الغزو والجهاد ولايام من مقامه وافاه وفد مراکش دار الخلافة بيعة أهلها جنديهم وحضريهم والملا المقيمين لرسم النيابة بها من أهل الدولة ثم انشالت عليه بيعات سائر المدن والامصار ووفود الاقطار وتخللت الدعوة جميع ممالك المغرب وجهاتها الدانية والقاصية(1) فانقاد الناس لها وتظامنوا الى ظلها واغتبطوا بما جمع الله لهم لوقت واحد من سرور الفتح العظيم المصنوع على يد امير المؤمنين وسرور ولايته التي تقارنه وترجح به وزنا فاعتدوا تلك الايام من اعمارهم مواسم وأعيادا ولما تكامل صنع الله لديه باستياق وفود الجهات ببيعاتهم لبابه العالي واستوسق بذلك ملكه ورسخت قدمه جهز العساكر بفاس وعقد عليها لمولاه العامل كان على خراجه من قبل الخلافة القائد الكبير ابي عبد الله حم بن بركة وسرحه للطواف على ممالك فاس وأعمالها وسائر جبالها التي نعق بها ناعق الفتنة منذ اجتياز المتوكل عليها منصرفه من السوس لسبته فلوخ ومهد ومر يستقر في السهول والحزون حتى سلك تلك الجهات كلها وانتهى منها الى قاصية الريف(2) وقفل لاشهر من مفييه بعد استكمال

(1) دخل المنصور الى فاس يوم السبت 16 غشت 1578 واستمر مقامه بها الى أكتوبر 1578 وفي فاس ضرب لأول مرة نقودا ذهبية بقيمة الدينار ونصفه ، وقد جاء في هذا الدينار (بسم الله الرحمن الرحيم عن أمير المؤمنين المجاهد في سبيل الله أمير المؤمنين أبي العباس ضرب بمدينة فاس عام ستة وثمانين وتسعمائة) .

Brethes Contribution à l'histoire du Maroc. P. 202.

(2) يرجع لأهتمام المنصور بتوطيد سلطانه على شمال المغرب خلال الفترة الاولى من حكمه الى أن هذه المنطقة كانت مثار نزاع كبير ، وهدفا لتدخل عسكري خارجي ، لما تمثله من استراتيجية بالغة الأهمية في الصراع والحروب القائمة بين لاتراك والاسبان ، وقد ازداد التدخل العسكري الاسباني في شمال المغرب منذ انهزام البرتغال في وادي المخازن ، وحسب الوثائق التاريخية فإن المجلس العسكري الاسباني المتعقد يوم 16 غشت 1578 قد اسند مهمة الدفاع عن مدن سبتة وطنجة واصيلا - وهي قواعد احتلال برتغال - الى القائد الاسباني Antonio Manso كما أن القوات الاسلامانية المرابطة بجنوبي اسبانيا قد أمرت بان تكون على اهبة الاستعداد لرد أي خطر خارجي يوجه ضد ايبيريا من قبل المسلمين (دي كاستري اسبانيا . ج 3 . ص 451) .

التمهيد فوصل لفاش من بعد انصراف أمير المؤمنين لمرآكش وكان من السطو بالدغالي

ص 8 والملا من قواد الاندلس بفاش ما نذكر ان شاء الله تعالى \*

نكبة الملا من قواد الاندلس (1) وهم سعيد ابن فرج الدغالي ومحمد بن أخيه  
ومحمد زرقون الكاهية وأبو الفضل الغري ومقتلهم ليوم واحد وذكر حرائرهم الموبقة

فأما الدغالي منهم وهو سعيد بن فرج يعسوب فنتهم وجرثومة عصابتهم ومشب  
نار الفساد التي صلوا حرها فأصله من نطيش قرية من قرى شلين الجبل المطال على  
غرناطة ولما كانت الحالة التي التهم فيها العدو جزيرة الاندلس على حين ما فشلت ربح  
دول الاسلام بالمغرب في المائة التاسعة ونقلت أذيالها عن القاصية وتقصرت  
قدرتها عن الدفاع لعهد المستضعفين من بنى مرين ملوك المغرب الأقصى حينئذ وبنى زيان  
أهل المغرب الاوسط وبنى أبي حفص ملوك افريقية (2) وملك الطاغية غرناطة في حدود  
تسعة وتسعين من المائة التاسعة لعهد المستضعفين من بنى الاحمر وسكيت حلبتهم  
السلطان أبي عبد الله الشهير بالزغبي واستولى بها الكفر على الصبابة الباقية  
وانقرضت دولة الاسلام بالاندلس وطمست معالمها وابتز الكفر ملكها واستولى طواغيث  
الشرك على سائر امصارها وقواعدها واستباحوا حماها وادال الله في جميع  
صقعها الطيب بالخبيث لجا من استنكف من ذل الكفر ومن الاقامة على الهزيمة الى بلاد  
المسلمين بالعدوة وصبر على غالب حب الوطن ورضى بضرب الدلة عليه والمسكنة  
واعطاء الجزية عن يد فكان سلف سعيد ممن رضى بالاقامة على الهزيمة بدار الدل فنبأ  
هنالك بالاندلس على حالة من الدعارة ومخالطة أولى الجرابة ثم عبر البحر الى العدة

(1) من الاسباب الرئيسية التي دفعت المنصور الى نكبة هؤلاء القادة العسكريين اتهامهم بالتآمر مع  
الأتراك في الجزائر لضم المغرب الى الامبراطورية العثمانية ، وقد ابتدأت هذه الخطة بتدبير مؤامرة  
تسميم المعتصم الا أن المتآمرين أسقط في ايديهم لما أعلن عن تولية المولى احمد خلفا لآخيه المعتصم  
عشية المعركة ، فكان أن اتاروا الشغب بين اوساط الجند والعامّة وأخذوا ينادون باحقية الامير  
الصغير اسماعيل بن المعتصم الموجود بالجزائر في الخلافة مستغلين سمعة المعتصم الملك الشهيد  
الامر الذي حدا بالمولى احمد الى الفرار (خوفا من أن يقتلوه) (تاريخ السودان عبد الرحمن السعدي  
ص 208)

الا أن المغاربة اصروا على بيعة المولى احمد والتمسك بها مما لم يجد معه المتآمرين بدا من قبول  
الامر الواقع (فلم يقبل ذلك أهل مرآكش فجاء بمولاي احمد اينما كان في الساعة فولوه فكان مولاي  
احمد اميرا) (المصدر نفسه ص 208) .  
يضاف الى ذلك أن المعتصم كان قد أوصى بالاملا للمولى احمد من بعده (فأعلم اني لا أحب احدا بعد  
نفسى محبتي لك ورغبتي في انتقال هذا الامر بعدى الا اليك لاغيرك) (الافرناني نزهة لعادي  
ص 71) .

(2) بعد ضعف الموحدين تجزأت امبراطوريتهم بالمغرب الاسلامي الى دول وامارات ففي شمالي افريقية  
ظهر الحفصيون بنونس (603 - 981) وبنو زيان في الجزائر (631 هـ - 922 هـ) والرينيون في المغرب  
(669 ، 889 هـ) . وفي الاندلس بعثت من جديد امارات الطوائف ، كان من أبرزها بنو الاحمر  
بغرناطة (929 - 899) التي سقطت أخيرا بيد الاسبان يوم 2 يناير 1492 م .

في سبيل الجولة ومطاوعة جنون الصبوة وطفيان الشباب ونزل بتيطاون(1) من ثغور المغرب وولع بالسفر في البحر خليع الرسن ثم اتصل لعهد الغالب بالله بعظيم دولته أبي على الحسن بن ابي بكر واختلف لداره بفاس أيام رياسته فجذب بضبعه ويمكن قومه عند الخليفة وعقد له على الغرباء من قومه النازعين الى المغرب من بلاد الاندلس فجمعهم من كل قطر وتآلف منهم على يده جيش كثيف من النار بهراكنس واقطعتهم الدولة اراضى فسيحة بالجانب الغربى من فحصها الافيج فاغترسوا بها جنات معروشات وغير معروشات وحصلوا من استغلال ذلك الى اليوم على ما انساهم ذكر وطنهم واعتاضهم مما فاتهم به ولم يزل الدغالى متوغلا هضبات العز عند الخلفاء الى أن كان من امره في ارتكاب سنن الغدر والتربص بالدولة والسعى في تخيب الكلمة ما ذكرناه مستوفى في مواضع شتى من هذا الكتاب فأما أولا فبمداخلة المولى أبي النصر بن الغالب بالله في الانتزاع على الامر ووعده اياه بالنصر على الثورة والمظاهر على\* ص 9 الاستبداد واما ثانيا فبغدره في الوكن (2) ومكره بقومه واما ثالثا فباستتيام الثورة والاستبداد بالسوس في مغيب المولى المنصور عنه لتشريد المتوكل الى ارض النصارى (3) حسبما قدمنا ولما خلاص الامر الى امير المؤمنين المنصور وواتته الخلافة منقادا اليه تجر أذيالها وكان الدغالى هذا بالسوس منذ تركه به كما ذكرنا مع ولده المولى الامير أبي عبد الله محمد الشيخ واتفق ما كان من اجتماعه مع الحاجب عبد الكريم بن موسى بن يحيى في محلة واحدة بما كان المعتصم سرجه اليه من الحضرة لتحويل عزابه عند ايناس الغدر منه واستتيام الثورة بالسوس ثم تلاحق بهما قواد بلاد درعة وولاتها القائد العظيم الصدر الشهير ابو عبد الله محمد بن أحمد الكبير خال أمير المؤمنين المنصور وحاجبه اليوم القائد أبو محمد عزوز بن سعيد الوزكيتان وتوافقوا جميعا بمعسكر واحد من بلاد سكتانة اجتمعوا امرهم على الوفاة على أمير المؤمنين بفاس ليهنوه بالفتح والخلافة فلم يسع الدغالى حينئذ غير المسير معهم فتأخر من القوم خال امير المؤمنين وأبو محمد عزوز بن سعيد وانقلبا الى أعمالهما لتثقيف البلاد وقوض الحاجب مع الدغالى

- (1) تطوان من المدن المغربية الشمالية المطلة على البحر المتوسط ، اتجا اليها عسدد عظيم من المهاجرين الاندلسيين وقد استقلوا بحكمها وقاموا بدور هام في رد الفارات الخارجية عن شمال البلاد ، كما خاضوا غمار حروب بحرية طويلة ضد الاسبان والبرتغال مما أسفد على القرأة خططهم التوسعية في المغرب وشماله بوجه خاص .
- (2) وقعة الركن معركة جرت باحواز فاس في مارس 1576 حيث انتصر فيها المولى عبد الملك المعتصم على ابن اخيه محمد المتوكل .
- (3) خلال ولاية المعتصم كلف المولى أحمد المنصور بمعاربة المتوكل ومطاردته وقد لاقى من ذلك عناء كبيرا الى أن تمكن في النهاية من اجبار المتوكل على اللجوء الى طنجة احدى قواعد الاحتلال البرتغالى في شمالا لمغرب .



وساروا حتى اذا انحدروا الى الحضرة واناخوا بساحتها رام الدغالي الدخول للاراحة بها اياما وهو يسر حسوا في ارتقاء فمعه من ذلك أصلا المأ المقيمون برسم النيابة بها من أهل الدولة وانصرف لقضه بفاس فوفد بها هو والحاجب على امير المؤمنين غب الفتح فلقاها برا وترحيبا سرورا بمقامهما وأكرم نزلهما ولم يلبث الدغالي أن استعمل المرض وشكى الى الخليفة وخاصة المنزل وفساد مزاجه بفاس وطلب منه الاذن في القدوم لسلا بما كانت تحت ولايته من عهد المعتصم يستنيب بها محمد بن أخيه فتفطن الخليفة لمكره وانطوائه على النكت واعتل عليه في الاذن واظهر له غاية الحاجة الى حضوره بمجلسه للمفاوضة معه في أمور سلطانه وصالح مملكته توثقا بنصحه واعتادا بمخالصته فلم يصرفه بذلك كله عن عزمه وصمم على الغدو وألح في الطلب فسدد له الخليفة باب الاذن فاجتريا حينئذ لحتفه (1) مع الجهد والفضاضة الى الغاية فخرج نهارا من غير اذن وصمم الى وجهه وبعث اليه الخليفة أولا مع قائد القواد كان عنده أبي عبد الله محمد بن سليمان بالملاينة والملاطفة على الرجوع وحلده انتقاض المرض عليه بمشقة السفر فامتنع من الرجوع وأبى لها امضاء عزمته على الغدر ومضى حتى انتهى الى المستقى وضرب ابنته على ضفة وادى الجواهر وتلوم على خروج اثقاله وماله من فاس فاستغضب حينئذ الخليفة بما ارتكبه من سوء السيرة في الافتيات على الامر والخروج من غير الاذن وجاهر بما آتاه من ذلك بالعصيان والمخالفة (2) فحق عليه القول واتجه الى قتله السبيل وبحث على حنفة بظلفه واقام على صوره من الحجة الواضحة فلم يجد أمير المؤمنين حينئذ وليجة من دون الاراحة منه فسرح الى قتله عظيم الدولة القائد ابا اسحاق ابراهيم بن محمد السفيناني وانفذ معه الفاتك أحمد الزواوى وقريعه حمو الزواوى وعبد العزيز بن يخلف اليفرنى وعبد الله التلمساني وكلهم قواد عشائريهم زواوة وعصابة الشراقة من جيوش النار وكان في اختصاص الخليفة هؤلاء نفر بهذا الفتك نعم السياسة النافعة حينئذ لاستحداث العداوة الباقية بسبب ذلك من يومئذ الى الآن بين عساكر الاندلس والشراقة من جيوش النار وما راع الدغالي الا دخول ابى اسحاق عليه في مضربه والفاتك أحمد

ص 10

(1) يوجد بياض بالاصل -

(2) يفهم من كلام الفشتالى أن سعيد الدغالي كان يتآمر على دولة المنصور بانسارته للفتن والثورات الداخلية وبتصاله مع خصوم المنصور في الخارج ، وخاصة الاتراك في الجزائر وفي الوثائق التاريخية رسالة وجهها الاسباني Luis de Herrera من سبتة بتاريخ 13 غشت 1578 الى الملك الاسباني فيليب الثاني جاء فيها بأن القائد التركي لجنود المنصور قد كتب الى باشا الجزائر يعلمه بأن الوقت قد حان لاحتلال المغرب وتحقيق رغبة السلطان العثماني ، وذلك لان الحاكم المغربى الجديد غير قادر على تسلم السلطة وليس هناك من يخلفه (دى كاسترى ، اسبانيا ، ج 3 ، ص 453) . فهل قام سعيد الدغالي او أحد من الثلاثة الآخرين الذين تكبهم المنصور بهذا الاتصال مع الاتراك مما كان سببا في التعجيل بتكبتهم ؟

الزواوى على اثره وتقاعس الآخرون خارج المضرب واستشعر الدغالى الشر وكان مستلقيا على قفاه لما يظهر من التمارض فاستخلى لابي اسحاق واستكان ورغبه على ارسال يده واقسم له على استمكانه منها فجعل يقبلها فعل التدليل الجازع وخرج بذلك عن ماله فى الغلظة والفضاضة الى الغاية فى التواضع والاستكانة ذلا وخورا وكان القائد اسحاق ذهب من عند الخليفة على الحالة التى ركب بها اليه من داره أعزل من السلاح واتفق أن وجد محمد بن اخى الدغالى واقفا حينئذ بسيفه على رأس عمه فحذر أبو اسحاق غائلته وجعل يختل سيفه ويختل عمه بالمحادثة لما أظهره من القنوم لتشجيعه حتى أمكنته الفرصة فاستقل واقفا ووثب على قائم سيف محمد فاخرطه وأغرى أحمد الزواوى بالدغالى فأوما بسيفه العضب الى سالفته وهو مستلق فطارت هامته لضربة واحدة وشد أبو اسحاق هو على محمد بسيفه فعصب جيئه ثم اعتورته سيوف النفر فاستلحمته واحتزوا رأسه وحمل مع رأس عمه فى مخالفة حتى وضعها بين يدي امير المؤمنين وانتهب القوم فساطيظهما واستبد كل بما حصل فى يده من الخرشى والخيل والسريات الزنجيات والروميات وبينما أبو اسحاق هقبل لفاس من المستنقى اذ تلقته على ظهر الزاوية بفال الدغالى الحاملة لماله واثقاله وكانت نهايته ستمين الفا من الذهب العين فاستردها وجعل بها وجهه الى امير المؤمنين واشتق بالمال والرأسين معسكر قومهما وعشائرهما الاندلس المخيم حينئذ بظهر الزاوية منذ بلوغ امير المؤمنين من مشهد الفتح لفاس فاستكان الجميع للأمر واستخدى ولم ينس منهم احد بينت شفة ولا نبضت له عروق الحمية وذهبا مثلا فى الغابرين وما بكنهما عين واما محمد زرقون الشهير بالكاهية فاصله من وادى أش وكان ممن حضر قيام المسلمين ببلاد الاندلس على التصارى ثورتهم المشهورة \* للمشركين الكائنة على عهد الغالب بالله من الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم فى حدود عام سبعة وسبعين (1) ثم محض الله تلك البصباة من المسلمين فكانت عليهم دائرة السوء للمشركين لقتلهم وانقطاعهم عن أهل دينهم وملتهم وبناء أمر قيامهم من أول وهلة على غير أساس من الرأى وانحلال عزائمهم من قبل مبلغ صريخ اخوانهم المسلمين وراء البحر لعدم من يملك نظامهم ويرجعون فى

ص 11

(1) هناك مصدران هامان تحدثنا عن ثورة الموريسكوس بالاندلس عام 1569/977 احدهما رسالة معاصرة بعثها السفير الفرنسى فى مدريد وقد جاء فيها بأن المسلمين قد ناروا فى جبال البوشرات بضواحي غرناطة تحت قيادة (محمد بن أمية) Don Fernando de Valor وأن فيليب الثانى ملك اسبانيا قد تمكن من القضاء على الثورة أخيراً وتشريد الثوار (دى كاسترى-فرنسا ج 1 ص 286) واما المصدر الثانى فهو المؤرخ المجهول فى كتابه (تاريخ الدولة السعدية) الذى أكد بأن فشل ثورة الاندلسيين يرجع الى تغلب الغالب عن نجدتهم (فقد أمرهم - أى الغالب ، غشا منه بأن يقوموا مسج النصرارى ليتق بهم فى قولهم بظهور فعلهم فلما قاموا على يد النصرارى تراخى عما وعدهم به من الاغاثة غشا منه لهم ولدين الله عز وجل ومصصلحة لملكه وكانت بينه وبين النصرارى مكاتبات فى ذلك ومراسلات) ص 38 - ويزداد فهمنا للاحداث اذا علمنا بأن الغالب قد تعاون مع دول أوروبا الغربية ومع اسبانيا والبرتغال بوجه خاص ليتخذ منهم حلفاء ضد الاتراك العثمانيين.

الاقبال والادبار الى كلمته من اولى الامر فاستأصلت بسيف الكفر فى الملاحم من قضى الله له بالشهادة منهم وغربت الصبابة الباقية الى أقصى بلاد الشرك وتفرقوا بها يادى سبا وخلص محمد زرقون هذا فيمن خلص من تلك الورطة وعبر البحر الى المغرب فانتظم فى جيوش النار لعهد الغالب بالله ثم نزع الى الجزائر عند الاتراك فاقام لديهم متحيزا الى فئتهم الى أن اجلب بهم المعتصم على المغرب وكان قد داخله وصحبه أيام الاغتراب بالمشرق الى أن صارت اليه الخلافة فرعى له تلك السوابق ورفع منزلته وأوفى برتبته على سائر الرتب والقى بيده زمام الدولة وصرف اليه تدبير عساكر النار فانفرد بالتكلم فى أمورهم وملك بذلك زمامهم وكان من القوانين التى أخذ فيها المعتصم بسيرة العجم فى دولته التبرع لعساكر النار حين مصير الخلافة اليه بالزيادة لسائرهم فى اعطياتهم المفروضة وفى الديوان ومال بيت فيهم ويفرق عليهم ويعبرون عنه فى مصطلحهم بالبشيش وحذى فى ذلك حثو ملوك العجم ولما صنع الله من اخيه أمير المؤمنين ما صنع من الفتح العظيم والغزوة الشهيرة بوادى المخازن وشفع له نعمتها بما اصاب اليه من الملك والخلافة وجل الصنع علم العساكر لا محالة يطالبونه بالشرطين العاديين فرأى أن يتبرع لهم قبل السؤال بأحدهما ليركوا الآخر وليكون بدل ذلك لهم المصافاة من باب المن لا من باب المشاركة وبعث لذلك عن الكاهية ثانى الفتح ففاوضه فيما عزم عليه بما كان زمام عساكر النار فى يده كما قدمنا وكشف له عن ذات صدره وما ذهب اليه فأبى عليه من ذلك وبين له احتجاز ماله وزعم له بصرف العساكر عن مطالبته بشئ من ذلك وضمن له عنهم الرضى بما افاء الله عليهم من السبى والمغانم التى خرج لهم عن جميعها أمير المؤمنين مهوها فى ذلك بالنصح ومظها من نفسه الشفقة وهو يسر حسوا فى ارتقاء فحسن أمير المؤمنين به الظن وعمل برأيه وامسك يده عن العطاء ثقة بما زعم ولما كان يوم الدخول لفاس اعترض الاجناد بباب دار الملك أمير المؤمنين عند الدخول بمكاحلهم واشتبكت اشتباك الاصابع ليستوقفوه بذلك حتى ينعم الشرطين العاديين عادة عجمية أحدثها المعتصم فى المغرب وقطعها \* المنصور فيما قطع من الحوادث المبتدعة والكلف الشاقة واقتحم ايده الله الاجناد المعترضة ومر يدوسهم بأرجل فرسه مقيظا ومتجهما فافرجوا له رهبة من بأسه فدخل قصوره وقد اسخط فعلهم ونمى اليه أن ذلك اغراء محمد زرقون من اشارته تشفيا وسعيا فى الفساد واستأنبت للخليفة عاقبة غشه فيما كان اشار به من احتجان ماله وامسك يده عن التبرع للاجناد بأحد الشرطين العاديين فأسرهما فى نفسه ولم ييدها له ثم أغرى الفوغاء من الاجناد ثانيا وحضهم على الطلب وأسرى فى تنفيق سوق الشقاق لذلك والتغريب بين الجند والخليفة والحجم حتى تفاقم الامر وأفضى الحال الى أن اجتمع جند

ص 12

النار وقوض من معسكره بظهر الزاوية وذهب مغاضبا لخرق العادة واستنكف امير المؤمنين من الاذعان ساعتئذ ما طلبوه الا من بعد أن يسكنوا ويدعنوا فيكون ذلك حينئذ على وجه أمن المحض لا على وجه العنف الموزن بالتحكم والعسف وبعث لذلك عن محمد زرقون وبدبه لتلاف الامر واسترجاع الجند بالملاطفة والملاينة وكان جيش الموالي العلوجي وجيش الاندلس وهما أعظم جيوش النار متبرئين من الدخول في حزب غيرهم من تلك الاجناد فما كان الا أن صحبهم في وجهته واغراهم بالدخول في حزب اخوانهم وانغمس معهم بإشارته وحطب لنار تلك المغاضبة فزاده اشتعالا ولم يرجع لامير المؤمنين مرسله الا وقد جمع كلمة الاجناد كافة على افساد فاضطربت الاحوال ومرج أمر الناس وتحقق امير المؤمنين حينئذ بذلك ما انطوى عليه محمد من العداوة والبغضاء لسلطانه وجده في هدم بناء دولته وسعيه في فساد ملكه وتفريق امر الجماعة فحقد عليه ذلك وعزم على الفتك به وارجاه حتى استصلح احوال الاجناد وكان قد اعرض عنه في أمره وضرب عن وساطته صفحا وندب لذلك أولياءه وقعد له بنفسه فرتق بحسن سياسته ذلك الخرق من حينه فاستقام أمر الجند واسترضاهم بالقول أولا وبالعطاء ثانيا واخفق أمل زرقون وبدى له ما لم يحتسب ولما كان يوم قتل الدغالي وأخيه تقبض عليه امير المؤمنين فلحقه بهما جزاء بما ابدى فيه من السعى في الفساد واعاد وأصبح مثلا في الآخرين وأما أبو الفضل الغري فاصله من لندراش قرية من قرى جبل شلين المثل على غرناطة وكان يزعم أنه من ذرية أبي الوليد بن زيدون وزير المعتمد بن عباد وصاحب ولادة بنت المستكفي وكثيرا ما كان يردد قصيدته النونية الشهيرة عن أهل الادب التي صدرها بقوله

أضحى التنائي بدىلا من تدانينا      وناب عن طيب لقيانا تجافينا  
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا      شوقا اليكم ولا جفت مآقينا

ويقول ما زال الصبيان عندنا بالاندلس منذ اليوم يحفظونها في المكاتب وكان ممن قذفت به \* النوى عندما عصفت بالاندلس رياح الكفر وطوحت به الطوائج الى الجزائر 13  
فنزل على أمرائها من الاتراك فرسموه بديوانهم واثبتوا له الجراية لديهم ثم حصلت له من بعد ذلك المداخلة التامة هنالك بالمعتم (1) رحمه الله فتقرب اليه

(1) سعى الغالب الى عقد ولاية المهدي لابنه محمد المتوكل وقد قام لاجل ذلك بشليد اخوته مما اضطر معه المولى عبد الملك (المعتم) والمولى عبد المؤمن الى الالتجاء عند الاتراك في الجزائر طلبا للحماية والمساعدة ومن الجزائر خرج المعتم بقوات عسكرية تمكن بفضلها من معاربة ابن أخيه المتوكل الذي انهزم لتخل القوات الاندلسية عنه وانضمامها الى عمه في معركة الركن بأحواز فاس عام 1576.

بالبحث عن اخبار المغرب ونقلها بما كان يعلم ميله لذلك وتشوفه له ثم افضى الحال الى أن اشخصه المعتصم الى المغرب عينا له وسفيرا عنه الى اشياعه ومن كان يداخله في أمره فوصل الى مراكش بعهد الغالب بالله في صورة التاجر وحمل معه احجارا من الياقوت فكان يطوف بها على منازل الاكابر توصلا الى مكالة اشياخ المعتصم وايصال كتبه اليهم ثم رجع لفاس وكان المتوكل ولى العهد اميرها حينئذ وتلطف حتى اتصل به ورسمه في خدمته ثم عقد له على حصة من جيوش النار لديه وهو في ذلك كله حاطب في جبل المعتصم مرسله والمتوكل ووالده في غفلة من أمره وكان في خلال ذلك يسرى مع الدغالي في الغدر ويلحم حتى اذا كان يوم الركن الذي تحيناه لما تعاقدا عليه من الغدر والخلاف نزعا بقومهما مكررا ومخادعة الى الخليفين لاول احتدام الرعى واشتعال نار الحرب فرعى الخليفان لابي الفضل تلك الموات ورفعنا منزلته في أهل الدولة وأعداه المعتصم من بطانته وبسط عليه نعمته فلم يرض بما غمره من طوفانها وصار يسمو بنفسه الى العظائم التي ليس لها بأهل من تقليد الاعمال وولاية الثغور بقود عساكر الاسنة وكان قد داخل ايضا الدغالي ظهيره في الخلاف ومساعدته بغدر في شأن استيلاء الثورة التي جنح اليها واحتمل في أمرها بالسوس ولما سطى أمير المؤمنين بالدغالي وعلم ما بينهما من الخلة واجتماع الكلمة على الشر حذر مغبة امهاله وأكد ذلك ما كان من انقباضه عن مجلس الخليفة في تلك الايام باستعمال المرض فاستراب لذلك به وتقبض عليه يوم الفتك بالدغالي وأصحابه وجنب الى مصرعه فالحقه بهم وقتل النفر الاربعة جميعا ليوم واحد في شهر رجب من عام ستة وثمانين(1) وأصبحت رؤوسهم معلقة على الشرفات بباب السبع من أبواب البلد الجديد وسر الناس قاطبة بقتلهم بما كانوا يضطنون عليهم اعتيادا لغدر دائما والجنوح الى الفساد واعتدوا قتلهم فتحا نانيا لما عقبه من التمهيد واطمئنان الاحوال واقتلعت جرثومة الشقاق باقتلاع جلوعهم واستقامت احوال الجند من يومئذ رهبة ورغبة واستوت قدم امير المؤمنين في ملكه واجمع الرحلة لمراكش دار الخلافة وعنصر الدولة(2) فانزل ولده المولى الامير أبا عبد الله محمد الشيخ بقصوره من فاس لاقامة رسم الملك وكان اذ ذاك طفلا صغيرا فضرب بذلك تدبير الامور والنقض والابرار ساعتئذ لخالسته القائد ابي اسحاق ابراهيم ابن محمد السفيناني وانزله مع المولى أبي عبد الله بالباب الجديد توثقا بمكانه واستنامة \* اليه

ص 14

(1) يوافق هذا شهر سبتمبر 1578

(2) قبل أن يتوجه المنصور الى مراكش استقبال وفدا اسبانيا برتغاليا وصل الى فاس لافتداء جثة سباستيان، وسيعرض الفصل الى ذلك في الصفحة التالية رقم 15 .

وعقد على الشرطة لمولاه القائد أبى عبد الله محمد بن سالم ثم عقد على مكناسة لداود بن أخيه المولى الامير بد المومن وجعل امرها الى نظره ورتب بها من انتقاء للنيابة عنه فيها من الخدام وصحبه هو لمراكش واسكنه بها بازائه وتحت رقيبته استراية به وثقف سائر ممالك واطرافها برجاله وخرج فى غرة شعبان عام ستة وثمانين (1) وتلوم بمسكروه من ظهر الزاوية بساحة فاس حتى استكمل أهبة السفر وفرغ من ابرام ما عن عن له من الامور فارتحل للنصف من شعبان ووصل لمراكش فى الثانى عشر من رمضان العام فاستوى على كرسي الخلافة بها وتسلم سرير الامارة وامتطى مهادها فكان يوم دخوله عند أهلها غرة فى جبين الدهر سرورا بما يسر الله لهم وللمسلمين من اسباب الخير والسعادة بولايته أيده الله وبركة خلافته الطالعة على سائر الامم بالعدل والامان وشمول العافية والاحسان وكف ايدي العدوان ورتع الناس فى ظل ظليل ورعى جهيم الى هلم كما نذكر ان شاء الله تعالى .

ذكر وفاة ارسال ملوك الارض للتهمة بالفتح والخلافة ومباراتهم فى الهدايا والتاحفة واغرابهم بالذخائر النفيسة وفاخر الطرف واسنى التحف وبيعة صاحب برنوا من ملوك السودان

لما سنى الله لامير المؤمنين من غزوته الشهيرة السائرة الذكر ما سنى وصنع على يده من فتحها الذى عفى على ذكر الفتوح السالفة فى دول الاسلام منذ الصدر الاول الى هلم ما صنع وتحدث الناس بقتل الطاغية والاستيلاء على مئين من ألوف أمم النصرانية(2) وغريب ما اتفق من هلاك الملوك الثلاثة وما كان لامير المؤمنين من سورة التغلب واية العز وشاعت اخبار ذلك الصنيع الخارق فى المشارق والمغرب وسائر الآفاق وزويت لصيته الارض فطار ذكره وانتشر فى المعمور خبره وشفع الله ذلك بما اصار اليه من الخلافة التى جلا عروس فتحها على منصة ذلك الفتح وبسط بها جناح العدل على الامة خاطب لحينه صاحب القسطنطينية العظمى (3) وسائر ملوك الاسلام المجاورين للمغرب وعرفهم بالفتح وظهور حزب الله على حزب الشيطان فاقامت أسواق التباشير بنصر الملة واعتزاز الدين واعلاء الكلمة فى كل أرض وارتفعت الى الله كلمات الشكر

(1) الموافق لآكتوبر 1578

(2) ذكرت وثيقة معاصرة ان سادة البرتغال من ابن دو: براكانسى Bragance الى حامل الترس قد قتلوا أو وقعوا فى الاسر ، وهذا أمر لم يره احد من الناس ولاسمع به (دى كاسترى بريطانيا ج 1 ص 297)

(3) هو السلطان مراد الثالث (1574 - 1595)

وقد عرفت الامبراطورية العثمانية فى عهده أقصى اساعها (اعظم سلطان خفقت عليه الجنود واكبر ملك قد جند الجنود .. كثر فى زمنه العلماء وما اجتمع فى زمن اخذ من آل عثمان ما اجتمع فى زمنه من الفضلاء) : نصرة أهل الايمان لمحمد البكرى دار الوثائق بالرباط . رقم د 527 .

الطيبة في كل أفق وقطر فسمت بذلك ملوك الدنيا من أهل الملتين الى مخاطبة امير المؤمنين وايفاد ارسالهم عليه للتهنية بالفتح والخلافة فحاضوا اليه البحار وشقوا القفار متبارين في السبق الى حضرته الكريمة فكان اولهم ورودا على سدته الشريفة وأبوابه العلية المنيعة رسول صاحب الجزائر (1) لاقترابه فبلغ الرسالة \* وادى الهدية وكان فيها من فساطيط الهند الغربية الشكل والصنعة وزرابى مبنوثة وطرف نفيسة ما يستحسن من أمثاله ثم تلتها ارسال طاغية برتغال انريك(2) القائم بالدولة من بعد ولد أخيه بستيان(3) فريسة امير المؤمنين المنصور وارسال طاغية قشتالة فليب (4) وكان الطاغيتان قد أوفدا معا قبل ذلك على امير المؤمنين رسلهم الاولين يرغبونه في الامتنان عليهم بشلو الطاغية بستيان الواري بالقصر في تابوته ووافوه أيام مقامه بمعسكره من ساحة فاس بين يدي ارتحاله لمراكش(5) فتطارحوا عليه متضرعين وخاضعين لعز الاسلام فرأى أيدى الله ما في اسلام الشلو لهم والذهاب به الى ارضهم من مزيد الفخر للاسلام وتجدد الاحزان لعبدة الاصنام بمشاهدته وغبظتهم برويته ونكايتهم بالوقوف على فريسته فامتن لذلك به عليهم واسلمه اليهم من غير عوض بعد أن كانوا ملعين لبذل الاموال العظيمة فيه (6) وتباروا لذلك في مكافاة امير المؤمنين ومجازاته بالحسنى فوافدوا عليه رسلهم رهبة ورغبة ووافوا جميعا حضرته العلية الامامية في جمادى الاولى (7) متفاوتين بيومين أو ثلاثة وكان اسبقهم بلوغا لدار الخلافة صاحب برتغال وكانوا قد بلغوا الى البريجة(8) بجمادى الاولى ثم تلقاهم بها خبر اعتلال امير المؤمنين بمرضه الذي وعك منه حينئذ وعكا شديدا فاقاموا هنالك الى أن ابل وجاءهم أنه قد استقل من علته فوفدوا عليه ووصلوا مراكش بهدايا مرسلهم وكان يوم بلوغهم اليها يوما مشهودا عند اهلها تحدث الناس به دهرا لكثرة ما شاهدوا من تلك الهدية العظمى التي نفوت الحصر واعجابهم من احتفال مهديها وكانوا وقروها يوم الدخول على العجلات والقراريط فاشتقوا بها الحضرة من باب فاس الى (9) فتهافت الناس على رؤيتها تهاقت الفراش وغصت بهم طرق المدينة وسككها وحطوا أثقالها بالايوان

(1) كان على الجزائر حسن البندقي (بكلر بك شمالي افريقية) دامت ولايته من سنة 1577 الى 1580

(2) اي الكاردينال هنري الذي حكم البرتغال بين سنتي 1578-1580 .

(3) يقصد سابستيان : Don Sabastian

(4) فيليب الثاني Philippe II ملك اسبانيا (1555-1598) يمثل عهد الراج في تاريخ اسبانيا الحديث .

(5) استقبل المنصور الوفدين الاسباني والبرتغال بظهر الزاوية بناحية فاس اكتوبر 1578 قبل توجهه الى مراكش .

(6) يتضح من هذا أن المنصور كان يهدف الى خلق جو من التعاون مع الاسبان والبرتغال ولم يشأ الضغط على البرتغال للتخلي عن بعض قواعد الاحتلال بشمال المغرب كما كان متوقفا .

(7) جمادى الاولى 987 يوليوز 1579

(8) البريجة مدينة الجديدة - كانت من مراكز الاحتلال البرتغالي في المغرب .

(9) بياض بالاصل .

فضاق بها رجب فضائه على سعته وانفساح أرجائه وكان الذى ظهر منها للناس واحصوه ثلاثمائة الف دقات من ريال الفضة وأما ما يرجع الى أحمال السلح النفيسة من كل جنس وغريب كل نوع من الحرير والخز والديباج والسندس الى غير ذلك من أسرة هندية مذهبة بستورها وأوطيتها من رقيق الديباج والوشى وكراسى مكللة وعجائب من طرف الهند وبلادهم وتحف أرضهم وأوانى صنعهم وذخائر ملكهم فيجر لا ساحل له كثرة ودنيا لا يحاط بها وصفا وزينة وجلس لهم امير المؤمنين عند السلام جلوسا مما اعرب عن قدرته وأبهى سلطانه ثم وصلت على اثرهم ارسال صاحب قشتالة وبلغوا مراکش على جهة أسفى مرسى فلهم ومحط رحالهم للثالثة من وصول ارسال صاحب برتقال اليها فأدوا رسالة ملكهم وعظيم ملتهم وقدموا بين ايديهم هديته المشتملة على كل نفيس من حجر الياقوت \* الكبير الحصيات المنتقى للذخائر الملوك ص 16 انتزعت من تاج ابائه واسلافه والذخيرة العظمى عند قومه وربعة مملوءة من حصباء الدر الفاخر وقصب الزمرد كانت منها زمردة فاخرة الجرم تفوت سائر الاحجار مقدارا وشكلا وحسنا وعلقت بها زمردة أخرى أقل منها جرما وأشبه بها حسنا واكلتاها من ذخائر الملوك العظيمة ونحو ذلك من الذخائر النفيسة والتحف الدالة على همة مرسلها وعظمة المترفد بها ثم رام الناس تحقيق ما بين الهديتين من التفاوت بمكيال التقدير وميزان التخمين عند المقارنة والمقابلة فأشكل عليهم ذلك وتوقفوا عن الحكم لاحدهما بالشفوف عن الاخرى لاحتفال كليهما فى نوعها ووصل الرسول الى امير المؤمنين لاداء التحية فقعدهم لهم افخم قعود وبالغوا فى الخضوع له والاستخدام لوطء بساطه والاستكانة لعظيم سلطانه وتلقاهم بما يليق به كرماء القوم من البر والحيا ثم وردت على تفتة ذلك ارسال سلطان الروم وبلاد المشرق وصاحب القسطنطينة العظمى خاقان الترك من بنى عثمان السلطان مراد خان اوفدهم من ضرته وأوعز الى مفتى جزائر من ايالاته الشيخ العالم الصدر الكبير الخطيب الشهير ابي الطيب (1) البسكرى بصحابتهم الى المغرب واختاره لشهرته ومكانه فى العلم والرياسة ليحسن اداء الرسالة وتقرير المودة والاعراب عما فى الضمائر وليدل بارساله على علو عمله وشرف مقدار المرسل اليه فوفدوا على سدة امير المؤمنين المنصور فى جمادى الاولى من عام سبعة وثمانين يقدمهم أبو الطيب فبلغوا الرسالة وادوا الهدية وكان انتخب فيها خاقان ما انتقاء من الملابس الفاخرة وبعث معها بسيف محلى بديع الصنعة فاخر الحلى والزينة فاستحضر ابو الطيب فى شان التهنية والاعراب عن مقاصد الرسالة وادى الهدية فاهتز

(1) يوجد بياض فى الاصل .



لذلك امير المؤمنين سرورا من اعواده ولقاهم مبرة التكريم واختار النزول والارغاد في القرى واقامة رسم الضيافة وتوسيع الجراية حتى انقلبوا الى مرسلهم مجبورين وكان ممن وصل أيضا على تفتة ذلك عامئذ ارسال طاغية الافرنجة (1) ويقال افرنصة وبه يعرفون اليوم فقصوا فرض التهنية واقتفوا سنن غيرهم من ارسال ملوك الارض .

### ذكر تجهيز الحركة الاولى لتمهيد السوس (2)

قد قدمنا ما كان من اضطراب احوال المغرب في أيام المعتصم رحمه الله واضطرابه نارا وفتنة وهبوب زلازل الهول في كل قطر من اقطاره واطلام الجو في سائر ممالكه وجهاته واتصل ذلك مدة حياته حتى مال عمود الخلافة او كاد وهلك رحمه الله والشرف والفساد في عنفوانهما ومرجل الهول شديد الغيلان والدنيا يموج بعض في بعض فجاء الله من امير المؤمنين بالجبل العاصم من الطوفان فرست به قواعد الملك وتثبت اركان الخلافة وركبت عواصف الهول الدائمة الهبوب خمسة أعوام تباعا عمر دولتي المتوكل والمعتصم ولما استوسق لامير المؤمنين الامر ورجع من مشهد الفتح واقتلح لأول مرة جرثومة البغي والشقاق من قواد الاندلس على ما قدمنا بفاس ووصل لمراكش دار الخلافة وعصر الدولة فاقعد بها كرسى الملك واستوى على سرير الخلافة وانثالت على بابه بها ارسال ملوك الارض مهئين كما سبق بما صنع الله على يده من الفتح واتاه من الملك ورسخت قدمه وتمكنت قواعده نظر في اعطاف دولته فلم أرهم لديه ولا أشد عليه من تقويم مائلها وتثقيف أطرافها واستيصال الخوارج عليها وتلويح النازعين الى الخلاف من رعاياها وتمهيد القاصية والدانية من أعمالها وكان من أول ما صرف اليه همه من ذلك ووجه اليه عنايته بلاد السوس وممالكه بما كان قطره منبعت الدعوة ومطلع شمس الامامة الكريمة وقبائله اشد شوكة واقوى عصبية وكان شأنه في الانتفاض سهلا وحزنا مند نهوض امير المؤمنين منه في عساكر \* لتشيريد المتوكل (3) من أعمال الحضرة أيام اطلاله عليها على ما وصفنا من قبل وانه عادت فيه هيف الى اديانها من لدن مفيبه عنه ايده الله في خلافة أخيه المعتصم الى حين ولايته هو فاجمع امره حينئذ على تدويح جهاته وتمهيد اقطاره فجهز العساكر من الرامحة والنار وعقد عليها

ص 24

(1) بعث الملك الفرنسي هنرى الثالث سفارة الى المغرب تحت رئاسة Guillaume Berard وذلك لتهنئة المنصور وتذكيره بالعلاقات الطيبة التي كانت بين المغرب وفرنسا زمن المعتصم ، ولتقديم بعض المطالب كفتح الموانئ المغربية في وجه السفن الفرنسية وتحرير الاسرى الفرنسيين وكلا لشراء مقادير هامة من ملح البارود وأخيرا لطلب قرض مالي بمبلغ مائة وخمسين الف دوكة . ( دى كاسترى . فرنسا . ج 2 . ص 22 ) .

(2) يقتضى الترتيب الزمني للاحداث الانتقال الى صفحة 23 .

(3) انشاء خلافة المعتصم ، كلف المولى احمد بمعاربة المتوكل وملاحظته بالسوس ، وقد استقر: في قتاله ستين متتاليتين 1578-77/986-985

لحاجبه اليوم الخالصة القائد أبي محمد عزوز بن سعيد الوزكيتي وجعل اليه امر تدبير الاجناد والحروب فاقبلوا عن الحضرة في شهر (1) ومن بعد انفصالهم بدا لامير المؤمنين أن يسرح معهم خاله القائد أبا عبد الله محمد بن أحمد الصغير وصاحب الاشغال بالحضرة الصدر ابا عبد الله محمد بن هومن السوسى وكان ببلاد حاجة انقله اليه امير المؤمنين من قبل ذلك فى حصنة من الجيش لاقتضاء خراجها فاوعز اليه بالنفور مع العساكر رديفا لخاله والحاجب فى الشورى والمفاوضة بما كان عارفا بأحوال السوس وبصيرا بأموره لاستعماله على الشرطة والخراج به دهرًا من خلافة الغالب بالله وصدرا من خلافة المعتصم فلحق بالعساكر وتوجه ثالث القواد تحت رايات امير المؤمنين وساروا حتى اذا نزلوا بالسوس صمدوا الى جباله على جهة تاكراكرى من بلاد هشتوكة ومروا مجتمعين حتى أناخوا ببلاد هلاله فافترقوا هنالك محلتين توجه باحدهما خال امير المؤمنين وعاج بها الى جهة القبائل المجاورين لجبل درن ومروا يتقصون تمهيد البلاد ارضا ارضا وقبيلة قبيلة ويجوسون بالعساكر خلال ديار الخوارج وأهل الشقاق والعصية فاكسحوا السرح وانتسفوا الزرع وخرّبوا العمران ودمروا أرض المارقين تدميرا حتى اذعن لهم جل قبائل السوس ومدوا يد الانقياد للطاعة واشرفوا على التمهيد واستكمال التدويخ وبينما هم فى جد من امرهم واقتبال من شأنهم اذ عرض لامير المؤمنين مرضه الشديد الذى بلغ الى حد الارجاج به فكتب اليهم ايده الله يسترجعهم عندما عوفى من طائفه فوردوا الحضرة فى شهر (2) وارجا امير المؤمنين امر السوس فى استكمال تمهيده ومعاودة تدويخه حتى استأنف له حركة أخرى واردف اليه الكتائب والعساكر حتى ادلت عصيه واقامت الى اليوم مائله على ما سنذكر ان شاء الله بعد

ذكر اعتلال امير المؤمنين وتجهم الزمان لطروق مرضه وجزع المسلمين عند اشتداد زلزاله وما كان عقب ذلك لابنه المولى الامير الهمام أبى عبد الله محمد الشيخ المامون ابقى الله ايامهم

كان طروق هذا المرض والمام طائفه بذات مولانا امير المؤمنين فى جمادى الاولى من سبعة وثمانين (3) ووافق ذلك من الزمان فصل الحر والقيظ ولفح سموم الهواجس

ص 25

(1) ارسلته هذه القوات غالبا خلال الاشهر الاولى عام 1579/987 ، وقد استعدت للعودة الى مراکش

اثر مرض المنصور فى جمادى الاولى 987/غشت 1579 وفى الاصل يوجد بياض .

(2) حسب الفشتالى استدعى المنصور قواته المعاربة بالسوس الى العودة الى مراکش اثر ابلاله من المرض أى قبيل رمضان 1579/987 .

(3) جمادى الاولى 987 يوافق شهر غشت 1579

قشبت بذلك نار الحميات ونفخ عليها كبر الحر بلهب تلك السموم فازدادت توقدا واشتعالا فاهتاجت حينئذ سورة المرض بما كان من الامراض الحادة احتياجا قام له في ركايته رئيس اطباء بباب الخلفاء رضوان الله عليهم الشيخ ابو عبد الله محمد الطيب احد كبار مواليتهم المملوحي حتى كان من مهرة الفن واية في العمل والتجريب ووحيدا في فهم امراض الخلفاء ومعرفة طباعهم لطول مازاول في الجاهلية والاسلام بباب دارهم مدة من ثلاثين سنة او اربعين فعكف على باب امير المؤمنين وشمر لمصارعة ذلك المرض فكان الحرب بينهما سجالا ثم طال الامر بالناس واطرقوا الوجوم الاسد في خيسه وانبهمت عليهم الامور ايام اشتداد الوجع وتكالب العلة فملكتهم الحيرة واطبق على الدنيا ليل الهول واغبر وجه الارض وتجهم الزمان ومرج امر الناس فبلغت القلوب الحناجر جزعا على امير المؤمنين ايده الله وضمانة به وشفقا لامة من عدم تعيين من يكفلها ويحمي من بعد الامام بيضتها فتصرف اليه الوجوه وتناط به الامال اذ كان امير المؤمنين مازال لم يعهد الى احد ساعته بامر الامة ولا نصب للناس خليفة يكفلهم من بعده ثم تدارك الله تعالى الاسلام بما شأنه ان يتدارك به المضطر من عباده فهبت على الناس من راحة امير المؤمنين ريح عاطرة واستنشقوا الانتعاشة وافاقته نسيم الفرج طيب الارج فانجاب عن الدنيا الهول المطبق وتقتضت عنها غياهب الحيرة فسكنت النفوس الواجفة واطمأنت الخواطر المتأوهة ولما اطاق ايده الله الحركة وخلص ابريزه من ذلك السبك وأهل قمره من بعد المحاق وطلع بأفق قصره اعترم على البدو للناس لاول انتعاشه لما يعلم من تشوقهم الى وجهه الكريم واستطلاعهم لغرته السعيدة والافتباس من انوارها الساطعة وارتباكهم لمغيبه عن ابصارهم فبرز صبحا الى الايوان الكريم الامامى ونصب له كرسى الخلافة بقبته الكبرى ذات الاساطين فلاح بها لياح القمر بهالته وتسامع الناس بخبر ظهوره فنسلوا اليه من كل حدب وقدفت بهم سلك الحضرة من كل اوب واشرع بباب الايوان فتهاقت الناس عليه ايده الله تهاقت الفراش وكادوا أن يختطفوه شوقا اليه وشفقا به لمالقى الله من محبتهم عليه فازدحموا على رويته وتقبيل بساطه ولثم اطرافه واستقبال جميل محياه فرحين بمشاهدة طلعتة الكريمة ورافعين الى الله أكف الشكر والثناء على فضله بما امتن به عليهم من عصمة دينهم ودنياهم بعصمة مولانا الامام \* كهف الاسلام وظل الله في الانام ثم تنافس ارباب الدولة وصدور المملكة وأهل البساط في التحاف الطيب شكرا لله على ما خولهم من نعمة ابلال امير المؤمنين فانهاوا عليه بين يدي الامام بشايب الدنانير والدرهم والخلع انهلال الغمامة الوطاء وتهاكوا في ذلك وتبعهم فيه سائر القواد ورؤساء الاجناد فلم يبرح الطيب من ذلك المجلس الكريم الا بالكوف من العين واحمال من الخلع اكسبته ثروة وابتقت في ورثته الى اليوم غنى مغلما

وكان ذلك اليوم المبارك عيداً بالحضرة بما قام من أسواق الفرح والسرور وابتهاج  
 الأئمة والصدور وبروز العذارى من وراء الحجال والستور ورفع الشعراء إلى أمير  
 المؤمنين كلماتهم يهنونه بالصحة والابلال فقال في ذلك شاعر الدولة الفقيه البليغ  
 أبو عبد الله محمد بن علي الهوزالي

تردى اذى من سقمك البر والبحر وضجت لشكوى جسمك الشمس والبدر  
 وبات الهدى خوفاً عليك سهداً وأصبح مذعور الفؤاد الندى الغمر  
 فلما أعاد الله صحتك التي افاق بها من غمه البدو والحضر  
 تراءت لنا الدنيا بزينة حسناتها وعاد إلى أيامها ذلك البشر  
 وصار بك الإسلام في كل بلدة يهنى ويدعوك أن يطال لك العمر  
 وصحت لنا الآمال بعد اغتالها وعادت إلى الايناع أغصنها النضر  
 ولا غرو ان خافت على سمط الندى اذا غبر وجه الارض واحتبس القطر  
 بسيف ابي العباس انققت عجافها قديماً فخافت ان يعادوها الضمر  
 لئن جزلت بيض المعالي فقد غدت نشاوى الطباة البيض واللبن السم  
 بقيت لهذا الدين تحمى ذمارة ويحميك رب العرش ما بقى الدهر

ولما اجزل الله تعالى بكمال صحة مولانا الامام أمير المؤمنين ايده الله وصالح بدنه  
 ومزاجه وعوده إلى أحسن قوامه واعتداله ودفع الله تعالى الخطب بما رفع عن ذاته  
 المشرفة صان الله تعالى جوهرها النفيس من الآلام وعوارض الاسقام وجعل في ذلك  
 سبحانه عصمة للإسلام جنة واقية لامة نبيه عليه السلام انتب الملامن اكابر الدولة واهل  
 الحل والعقد الذي يقتدى بانوارهم ويهتدى في الاراء الصالحة بمنارهم واجتمعوا على رفع  
 رسائلهم وتوجيه رغباتهم إلى مولانا الامام أمير المؤمنين ايده الله في النظر للامة بتعيين  
 امام يصرف إليه عهده وينصبه خليفة للإسلام بعده وكان اشداهم على هذا الامر حرصاً  
 واخلصهم فيه إلى الله نية واصدقهم عزيمة الشيخ المسن الصدر الكبير المعمر بقية  
 اصحاب الامام \* رضى الله عنه القائد ابو محمد مومن بن غازى العمري تقدم إلى أمير  
 المؤمنين لاول ما برز للناس من قصره غب مرضه فمثل يومنا بين يديه واكب على قدمه  
 الشريفة لاثماً ومستعبراً وقال له وقد تجردت من ثوب الريا وأطرح رداء المداهنة ولبس  
 حلة النصيح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وقال ايده الله مولانا أمير المؤمنين اننا معشر  
 الامة مسائلك ومطالبوك عند الله بحقنا عليك في النظر لنا بمن يحفظ كلمتنا ويصون  
 عن الافتراق جماعتنا وقد كان ابوك الامام رضى الله عنه لما بدأ وتم لم يقبضه الله إليه  
 حتى عين من أخيك الغالب بالله اماماً يرجع إليه فاتبعناه وأطعناه فحفظ النظام وحميت  
 بيضة الإسلام ثم عين أخوك ابنه فرجعنا إليه حتى اداله الله بغيره فجاء باخيك المعتصم

ص 27

وبك ردا له فخلع عليك عهده ونصبك لامة خير امام بعده فاطعناك واتبعناك فكنت الكافي الكافل والامام الكامل وان مع اليوم غدا فلن تكل امر الامة بعدك وما علك في ترك الناس هدى ولم تنصب عليهم اما ما يرجعون اليه وخليفة تدور امورهم من بعدك عليه ثم قال له وهذا ابنك يفرى الفرى ويرمى الى كل غرض فيصيب شاكلة الرمية يشير الى كبير ولده الجارى على هديه والمقتدى بصالح علمه ومشكور سعيه المولى الامير الهمام ابي عبد الله محمد الشيخ المامون وسماه له باسمه ورغبه ان يشد به اركان الامة ويخلع عليه امر الامة لكونه مستودع آياته الصادقة وصاحب علاماته الناطقة وبقي امير المؤمنين ايده الله يستخير الله في ذلك ويسأل منه الالهام والتوفيق لما فيه صلاح الامة الى أن تلاحق وفد فاس من علمائها واشرافها وأهل الحل والعقد من أهلها وقد اهمهم أيضا ما اهم الملا من أهل الحضرة من حفظ نظام الكلمة وصون الجماعة وتشديد اركان الامة بمن يحمى ذمارها ويحوط بعد الامام بيضتها فتقدموا الى أمير المؤمنين ونور الله يسعى بين ايديهم فتطارحوا على فضله ايده الله في اسعافهم الى هذا الامر الذى اهمهم شأنه وخاضوا القفار الى بابه العالى من أجله والقوا اليه اضطرار الامة الى من يلم بعده شعنتها ويحفظ نظامها ويصون عن الافتراق جماعتها ثم اصفقوا فى ذلك على اختيار كبير ولده ومن أجمع الناس على فضله من بعده المولى الامير ابي عبد الله محمد الشيخ المامون لما علموا من أهليته وتحققوا من افضليته فلم تزل رغباتهم الى امير المؤمنين ممتدة حتى اسعفوا الى قصدهم الجميل وقد ذكروا منه ايده الله من لم يكن ناسيا ونهبوا ساهيا فجمع أهل الحل والعقد من سائر الاجناد فعهد فيهم بأمره الى ولده المولى الامير ابي عبد الله محمد الشيخ وأخذ له البيعة عليهم فأعطوها طواعية باصفاق منهم واجماع من خاصتهم \* وجمهورهم وأعطوا عليها صفقة ايمانهم طائعين ومتبرعين ص 28 وفرحين ومغتنبين وكان ذلك فى يوم الاثنين ليلتين خلتا من شعبان العام فاطمان الناس بذلك وسكنت نفوسهم واستمرت الاحوال على ذلك الى ان جدد امير المؤمنين ايده الله هذا العهد وأكده لولده لما ادرك بنوه الصغار فأخذ له عليهم وعلى الناس البيعة ثانيا بالملتقى المبارك الذى جمع الاحمر والاسود بتامسنا عام ثلاثة وتسعين حسبما يأتى التعريف بذلك ان شاء الله فى محله .

ذكر مفر داوود بن المولى الامير عبد المومن من الحضرة وخروجه بالسوس وتجهيز العساكر اليه وما كان من خروج الامام اثرهم وعسكرته بقم تانوت الى أن جاء الفتح

كان الامير داوود هذا ممن تزايد من البنين للمولى عبد المومن بن المهدي الامام بمسقط اعترابه من تلمسان وهلك فتركه هو واخوه عمر الكبير كان منهما في كفالة عهدها المولى عبد الملك المعتصم واصحبهما ركابه الى المغرب فمات عمر لاول خلافة عهده المعتصم وبقي داوود تحت كفالته الى أن زحف من الحضرة في العساكر لغزاة وادي المخازن منذ خروج الطاغية فجهزه في حصنة من الجيش وسائر مطوعة الحضرة الى دكالة لمقابلة ولد المتوكل ومن معه من المشركين بالبريجة (1) وسرح معه القائد ابا الفضل القرى الاندلسي المتقدم الذكر عند نكبته هو وقومه فأقاموا هنالك الى أن صنع الله على يد أمير المؤمنين من الفتح ما صنع وهلك المعتصم فصار اليه الملك والخلافة فبعث عن داوود لاول أمره من مشهد الفتح وسرح اليه القائد ابا عبد الله محمد بن ابراهيم بن بجة يستقدمه من دكالة فوفد عليه بفاس مرجعه من الغزو ولقاه برا وترحبيا وعقد له على مكناسة محل امارة ابيه المولى عبد المومن ولما فرغ من ابرام الامور بفاس حلا وعقدا وتثقيف جهاتها وأطرافها والولاية على ممالكها وأعمالها واعتزم على السير لمراكش دار الخلافة أجمع أمره على استصحابه معه للحضرة حذارا مما نفرس فيه من الشواهد وتوسم في أمره من المخايل التي اسفرت عنها العاقبة ولما قارن ذلك أيضا من اعتلال الدولة ومرضاها منذ خلافة المعتصم بتغلب الجيش واستطالة يد عدوانه وزبونه واضطراب أحوال المغرب وتوقى لذلك ما ينشأ عن بقاء داوود وراءه وحذر مغبته فرأى جلبيه ومقامه لديه أحوط على الكلمة فعمل به اقتضى الحزم الذي من شيمته واصحبه ركابه بخاصة نفسه واستبقى مكناسة بدمته وترك بها عماله وولات الامر بها من قبله لتهمشية اوامره فيها واحكامه وأخفى عنه وجه التقية موريا \* بأنه يحتاجه للنيابة عنه في قود العساكر الى السوس والقيام بتمهيدته وتلويخ اقطاره على علمه بأنه يضعف عن ذلك كاهل اقتداره وعن النهوض باعبائه وانما يسر له حسوا في ارتقاء ولما احتل امير المؤمنين أيده الله بمراكش انزله من قصورهم بسداده المطلة على اساراك المخصوصة من قبل الخلافة بسكناه ايثارا ومحابة ثم مهد له اكناف العز وبسط له أوطية القبول والاحتفاء وجرى في مصانعته ومحاباته بكل ما يسع من وجوه البر وحسن الايثار الى أبعد ورجاء أن يستخلصه ويستل سخائمه فام تنسل واتصلت به الشرذمة التي سطرى أمير المؤمنين في خسر نذكره من أصحاب المعتصم فأظهروا له الميل الى جانبه وامتوا اليه باسباب الانتماء الى حزب عهده المعتصم وجعلوا يوسوسون اليه ويبشون في آذانه الا لاقى بما كانوا مرضى القلوب على

ص 29

(1) انزل الملك البرتغال دون سباستيان المولى الشيخ بن المتوكل في حصن البريجة (الجديدة) رهينة الى أن تنتهي المعركة ، وبعد انهزام البرتغاليين في وادي المخازن نقل لشيخ الى لشبونة التي استقر بها لاجئا سياسيا .

الدولة وصادقوا منه قلبا خليا وفؤادا شجيا فتكمنت منه وساوسهم واسودت نكثها في قلبه فانطوى على النكث حتى اذا سمع ما عزم عليه امير المؤمنين بالعهد بالخلافة لابنه الاحق بمنصبها المولى الامير الهمام ابى عبد الله محمد الشيخ المامون بتقديم رغبات أهل الحل والعقد كما مر وأخذ له البيعة على الناس أسفه ذلك وحرك من احنه ونفس على ابن عمه ولاية العهد واغتمم ذلك سماسرة الفتن فحطبوا لئار موجودته فإزدادت لهيا ونزع من حينه عن الحضرة الى جبال سكساوة المطل من درن وأوعز اليهم أمير المؤمنين بالقبض عليه ودس اليهم بذلك وتوعدهم عليه فنفظن لذلك داوود وفر بنفسه فلحق بالسوس ونزل على المنحرفين عن الطاعة من أهله فاجتمعوا اليه ثم صرخ في سائر القبائل بالخلاف والعصيان وكان عهدهم بالطاعة حديثا لم ترسخ فيهم قواعدها كل الرسوخ قلبوا لذلك داعيته واعلنوا بالعصيان وتواطؤوا على الشقاق كافة فتعاونت ذيابهم على رأس كل يفاع واضطرم بذلك السوس نارا وورى فيه زئد الشيرفى سائر البقاع فاعتزم امير المؤمنين حينئذ على استيناف الاهبة وتجهيز العساكر ثانيا لحسم أدواء الفساد واستيصال الخوارج ومنازلة داوود فى معصيته فبعث عن العساكر المجهرة ببلاد سجتانه من السوس مع خاله والحاجب وابى عبد الله محمد بن موسى فوصلوا الى الحضرة وخلا بذلك الجو لداوود فاغتمم الفرصة فى الاجلاب على درعة (1) فى فصل الشتاء وانقطاع الثنايا المفضية اليها من الحضرة على الفائجة بما تراكم فيها من الثلج واذن فى الخوارج ببلاد السوس بالمسير اليها واعذ نحوها فى جموع من اوباشهم وبلغ الخبر الى امير المؤمنين فسرح اليه عسكريا من الحضرة واوعز الى القبائل بتمهيد المجازلة على ثنية الكلاوى وسابقوه اليها فشردوه عنها فرجع الى السوس مفلولا ثم انصرم فصل الشتاء واحتفل امير المؤمنين فى الاهبة \* وخرج من عساكر الحضرة جيشا عرمرما يحمل الاسل والنار وعقد عليه للزعيم الشهم القائد أبى عبد الله محمد بن ابراهيم بن بجة احد رجال دولته وأوتاد مملكته وفحل العصابة التى فخر الهجرة (2) وسوابق الخدمة السالفة ودفعه الى حرب داوود واستيصال الخوارج فنهض فى الالوية

ص 30

(1) كان داود بن عبد المؤمن يسمى الى الوصول الى درعة والصحراء الغربية الشرقية من أجل الاتصال بالأتراك فى الجزائر ، ومن الوثائق النادرة التى تلقى ضوءا على هذه الثورة رسالة موجهة من رمضان باشا حاكم الجزائر الى داود بتاريخ اواخر ربيع الاول 988/ماى 1580 وقد جاء فيها ( ولما عزمنا الآن قومونا الى مدينة تلمسان فاول ما سألنا عن احوالكم واين استقر مقالكم لكى ننشؤوا معكم عهدا تقدم لنا مع اسلافكم فبعثنا لكم هذا المكتوب لعلمكم تعلموننا فى جوابكم لنا بما عندكم من مامول ومرغوب .. فلا تقيبوا عنا شيئا من مقاصدكم السنية )

سيمانكاس باسبانيا ( Simancas ) رقم الوثيقة L E 114  
 ويوجد نص الرسالة فى ملحق أطروحة الدكتوراه عصر المولى أحمد المنصور الذهبي . ص 449 .  
 (2) يقصد بالهجرة خروج المولى أحمد من المغرب الى الجزائر جلائا عندما تولى ابن أخيه المتوكل الحكم بعد وفاة الغالب بالله ، خوفا من أن يبطل به .

والعساكر من مراكز في تاريخ ( 1 ) ثم خرج امير المؤمنين اثرهم من الحضرة في اجناده الامامية منتصف صفر من عام ثمانية وثمانين وتلوم بساحة الحضرة اياما وسار الى شوشاوة وراح بها شهرا أو يزيد ثم انتقل الى ايمى اتانوت وهو باب الطود الاعظم المفضى الى القصر السوسى فاقام هناك فى جنوده مطلا على سائر المملكة اقطار من مرقبته ومشارفا لاحوال عساكره ولما اشرف القائد ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بالعساكر على السوس اعتمد داوود برأس الوادى وصمم اليه فاجفل امامه وتواعد الى جبل هوذالة فاعتصم بذروته واوغز امير المؤمنين الى ابي عبد الله باقتحامه فى معتصمه وكان اتخذ عليه اسدادا من الحجارة والصخور وناشتبت جموع من الغوغاء واحزاب من الخوارج واستعملوا للدفاع فزحف اليهم القائد ابو عبد الله وولد جمعوا له فاقتحم عليهم الجبل والحج عليهم بالقتال فعضتهم ناب الحرب وفض جموعهم فاستولى على معقلهم ومحل اعتصامهم واجفل داوود يولى الى وادى هرغة عصابة الامام المهدي القائم بدعوة الموحدين ثم جهز امير المؤمنين من معسكر بقم تانوت عساكر أخرى من الرامحة والنار وعقد عليها لمولاه القائد ابي على منصور بن عبد الرحمن وسرحه لاعتراض داوود فصمد اليه على جهة بلاد جطيوة وأهرقته العساكر التى الى نظر القائد ابي عبد الله محمد بن ابراهيم بن بجة وزحفت اليه الاجناد من كل جانب فطلب منجاةه واجفل الى القفر برأس طمرة ولجام فتزل على عرب الوداية وبقي يتقلب فى احيائهم حتى اغتيل وهلك فى الغابرين فلم تبكه عين ثم جالت الكتائب والعساكر فى ممالك السوس وانبسطت فى جهاته وصرت تنقرى جباله وأوطانه ارضا ارضا وقطرا قطرا حتى دوخت القصى واستنزلت من صياصيه العصى وحسنت ادواء الفساد واستأصلت شافة الخوارج ومحت اثار الثوار فخفتت فى عرض السوس وطوله الى هلم اصواتهم وسكن ارجافهم واتحت عليهم الدولة بكلها فالقت الطاعة بحيرانها وجاء خير الفتح الى امير المؤمنين ايده الله بمعسكره المبارك من قم تانوت وأوقف عليه القائد ابو عبد الله ابن ابراهيم وفدا من الخوارج ومشيختهم المنغمسين فى العصيان منذ اعوام خاضعين وتائبين ومستأمنين فامنهم امير المؤمنين ووسعهم صفحه وعفى عفوه على جرائمهم فحسنت طاعتهم وخلصت انابتهم واستقامت احوال السوس وتخللت الطاعة والعافية ممالكة قاطبة فدرت \* بذلك ضروع جبايتها وقسمها امير المؤمنين بين الزعيم ابي عبد الله ومولاه ابي على شطرين فبث كل منهما العمال فى جهته لاقتضاء خراجها فسأل

ص 31

(1) من سياق الكلام يبدو أن خروج القوات العسكرية كان فى مطلع صفر 988/ابريل 1580 وفى الاصل يوجد بياض .



عليهما من ذلك بحر لا ساحل له وقفلوا الى الابواب عند استيفاء سائر تلك الوضائع والمغارم فوصلوا متفاوتين واستاق كلاهما بين يديه غيرا من الذهب والفضة واحمالا من المال تفوت التقدير لم يتأت جليها من من هذا القطر فيما علمنا لدولة من دول الاسلام بالمغرب لتفاصر صولتها عن تدويخه والاستبلاغ في تمهيدته فكان ذلك من دلائل القدرة لهله الدولة الكريمة الامامية على صلابة عودها وقوة عصاها التي لا يستقل من خبطها كل من علت مفرقه ولله الحول والقوة لا اله الا هو ولما كمل الفتح وانتالت على معسكر امير المؤمنين وفود القبائل وهرعوا الى بابه والولوج في طاعته افواجا حتى اجتمع منهم خلق كبير غصت بهم محلاته السعيدة على اتساع معسكرها فسرحهم الى حضرته ثم تلثمهم وفود اخرى يقدمهم رؤساء الخوارج وكبار الثوار الذين تولوا كسر ذلك الشقاق واداروا بيد اغتيابهم رحي تلك الفتن موسى بن علي كبير قومه هوزالة وقريعه المساهم كان له في الثورة وتخريب الاحزاب واضرام نار الشر وتحريك اسباب الفساد والدعاء الى الخلاف محمد بن ابراهيم الزودتى كان اوفد اخاه وابنه اولا على باب امير المؤمنين ثم قدم بنفسه اخيرا الى اقبالها من رؤساء الخوارج واعيان القبائل فكان ورودهم هؤلاء الثوار خاتمة الفتح والعلامة الكبرى على التمهيد والاستقامة ازمع امير المؤمنين ايله الله حينئذ القبول الى الحضرة فقوض الركاب ورجع على غير الطريق التي اتى منها فارتحل مع السفح ونزل على القاهرة وواصل الترحال حتى احتل بالحضرة ميمون السفر مظفر اللواء فاستقر بها على مهاد الغبطة الى أن كان ما نذكر ان شاء الله .

ذكر خروج امير المؤمنين وعسكرته بتانسيقت وما كان من مبايعة الناس لولده المولى الامير ابى عبد الله محمد الشيخ المامون بالله هنالك مصافحة

لما كانت البيعة التي اخدها امير المؤمنين لولده على الناس غد ابلاله من مرضه كما قدمنا قد انبرمت بالحضرة والمولى ابو عبد الله بفاس فلم يصفحه الناس بها مباشرة ولا اقتضيت منهم ايمانها مشاهدة وكان عهد الناس برؤيته ايضا قديما لمغيبه بفاس منذ سن الطفولة الى أن اقر هلاله السعيد ودوح غصنه الباسق رءا لذلك امير المؤمنين ان ياتى بتلك البيعة المباركة على اتم شروطها واكمل ربوطها وان يستقدم ولى عهده من فاس حتى يشهد الناس اهليته لمنصب الخلافة النبوية واولويته برتبته الشريفة بما يبيلون من كماله وشريف خلاله فخرج لذلك من الحضرة \* فى الثانى عشر من صفر عام تسعة وثمانين(1) واضطرب معسكره على شط نهر تانسيقت واوعز الى

ص 32

(1) يوم 12 صفر 989 هـ يوافق مارس 1580

ولى عهده بالقدوم وتلوم عليه حتى وصل غرة جمادى الثانية(1) من العام فى اجناد فاس وعساكرها وسائر اهل الحل والعقد الذين عليهم مدار الامور واليهم ترجع الخاصة والجمهور من علمائها واشرافها واعيانها ولما كان يوم وصول ركابه العالى وطلوع طلّاح السعد امام موكبه الزاخر العباب ركب امير المؤمنين ايده الله فى العساكر للقاءه تكرمة واجلالا وبرورا بمقدمه وبرزوا الى الصحراء خارج معسكره السعيد فوقف فى الاجناد واقبل المولى الامير ابو عبد الله فى كتابه وقد ملأت الربى والاباطح فى افخم زى واحسن ابهة واجمل شارة وانبرت الكتابب تتسرب للسلام على امير المؤمنين فوجا من بعد فوج حتى قضى جميعهم فرض التحية وتدافع المولى ابو عبد الله فى موكبه المتلاطم وقد تطلع من خلال الرايات كالكوكب الدرى ولما هوى الى الارض ساعيا على اقدمه الطاهرة لثم الركاب العلى الامامى شرفه الله وقضاء فرض التحية راجلا برز امير المؤمنين ايده الله عن العساكر ووقفت بمركزها وتقدم وحده للقاءه مرحبا وشفيقا ومتبسطا حتى امكنه من لثم قدمه المشرفة وحنى متطاطئا من سهوته على رأسه حتى قبله واستركبه الى جنبه وسارا معا فى الالوية والعساكر والارض تموج بالكتابب حتى نزلا بفسطاط جلوس امير المؤمنين ايده الله وارح المولى ابو عبد الله ريثما ضربت قبايه واستوعب مفسكره النزول لصق معسكر امير المؤمنين والده فركب اليه فكان ذلك اليوم أحد الايام المعدودة بما جمع الله من الاجناد وأظهر من عز الملة ووفور الحامية حضر جمعه العظيم رسول عظيم الملة النصرانية طاغية قشتالة بما كان ساعتئذ بمراكش سفيرا الى حضرة امير المؤمنين من عند ملكه(2) فاستأذن المقام العلى الامامى ايده الله فى البروز يوم اللقاء لمشاهدة شعار الاسلام فاسعف الى ذلك وسار من الحضرة الى مخيم عساكر المسلمين ومجمع بحريها فشاهد من جنود الله وشلة شوكة الدين ووفور حامية الملة وضخامة عساكر الاسلام وابهته وجموعه المذكورة بالحشر سوادا ودويا ما لم يشاهده قط فى ارضهم ولا عدل ببعضه جموع ملتهم وطواغيت اخابهم فراح بما هاله واذله ولله الحمد على اعلاء كلمته واعزاز ملته ولايام من مبلغ المولى الامير ابى عبد الله جمع امير المؤمنين ارباب الدولة واهل الحل والعقد وسائر الاجناد والعساكر وجلس لهم المولى ابو عبد الله بخيمة امير المؤمنين العظمى فازدحم الناس على تقبيل يده ومصافحته بالبيعة واقتضيت منهم الايمان بمحضره فكمل الغرض من ذلك الجمع المبارك فثنى

(1) جمادى الثانية 989 يوافق يوليو 1580

(2) فى الوثائق التاريخية رسالة بعثها من مراكش الانكليزى Ralph Lane يذكر فيها بان ملك اسبانيا فيليب الثانى قد ارسل سفارة الى التصور مع هدية خاصة وان الطرفين قد دخلا فى مفاوضة لعقد تحالف بينهما (دى كاسترى • بريطانيا ج 1 - ص 356) •

عنايه لدار الامارة بفاس قرير العين مثلج بما أوتى من ولاية العهد والخلافة وقفل امير المؤمنين لراكش منتصف جمادى الثانية فجرت الاحوال على ما تقر به عين الإسلام الى أن كان \* من مسير امير المؤمنين أيده الله لفاس ما نذكر ان شاء الله تعالى

ص 33

ذكر ارتحال أمير المؤمنين في العساكر لفاس ومقامه بها حولاً كاملاً وتفويضه لولي عهده في ولايته وما تدبره من الامور وأمضى من العزائم

كما قدمنا التعريف بما كان من مراسلة أمير المؤمنين لسلطان بلاد الروم والمشرق وإيفاد رسائله عليه في مشهد القتح الى القسطنطينية يخبره بما هيا الله من نصر دينه واعلاء كلمته والاستيلاء على أحزاب الشرك وطواغيت الكفر ونبهنا على ما كان من احتفال خاقان في الهدية وإيفاد ارساله بها على حضرة أمير المؤمنين وسدته الشريفة للتهنية بالفتح والخلافة فبلغ الارسال وأدوا حق الرسالة في التهنية وتقرير المودة والمبالغة فيما يؤكد أسباب الاتصال بين الملكتين وانقلبوا فتشوق خاقان الى مثلها من أمير المؤمنين فتناقل (1) عن ذلك لما سغله من تمهيد الملكة وقطع الشواغب عن الدولة واستيصال الخوارج عليها وحسم أدواء الفساد من أقطارها وارجنا الامر في إيفاد ارساله على خاقان الى فراغه مما هو بصدده من ذلك ثم ان علوج على (2) وزير البحر كان عند بني عثمان وقائد أسطولهم لما كان خديث العهد بالكفر لتأخر اسلامه الى مجاوزة سن الاكتمال صار يستبطن لذلك عداوة للإسلام ويجاهر بها خصوصا لابناء النبي عليه السلام الخلفاء الراشدين بالمغرب رضوان الله عليهم ويجزل قسطهم من ذلك بمقدار ما لهم من العراقة في الدين والهداية بالنشأة من طينة النبوة والتكون من معدن الرسالة فشمم بذلك لاثارة الوحشة والفيظة بين الملكتين واستيصال رحم الدين الجامع بينهما ليفت بذلك من عضد الملة باختلاف كلمة الإسلام وافتراق جماعة حزب الهدى ودبت لذلك عقارب سعائته على ما سلف من هديته وحرك منه بذلك النزعات الملوكية وزين له الانحذار للمغرب (3) في أسطولهم الذي ألقوا بيده زمامه

- (1) تفيد كلمة (تناقل) بأن المنصور قد تعمد عدم الاهتمام بالوفد العثماني لعدة عوامل أهمها : موقف الأتراك منه ساعة بيعته وتأمروهم مع بعض قادة الجيش للاطاحة بحكمه في الشهر الاول من توليته ، ثم الاتصالات التي كانت لهم مع داود بن عبد المؤمن علاوة على إيوائهم للامير اسماعيل بن العتصم في الجزائر ، فهذه العوامل باعدت بين المنصور والأتراك ودفعته الى التقرب من الاسبان
- (2) علوج على : من أسرى نصارى صقلية ، تربى في احضان القراصنة ووصل الى أعلى مرتبة في البحرية العثمانية ، ولاة السلطان على الجزائر في غشت 1568 (بكلربك الفريقية) ثم اصبح وزيراً للبحرية الى أن توفي سنة 1587
- وتهجم الفشتالي وزير المنصور على علوج على هوفى الواقع تعرضى غير مباشر بالأتراك العثمانيين ومواقفهم من الخطباء السعديين بالمغرب .
- (3) هناك عوامل خارجية دفعت السلطان مراد الثالث الى التفكير في مهاجمة المغرب أهمها الهدنة التي عقدها الأتراك مع اسبان يوم 7 يراير 1578 وفي سيمانكاس باسبانيا يوجد النص الكامل لهذه الهدنة Simancas E 489

توصلا الى ما يريد من كيد الاسلام بافتراق كلمته وتحريك أسباب العداوة والبغضاء بين المملكتين واستيما لما يحاول كان أيضا ويعتمل فيه من الاستبداد عند استواء قدمه بالجزائر قاعدة المغرب الاوسط اليوم واتصال يده بيد قومه من طواغيت الكفر وأحزاب الشرك المجاورين له ويدفع بذلك في صدر بني عثمان وأسدى في هذه المكيذة عند سلطانه وألحم حتى وجد منه أذنا صاغية وبرز له الاذن بتجهيز الاساطيل فشحنها بالحامية ولم يال جهدا في الاحتفال وأقلع فيها الى المغرب وكان أمير المؤمنين عندما اتصل به في مخيمه بجنوده على تانسيقت خبر اعتمال \* علوج على هذا في شأن الحركة الى المغرب قصدا لتجيب الكلمة وحطبا في حبل الكفر باستحداث الشقاق بين المسلمين وافتراق جماعتهم وبلغ اليه خبر اجتهاده في ذلك من قبل انحداره في الاساطيل بسنة أشهر بادر أيده الله دفع مكيدته وأرهف حده لنكايته فجهز العساكر مرجع ولى عهده لفاس من المجمع المبارك بتانسيقت وسرحهم الى بلاد الريف \* وربهم بمسالح المغرب وثغوره وسرح الى بلاد الفحص كبير الدولة وصدر الخاصة القائد أبا اسحاق ابراهيم بن محمد السفيناني وكان قد وصل في ركاب ولى العهد الامير أبي عبد الله بما كان القائم بأمره ومثقت أوامره واحكامه بفاس أيام صغره وقبل افضاء العهد اليه فخيم في العساكر والاجناد بساحة العرائش (3) ودفع بذلك أمير المؤمنين في صدر على باشى وكان عند استقراغه أيده الله قبل ذلك من تمهيد المغرب وازالة الشواغب عن الدولة أوفد ارساله على القسطنطينة حضرة بني عثمان وسرحهم اليها في السفن فلقبهم على باشى على ثيج البحر منحدره في الاسطول الى المغرب فحذر مغبة بلوغهم للابواب العثمانية وافساد النصبه عليه بالكشف عن مساوئه والادلال على عورته ومكايده التي يسر بها حسوا في ارتقاء للاسلام وينصبها سلما الى هدم بناء الملة بمعاول غشه وخديعته ورام استرجاع الارسال جملة حذارا من سوء المغبة فتوقع سطوة السلطان في صدهم عن بابه ثم اعتمل في رد البعض لينقص من كيدهم ويفت في عضدهم فتجبر منهم لصحابتة الى المغرب القائد أبا العباس احمد

ص 34

- (1) وصل علوج على الى الجزائر في شهر يونيو 1581 على رأس أسطول حربي يتكون من ستين قطعة حربية لغزو المغرب (دي كاسترى . فرنسا . ج 2 . ص 96) .
- (2) كان الدافع الاساسي لبعث القوات المسلحة الى شمال المغرب ، هو استراتيجية هذه المنطقة وسمى كل من الاتراك والاسبان لاحتلالها وتوسع فيها .
- (3) بعد وضع المنصور للقوات العسكرية بحسن الفتح بالعرائش ومحاولها خطة دفاعية ضد أي هجوم خارجي تركي أو اسباني ، ففليب الثاني ملك اسبانيا طالما سعى الى الاستيلاء على العرائش لتدعيم مركز القوات الاسبانية في شمال المغرب واعتمادا على المصادر المعاصرة فان المنصور كان يمشي فليب الثاني بالتخل عن العرائش مقابل مساعدته العسكرية للمغرب ضد الاتراك (دي كاسترى فرنسا . ج 2 ص 96) .

ابن ودة بما توسم فيه من الدهاء بكبر السن ورد معه في سفن أمير المؤمنين وأسلم رفيقه الكاتب السرى النبيل النبيه أبا العباس أحمد بن يحيى الهوزالي وأركبه في إحدى سفنه للقسطنطينية لتبليغ الرسالة استخفاً بأمره لصغر سنه وجهلاً منه بوقور عقله وصحة نبهه وذكائه فعكس عليه رحمه الله الأمر عندما وصل الابواب العثمانية بما أبطل من كيدته ونقض من تدبيره وانفصل ابن ودة عن علي باشي من الجزائر مرسى أساطيله ومحط رجال عساكره ووصل الى سدة أمير المؤمنين يقص عليه القصص فشهروا أيده الله لتجهيز عساكره الهاشمية وكتائبه المظفرة الامامية فازاح عللها ويسر أسباب سفرها وارتحالها الى تخوم المملكة لسد فروعها وحيطة ثغورها مخافة أن يفاجيء على بعضها على حين غفلة وأرصدت له العساكر على كل ثنية بالمغرب وجلست للوثبة على برائتها وقد شحد أمير المؤمنين سيوفها وأرهب عزائمها على السطو به ان لو زلت به القدم ثم جاء الامر على اثره بقوله في الاسطول والحامية الى القسطنطينية على يد مبدى هناته ومبيد صفته الكاتب أبي العباس فانقلب من الجزائر خائب المسعى لشهر أو نحوه من مقامه بها \* (1) ووصل أبو العباس الى سدة أمير المؤمنين بمراكش فحمدت سفارته وجلي في أغراضها واستتبلت فيها آراؤه وأنجحت مساعيه فجلب ذلك بضبعه عند أمير المؤمنين ورقاه عند وصوله من القلم الى السيف فجعله اولاً قائد مجلاته السعيدة في سفره الكائن غب وصوله لفاس ثم رقاها الى قيادة القواد عند ولى عهده المولى الامير أبي عبد الله وأنزله معه بفاس ورمى به أغراض الخدمة ببابه فأصاب شاكلة الرمية واضطلع بما دفع الله فحمدت فيه سيرته وحسنت طريقته الى أن طرقة حمامه وهلك عقى الله عنه عن سادس ذى حجة متم عام أربعة وتسعين والى الله المصير رجع ولما وصل أبو العباس وأنهى الى أمير المؤمنين ارتجاع على فى الاسطول من الجزائر وكانت الاجناد على قدم الالهة والاستعداد للسفر أجمع أمير المؤمنين المسير لفاس برسم تفقد احوالها والنظر فى ممالكها واعمالها فخرج من مراكش اوآخر شوال من عام تسعة وثمانين (2) واضطرب معسكره بباب اغمات وتلوم به اياماً ثم ارتحل أوائل ذى قعدة وسار يطوى المراحل حتى اذا اقترب ركابه العالى من فاس خرج ولى عهده الامير أبو عبد الله محمد الشيخ فى اجنادها وعساكرها للقاءه فكان

(1) استسمى السلطان مراد الثالث علوج على وزير البحرية وحسن البندقى باشا الجزائر للتوجه الى الشرق ، وكلفهما بالقضاء على بعض الثورات التى قامت ضد الحكم العثماني هناك ، وحسب الفشتال فقد غادر الجزائر خلال يوليوز أو غشت 1580م . على أن تراجع الاتراك عن غزو المغرب يرجع الى التقارب القوى بين المغرب والاسبان مما يخشى معه تزايد النفوذ الاسبانى فى المغرب ، والى العروب الدامية التى كانت تخوضها القوات التركية فى ايران ضد الصفويين .

(2) شوال عام 989 يوافق شهر نوفمبر 1581 .

الملتقى المبارك على رأس الماء فيجندت الجنود من الجهتين وغص بها الفضاء وكانت ارسال بنى عثمان ملوك القسطنطينية العظمى وارسال طاغية قشتالة حاضرين يومئذ لانتظارهم بفاس ورود أمير المؤمنين فأذن لهم فى ا لسلام يوم التقاء الجمعين فتقدمت منهم للسلام أولا ارسال بنى عثمان لمزية الاسلام وأوصلوا الى امير المؤمنين فى الموكب فقضوا فرض التحية ورجعوا الى موقفيهم ثم أوتى بارسال الطاغية فاقتفوا اثرهم وجروا على فعلهم ووقف الجمع حتى تماكوا من النظر والاعتبار فى جنود الله وكتائب الاسلام وشاهدوا من ذلك ما سر المسلمين وأساء الكافرين ودخل للغد يوم الخميس الاولى من ذى حجة العام فى أضخم زى وأعظم أهبة ولما أراح أيده الله واطمأن به الاستقرار كان أول شىء قدمه من أعماله وبدأ به من مهماته وصرف اليه وجه عنايته وشريف همته بعض الزيادة مما يلي البحر فى الحصن العظيم الطائر الذكر من بنائه بالعرائش المعروف بحصن الفتح لاخطاطه عقب الفتح وبنائه من مقاومه وبسيبه وافتتاح أمر الدولة بتشبيده فى سبيل البر والزلفى ثم نظر ايده الله فى تثقيف أطراف البلاد وادالة بعض ولائها بمن انتصاه من قراب اختياره وعجم عوده بمسبار اختياره من رجاله الذين علم كفايتهم وحسن غنائمهم واضطلاعهم وبرزت التقليدات الشريفة فسرح كلا الى مكانه فتقف بهم الجهات وسد الثغور والمسالج واستوعب \* ص 36

النظر فى أمور الرعايا وفى رفع الظلمات عنهم وبسط جناح عدله عليهم فرتعوا فى ظل معدلته وناموا تحت افياء كفالته ثم نظر فى مخاطبة خاقان صاحب القسطنطينية السلطان مراد خان وايفاد ارساله عليه لما تقرر من سوابق الالفة والمهادات السالفة بينهما وبما كان السلطان مراد خان الاخير منهما فى اتعاف صاحبه بالهدية التى أنفذها مع الكاتب أبى العباس الهوزالى مرجعه من حضرته قسطنطينية الى الابواب العلية الامامية شرفها الله فانلقى أمير المؤمنين للوفادة عليه وحمل رسالته النبوية الكريمة اليه من يحسن الرياسة ويعرب عما فى الضمائر ويدل على شرف مرسله فاعتام لذلك قاضى القضاة بحضرته المشمول بعنايته والمعدود فى خواص بساطه الكريم ومجلسه الشيخ العالم العلامة أبا القاسم بن على الشاطبى وربيعهم الناشئ فى ظل دولتهم الكريمة ومرعى نعمتها الحاج القائد أبا زيد عبد الرحمن بن منصور بن سعيد الشيقمى المريدى فسرحهم أمير المؤمنين فى السفين وتلوم وراءهم بفاس ريثما انصرف فصل الشتاء وازينت الارض بزخرفها ابان الربيع فاضطرب معسكره بظهر الزاوية من ساحة فاس وخرج اليه فى جمادى الاولى من عام تسعين (1) ثم انتقل الى رأس الماء منبعث النهر المنصب لفاس اغترق فى ذلك البسيط من المغرب الى المشرق يشق فاس وتنقسم فيها خلجانه وجداوله المنتحلة لئنازلها ثم يجتمع عند انبعاثه من البلد ويصب على غلوة منها بوادى سبو الجارى مغربا من المشرق الى البحر الرومى فاتخذه أمير المؤمنين دار اقامته ستة أشهر

(1) جمادى الاولى عام 990 يوافق شهر يونيو 1592

وسنة أيام جهز فيها العساكر لفاس فسرح منها أولا مولاه القائد أبا عبد الله حم بن بركة في جيش عرمرم من الاسل والنار الى بلاد الريف والهبط وجبال غمارة لاقتضاء خراجها وتجديد العهد فيها بقواعد الطاعة لاستيحاء طبايع أهلها وسرعة استحالتهم فسارت العساكر في تلك الجهات مسير الشمس حتى استوعبوها سلوكا سهلا وجبالا واقتضى خراجها وبث فيها الطاعة فرست فيهم قواعدها ثم سرح داوود بن علي المزوار من طبقة العمال في حصة أخرى من الجيش الى قبائل أولاد حسين من العرب المعقل لانزعاج خيلهم لما اشتهر عنهم من قطع السبل والعبث في الاوطان فأرجلوا كافة واستقصيت خيلهم الذكران وجنبت كرادس فترقت الاجناد واوطات الدولة أقدامها عرائنهم فنجعوا واستكانوا ثم امتلت عينه أيده الله الى اقليمي توات وتيكورارين وانبعثت عزائمه الماضية الى تجهيز العساكر لتدويخها وانتظامها في مملكته فشجد عزائمه لذلك وأجمع اغزائها بجيوشه وتخير لقودها والزحف بها الوالى كان على بلاد سجلماسة من بعد أبيه عمر بن الصدر الكبير \* الراسخ القدم في الولايات والمناصب النبيهة عن الخلق القائد أبا عبد الله محمد بن عبد الله وانتقاه الامام أيده الله لذلك بما كان قطر سجلماسة محل ولايته مصاقبا للقطريين وركب العساكر اليهما وبعث عنه فوصل لبابه الغالى بمحيمه من رأس الماء ففقد له هنالك على العساكر ونهض فيها من معسكر أمير المؤمنين بين يدي ارتحاله لمراكش بلدى قعدة عام تسعين (1) ووصل الى سجلماسة فتناقل بها حتى انصرم فصل الربيع المعين للركاب على جوب القفر المعترض دون القطريين ثم ارتحل من بعد ذلك وعاج بالعساكر على فجيح وأقام عليها موريا باقتضاء خراجها وشق عليه الزحف لتوات فتلكى يلتمس الوليجة من دون ذلك الى أن تحقق أمير المؤمنين تقاعسه واحجامه عن الزحف الى القطريين فسخطه وسرح اليه منصور بن علي ابن هطهوط من مواليه فتقبض عليه واقتاده الى الحضرة بين يديه مقيدا فتل الى محبسه حتى اقتضى منه ما أنفق من الاموال فى أرزاق الجيش ومؤنة سفرهم ذاك وأوعز أيده الله للعساكر بالرجوع لما عزم على استيناف الابهة من اولها وتجهيز عساكر أخرى الى تلك البلاد حسبما نذكر ان شاء الله فوصلت لبابه وتلوم أيده الله ريثما أمضى هذا العزائم وفرغ من تجهيز العساكر وقللت ارساله من القسطنطينة وكان من خبرهم انه لما وفدوا على القسطنطينة حضرة بنى عثمان وأدوا رسالتهم الى السلطان مراد خان اهتز سرورا من اعداده لمقدمهم ولقاهم مبرة التكريم واختيار النزل والقرى ودار النعمة واستبلغ فى اكرام وفادتهم بما أربى على الغاية وكان

ص 37

(1) قعدة عام 990 هـ يوافق دجنبر 1582

القاضي أبو القاسم صنع له كلاما أعرب فيه عن حق الدولتين وأطرا فيه السلطان وقرر فضل أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وحض على اتحاد كلمة الاسلام واستأذن في أملائه يوم السلام تقدمت بين يدي نجواه فأذن له وصعد به واقفا بمحضر الوزراء فاهتز السلطان لذلك وحن اليه واستنبل فيه أحوال القاضي وحسن تلفظه في الإبانة عن أغراضه واستدل بذلك على شرف مرسله وهمنه في انتقاء أمثاله للسفارة عن أبوابه ووقف السلطان على قدم البر لرسالة الامام أمير المؤمنين واستنبل في تعظيمه واجلاله والاشادة بشرف قدره وسمو مقامه بأن تولى جوابها بخط يده (1) فأعرب في ذلك بما لم يسمع قط عن ملك من ملوكهم الى ملك وعند ما تكاملت هذه الاغراض وانتظمت لمولانا الامام أمير المؤمنين أيده الله أجمع المسير لمراكش ففوض الى ولي عهده المولى الامير أبي عبد الله محمد الشيخ المأمون دامت سعادته في أمور فاس وممالكها لايفاته على ثنية النجابة وسن الاستقلال وبما كان الخليفة \* الامام طول مقامه على رأس الماء

بمحلاته السعيدة يجلسه لصق أريكته وحناء سريره أيام الديوان المتعاهدة لانتياح باب السلطان وتناول أمور الملك بالابرام والنقض والحل والعقد حتى حفظ السيرة وتملا من اصول السياسة وقواعد الملك وربما دفعه أمير المؤمنين خلال ذلك للنيابة عنه في المظالم والاحكام ابتلاء وترشيحا آونة بمقعد سلطانه وأخرى بالانتصاب لها في فسطاطه هو وديوانه فيجلى في ذلك ويمضى قدما في مذاهب الاضافة وجرت الاحوال على ذلك طول مقام أمير المؤمنين على فاس حتى استنبل أغراضه فيما دفعه الله ووثق بكفايته وحسن اضطلاعاه وقرت عينه بصدق فراسته فيه للاسلام فرمى اليه حينئذ بمقاليده الامور بفاس وألقى في يده زمامها ودفعه الى تدبير الملك والسياسة بها وصرف نحوه وجوه جندها ورعاياها وأفرده بالنظر في ذلك وأطلقه من أسار الاشراف والمراقبة التي كانت عليه أيام صغره لكبير الدولة ابي اسحاق ابراهيم السفيناني وارحله عنه أمير المؤمنين الى الحضرة وجعله قائد القواد وكبير الخاصة ببابه وعقد له على بلاد تدلا فاستناب بها من دونه الى أن عزله الامام عنها بابنه المولى الامير زيدان وأدال له بدمنات حسبما نذكر ان شاء الله تعالى عند قسمة الاعمال بين الامراء بين الخليفة الامام ولما كان يوم ارتحال أمير المؤمنين لمراكش خرج الفقهاء ومشيخة العلم والطلبة من المدينة وقرى البخارى سردا في المصحف بين يدي أمير المؤمنين على الرسم المتعارف في ذلك عند الخلفاء رضوان الله عليهم عند ارادة الاسفار وودع الناس وقوض الركاب

ص 38

(1) يؤكد هذا ما أورده صاحب مخطوط (نصرة أهل الإيمان بدولة آل عثمان) من أن السلطان مراد الثالث كان يصن اللغة العربية . (نصرة أهل الإيمان) مخطوط بدار الوثائق بالرباط رقم 527 وهو لمحمد البكري .



فثنى المولى الامير أبو عبد الله الشيخ عنانه لفاس محل امارته وأعمل المولى الامام الخليفة  
أيده الله المطية لدار الخلافة مراکش فاحتل بها أواخر ذى حجة متم عام تسعين (1) ثم  
كان من تجهيز العساكر على تفتة ذلك الى توات وتيكورارين على ما نذكر ان شاء الله  
تعالى .

ثم وصل (2) عام تسعين (3) رسول صاحب مملكة برنوا من ملوك السودان وجلب  
فى هديته ما جرت عادتهم أن يجلبوه فى مهاداتهم من فتیان العبيد والاماء المختلفة  
الاسنان وكان من ذلك عدد كثير ناهز المثين واقى أمير المومنين المنصور أيده الله  
بمعسكره على رأس الماء من ناحية فاس وكان يوم سلامه يوما مشهودا حسنا وفخامة وأبهة  
وجلالة وجلس لهم أمير المومنين أفخم جلوس بالفنتين التوأمتين المضروبتين أمام السياج  
المحيط بقباب الخلافة بأفراك واستوقف الموالى والماليك \* سماطين من التوأمتين الى القبة  
العربية ثم منها الى فسطاط الجلوس المعروف بالديوان ثم منه الى باب المعسكر القبلى  
فغودى بالرسول يخترق السماطين حتى أنزل بالديوان وكان الملا من أكابر الدولة وصدور  
المملكة جلوسا به وكرسى الامامة وسرير الخلافة منصوب به واماط الامامة الكريمة  
ممهدة وأوطيتها مبسوطة والمهابة قد أخرست اللسن وخشعت القلوبو الابصار فجلس  
الرسول هنالك مليا ثم غودى به على سبيل الترقى الى القبة العربية فتلبث بها ريثما  
جاء الاذن الكريم بايصاله الى مقر الامامة الكريمة العلية أعلى الله منارها وخلع على  
أقطار الارضين أشعتها الساطعة وأنوارها الباهرة فغودى به الى التوأمتين فمثل بين  
يدى أمير المومنين وشرف النظر الى طلعتة السعيدة والاقتباس من أنوارها النبوية  
فأدى الرسالة وقضى فرض التهنية وسنة الهدية وأعرّب عن مقاصد مرسله فى الاعتراف  
للامامة الكريمة الى معسكر ولى عهد الخلافة العلية وسليل الامامة النبوية تاج الاسلام  
وكافل الامة ان شاء الله من بعد الامام المولى الامير أبى عبد الله محمد الشيخ وكان لصق  
معسكر أمير المومنين والده أيده الله وأدام للاسلام ظلهم الوارف فأشرف الرسول على  
دنيا أخرى وأبهة مدهشة ومثابة هائلة فوقف موقف الحيرة واستدرج الى أن وصل  
لولى العهد وقد قعد له بقسطاط جلوسه أفخم قعود فحى وفدى وهنى وانصرف الى  
موضع منزله ودار كرامته بالقصبة من فاس البلد القديم فاستتر عليه من النعم ما لم يكن  
له فى حساب وكان من أغراض الرسالة التى التى أنفله فيها سلطانه طلب المدد من أمير  
المومنين بالعساكر والاجناد وعدة البنديق ومدافع النار لمجاهدة من يليهم زعموا بقاصية

(1) حجة عام 990 هـ يوافق يناير 1583

(2) الانتقال الى صفحة 16 .

(3) استقبال المنصور سفارة برنو بضواحي فاس عام 990 هـ / 1582 وذلك اثناء زيارته الاولى لمدينة فاس .

السودان من الكفار (1) وكان قد أوفد من قبل ذلك رسوله هذا على سلطان بلاد الروم  
والشرق ووصل الى حضرته بالقسطنطينية يسأل منه الامداد بما طلب فأخفق لديه مسعاه  
ورده خائباً فأوفده اذ ذاك على أمير المؤمنين يشجده منه أجناده الامامية بالمغرب ثم لما  
عرض كتابه على أمير المؤمنين اتفق أن وقع بينه وبين كلام الرسول اختلاف بين وتباين  
واضح فكان الذي دل عليه الكتاب خلاف ما دل عليه كلام الرسول جر اليهم ذلك توغلبهم  
فى الجهل والغباوة وعدم من يحسن الاعراب عن مقاصدهم والابانة عن أغراضهم من قرسان  
الانشاء والكتابة لطموس معالم العلوم على الجملة ببلادهم وقارن ذلك ما كان من احتفال  
أمير المؤمنين وعزمه من قبل مجيء الرسول على تجهيز العساكر التى أنفذها كان عامد  
الى تدويخ بلاد توات \* وتيكورارين وأمل أن يجعلها ركاباً الى استفتاح أقطار السودان  
والاستيلاء على ممالكهم التى أوطاها من بعد ذلك عساكره وصارت فى ممالك المالى عظيم  
السودان الى أن وردن بحر النيل على مائة مرحلة حسبما يأتى التعريف بذلك ان شاء  
الله فى محله وصمم الى ذلك أيده الله عزمه وجعل أمره قصده وهمه لما يعلم لنفسه من  
كمال القدرة عليه بما لاح له من شواهد التأييد الربانى والظهور وتضافر لديه من  
دلائل السعادة والاقبال وتوفر له من عز السلطان وقوة العساكر والاجناد وانتظام  
الممالك ورسوخ الدعوة واتصال الكلمة فى أقطار المغرب فاغتنم لذلك اختلاف الرسول  
والرسالة وبنى عليه فاعتل به على صاحب برنوا ورجع اليه رسوله وكافاه معه بهدية  
من عتاق الخيل وخلعة شرفه منها باللبس النبوية ولما وصل الرسول وألقى المعصرة  
الى سلطانه استأنف الهدية وأعرب اذ ذاك عن قصده ومراده ورد الرسول ثانية الى  
الابواب العلية المشرفة فوافق أمير المؤمنين بحضرته العلية مراکش دار الخلافة فأزاح  
اللبس وبين الغرض فصدع لهم أمير المؤمنين حينئذ أيده الله بكلمة الحق والدعاء الى التى  
هى أقوم وطالبهم بالمبايعة له والدخول فى دعوته المباركة النبوية التى أوجب الله عليهم  
وعلى جميع العباد وأقطار البلاد الانقياد لكلمتها المؤسسة على تقوى من الله ورضوان  
المبئية على أساس الشرع وأوثق قواعد الايمان وقرر لهم بلسان السنة الناطق بين  
الكتاب المنزل على جده الصادق المصدق عليه أفضل الصلاة وأزكى التحية أن الجهاد  
الذى ينتحلونه ويظهرون الميل اليه والرغبة فيه لا يتم لهم فرصة ولا يكتب عمله ما لم  
يستندوا فى أمرهم الى اذن من امام الجماعة الذى اختص الله اليوم أمير المؤمنين أيده الله  
بوصفه الشريف وصرف اليه بذلك كقالة الامة ووراثة الارض وثرات النبوة والرسالة

ص 18

(1) يعتبر الخلاف الذى حصل بين الامارئين المسلمين السودائتين برنو وكانو بسبب تضارب النفوذ  
والصالح فى بلاد الهوسا الفاصلة بينهما من أهم البواعث التى دفعت الامير ادريس الثالث الى طلب  
المساعدة العسكرية من المنصور.

وفلده بها حماية بيضة الاسلام لما اختصه به تعالى من شرف الشرف و آتاه من كمال الكمال وفضلته على جميع أولى الامر والسلاطان من ملوك الارض بالنسب الفرشى الذى هو شرط فى الخلافة باجماع من علماء الاسلام وائمة السنة الاعلام وورثة الانبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام وألزمهم أيده الله القيام فى أقطارهم بدعوته ومجاهدة أعدائهم الكفار بكلمته وعلق لهم أيده الله الامداد على الوفاء بهذا الشرط فالتزمه الرسول وزعم ايضا عن سلطانه بالقبول والاجابة فودع وانصرفا وما لبث أن رجعه سلطانه الثالثة وحمله الهدية والرسالة وخاض القفار لدار الخلافة فوصل الى تيكورادين ثم اعترضته هناك منيته فاعتل وهلك واشخص أولو الامر بتيكورادين الهدية صعبة رفقاء الرسول من عند سلطانه فوصلوا بها الى حضرة امير المؤمنين بمراكش وكان الرسول قد حمل معه فى الرجعة الثانية من الابواب العلية الى بلاده نسخة البيعة الكريمة التى \* شارطهم عليه امير المؤمنين بما كان سال كتبها واستصحابها معه ص 19 مخافة الاخلال ببعض شروطها لما قدمنا من غلبة العجمة والجهالة على القوم وكانت من انشاء مؤلف الكتاب ونصها الحمد لله الذى رفع لكلمة الحق منارا يسامت فى مطالعها الكواكب والنجوم وازاح بها عن شمس الهداية المنيرة غياهب الغباوة المدلهمة وسحاب الغواية المركوم وحي على الفلاح بها داعى التوفيق الذى نشر للنجاح كتابه الموقوت واستنجز للسعادة اجلها المعلوم وشرف هذا الوجود والعالم الموجود بالخلافة النبوية والامامة الحسنة العلوية التى صرفت الوجوه الى قبلتها المشروعة واستبان الحق التبلج الصباح فى مبايعتها والانقياد لدعوتها المسموعة وكلمتها المتبوعة ونسخ بدولتها الفراء دول الحيف التى هى بسيف النبوة المصلوت مقطوعة وبلسان السنة مدفوعة وقوض بها مباني الادعاء التى هى على غير أساس الشرع الصحيح مرفوعة وفرق بكلمتها المجموعة على التوحيد فرق التثليث التى هى على مشاققة الله ورسوله متابعة ومجموعة وخلع بظهورها على العطف الحنيفية السمحاء رداء العز الفضفاض واستل بتأييدها للدين المحمدى سيف الانفة والحمية والامتعاض و اشار للاعادي من بأسها المروع الحية النضناض وفجر للمؤمنين ينبوع رحمتها الجارى على حصى عدلها الرضراض ومهد بسيوفها المنتضات الافاق والاقطار تمهيدا ازال عن حكمه الاعتراض وجلى بانوارها النبوية المتألقة سدف الجهالة التى ادلهم جوها وغيم واسعد الوجود بيمينها الذى لبث فى اكناف مجدها وخيم وقضى لها بتوارث الارض ومن عليها ان شاء الله الى عيسى بن مريم والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذى تعاضدت البراهين القاطعة على صلح رسالته البارعة ونهج للدين القويم طريق الحق المثلث وجادته الشارعة وسوغ لمن آمن به مناهل الهدى النميرة الزلال وموارده العذب ومشارعة وانتقى لعز الملة السيوف

القارعة لطلا الشرك والضلال وما ادراك ما القارعة واطلع لشرائع الاسلام شموسا لانزال انوارها في سماء الايمان به ساطعة. نبي الرحمة ونبوة الخلافة النبوية التي بسقت بالمجد والعلو افنانها وازهرت بالنعمى الدانية القطار اغصانها اليانعة وجرثومة الامامة العلوية التي هي لراية سنته الخافقة تابعة وعل موطنه في الاقوال والافعال واقعة وعل حدوه في كل حالة من الامور واضعة وعلى ءاله بدور العلى السافرة وشموس الهدى الباهرة وسيوف العد الباترة واسود الشرى القاهرة ومركز الشرف الاصيل ونقطة دارته الدائرة واصحابه ليوث المخافر وحزب الله الوافر وحتف \* الفاجر والكافر وجيش النصره الظافر وانصار الملة الموصولة الاواصر وحماة الدين السيوف البواتر واعلام الدين الذين سيدوا بمنافهم البوادى والجواضر والدعاء لمولانا الامام الخليفة امير المؤمنين ابن مولانا امير المؤمنين نجل سيد المرسلين وخاتم النبيين وسليل الوصى والسبطين وفخر الخلفاء الاولين والآخرين المفترض طاعته على الخلق اجمعين بنصر يتخلل به امره المشروع وحكمه المسموع زوايا المعمور وتعتقد به راية الفتوحات على قناة العدل الذى تدور عليها الامور ويعشوا الى نور سراجها الوهاج الخاصة والجمهور وفخر يتحلى به اجياد المتابر والاسرة وظهر تعمر به البشائر والتهاى سوق المسرة وتطرد به لصنع الله الجميل العوائد المستمرة وسعد رائق الحجول والغرة واقبال لا تزال مباسم الزمان عن سنه مفتره وفضله وكرمه وطوله وبعد فانه لما اذن الله فى ليل الجهالة ان ينجاب وفى شمس الحق الوهاجة ان يرتفع عنها الحجاب وفى العز الخلق الجلباب ان يعود الى الشباب وفى النجاح والاستقامة ان يفتح لهما باب وفى الامارة ان تستند الى السنة والكتاب وتتعلق من الشرع باسباب تدارك الله سبحانه الوجود واعز العالم الموجود استطارت الانوار المضيئة للاغوار والنجوم بطلوع شمس الخلافة النبوية والامامة الهاشمية العلوية ففاضت على اديم البسيطة انوارها وارتفع الى حيث السهى والفرقد منارها وتبلج بالاصباح نهارها ولاحت فى سماء المجد بلورها واقمارها وكابرت شهب السماء اتبائها وانصارها وانتشرت فى الآفاق والاقطار على البعد والقرب آثارها وهزت عطف الزمان انتشاء مناقبها الشريفة واخبارها وفض ليركتها على اكناف المعمور يمها الزاخر وتيارها خلافة ينتمى الى النبوة عنصرها وتستنبط من رسالة الوحي اسطرها ويناط بعروتها الوتقى دسترها وامامة على وليها والله نصيرها والسبب بدرها الذى حياه منبرها وسريرها والحمد لله الذى اصطفى من هذه الروضة النبوية السماء والشجرة الطيبة الهاشمية العلوية التى اصلها ثابت وفرعها فى السماء اماما القى له فى القلوب حبا جميلا وولاء جعله على مرضاته سبحانه علامة ودليلا وخليفة استرعاه فكان يحسن الرعى لخلقه وعباده كفيلا وانتضى من بأسه

وبسألته لحماية حمى الشريعة حساما صقيلا مولانا امير المؤمنين وخليفة الله فى الارضين وسليل خاتم النبيين ووارث الانبياء والمرسلين المفترضة طاعته على الخلق اجمعين والممنون بامامته المقدسة على العالمين بحر الندى والبأس وعصمة الله للناس وشهاب اليوم الخماس امير المؤمنين المنصور بالله مولانا ابا العباس صلوات الله عليه وعلى آله الخلفاء \* الراشدين والائمة الطيبين الطاهرين وطيب بانفاس المغفرة لحدودهم اجمعين امام تهتز لذكره اعطاف المنابر وتتقلد من شريف دعوته ابهى من نفيس الجواهر وتستضىء البلاد باكليل شرفه الزاهر وتسكن العباد تحت ظل رحمته الوارف الوافر ابقى الله ايامه الغر بقاء يستصحب النصر دوامه وخلد له ولاعقابه هذا الامر الكريم الى يوم القيامة ولما طلعت ايدى الله على هذه الاصقاع الزنجية طلائع امامته النبوية وخلافته ولاحت فى سمئها شهب مناقبه المنيفة الدالة على فخامة شرفه ونافته وتليت لمجده الآيات المبينات التى تشهد له بثرات الرسالة وتقضى له على الاسلام وعلى الانام بحكم الولاة والكفالة واوضح الله سبحانه للناس من اعتقاد وجوب طاعته والاعتقاد بامامته والانقياد لدعوته وتقليد بيعته ما جاء به كتابه الحكيم ووردت به سنة نبيه الكريم كما قال عليه السلام لاتزال فى قریش ما بقى منهم اثنان وكما ورد فى صحيح الخبر ان الخلافة فى قریش والقضاء فى الانصار وفى الحبشة الاذان واذا على هذا تعاضد الخبر والعيان فلا ناكر ان ليس فى المعمور على هذا الشرط ايدى الله من ثاب فنهض بدليل الشرع انه امام الجماعة حقا المستوفى شروطها والسوارث للخلافة النبوية الحريص على بيضة الاسلام ان يحوطها وان القائم بهذا الامر على الاطلاق غيره دعى ومحاولة دون اذنه المشروع بدعى فتعين لذلك ان الرجوع الى الحق فريضة واستبان بما تقرر وعلم أن امارة لا تلاقى فى الشرع محلها المشروع منبوذة ومرفوضة وعروتها لذلك مفصومة ومنقوضة فانتدت لهذه الآثار وصحيح الاخبار وصرف الى رضى الله العناية ووقف مع الشرائع المشروعة حيث مركز الراية ومنتهى الغاية الرئيس ابو العلاء ادریس اكرمه الله انتداب من وقفت به مطية التوفيق على حضرة الاخلاص والتصديق واخلت بزمامه السعادة الى حيث الفوز برضى الله ورسوله حقيق والتأييد صاحب ورفيق وروض الآمال انيق وراح الراحة والاطمئنان عتيق الى تقليد بيعة امام الجماعة مولانا امير المؤمنين المنصور بالله زاده الله قدسا وتشريفا التى تتأسس ان شاء الله على تقوى من الله ورضوان وتشهد عقدها الكريم المبارك ملائكة الرحمن وآثر أسعده الله أن يؤدي فرضها المعلوم من فروض الاعيان وحكمها الذى توجه به خطاب الشرع العام الى القاصى والدان وينشر سنتها المشروعة فى صقعها وما يليه من البقاع والاصقاع بالسودان تقليدا يستضىء ان شاء الله بانواره ويستشرفا للعرز المكين به على

مناره ويخمد به للجهل جنوة ناره ويتنظم به في اتباع الحق انصاره ويجتلي به صوره  
انسانه ويستوجب به من الله عوارف صنعه واحسانه ويرهف به \* للعون على العزمات  
حد سيفه وسنانه ويقرع به لرضى الله باب القبول ويتضاعف له ببركته العمل المقبول  
ويستششق بمشهد عقده الكريم نواسم النبوة ويعود له به الزمان للشباب والفتوة ويرفع  
به منار الامارة على قواعد الشرع لوثيقة ويعدل به في كل الاحوال عن المجاز الى  
الحقيقة وتتسنى له به وهى المقصد الاسنى والخاتمة الحسنى الاسوة الحسنة بامامى  
بنى العباس السفاح والمتصور ويحيى سنتهما التى نقلها ثقة الاعلام والصدور فى مبايعتهما  
الخليفة المهدي الاكبر سليل زين الدين وجد مولانا امير المؤمنين التى رأى امام دار  
الهجرة انه بشرات الخلافة النبوية ساعتئذ اولى واحق وفى منصب الامامة على شرطها  
أعرق وبسريرها ومنبرها اليق فتأكد للمنتدب اكرمه الله بهذه الاثار الشريفة والمنقب  
المنيفة العزم والقصد وانجز له فيما نواه وأراده الوعد وساعد نيته الصالحة فيه السعد  
قبايعه أعلى الله يده على الامن والامانة والعفاف والديانة والعدل الذى يشيد للمجد  
اركانه مبايعة شائعة على عقدها الكريم اكرمه الله اتباعه وجموعه واشياعه بحكم الوفاق  
والاتفاق والمواثيق الشديدة الوثاق وبجميع الايمان الصادقة الايمان اعطوا بها صفقة  
ايديهم ورفع بها العقيرة مناديهم عارفين ان يد الله فيها فوق ايديهم وامضوها على  
السمع والطاعة والانتظام فى سلك الجماعة امضاء يدينون به فى الجهر والسر واليسر  
والعسر والرخاء والشدة والازمات المتشددة والتزموا شروطها طوعا واستوعبوا اصلا  
وفرعا واستوفوها جنسا ونوعا بنيات منهم خالصة صادقة وعدة من الله لهم بالخير  
سابقة وسعادة بالحسنى لاحقة ابرموا عقدها واحكموا عهدا على حكم السنة والكتاب  
والجماعة والاخذ بسنتها اعقابا عن اعقاب واحقابا اثر احقاب الى يوم القيامة واقتراب  
الساعة لا يلحق عقدها الكريم فسح ولا يعقبه بحول الله تعالى نسخ ولا يتطرق اليه  
نقض ولا نكث ولا يشوبه بشوائب الشبهات بحث واجمع على هذا أسعد الله بالمواثيق  
المستحفظة والايمان اللازمة المغلظة هو واتباعه اجماعا شرعيا وحثموه على انفسهم حتما  
مقضيا واعتقدوه اعتقادا أبديا وعرضوا على التزامه بمشهد عقده المبارك فرادى وازواجا  
وزمرا وافواجا واشهدوا على الوفاء به بايمانهم الصادقة البرور ومواثيقهم الثلجة  
الصدور بالله الذى لا اله الا هو الملك القدوس العليم بالخفيات والخير بأجال  
الوفيات وجميع الرسل الكرام والانبياء وملائكة الرحمان فى الارض والسماء وعلى أنهم  
ان حادوا عن هذه السبيل وانقادوا لداعى التحريف والتبديل فهم براء من حول الله  
وقوته وعصمته ومستوجبون لغضبه وعذابه وسخطه ونقمته وبعاء من رحمته ومن \*  
شفاعة نبيه الكريم يوم القيامة لامته وانهم خالعون لربقة الاسلام وخارجون عن سنة

الرسول عليه السلام اعلنوا بهذا اعلانا يعضده النجوى وادوه بشروطه الجارية على مذاهب الفتوى واحكامه اللازمة لكلمة التقوى استرضاء لله وللخلافة النبوية والامامة العلوية ورياضة للنفوس على بيعتها المباركة النقية واستيفاء لشروطها واقسامها الواجبة والمستحبة والمندوبة مستسلمين الى الله بالقلوب الخاشعة ومتضرعين الى بابه الكريم بالادعية النافعة في أن يعرفهم خير هذا العقد الكريم والعهد العظيم بدءا وختاما وان يمنحهم بركته التي تعمهم حالا ودواما لا رب غيره ولا خير الا خيره اشهد على نفسه بما فيه وعلى اتباعه من شهد بهذه البيعة المباركة والتزامها والوفاء بشروطها واحكامها النسب الرئيس ابو العلاء ادريس اسعده الله واكرمه وفي تاريخ كذا(1)

(2) ذكر استيلاء العساكر على قطرى توات وتيكورارين واستفتاحها بالسيف عنوة

هذا الاقليم المفرع الى قطر توات وهو اوسع وطنا وافسح مجالا واقرب للسودان اتصالا وجوارا والى قطر تيكورارين وهو اعظم اشتهارا واعرف نقيا واشد شوكة واخشن جانبا واعظم اقاليم المغرب واكثرها امما وافسحها خطة انتظم عرانه واتصلت نخيله وتراصفت قصوره على مسافة ثلاثين مرحلة أو أكثر وقد ألم الامام ابن خلدون في كتاب العبر بذكر تيكورارين عند الكلام على المغرب \* الاقصى وامه فقال وفي شرقي تسابيت الى ما يلي الجوف قصور تيكورارين وتنتهى الى ثلاثمائة أو أكثر في واد واحد يتحدر من المغرب الى المشرق وفيها أمم من قبائل ذناته انتهى قلت وتقدير ابن خلدون عمران القطر وقصوره بما ذكر تقريبا لاتحريير يشهد بذلك العطف بأو الشكية من قوله أو أكثر والا فالذى يدل عليه خبر من لقيناه بالابواب العلية من وفد البلاد واجنادها ان ذلك اكثر مما ذهب اليه ابن خلدون باضعاف الا ان يكون قد قصد فيما ذهب اليه تيكورارين دون توات بدليل سكوته عنها فلا يبعد عن الصواب والله أعلم وبالجملة فالقطران عالم من عوالم الارض واقليم من اقاليم الدنيا بما جمع من الامم وتراكم فيه من القصور واتصل من العمران وتخلله من العيون ذات الابار والنخيل المرخى على اكنافه جناحا من الليل الدامس وكانت الملوك المغلوبون في القديم والحديث على ارضهم وممالك سلطانهم يلجئون اليه عند تجهم الزمان وتلون الدهر وعثار الجد لبعده عن مثال الجيوش والعساكر بما حف به من جميع الجهات من عروق الرمل ومهامه القفر التي تضل بها القطا وتغمرها بحار من الرمل لا تقطعها ذوات الجناح حتى صار بذلك جزيرة في فلاة من الارض لا تهتدى اليها سوا في الرياح فاما من لجا اليه من الملوك

(1) كتبت البيعة غالبا بعد عودة المنصور الى مراکش اى في اواخر عام 990 او مطلع 991/1583

(2) الانتقال الى صفحة 38 .

فالسُلطان ابوجم (1) من بني زيان ملوك المغرب الاوسط من بني عبد الوادى لما غلبه بنو مرين لعهد السلطان عبد العزيز بن ابي (2) الحسن منهم على ملكه وشردوه من تلمسان من بعد أن وقعت به عساكرهم اولا بالدوسن آخر عمل الزاب من جهة المغرب وثانيا بساحة تلمسان مجلبه عليها عند انتياد العساكر عنها فاستأصلوا بذلك شافة جموعه من الجند والعرب وسبوا حرمه واستاقوا ظمئه وتلاشى امره فنجى بنفسه الى تيكورارين واقام بها الى أن هلك السلطان عبد العزيز ورجع بنو مرين القهقري لفاس فطير اليه النجيب اولياؤه من العرب فأغذ السير الى تلمسان فعاود بها سلطاناه واقتعد اريكته وكانت احلى القرائب واما من الخلفاء فالمولي ابو العباس أحمد (3) الشريف أمير المؤمنين رحمه الله لحق بها وبنوه ومن تبعهم من حاشيته على حين ما اقصاهم الامام صنوه رضى الله عنه من بلاد سجلماسة التي امتن بها عليهم كان عند استقلاله بالدعوة الكريمة ومغالبتهم على كرسى الخلافة بمراكش فلبثوا بها الى أن اسفوه بمظاهرة بنى مرين اعدائه واتصال اليد معهم على محاربتهم وتجهيز المدد مع المولى الامير زيان لاستنقاذهم من يده ايام جثومه عليهم بظاهر فاس محاصرا لهم الحصار الطويل واجلابهم ايضا في مغيبه بالعساكر على الفائجة من اعمال الحضرة ليشغلوه \* من ورائه ويأخذوا بحجزته عن حصار بنى مرين لما كان بينهم من العهد على ذلك فاحفظه شأنهم وشردهم بذلك عن سجلماسة الى القفر فلحقوا بتكورارين واقاموا بها الى أن كان من اجلاب عرب اليمن اهل مجالاتها عليهم باغراء الامام والسياب احوالهم الى حين القبض عليهم وخمود ذبالتهم باستئصالهم ما ذكرناه مستوعبا في محله وبقي هذا الصقع منتبذا عن الدولة لانحصار تيارها عنه لشغل الامام رضى الله عنه بفتح المغربين حتى استكمل تمهيدها فجهز اليه العساكر لنظر القائد ابي عبد الله محمد بن عبد الوالى كان على سجلماسة وبينما هو منازل بلاد توات منه اذ ورد عليه الخبر بموت الامام (4) رضى الله عنه فافرج عنها وانقلب الى المغرب من قبل الحصول على طائل منها ولقد خلفه من بعد

س 40

(1) ابو جهم موسى بن عثمان : من ملوك بني زيان حكم خلال الفترة (697 - 718)

(2) ابو فارس عبد العزيز بن ابي الحسن المريني حكم بين (767 - 774)

(3) ابو العباس أحمد بن القائم بأمر الله المعروف بالاعرج ، يبيع ماسكا على سوس عام 916 هـ الموافق 1510م وقد نظمت في عهده المقاومة المسلحة ضد البرتغال بسواحل سوس وحرز السعديون تحت قيادته انتصارات عسكرية ضد الغزاة المحتلين كما تغلبت مراكش عاصمة للدولة السعدية الناشئة بعد الاستيلاء عليها عام 1525 م وبعد انتقال الاعرج الى مراكش ترك اخاه محمد الشيخ نائبا عنه في سوس حيث اهتم بمعاربة البرتغال الى عام 1541 م وهي السنة التي حدث بها خلاف بين الاخوين أدى الى حروب مسلحة بينهما دامت عدة سنوات وانتهت بانهزام الاعرج عام 1544 والتجانه الى الصحراء الا أن الشيخ تمكن من القضاء القبض عليه وسجنه وعندما اغتيل الشيخ من قبل الاتراك 1557 تم تنفيذ الاعدام في الاعرج وابنائاه .

(4) اغتيل المولى محمد الشيخ من قبل الاتراك عام 964 هـ الموافق 1557م



الامام عن تناول لما لم تصل اليه دعوته الكريمة ترضى بالسهل واحرار المخلف وربما تنبعت بعض الاحيان عزائم الغالب بالله منهم الى تجهيز العساكر نحوه فيشغله عن الالتفات الى اضداد الدولة وحذار مغبة مفيب العساكر عن المغرب وخلاء جوه منهم والنظر الى ما يستدعيه جوب الففار وطى الشقة البعيدة من كثرة الظهر ومؤن الاسفار البعيدة شاغل يأخذ بحجزته فتتعل عزائمه ويتفادى من ركوب الخطر فى ذلك جنوحا الى العافية وتجاфия عن التهاك فى طلب العن والظهور الى أن جاء الله بالفعل الذى لا يقدر انفه والهزير الذى لا يصد عن فريسته صقر قريش والحية الذكر من هشام مولانا الخليفة الامام العالى الكعب امير المؤمنين المنصور ايدى الله فطوى الارض ومهد الدنيا وزلزل قواعد الشرك ونهض بالدولة حتى استفحلت لعده وبلغت الى اشرف نصابها فاستطال جناحها واتسع نطاقها وضاعت حواصل ممالكها وثنورها القاصية والدانية بما تراكم فيها من الجند وتوفر من الحامية فامتلت عينه لذلك الى فتح الاقطار وتجهيز البعث تحت راياته المنصورة الى الآفاق الشاسعة لانتظامها فى مملكته والدعاء الى التى هى اقوم من طاعته والدخول فى دعوته الكريمة التى اوجب الله عليه بثها ونشرها وعمل الخلق الانقياد لشريف كلمتها وامرها بما اوتى من امرة المؤمنين وامامة الجماعة ووراثة الارض ولما كان صقع بلاد توات وتيكورارين من دون سائر الاقطار القاصية بالمحل القريب من جواره رءا ايدى الله أن يبدأ أمره بافتتاحه ويجعله ركابا لما وراه وسلما لما يليه فجهز العساكر اولا وسرحها اليه من فاس مع عمر بن محمد بن عب الوالى كان على سبجلماسة فكان من تناقله ببلاد فكيك واجمامه عن الوصول الى البلاد وسطو امير المؤمنين به \* واعتقاله حتى افتدى بما انفق من الاموال على الاجناد ومؤنة الاسفار ما قدمنا ذكره ثم استأنف امير المؤمنين ايدى الله الالهة ثانيا فجهز العساكر من الحضرتين مراكش وفاس وعقد على حصة فاس منهم لمولاه الوالى كان على مكناسة لنظر اميرها المولى أبى فارس بن الامام القائد أبى عبد الله محمد بن بركة وأوعز اليه باستنفا عساكرها معه أيضا من الرامحة فاهطعوا لداعيه ونهضوا صحبته خلفا وثقالا لرضاهم عن حسن سيرته فيهم فحسن لذلك بالأوهم معه فى الحروب وعقد امير المؤمنين على حصة مراكش للقائد ابى العباس احمد بن الحداد العمري المعلى من صنائعهم وجعله أسوة مولاه ابن بركة فى تدبير الحروب دون الخراج ونهضوا جميعا فى عام احدى وتسعين(1) وضربوا موعدا للقاء بسبجلماسة فتوافقوا بها جميعا وزحفوا الى البلاد وخاضوا القفر نحوها فى عساكر ضخمة اهتزت اطار السودان لصيتها وداخلهم الرعب منها ووصلوا الترحال ويمموا

ص 41

(1) عام 991 هـ يوافق 1583 - 1584 .

تيكوراين من قبل توات بما كانت احد شوكة واصلب عودا واعتملوا تينميون منها قاعدة قصورها وأم قراها فتزلوا عليها لسبعين مرحلة من مراکش دار الخلافة وكانوا قدموا الى أهلها كتب امير المؤمنين بالاعذار والبراعة والدعاء الى الطاعة والارشاد الى الدخول في حزب الهدى فاساءوا الرد ولاذوا بالمنع واستعدوا للحصار وسولت لهم نفوسهم القدرة على الدفاع وجعلوا أكبر معولهم على تينميون مقر الملوك الملتجئين اليها ومحل أولى الامر من ولاتها والرؤساء من أهلها فارتحل اليها كل من يليها ويجاورها من القصور والقرى وشحنوها بالمقاتلة وكان نزول العساكر عليها للزوال من يوم ( ) (1) ولم يكونوا عولوا يومئذ على الزحف الى حربها حتى يريحوا ويبنوا عليها بمقاعدهم للقتال من الغد فتفرق الاجناد لذلك في حاجاتهم من بعد ضرب الابنية ومر بعض الرماة بساحة البلد وكان أهلها بالمرصاد لانتهاز الفرصة فيمن ينفرد منهم عن العساكر حتى اذا حاذوهم انقضوا عليهم من مكانهم فهيجوا منهم على أنفسهم أسودا ضارية وعقبانا تقتنص الارواح وتبارى الرياح فزحفوا اليهم حينئذ من ساعتهم واحدقوا بهم في معتصمهم ونصبوا عليهم مدافع النار وقد كانوا استجروها اليهم من الحضرة وزجروهم بحصى السماوى منها والحواء بالحرب على اسوارهم ودلفت اليها الاجناد وتنادوا بشعار النصر ونهاقوا على البلد المحروب نهافت الفراش واعدت رعود النار من كل جهة فارسلوا عليها شأبيب الرصاص واطبق عليها ليل ديجوجى من البارود وتبوا الرجل \* ص 42

مقاعدهم للقتال لصق الاسوار والفرسان تحوم حولها حوم العقبان على الفريسة وحمى الوطيس وضجت الارض من صواعق النار الموقدة وابلى القوم في الدفاع من وراء الجدران وامتنعوا من القاء اليد فاذاقهم العساكر نكال الحرب وساموهم سوء العذاب من النار الموقدة وارسال الصواعق عليهم عامة يومهم حتى توارت الشمس بالحجاب فوصلوه بالليل ولم تمض منهم طائفة حتى اقتحموا عليهم البلد غالبا وتناولتهم السيوف وانطلقت ايدي العساكر بالنهب والعيث في المنازل حتى ارتفع النداء بالامان او الابقاء على من تخظاه الاجل فسكنت الهيعة وتقبض على رؤساء البلاد واعيان القصور الملتجئين اليه عند الحصار فتلوا الى محبسهم وانقاد بانقياد تينميون سائر قطر تيكوراين واتوا طاعتهم راهبين مما نزل من الخسف باحيائهم المحاصرين الا الفريق الاقصى من الشط الظهراني انكمشوا في قصورهم وانقبضوا عن القاء اليد للطاعة فأمل لهم القواد اعدارا اليهم واقامة للحجة عليهم واعرضوا عنهم فبث القائد ابو عبد الله بن بركة عماله في البلاد فاقتضوا له خراجها وحملوا اليه جبايتها فزحفوا الى قطر توات واعتمدوا منها

(1) يوجد بياض بالاصل .

تمنيط قاعدة قصورها ولدة تينميون وقرعتها في العصابة والرياسة وكان شيخا ورئيسا والمرجوع الى كلمته في سائر قطر توات الشيخ عمر بن محمد بن عمر بن عبد الرحمن اخو السلطان كان بواركلا لامه وكان راسخ القدم في الرياسة بها آخذا ببعض الشارة الملوكية في ضرب السكة لديه وارتفاع الراح بين يديه فنزلت عليه العساكر وخيمت محلاتهم بساحته ووجه اليه القواد بالطاعة وأملوا له ثلاثا فراجع نفسه وكان من أولى البصر بالعواقب فحذر على نفسه وقومه مغبة أهل تينميون أضداده وعلم أنه لا طاقة له بمقاومة الحصار ودفاع العساكر فتمشت اليهم رجالته حتى استوثق منهم لنفسه وقومه ما اراد من الامانى وبعث عن يخرج في يده من رجال الدولة ويصل تحت خفارته الى القواد فبعثوا اليه القائد أبا عبد الله محمد بن احمد السيورى احد رؤساء جند مكناسة ومن طبقة القواد بها ومن بيوت الاحلاف المتاخمين في مجالاتهم فى القفر لتوات فوصل صحبته ولقاء القواد برا وترحيبا وخلع عليه القائد ابو عبد الله موسى وحمله فأفرج روعه وحمد مغبه تم سابقه الى الطاعة والقاء اليد منافسوه من رؤساء البلاد واعيان القطر ومجاذبوه جبل الرياسة به من بعد فوج واتوا طاعتهم راغبين وراهبين واستجابت لهم القاصية والدانية فكان 43 استنزال عمر رئيس البلاد وزعيمها مفتاحا لانقياد سائرها واقتضاض بكر \* فتحها من غير قتال فذرت ضروع الجباية فى البلاد وقدر القائد ابو عبد الله بن بركة الوضائع على أهلها وفرض المغارم فأعطوها عن يد وبث العمال فى الجهات فحملوا اليه من ذلك أموالا جمّة واقتضى من سائر أهلها الرهن على الطاعة فثنى عنانه الى الشط الظهرانى من تيكورارين فنزلوا عليه بالعساكر وأعلروا الى أهله بالبراة وايقاد الرسل عليهم من أهل الدين يقدمهم الشيخ عمر رئيس تمنيط يعظونهم ويدعونهم الى الطاعة فلجوا فى الاباية وأصروا على المعصية جهلا وغباوة وايدانا ان لهم خزي الدنيا وعلاب الآخرة وجمعوا للحصار بقصبة اولاد عبد الله منهم فحققت عليهم الاجناد المجاهرة بالعصيان وامتعضوا من اساءة الرد فالتهب صدورهم حنقا عليهم فاجمعوا على استيصال شافتهم وقطع دابرهم فزحفوا اليهم وترجل سائر الفرسان والابطال من جيش الاسل يومئذ عن خيلهم واستلاموا واسبقوا من شكهم وتظاهروا فى دروعهم ونصبوا الدرق امامهم وشمروا سيوفهم وسابقوا الرجل من عساكر النار الى معتصم المخالفين حتى وقفوا لصق اسوار قصبتهم وتنادى باشعار سائر العساكر فأرعدت رعود النار وضج الافق من صواعقها الهاطلة على أهل الشقاق بشنائب النار الموقدة والرصاص المنهل انهلال القطر وحصى

الحديد المنبعث من أفواه النفط الذى يدك الجبال ويصدع الصخر وصابر القوم حر  
اليوم وحر به وأقاموا يصطلون بناره شقاء وعباوة وايدانا بأن لهم خزي الدنيا وعذاب  
الآخرة وامتنعوا من القاء اليد حتى اقتحمت عليهم العساكر معتصمهم غالبا من بعد أن  
فاء في النهار وتبارى جيش الاسل وجيش النار فى تناول راية السبق واحراز الخصل  
فى اقتحام القصبه على أهل الشقاق فلم يروعهم الا انشالهم عليهم من الفرج المتشلمة  
من السور بالحاح المدافع عليه انشال السيل فتناولهم القتل وحكموا السيف فى الرجال  
منهم والنساء والولدان حنقا عليهم حتى كلت سواعدهم فتنادوا بهدم القصبه عليهم  
واستيصال شافتهم بالرمد فلم يكن الا كلمج البصر أو أقرب حتى أصرعوا جدرانها الى  
الارض وألصقوها بالرغم وهويت ردما على الخوارج فلم تبق منهم ولا من حيوانهم  
وسائر من يدب على الارض من نعمهم ودوابهم عين تطرف فأطبق على الجميع تيار  
الهلكة فأصبحوا مثلا فى الغابرين وعادت منازلهم بلافع كأن لم تغن بالامس وكان  
فى ذلك أعظم عبرة للمعتبرين وأجل عظة للمتغطين قرأت فى كتاب الفتح الى أمير  
المومنين أن الشيخ عمر صاحب تمنظيط ورئيس سائر قطر توات وكان صاحب  
العساكر فى مفاهم الى الشط الظهرانى وشاهد ما نزل باهله من الخسف والتدمير  
لما وقف يوم الفتح على أطلال القصبه المخروبة الدارسة \* ومنازلها التى أمست خاوية وقتلا  
أهلها تتمر فى دمائهم الخيل اعظ وارعوى وعلم ما نجاه الله منه هو وقومه فحمد مغبة  
الطاعة وحسن العاقبة ثم داخله من النصيحة رعب اعتل له من ساعته وانتك حتى أشرف  
على الشية فكان الشط حاتمة الفتح وغاية العز والظهور فى تدويخ القطرين وتمهيد  
جهاتها الدانية والقاصية وطير القواد لاول الفتح النجيب الى أمير المومنين بمراكش  
فعمم لذلك سروره واهتز له من أعواده وحمد مغبة نظره الكريم فى انتظام القطرين  
فى ملكته . (1)

ص 44

ذكر (2) نهوض العساكر الى بلاد السودان وانتهائها الى النيل  
المنبعت من قاصيتها واقتضاء البيعة من ملوك سواحلها

لما تم لمولانا الامام الخليفة المنصور بالله أمير المومنين ايده الله ما أراد من فتح  
اقليمى توات وتيكورارين والاستيلاء على صقعيهما الطويل المديد امتدت عينه الى فتح

(1) كتب المؤرخ الزباني تعليقا على هامش صفحة 48 من مخطوط الماهل جاء به (العهد لله هذه الترجمة  
جمالها المؤلف هنا محلها ياتي عند فتح بلاد السودان وليس هذا محلها ولعل الجامع لهذا التأليف  
حين استخرجه من المسودة ظن أن الكتاب الذى وجهه المنصور رحمه الله كان فى فتح توات وليس  
كما ظن وإنما هو فى فتح اقاليم السودان وستقف عليه فى محله عند فتح السودان فتامله فانه  
فى الورقة التاسعة عشر ومائة . كته بلقاسم بن احمد الزباني .

(2) يقتضى الترتيب التاريخى الانتقال الى صفحة 87

ما وراءه من بلاد السودان وكان الذي جاوده من ملوكها وتاخم بجهة الجنوب ممالك سكية صاحب كاغو (1) وما إليها وبجهة الجوف مما يلي ساحل البحر \* المحيط ملوك جلفو وفلان فأجمع أيده الله أمره على اغزاء الجميع بالعساكر وتجهيز الحركة الى الجهتين من الغرب ثم لما كان سكية صاحب كاغو منهم أحد شوكة وأقصى وطنا وأبعد شقة وكان شأن الحركة اليه ادعى الى الاستبلاغ فى الاحتفال والاستكثار من العساكر والظهر لطفى الشقة البعيدة وحمل الاثقال الحافلة من خزائن العدة والبارود والرصاص واللات الحركة الى جهة الساحل بما كانت أخف بعض الشيء وأيسر مؤنة من الأخرى يستعين بفتحها وبما تشتاق العساكر من الكراع والظهر المجلوب من زكاة أعراب الفلات والامم المجاورين من أهل الوبر لممالك السودان على أمر الحركة الى جهة الجنوب وأن يبعث أولا الى سكية رسولا يكون عينا له على عورة البلاد وأحوالها فى الضعف والقدرة وما يحتاج اليه من العساكر وتستدعى من الاحتفال وتخير لذلك من رجال الدولة قس زمانه فى الفصاحة وطلاقة اللسان العمري الشيخ مومن بن موسى العمري المعلى فسرحه بهدية ورسالة الى سكية بكاغوا وأنظر الحركة من جهتها لفقوله وبإادر بتجهيز العساكر الى جهة الساحل لينهز فيها الفرصة من قبل أن يرجع مومن فيجده قد أخذ الاهبة والاستعداد الى الحرب ثم استعجل الاوبة ففعل من قبل فصول العساكر فأضى أمير المومنين عزيمته فى تسريحهم الى الساحل من بعد أن أراح عليلهم ويسر لهم الظهور ومؤون السفر وجهزهم إليها من حامية السوس وجنوده بما كانت ممالكه مصاغبة لممالك السودان وبعث عن مولاه القائد أبى عبد الله محمد بن سالم صاحب الشرطة بفاس فعقد له عليهم وسرحه الى السوس بالمال وخزائن العدة والبارود وأوعز الى القائد ابى محمد عبد المولى بن عيسى بن البر الوالى كان على عمالة تكاوصت ووادى نول بالحركة معه بقومه وسائر عشائره من عبده النازلين معه وجعله اسوة مولاه ابن سالم فى تدبير الحروب دون الخراج فنهضوا من السوس من بعد استكمال الاهبة فى شهور عام اثنين وتسعين وخاضوا القفر مع الساحل الى السودان فوصلوا إليها من بعد الجهد لتسعين مرحلة متصلة من ثغور ممالك العرب القبلية ولم يكن لأهل السودان من علم بالعساكر لوحشة القفر حتى نزلوا بساحتهم وكان مناخهم عليها ليلا فلم يرعهم عند انقضاء بازى الصبح على غراب الليل الا ابيضاض الارض بما جللها من القباب ومخيمات الاجناد ولعان الافق ببريق السيوف ووميض الدروع وشهب الخرصان وخنق الرايات ثم هذرت الطبول وأرعدت رعود

(1) يرجع فضل تاسيس دولة سنغاي فى كاغو بالسودان الى محمد اسكيا الملقب باسكيا الكبير وقد تم ذلك عام 1493 بعد ضعف مبراطورية مالى والعلالها وبعد وفاته توارث ابناؤه حكم البلاد ، ومن أشهرهم اسكيا اسحق الذى سيدخل فى خلاف مع المنصور ينتهى بفزو القوات الغربية المسلحة لبلاد السودان عام 1591 فانقرضت بذلك دولة سنغاي وقضى على الاسرة الحاكمة بها .

النار اشعارا \* بالبلوغ فاهتزت الارض وربت وضج الافق من هول اليوم وصواعقه فظن  
اهله ان القيامة قد قامت وحسبوا رجة الصعق أو نفخا في الصور لعدم اعتياد  
صواعق البارود وایناس ناره في بلادهم فأطرقوا لذلك الهول وطلبوا بطن الارض جزعا  
فلم تنبث حفاظهم للدفاع ولا حدثوا أنفسهم بالحرب لعلمهم انه لا طاقة لهم بمقاومة  
عساكر المغرب وجنود الامام ولم يكن الا أن بادر ملوكهم بالحاق الى المعسكر واللياذ  
بالطاعة دفعا لتيار الهلكة بذلك عنهم وعن قومهم وتفاديا من هجوم العساكر عليهم في  
منازلهم واستخراجهم من صياصيههم ووصلوا الى معسكر جنود الامام أمير المؤمنين يقدمهم  
كبيرهم الموفى على الغاية في السن والهرم ابراهيم بن رضوان يامر فال وموسى جوب  
وغولى أخويا مر فال وكلهم من ملوك السواحل ببلاد السودان وألقوا أنفسهم على القواد  
مستسلمين فتلقوهم بما يتلقى به أمثالهم من عظماء القوم وملوكهم واکرموا موصلهم  
وخلعوا عليهم ودفعوا اليهم كتاب أمير المؤمنين يدعوهم فيه الى التي هي أقوم من  
طاعته والدخول في شريف دعوته وأسمعوهم خطابه الكريم فطأطأوا له رؤوس الخضوع  
والاستكانة لمهابته حتى وعوا مقالته الصادقة وولج أسماعهم وعده ووعيده فسمعوا وأطاعوا  
وأقبلوا على كتاب أمير المؤمنين لاثمين ومعفرين وجوههم في علامته الكريمة التي  
خطتها يمنى ابن النبي عليه السلام ولا مستها راحته الطاهرة الشريفة النبوية وطالبهم  
القواد بالبيعة لأمير المؤمنين فأذعنوا لها وأعطوها طوعية بمحل اجتماعهم من فسطاط  
محمد بن سالم مولى أمير المؤمنين واستحلفوهم على الوفاء بما ارتضوه من الايمان المغلظة  
وأحسنوا الاستماع والاصغاء لشروط الطاعة والانقياد ودانوا بذلك واقتضوا لانفسهم من  
القواد ما أرادوا من الامان فانطلقوا الى قومهم غرا محجلين بما كساهم من أنوار الهداية  
وتسربلوه من خلع الامامة الكريمة التي حلت أجسادهم العاطلة بدعواتها الشريفة النبوية  
وارتجلت العساكر من بعد ذلك وسارت تحت رايات أمير المؤمنين تخترق ممالك السودان  
حتى انتهت لخليج النيل المنبعت من قاصية السودان وكرمت خيل المنصور في مائه  
وخفقت راياتها على شطه وكان في ذلك الفخر الطائر الذكر مع الايام لولانا أمير  
المؤمنين أيده الله وقفلت العساكر الى المغرب ظافرة ظاهرة وكان الذي استجاب لهم ودان  
بالطاعة والانقياد من عرب الفلات فقط وأمهم الذين ينتجعون الكلا في مجالات القفر الممتد  
من ثغور المغرب القبلية الى ممالك السودان \* بالجانب نيفا وأربعين ألف خيمة كلها من

أهل الوبر والكراع المربي على النمل كثرة والجراد انتشارا فحصل أمير المؤمنين من ذلك  
على ما أراد وفوق ما كان يأمل من الاستعانة بكثرة الظهور على ما أجمع عليه من الحركة

(1) يوافق عام 992 هـ 1585م

الى سكية بجهة الجنوب وهو الان ايده الله لهذا العهد من عام سبعة وتسعين واقف على قسم الالهة والاستعداد لذلك توصلا بما ينشأ عن ذلك من اتساع نطاق الملك وامتداد جناح السلطان وانفساخ مجال الاعمال وكثرة الانفال الى التفرغ لما صرف اليه ايده الله عزمه وجعله قصده وهمه من جهاد المشركين واغزاه أرضهم في الجنوب والشمال بعساكره الامامية وموالات البعوث الى أقطارهم حتى ينجز الله وعده الكريم في اعلاء كلمة الحق والاستيلاء بفضلله على الاقرب والابعد والاحمر والاسود بلفه الله تعالى أمهه وجعل أهل الارض عبيد سيغفه وخوله وكتبه فيمن أخلص لوجهه الكريم عمله لا اله الا هو جلت قدرته

ذكر تجدد البيعة لولى العهد الامير أبى عبد الله محمد الشيخ المامون ابن أمير المؤمنين خلد الله أيامهم

لما كان الامراء بنو الامام أمير المؤمنين المنصور ايده الله حين العهد الى المولى أبى عبد الله الشيخ كبيرهم صفارا لم يدركوا ولا بلغوا مبلغ التكليف بشروط البيعة واعطاء صفقة اليمين عليها ثم ترعرعوا من بعد ذلك وأوقى بهم سنن الاحتلام على ثنية التكليف بسائر الواجبات رء ايده الله أن يأخذ له عليهم البيعة خصوصا ويؤكد العهد بتجديد أخذها أيضا على سائر الناس عموما فبرز ايده الله من الحضرة فى شوال عام اثنين وتسعين (1) واستنفر لها الناس من كل فج عميق وارتاد لمشهدها المبارك بسيط تامسنا وفحصها الافيج وأقام بمعسكره من تانسيفت حتى جهز العساكر الى جهة السودان وسرح اليهم بالسوس مولاه أبى عبد الله محمد بن سالم كما قدمنا وتلوم بمكانه لمشاركة أحوالهم واستحاثهم بالكتب والمراسلة على المسير حتى انفصلوا عن السوس وخاضوا القفر فارتحل هو حينئذ ايده الله فى الاجناد لوادى السد وسرح من هنالك حاجبه القائد أبى محمد عزوز بن سعيد الوزكىتى الى ولى عهده بفاس يستقدمه ويستحثه على الوصول وضرب له موعدا للقاءه بمشهد البيعة من تامسنا فارتحل كل منهما وتوافى الركابان بالويدان منها وسبق اليها ركاب أمير المؤمنين ثم تلاحق ولى العهد لايام من مقامه ايده الله \* فاضرب محلاته لصق معسكر الامام والده واجتمع باجتماعهما فى ذلك المخيم السعيد والمشهد المبارك أمم لاتحصى من أجناد المقرب ورؤساء القبائل والاشياخ والاعيان وسائر أهل الحل والعقد ومن يشار اليه فى المغرب بالبنان سوى أهل الثغور والمسالح وجهوا ببيعاتهم من أمصارهم ولما انتهى ذلك الجمع العظيم وتكاملت الوفود فى ذلك المشهد العاقل جلس أمير المؤمنين ايده الله لاحكام عقد البيعة ثالثة يوم ورود ولى عهده وبلوغ ركابه العالى وشهر لمباشرة ذلك بنفسه ولم يكل امره ايده الله الى غيره اهتماما بنظام كلمة الاسلام واحتياطا على الجماعة التى استوعى

س 91

(1) شوال عام 992 هـ يوافق أكتوبر 1584-

أمرها ونادى فى الناس بالاجتماع الى قسطنطين فجلسوا وقعد لهم قعودا فخما وفسح لهم المجلس ليسمح الجمع الفقير بانتظام ديوانه الاعظم الى التواضع الهائلتين اللتين قسمهما كان بين يديه ولى العهد هدية الى الامام أبيه وجمعهما بسياج محيط من فساطيط الهند الغربية الشكل والعمل وأسبل على الجميع رواقا سابغا موشيا فكان ذلك المجلس من أجمل مجالس الدنيا زينة ورائحة حسنا وبهجة وأفخمها جلاله وأبهة وأمرنى أيدى الله بالقيام على رؤوس الأشهاد برسم البيعة فرفعت بقراءته فقيرتى ليتادى الى الناس فهمه وبعد فصوله وقام الى جنبى قاضى الجماعة وخطيب الحضرة العلية الشيخ العالم العلامة الصدر الاوحد أبو القاسم بن على الشاطبى مفسرا لما أشكل على الناس من أحكام البيعة التى تضمنها الرسم الكريم حتى أتيت عليه سردا وقد وعته الاسماع وشربته الصدور واستطعمته الافهام ونادى الناس بالسمع والطاعة والرضى والقبول واحضر بين يدي الامام المصنف الكريم لعقبة بن نافع رضى الله عنه الذى من ذخائر الخلفاء رضوان الله عليهم والصحيحان من كف الاسلام واندفع الناس للبيعة واعطاء صفقة الايمان وتسابقوا الى ذلك وازدحموا عليه ازدحام الحجيج على الحجر الاسعد لم تعلم بيعة فى الاسلام انشروحت لها الصدور وابتهجت القلوب ووقع اليها الشدة من الخاص والعام وباشرها بنفسه الامام مثل هذه البيعة الكريمة الرضوانية وكان الامراء بنو الامام أمير المؤمنين أيدى الله تأخرت عن الجرم الفقير اكراما لهم وصونا لتمامهم عن مواقف الخجل والازدحام مع من دونهم الى أن عقد لهم من الفد مجلس خاص بهم فى القبة العربية وأسمعوا رسم البيعة بقراءتى اياه بمحضر الملا من العلماء والقضات ومشايخه الفتيا والشورى فسمعوا وأطاعوا وأوقعوا على الرسم علاماتهم بالرضى والقبول والتزام الحلف والايمان المنصوص عليها فى رسم البيعة الكريمة ونصه وهو من املاء مؤلف الكتاب \* بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما من عبد الله أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين أيدى الله بالنصر والتمكين وأمد اعلامه الموعود لها من الله بالفتح المبين الى يوم الدين بدوام الظهور والعز والتمكين صدر هذا التقليد الشريف المبارك السعيد الامامى النبوى الكريم والعهد المومس القواعد والمباني على ما سنه أشرف الخلق عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم المقتتح بقوله وهو أسعد افتتاح وأكرم داع جى على الفلاح الحمد لله الذى جعل الخلافة للدين قواما وللدنيا عصاما وكشمل الأمة نظاما ونشر بالامامة فى الامم امانا أرسل على نار البغى والشقاق من جداول البيض الرقاق ماء الرحمة الرقاق فكانت بردا وسلاما وعصم بعضهم مصون النفوس والاموال ونفخ بعدلها روح الامن فى اسباح الرجاء والامال وحمى بعزها حمى الاسلام من سوام الهوان والابدال فعز مقامها وطاب معرسا ومقاما والحمد لله الذى رفع

ص 92



لها بالدعوة النبوية الاثوية الخافقة على هضاب النصر واعلاما وقبض لها من الارحام الفاطمية والاصلاب الحسنية السبئية من أعادها الى نصابها الشريف وأقرها في بيتها المنيف اعتناء بشأنها واهتماما واهلها لورثة الامامة النبوية القرشبية أولا وابتداء كما أحرز لها ارثها الخالص الى مجدها الصميم ءاخرا وانتهاء لتكون لها الحجة البالغة على الخلق افتتاحا واختتاماً وصرف الى عهدها الكريم امامة الجماعة وقضى لها على جميع الملل وسائر الدول بوجوب الانقياد والطاعة ووعدها بميراث الارض ومن عليها الى يوم القيامة واقتراب الساعة وفرض على الطوائف الاسلامية الانخراط فى سلك بيعتها الامامية فرضاً عم به الخطاب وجاءت به عن الله السنة والكتاب حتما واجبا والتزاما وانظرها حين أنشأها وفطرها لتكون عاقبة حاشرة كما ورد فى صحيح الخبر الى يوم الجزاء والمخسر ولتكون خاتمة الدول كما ختم كل نبى ومرسل بجدها عليه السلام أشرف الخلق وأكرم ولد عدنان الذى أيدته بمعجزات القران وبين عن الرحمن وأوضح معالم الايمان وسن بيعة الرضوان وأعطى صفقات الايمان وعقد على لزوم الطاعة وحذر من مخالفة الجماعة صلى الله عليه وعلى جميع رسله وأنبيائه وعلى صفوته وخيرة خلقه من أرضه وسماائه صلاة \* تبلى الجديدين اتصالا ودواما والرضى عن ءاله والصحابة الخلفاء الراشدين 93 ص الذين نفوا فى الدين الاختلاف وأوجبوا على أنفسهم الاستخلاف وأجمعوا القلوب والاهواء على الوفاق والاتئلاف وراوا أن ينظروا للمسلمين فى مآتهم كما نظروا لهم فى حياتهم فصار الائمة معظما وعقد الامامة منتظما وشمل الاسلام مجموعا وكلام الامام مسموعا واجتهاده العائد بعظيم النجاح والفلاح على العباد والبلاد واجب التقليد واقتداء به واقتناء والحمد لله الذى أوضح لهذا الجناب النبوى الشريف والمقام العلى الامامى المنيف دلائل الفخر على الكمال والتمام واصطفاه من سلالة النبى عليه الصلاة والسلام أفضل الخلق وخاتم الانبياء والرسل الكرام وأنشأ مجده الصميم من الارحام الطاهرة الفاطمية واصلاب الوصى الرضى أمير المؤمنين على رابع الخلفاء الراشدين الاعلام هداة الخلفاء والانام والائمة الذين جددوا معالم الايمان وهدموا البيع وكسروا الاوثان والاصنام وسليمة ريحانة الجنة ابن البتول وسليل الرسول أمير المؤمنين الحسن السبط الذى قبل ثناياه عليه السلام وقال فى حقه أن ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين والشكر لله سبحانه والمنة ان اجتبى من هذه الروضة الحسنية السماء والشجرة الطيبة الهاشمية التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء اماما ألقى له فى القلوب والارواح محبة وأخلاصا والخليفة استرعاه فوجده للامة خير راع عدلا ورحمة وسعت عاما وخاصة وجهادا فى الدين أوجب عن الله زلفى واختصاصا وأوضح للناس وجوب اعتقاد طاعته مسننا قويا ومنهاجا مستقيما وجعله كما قال عز وجل وكان

بالمؤمنين رحيمًا مولانا أمير المؤمنين بن مولانا أمير المؤمنين بن مولانا أمير المؤمنين وخليفة الله في الارضين ووارث الانبياء والمرسلين والمفترض طاعته على الخلق أجمعين المنون بإمامته المقدسة على العالمين مولانا أبا العباس المنصور المجاهد أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين الطيبين امام تشرفت بشريف دعوته الامامية المنابر الاسلامية وتحلت أجياد الايام بدرر مناقبه السنوية السامية المفروض الطاعة على جميع الملل الحنفية واللول الاعاربية والاعاجمية والمختوم على كل من لم يحل جبهه العاطل بعهود امامته القرشية الهاشمية ولم يبدن بوجوب الطاعة والانقياد لايالته الكريمة النبوية الفاطمية بسوء الخاتمة الموعد بها في قوله عليه السلام من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية فأدام الله لاوليته المنصورة بالله الظاهرة وسيوفه الغالية بالله القاهرة \* التي ملات أكناف الارض عدلا وأوسعتهما بفضلها فضلا رحمت دماءها وأمنت أعداءها وشفت داءها وحفظت أرجاءها وأكثت غبظتها ورجاءها ولقاهم الذي نفخ في شخص الامن روحه وجر على أفق كفه فكان مسيحه وسنى من الدين لواعجه وتباريجه واهب على القفر زعزعا ريجه نصرا تدور به الافلاك وتنزل به الملائك وتخضع له الاملاك وتنجاب بانواره المضيئة مدلهجات الاحلاك وتتسق به الفتوحات المتعاقبات الى يوم الدين اتساق الفرائد في الاسلاك وحفظ على الاسلام والمسلمين مهجته وعلى الايام والانام جدته وأبقى دولته الغراء بقاء يخلق أثواب الايام وهو جديد وجعل أيامه الزاهرة مقرونة بالدوام والتخليد الى يوم الوعيد وواصل لسليبه الرضى المستضى بأصواته المهتدى باهتدائه المتجمع على اختياره وارتضائه مولانا الامير الاظهر الاشرف الاحسب الانسب الاجل الافضل الاكمل الامجد الاصعد ابو عبد الله محمد الشيخ الامون بالله بن أمير المؤمنين أسباب السعادة المطردة اطراد الكعوب والمواهب الجارية وفق اختياره على أسنوب بفضلته ومنه وتأيبده وعونه وبعد فان الله تعالى لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة بشيرا ونديرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا دعى الى الهدى وأوضح طرق الشريعة منفسحة المدى وواعد وواعد وألأن وشدد ويسر وما عسر وبشر وما نفر وفرض فرائض وسنن سننا ونهج الى الهدى طريقا لا حبا وسننا فكان مما سنه عليه السلام وشرعه وضم عليه نظام الخلق وجمعه الامامة القرشية المستدل عليها بالانوار المروية والاحاديث النبوية عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لكافرهم تبع لكافرهم وعن ابن جرير انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول الناس تبع لقريش في الخير والشر وقال عليه السلام الائمة من قريش وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال الخلافة في قريش والقضاء في الانصار والاذان في الحبشة ثم أتبا عليه السلام وواعد باتصال أمرها الكريم

مدى الدهور والازمان فقال لايزال هذا الامر فى قريش ما بقى منهم اثنان والحمد لله الذى أظهر مصداق حديث نبيه الكريم بظهور سليله ودعا الحق الى طريق الهدى وسبيله خليفة الله فى الارضين وقامع المشركين والملحدّين ورحمت الله الى المسلمين مولانا الامام الخليفة المجاهد أبو عبد الله محمد الشيخ المهدي بالله \* المقدس أمير المؤمنين الذى أبتعثه الله بتجديد دعوة الامامة القرشبية وصرفه لوراثة امامة جده الامام محمد بن عبد الله المهدي بن الحسن المثنى المؤسسة على القواعد الشرعية الجارية على أنهج الفتاوى المذهبية المالكية والحنفية والسالكة على أوضح المسالك السنبة السنبة ونشر به دعوته التى كانت فى الارض مسموعة والكلمة عليها مجموعة على حين دان بيعة المنصور وتقلد بالعهود التى قضت للامام محمد بن عبد الله المهدي عليه حين التشاجر وهبوب رياح الانتكاث والتقاطع والتهاجر بالحجة والظهور وراء امام دار الهجرة وأبو حنيفة رضى الله عنهما للامام محمد بن عبد الله المهدي أن الحق حقه والامر قد أحاط به رقه والعهد قد دار بعنق المنصور ربه حتى لكان ذلك سببا رضى الله عنهما فى محنتهما وداعيا للمنصور الى اذابتة ونكبتهما حسبما هو مشهور وفى كل كتاب مسطور ثم وصل الله موصول الامامة بظهوره الكريم لحين انقراض دعوتها من الارض وأخلص الى مجده الصميم تراث الدولة العباسية التى اغتالتها الايام والاقدار على حين انبعائه من جميع الاقطار على الطول والعرض فجمع سبحانه لاياته المحمدية الكريمة وراثة الدولة الحديثة والقديمة مصداقا لما روى فى الخبر الصحيح وورد فيه الاثر المروى عنه عليه السلام بنص ثابت صريح انه قال ما معناه لايزال هذا الامر فى ولد العباس راسخ القدم حتى يسلموه الى هذه الايالة المهديّة العاقبة الحاشرة الوارثة لمن تأخر بحول الله وتقدم ولن تزال ظاهرة على الحق بحجته ومالكه فيه على طريق الحق ولحجته حتى يسلم ان شاء الله الى عيسى بن مريم والحمد لله الذى وفق امامته المحمدية الكاملة بين مذاهب الامم والفرق وجمع عليها من الاهواء ما كان فى الحديث والقديم اختلف وافترض ودل هذا المن الربانى الذى تانى لها اختصاصا من الله واتفق وانتظم لها بالايثار الالهي واتسق على صديق النبأ المستفيض عند كل مومن المتضح لى كل مسلم موقن والمتحقق من الاثار المستنبطة من علم اليقين المجزوم بها عند العارفين المتقين والابرار المخلصين الصديقين من أن هذا الامر العزيز متين متمكن له فى الارض مخلوم الارادة فى البسط والقبض منصور اللواء على مر الاوقات والاناء الى يوم الدين والمعرض موعود له بالفتح والنصر والتمكين والظهور ودائم التخليد الى يوم البعث والتشور لا يضره من عانده ولا من عاداه ولا يقدح فيه من خذله أو خدعه أو سلك على غير مراه عصمة من الله لا يكيدها كيد كائد وأمر مخروس بالله لايجل \* عقوده المنظمة وعهوده المبرمة وزوابطه المحكمة طروق

طارق ولا نزول نازل ولا حدوث حادث زائد حتى ينجز الله وعده الكريم في الاستيلاء على الاقرب والابعد والابيض والاسود والاقصى والادنى والانتهاه من مراقى الكمال الى مركزها الاسمى ومصعدها الابدع الاسعد الاسنى والقاء الامامة العظمى على الاحق بها فالاحق والاولى فالاولى عدلا وشرفا واعظاما وانجازا للوعود السابقة والبشرى الصادقة واكمالا لشأنها واتماما ولما أطلع الله بهامته الكريمة شמוש الهداية بهذا المغرب الاقصى والدين به غريب وصاحبه مريب والفضلال قد دجى ليله وطفى على الاسلام ذيله وسال بالعبث والحيف على البلاد سيله وأوجفت بالبغى والعدوان رجله وخيله صدع بالحق وأظهره ودحض الباطل وهدره ورفع لواء الايمان ونشره وأمات الناس فأقبره وأحيى الدين الحنفى وأنشره وجدد شرائع جده واستقال الاسلام من عثار جده وأشاع المعرفة وغير المنكر قدر جهده وجاهد في الله حق جهاده وجرى في قضاء حق الله في العباد الى ابعد آماده حتى غدى جناب الاسلام مريعا وحصنه منيعا وباع الحق وسيعا ورياض العدل اريضه وساحة الامن والامان طويلة وعريضة وأبواب الجور مغلقة ومقبوضة وحين استنار به رضى الله عنه وقدمه المسلك والمنهج ولاحت لمن قدرت له السعادة شמוש الهداية والوهج لحق بالرفيق الاعلى وسور فضله في صحائف الايام تتلى واثاره الواضحة على جبين اليمين تجلى ونبوؤه العجيب الصادر عن علم اليقين في شأن سليله الامام الخليفة المجاهد مولانا ابا العباس المنصور أمير المؤمنين محفوظ والوقت المعلوم لظهور ذلك السر المكتوم مرتقب وملحوظ الى أن أذن الله بانجاز الوعد الموعود والامد المرسوم المحدود آتته الخلافة والفتح يزفهما بين يديه الى جلاله ويسوقها غنيمة الى أسله ونصاله على حين غزوته الشهيرة العظيمة الكبرى وفتحته الذى خلغ على الاسلام والمسلمين حلل الفخر والمسرة والبشرى فعقدت بحكم الاحتفال فى مشاهدتها المباركة وحرص الكافة فى احراز المساهمة فيها والمشاركة بيعته السعيدة المباركة الرضوانية التى حضرتها أجناد الارض وملائكة السماء وفتحت لها أبواب المغفرة والرحمة وتضاعفت بها على الحق سوابغ الالاء والنعمى عن وفاق واجماع من أهل الحل والعقد وسائر العساكر والاجناد ومن جميع الاشياخ والاعيان وجماهر القبائل والشعوب من كل بلاد وحاضر وباد ومن كل خاص وعام بمواثيق \* وعهود وايمان وربوط مستكملة الشروط على الكمال بحول الله والتمام فشملت المسرة وتشرفت بدعوته المباركة الامامية المنصور المنابر والاسرة وارتفعت الريب ولاح نور الحق فجلا كل غيب ولما انتظم أمره آيدى الله وانسق وتمهد ملكه واستوسق وقمع أهل الشقاق والعناد وقضى حق الله فى العباد وعرفت كفه المباركة بالا عنه فى الجهاد وتعود عاتقه فى سبيل الله حمل النجاد ووطئت كتابه المنصورة بالله أقصى الاغوار والانجاد وحيطت الثغور

ونام في خفارة السيف والسنان الخاص والجمهور نظر نزه الله عن السرار بدر كماله ولا يضح الامة والامامة من وارف ظلاله في عواقب الامور وصدق نفسه نفس الله مهلها عن المقدور ولاحظ قول القائلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت ان جئت ولم أجدك فتلقاها عليه السلام بالتصديق واجابها عن الصديق فاهتدى ايده الله بهداه واقتفى اثره عليه السلام ومداه وتأمل ايده الله أمره وفسح طويلا عمره في حياة من وكل من الخلق الى امامته وعنايته وحفظ بعين كلالته ورعايته ونظر اليهم نظر الشفيق والتفت اليهم التفات الرؤوف بالمومنين الرفيق ولم يزل ايده الله وشكر اعتناءه يعمل عوامل رايه وفكرته ويكحل جفن نظره في صلاح المسلمين بالسهاد ورويته ويستخير الله في مجالس خلواته ويستمنحه التوفيق للاصابة في مرفوع دعواته ويسئله سبحانه العزيمة على من فيه الخيرة والصلاح لكفالة الامامة من بعده والامة وللم الشعث ورفع الشتات ونصر السنة وجمع الكلمة ودفع الصروف الملمة ويستوهب منه تعالى الالهام الى من هو اهل لتقليد عهده ونصبه اماما للناس ان شاء الله من بعده غير مغل خلال نظره ايده الله بمشاورة اهل الحل والعقد لديه في الاصدار والايراد وأرباب الشورى من وزراء الدولة وخواص الاجناد وغير مستبد ايده الله وهو أحق الناس بالاستبداد ثم ما زالت أنساً الله في اثره وخلع على الايام جمال سيره مخايل الفضل له ولهم تميز والحق الى أهله ونور الله بين يدي عقده وحله يرشده الى من رءا الناس دون محله وهو ابنه المقتفى من سننه ما اقتفى ومجتبى الخلافة نسبا وحسبا وخلقا وفرع الامامة التي تزهي الدنيا والدين بها جمالا وشرفا مولانا الملك المعظم الهمام الاعظم الاجل الافضل الاكمل الاظهر الاظهر الاشرف الاحسب الانسب الاسد الاسعد الامجد الاصعد مولانا أبو عبد الله محمد الشيخ المامون بالله بن أمير المومنين الذي لم تزل عيون المسلمين عصمه الله ممتدة ونفوسهم لتقديمه وتعظيمه \* معدة ورغباتهم الى أمير المومنين في نصبه لعهدهم مشتدة لما عرفوه وشاهدوه من عدله وهديه وتعرفوه في كل الاحوال من مشكور سعيه ويمن نقيبته ورأيه ولما استحكمت السعادة وأذن الله ببلوغ الارادة ونهض بالركاب العالي الامامى النظر في صلاح المسلمين العام وقاده رائد السعادة والتوفيق الى أسعد مخيمه المبارك بتامنا وايمن مناخ ومقام لعهد الثلاثة وتسعين أنجح سنه مباركة وأسعد عام تالق بالمجتمع السعيد الذى جمع الاحمر والاسود او كاد من العساكر والاجناد ومن انضاف اليهم من جماهير القبائل والاشياخ والاعيان من كل بلاد وحاضر وباد جمع كبير وحفل كثير وجم غفير ممن يدخل فيما ارتبطوا عليه سائرهم وينتظم فيما عقده جماعتهم وعشائرهم فعزمت على الجميع البواعث الايمانية واشارت على الكل والكافة العناية الربانية بتجديد البيعة الرضوانية والعهود الاكيدة الايمانية التي سبق لمولانا

الخليفة المجاهد أبى العباس المنصور أمير المؤمنين الاخذ بها من الكافة لنفسه ولولى  
عهده المسلمين ان شاء الله من بعده مولانا أبى عبد الله محمد الشيخ المامون بالله بن  
أمير المؤمنين وأجمع المسلمون عصمهم الله قاطبة على اعاتها اكمالا للفريضة ورجاء فى  
الفضيلة واستنادا الى الاشارات الجليلة بعد الاستشارات الطويلة فأجمع مولانا الامام  
الخليفة المجاهد أبو العباس المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله باجماعهم وبمحل  
اجتماعهم ولم يال جهدا فى نصح الدين وفى صلاح المسلمين فانعم أطل الله أيامه ونصر  
بنوده وأعلامه بعقد هذه البيعة المباركة السعيدة والاخذ فيها بالعهد الاكيدة  
والمواثيق اللازمة الشديدة ولولده ولى عهده وعهد المسلمين ان شاء الله من بعده مولانا  
الامير الاجل الاكمل أبى عبد الله محمد الشيخ المامون بالله ابن أمير المؤمنين أيده الله  
ونصره وأعلى أمرهما وظفرهما فنادى بها منادى الحق فى الانام هى بيعة الرضوان  
فدخلوها بسلام فابتدر المسلمون عصمهم الله لادائها عجالا وأتوها بصدور منسرحة وءامال  
منفسحة خفافا وثقالا وانقادوا اليها طائعين متبرعين معتبطين مرتبطين فبايعوا عصمهم  
الله قاطبة لمولانا الامام الخليفة المجاهد أبى العباس المنصور أمير المؤمنين ثم لولده وارث  
مجده وولى عهده وعهد المسلمين ان شاء الله من بعده مولانا أبى عبد الله محمد الشيخ  
المامون بالله ابن أمير المؤمنين على الامن والامامة والعفاف والديانة وعلى السمع  
والطاعة وحكم السنة والكتاب \* والجماعة مبايعة أدوها صفاء الاعتقاد الى السنة وحط  
ص 99  
الايدي من جميع الاشراف والوزراء والرؤساء والصلحاء وطبقات العساكر والاجناد والاعيان  
والاشياخ الخاص والعام من كل حاضر وباد ربطوا نياتهم على الاخلاص لها ربطا أسس  
على التقوى وشدوا بعقدتها الكريم للدين عضد الحزم الاقوى وشكروا الله على ما  
وفق اليه أمير المؤمنين من جمع كلمتهم على أفضل ولده وخير الخلق كافة من بعده وتلوه  
فى الخلائق الحسنى وشرفه الاسنى وابتهلوا اليه سبحانه أن يجازى أمير المؤمنين على  
سعيه المبرور وعمله الصالح المدخور بأفضل ما جرى به خليفة استخلفه فى أرضه فقام  
بحق سننه وفرضه وعدل فى بسطه وقبضه وسألوه تعالى أن يديم للخلافة فى يد أمير  
المؤمنين طبالها ويطيل اتصالها ويمد بكرها وءصالها حتى لا يخلع أثوابها الا بعد مهل  
لا يبلغه شاو الخلفاء ولا يتناوله يد الاستيفاء فيصير الامر لولى عهده ووارث مجده والامامة  
ان شاء الله فى فصلها مستقرة باقية والامة بحول الله به مغتبطة راضية ولما عمت  
المسلمين هذه البشرى وجاءتهم المذاهب تترى أعطوا بها صفقة الايمان المغلظة وأخلصوا  
عقائد ايمانهم المستحفظة والتزموا عهودها الاكيدة ودانوا بمواثيقها الشديدة على السمع  
والطاعة وبذل الجهد والاستطاعة لمولانا الامام المجاهد أبى العباس المنصور أمير المؤمنين  
ناصر الدين وقامع المشركين والملحدن ثم لولى عهده وعهد المسلمين ان شاء الله من

بعده قرّة عين الاسلام وكافل الامة والاهامة من بعد ما قام الجامع لخصال الفضل على الكمال والتمام الجارى على سنن سيد المرسلين وعلى جادة ابيه الخليفة الرضى أمير المؤمنين ومقتضى أثره فى كل فرض من فروض العدل ومسنون مولانا الامير الاجل الملك الاسعد أبى عبد الله محمد الشيخ المامون بالله بن أمير المؤمنين وصل الله لايالتهما الكريمة النبوية العز المكين ونصر آلويتهما الامامية بنواسم النصر والتمكين وأشهد الكل ممن حضر المشهد الكريم والجمع العظيم من أبناء أمير المؤمنين وأهل بيته وقرابته من جميع الاشراف والعلماء والصلحاء والوزراء والرؤساء والقواد والاجناد والاشياخ والاعيان من كل حاضر وباد على الوفاء بشروط هذه البيعة المباركة الرضوانية والموائيق الشديدة والعهود اللازمة الاكيدة الايمانية فى اليسر والعسر والقل والكسر والرضى والسخط والقرب والشحط عالم السر والاعلان ورسوله المصطفى سيد ولد عدنان ومن فى الارض والسماء من ملائكة الرحمن وعلى أن يكونوا لمن ود الامام الخليفة \* المجاهد مولانا أبا العباس أحمد المنصور بالله أمير المؤمنين وود ولده ولى عهده وعهد المسلمين ان شاء الله من بعده مولانا أبا عبد الله محمد الشيخ المامون بالله ابن أمير المؤمنين واحبها حزبا وعلى من حاد عنها حربا ولن والاهما أولياء وعلى من عاداهما أعداء قريبا كان أو بعيدا شقيا أو سعيدا كائنا من كان وحيثما تعين وبان فى زمن الازمان أو حين من الاحيان ما تعاقب الملوان واتصل الجديدان واصطحب الفرقدان لا يستثنى أمير المؤمنين من هذا الحكم العام من بعد ولى عهده وعهد المسلمين ان شاء الله من بعده مولانا الاسعد أبى عبد الله محمد الشيخ المامون بالله بن أمير المؤمنين أحدا من بنيه وأهل بيته وقرابته ونسبه وكل من يمت لهذا الامر أو يتعلق بسببه أو يدلى بقرب أو قرابة أو ينتمى لهذا المقام العلى الكريم المثابه فقد أخرج أمير المؤمنين من هذا العهد الكريم الذى قلده ولى عهده وعهد المسلمين ان شاء الله من بعده مولانا الامير الاجل الاكمل أبا عبد الله محمد الشيخ المامون بالله بن أمير المؤمنين عن جميع بنيه وأهل بيته كافة وقرابته خاصة وعامة ما تعاقبوا وتناسلوا واتصلوا وتواصلوا وصرفه عنهم كافة كما صرفهم عنه ولن يضرب لاحد كائنا من كان بحظ ولا نصيب منه غير مبال أيده الله فى هذه الامانة التى أداها الى من رآه أحق بها وأهلها وأنسب بها حياة للامة ونصرة للملة وأولى برحم يصله ولا غرض لولد أو قريب يحصله ولا مستلزم فيها من بنوة ولا قرابة عن حقه ولا اخوة وألزم أيده الله الكافة أن لايعبؤوا بكل من يمد بالدعاء الى نفسه وقتا ما أسبابه أو بفتح الى شق العصى وحل هذا النظام الذى تألف عليه من المسلمين الادنى والاقصى وصيد الشقاق بابيه وأن يعاجلوا ببيض السيوف وسمير العوالى الموردة لموارد الحنوف كل من يترامى به الانتكاف والعدوان الى الوثوب على هذا الامر

المحروسى العزيز المكان محتجين بقوله عليه السلام من أراد أن يفرق هذا الامر وهو مجتمع فاضربوا عنقه كائنا من كان بحيث لايعتبرون أحدا غير ولى عهد المسلمين مولانا محمد الشيخ المون بالله بن أمير المؤمنين ولا يعبتون بسواه أيا كان أقبل أو أدبر نفع أو ضر غاب أو حضر عق أو بر وأن لايهزمهم عند متخلفات الاهواء زعزع ولا رخاء ولا تستفزهم نزغات الشيطان فى شدة ولا رخاء وأن يطهروا قلوبهم من سخائم الغش والخذلان والخديعة لمولانا الامام الخليفة المجاهد أبى العباس المنصور بالله أمير المؤمنين ولولى عهد المسلمين ان شاء الله من بعده \* مولانا أبى عبد الله محمد الشيخ المامون بالله ابن أمير المؤمنين وأن يخلصوا مضمراتهم وسرائرهم وطواياهم من شوائب الدلس والخذلان والمداهنة التى وصف الله بها المنافقين وأن تكون كلمتهم على لم الشعث ورفع الثتات ودفع مكائد العداة كلمة واحدة وأهواؤهم وعزوماتهم على الخير والصلاح والتظاهر والنصح لمولانا أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين فى السر والجهر متعاضدة وأن لايتأثروا فى خير ولا شر لشيطان مارد أو مارق تهتف به هواتف المناكر والمفاسد أو ماكر يسعى فى حل هذا النظام المحروس بالله بمكيدة من المكائد أو نائر يثور أو باغ يستمسك بجبل الغرور أو قائم يدلى بطلب ما لم يصرفه الشرع اليه ولا خلع أمير المؤمنين عهده عليه مصممين على هذه العهود والربوط التى دانوا بها واعتصموا بأوثق عروتها وسببها غير مرتايين ولا شاكين فى أن من رام القطع عن هذا القصد المبارك فالله تعالى به قاطع ومن تصدى لتفرقة هذا النظام فالانتقام من الله تعالى عليه واقع ثم لما تجلى لمولانا الامام الخليفة المجاهد أبى العباس المنصور أمير المؤمنين فى ابنه الاهلى وولى عهده ان شاء الله من بعده فى كل حال على سنن الاستقامة والهدى مولانا الملك الاسعد الاصعد أبى عبد الله محمد الشيخ المامون بالله بن أمير المؤمنين من المذايل الكريمة والشمائل الوسيمة ودلائل النجج الجارية على المسالك القويمة وتعرف ايده الله من أحواله التى اقتفى بها «أثاره الواضحة ومقاصده الصالحة ومن عدله الذى لايبغىب الاله احسانه وانعامه ولا يعدل فيه عن سنن الخلفاء آباءه الراشدين احكامه ما آداه الى أن استكفاه وبعث ايده الله على أن استرعاه أمر الخلق من بعده فأغناه وكفاه وتعرف اليمن والامان فى كل ما آتاه بعد أن محض عنه ايده الله وعن جميل سيره واختبره وردد البحث تدبراته وحميد اثاره فى كل ورد وصدر وكرره وألقاه والتوفيق لارائه رائد والسعادة بحمد الله فى كل حال مطردة العوائد شرط عليه مولانا أمير المؤمنين ايده الله أداء ما يجب عليه وعلى الخلق كافة من السمع لامير المؤمنين والطاعة وامتنال امره ونواهيه المطاعة واعطاء مقام الانقياد له فى جميع حركاته وسكناته وعوداته فى الامور وبدءاته طول بقاء أمير المؤمنين ايده الله وطول حياته وأسقط عنه من الاجل الذى لا بد



من موافاته كل شرط يتعلق بهذا التقليد المصروف اليه من بعد أمير المؤمنين وثنيا وأطلقه من كل عقال وربط لا يقتضيه حكم التقبض أمرا ونهيا ثقة منه أيده الله بما يعلمه من كفايته \* في الامور وكماله وتحققه من شريف آثاره الحميدة وخصاله وأسند الى نظره السيد أيده الله اختيار من يرتضيه من ولده ان شاء الله وذريته ومن أبناء أمير المؤمنين اخوته أهلا لولاية عهده المصروف اليه من قبل أمير المؤمنين من بعده ووكل أمير المؤمنين اليه في ذلك الراى الرشيد بحكم التفويض التام والاذن من أمير المؤمنين المطلق الشامل العام الا أن يتجدد لامير المؤمنين نظر يقتضيه الصلاح ويدعو اليه داعى النجاح باسناد العهد الى أحد أبنائه أولاد أمير المؤمنين من بعد ولى عهده وعهد المسلمين ان شاء الله من بعده مولانا أبى عبد الله محمد الشيخ المامون بالله بن أمير المؤمنين فنظر أمير المؤمنين وأمره في ذلك نافذ وماض وحكمه فيما يراه أيده الله ويختاره ليس عليه اعتراض ثم الخيار من بعد ذلك لولى عهده وعهد المسلمين من بعده مولانا أبى عبد الله محمد الشيخ المامون بالله بن أمير المؤمنين في صرف ذلك العهد بعد من يرتضيه أمير المؤمنين الى من يشاؤه هو ويختاره من ولده لصلبه وذريته وعقبه ما شهد مولانا الامام الخليفة المجاهد أبو العباس المنصور أمير المؤمنين أيده الله بما فيه عنه وعن رضى واختيار منه كما أشهد الكل والكافة ممن حضر الجمع العظيم والمشهد الكريم من أبناء أمير المؤمنين وأهل بيته وذوى نسبه وقرابته ومن الاشراف والوزراء والرؤساء والعلماء والصلحاء والقواد وجمهور العساكر والاجناد والاشياخ والاعيان من كل حاضر وباد على الوفاء بكل ما تضمنه هذا التقليد الكريم والعهد الشريف المبارك الجارى على ما سنه خير الخلق عليه افضل الصلاة وأزكى التسليم من العهود والشروط التى التزموها وتقلدوها والمواثيق والربوط التى دانوا بها وارتضوها طائعين ومتبرعين واعتقدوها وأقسموا على ذلك بالله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم وبعهد الله وموآثيقه وذمته وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذمة أمير المؤمنين وذم المسلمين وبأشدها أخذ الله من العهود والمواثيق على النبيئين والمرسلين وعلى الملائكة المقربين ووكدتها فى أعناق المسلمين والمؤمنين وبجميع الايمان المؤكدة والمواثيق المشددة التى أمر الله بالوفاء بها قليلها وجيلها ونهى عن نقضها وانتكائها وتبديلها وانهم ان حادوا عن هذا السبيل أو انحرفوا لداعى التغيير والتبديل أو نقضوا شيئاً مما أشرطه أمير المؤمنين وسماه فى هذا التقليد الكريم وأخذ به لنفسه ولولى عهده من بعده وعهد المسلمين أو بدلوا فى ذلك وغيروا أو نكثوا \* فى شىء منه وغدروا فقد برئوا من الله ورسوله ومن ولايته ودينه ومن آل محمد صلى الله عليه وسلم ومن حول الله وقوته الى حولهم وقوتهم ومن ذمة الله الوافية لذمتهم ولقوا الله كفارا مشركين ولكل ما نهى الله عنه ءاتين وما أمروا به

نابذين وتاركين وكل امرأة هي اليوم لرجل منهم أو يتزوجها في جميع بلاد الله السى  
 خمسين سنة فهي طالق ثلاثا البتة طلاق الحرج لاتنويه فيه ولا رجعه وكل مملوك ملكه  
 أحد منهم أو يملكه الى خمسين سنة عبيدا أو اماء ذكورا أو اناثا فهم عتقاء لاحقين بأحرار  
 المسلمين وعلى كل رجل منهم المشى الى بيت الله الحرام الذى بمكة خمسين حجة  
 ندرا واجبا عليه فى عنقه على قدمه حافيا رجلا مجرما من منزله بحجة كفارة لاتجزىء عن  
 حجة الاسلام ولا يقبل الله الا الوفاء بذلك وكل مال هو لاحدهم أو يملكه أو يستفيده  
 الى خمسين سنة عينا وعرضا حيوانا وأرضا وزرعا وضرعا وسائر ما يحويه التملك كلا  
 أو بعضا فهو هدى بالغ الكعبة مخرجا عليه أن لايصرف شيئا من ذلك الى ملكه لحيالة أو  
 استرعاء يقدمه لنفسه الزموا قاطبة وفقهم الله هذا كله وأشهدوا به غير مضرين لسواه  
 ولا تاوين الا اياه متطوعين ومتبرعين غير مجبورين ولا مضطرين عالمين بما شرطه عليهم  
 أمير المؤمنين لنفسه ولولى عهده وعهد المسلمين ان شاء الله من بعده وسارين  
 ومستبشرين عالمين ما عد لاصحاب نبيه الكريم الذى بايعوه بيعة الرضوان المتلو شأنها  
 فى القرآن اذ قال تعالى تعزينا لهم وتعظيما وتعريفا بسبب الثواب المرتب على نيه  
 القلوب وتكريما لقد رضى الله عن أمير المؤمنين الى قوله وكان الله عزيزا حكيما  
 وكتب الملا من أبناء أمير المؤمنين وأهل بيته وقربته ومن تلاهم أسماؤهم عقب هذا الكتاب  
 ليكون باقيا فى الاعقاب وثابتا ان شاء الله يوم الاحقاب وقد دانوا الله تعالى بما أمضوه  
 وعقدوه والتزموا الوفاء به وشدوده ورضى الله تعالى يهديهم ويد الله فوق أيديهم فمن  
 نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه اجرا عظيما وصلّى  
 الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين وفى تاريخ  
 جمادى الاولى عام ثلاثة وتسعين وتسعمائة(1).

#### ذكر قسيمة الممالك والاعمال بين الامراء بنى الامام أمير المؤمنين

كان للخليفة الامام أيده الله جماعة من الولد لامهات مختلفات وكان المرشح منهم  
 للامارة ومناصب الولاية أربعة أكبرهم سابق حلبتهم والمحل فى مضمار مجدهم وميدان  
 عزمهم المولى أبو عبد الله محمد الشيخ المامون وشقيقه المولى أبو فارس عبد الله والمولى  
 الامير أبو الحسن والمولى الامير زيدان ولما طلوعوا أعزهم الله بافاق دولته الشريفة وطالت  
 فروعهم فى دوحته النبوية وازينت بدراريهم سماء خلافته العلية رءا أيده الله أن يرسى  
 بهم قواعد ملكه ويشد بهم ازر الاسلام وعضد الملة فجرد لهم العساكر وعقد لهم على الجهات  
 وقسم بينهم الممالك فاما كبيرهم ويعسوب بيئتهم والطود العالى على هضباتهم المولى

ص 104

(1) جمادى الاولى عام 993 موافق ماى 1583

الامير أبو عبد الله محمد الشيخ فانه لما كان له أعزه الله من مزيد الشفوق على الجميع بسنده وهديه وشرف همته وحسن ملكته وكفايته ما شهد له بمغبة حاله قلده الخليفة الامام أيده الله ولاية العهد وألقى عليه أمانته العظمى كما قدمنا وعقد له على فاس وسائر ممالكها فاضطلع بأمرها وحسن فيها غناؤه ولما أخذ له البيعة على اخوته بتامسنا رءا أيده الله أن يقسم لهم من الترشيح الامارة ويزين بهم مناصب الملك فعقد لهم بذلك المشهد المبارك في تامسنا على الولايات والاعمال فأما المولى أبو فارس شقيق ولي العهد ورديفه فعقد له على السوس وسائر ممالكه ونصب فيه النيابة عنه مولاه القائد أبا عبد الله محمد بن بركة وأنزله هو معه بالحضرة ودفعه الى النيابة عنه في مغيبه عنها وسماع المظالم والقعود للجم الغفير بايوان الخلافة متى عن للامام في بعض الاحيان ما يوجب العكوف في قصوره عن مصالح المسلمين والنظر فيما استرعاه من أمور العباد فاستنبلت في جميع ذلك أغراضه وحمد الناس فيه مغبة اختيار أمير المؤمنين وحسن نظره الكريم في اعتيابه وترشيحه وأما المولى أبو الحسن فعقد له أولا على مكناسة وعقد للمولى زيدان أصغرهم على تدلا ثم بدى له أن يدل كلا منهما بالآخر فنقل المولى أبا الحسن لتدلا وعقد له على مكناسة وولاه أعمالها فسرحه اليها وشد بهم عرى ملكه فازدهت بهم آفاق الدولة ورست بقواعدهم أركانها الثابتة ونفقت بذلك سوق المنافسة في المعالى والاستباق الى احراز الخصل في اقتناء المكارم والتبريز في ميدان النجدة وثقافة النظر وحسن الضبط وجرى في كل ذلك الى أبعاد شأو وأقصى غاية الامور جارية \* لهذا العهد على ما وصفنا من أحوالهم جميعا أبواقهم الله والحفهم سراييل العز والعناية وجعل هذا الامرالكريم باقيا فيهم الى يوم القيامة

105

ذكر خروج الدعى ابن قرقوش بجهات الهبط وجبال غمارة وما كان أمره الى حين هلاكه

كان والد هذا الدعى يدعى بالحاج قرقوش من سفلة البيوت بمدينة مكناسة ونشأ هذا الغمر في حجره محترفا بصناعة الحياكة ثم تلبس بشعار أهل الزهد والورع المنتمين الى الصلاح واغترب عن بلده وذهب يتقلب في الارض منتحلا للمشيخة وطالبا للتلميذ وكان يتعاطى تدليس السكة ويدعى انه يجيل المعادن الى الذهب والفضة ولم يزل ينتقل في البدو من حى الى حى وكلما أقام بمكان حتى يستوضح أهله جنبه ويفضحه العجب في ما ادعاه فيمقتوه انتقل منه الى مكان آخر حتى وصل الى جبال غمارة وكان أهلها على ثنج من الجهل والغباوة والبعد عن مدارك العقلاء فانتمى اليهم الى أهل البيت وادعى الهداية فتحدثوا بشأنه واشتملوا عليه ثم سرى خبره في سائر بلاد الهبط وجبالها فانثالت عليه غوغاؤهم من كل فج عميق وطاقوا به وانفعلوا لزيفه فركبوا سنن

الخلاف ولبسوا جلدة التفاق وتفاقم بذلك أمر الدعى فلبس شارة الملك واتخذ الالة وتسمى فى كتبه بأمر المؤمنين فاضطربت به سائر بلاد الهبط نارا وفتنة وكان مبدأ ظهور ضلاله ومثار نيران فساده وزيفه فى النصف من صفر عام ستة وتسعين (2) ووافق شان قيامه اشتداد كلب البرد فاستعان من ذلك على ما أضرم من الفساد وأقام من سوء الفتنة بعدوين ظهيرين له الثلج الذى سد على العساكر المسالك المفضية الى الجبال من السهل وأعواز الجبوب للعلوفة اذ ذاك الفصل بالجبال فتحصن بذلك وبما تسنم من ذروة المنع فجهز أمير المؤمنين العساكر وأملا له رفقا بجنوده من اقتحام الثلج واحتقارا لشأن الدعى وغوغائه وعلما بأن آمال أمرهم الى الاضلال ونار فسادهم الى الخمود لبناء أمره على غير أساس من الامور التى تتقيها الدول والا فلو آنس من أمره ما يحذر مغبة اهماله ما كان ليملى له أو يضيع فى اماله الحزم أو يصده عن فريسته تراكم الثلج واعواز الحب لكثرة جنوده ووفور كنوزه ومخازن أقواته وحبوبه ولما انصرم الفصل وتفشع عن الطرق الثلج وبدا صلاح الحب زحفت اليه العساكر من فاس فى جمادى على يد ولى العهد يقنادهما \* الشهم القائد أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن بجة وكانت زهاء ستة آلاف بين الاسل والنار فجمع اليها الدعى من أحزابه من الغوغاء أولا فصمدت نحوهم العساكر وصمم لحربهم القائد أبو عبد الله والناس فى كل يوم يستوضحون خبء الدعى ومكره الى أن اختل بزحف العساكر اليه نظام حزبه من الغوغاء ففرقوا عنه وتبرءوا منه وأسلموه فلاذ بالاختفاء وغاص فى لجة الجبال مدلجا باليل وكامنا فى النهار طالبا منجاة الى بعض ثغور المشركين بسيف البحر وكان القائد أبو عبد الله قد أذكى عليه العيون وأغرى أولياءه من أهل الجبل بالبحث عليه فأرصدوا بكل ثنية فانفق أن بعث الدعى بعض أصحابه من زعانفة الغرباء الذين طوحت بهم الطوائج ليلتمسوا له ولانفسهم طعاما من العمران حول مكمنه لفرط ما أذاقهم الله من لباس الجوع والخوف فانطلق منهم ثلاثة أشخاص ملبسين بزى الفقراء أهل السياحة فى الارض فعثر بهم شريف من شرفاء العلم الادارسة يعرف بعبد الله بن عبد الرحمن وكان أشد الناس بحنا على الدعى وأحرصهم على الظفر به يبتغى بذلك اليد عند الدولة فتفرس فى الاشخاص وركض اليهم فرسه فغلظ لهم فى القول فنجعوا وذلوا وارتبكوا واقتادهم بين يديه على كره الى العمران حتى وصل بهم زاوية شريف من طاعة القصر ودعى بالقيم عليها فأغراه بالقبض على الاشخاص وحلره مغبة اقلاتهم فشد عليهم الوثاق وفوض اليه فى أمرهم فبقى ينهددهم بالعذاب والقتل ويعددهم بالخلاص من الورطة واطلاقهم ان صدقوه كنه الدعى حتى أقروا له وحدثوه عن مكمنه فصرخ فى السحر فى أهل شريف فساروا معه رجالا وركبانا ونفر

ص 106

(1) منتصف صفر 996 هـ يوافق منتصف يناير 1588

الاشخاص ليصون بهم الطريق الى الدعى فلم يرعه الا انقضاض القوم عليه ضحى يوم الجمعة سابع عشر رجب العام (1) وعلى امرأته حمالة الحطب وكان أصهر منها لأول انتزائه الى بعض أشياخ الجبل من أهل تبريزان يعرف بأحمد بن موسى شيخ بنى خالد ليستظهر بعصيته فوكل به وتولى لصاحب القصر القائد أبى العباس أحمد بن عبد الله فسرح اليه من أتاه به وطير الخبر من حينه الى أمير المؤمنين فوافاه بمعسكره من ظاهر الحضرة راجعا من حركة راحة أعمالها لزيارة الصالحين والتبرك بمشاهد الاولياء بمدينة اغمات وجىء بالدعى الى ولى العهد بفاس فقتل هو ومن معه من اتباعه يوم الاربعاء الثانى وعشرين من رجب (2) وعلق شلوه على سور البلد الجديد وطير برأسه الى الحضرة فوافى يوم دخول أمير المؤمنين من زيارته فنصب على خشبة باساراك من القصبة وبقي هنالك مدة الى أن سقط بجولان الخيل فى الميدان أيام الموسم فألصقت السنايك عظامه بالرغام \* وذهب فى غير سبيل مرحمة .

س 107

ودخل (3) أمير المؤمنين فى يوم الخميس منسلخ رجب أو مهل شعبان عام ستة وتسعين فوافق دخوله ورود رأس الشقى ابن قرقوش الثائر كان ببلاد الهبط حسبما قدمنا فعظم سرور أمير المؤمنين بما انفق له من ذلك وجاشت فكرتى حينئذ بأبيات صنعتها فى معنى التهئة فقلت :

انل فبكل كف منك ومر	فالدهر يفعل ما تقول
اطاعك فى عراقك بكل ارض	لتعلم انه عبد مشيل
ومن يكن القضاء لديه جندا	تصان عن الدماء له النصول
ومن تنوى ولو عنقاء جوف	فسيفك ذو الفقار به كفيل
ومن سئم الحياة يسم نفاقا	يعاجله لكم أجل عجول
واشقى الناس من يعصى اماما	ولياه على والرسول
اذا زار استكان الاسد رعبا	وترهب منه ان هدر الفحول
بنى الهدى انتم للبرايا شמוש	لا يعارضها أفول
وأقرب ما لكم فى ملك الى	عيسى بن مريم لا يزول

ثم قطعت من دون كمالها اشغال سبحت فى تيارها فصرفتنى عن تمامها ولم أرفعها

الى جلاله العالى

(1) الجمعة 17 رجب عام 996 هـ يوافق 12 يونيه 1588

(2) الاربعاء 22 رجب 996 هـ يوافق 17 يونيه 1588 .

(3) يقتضى الترتيب الزمنى للاحداث الانتقال الى صفحة 184

وضرع (1) سائر أهل الجبال المنغمسين في الثورة مع الدعى الى أمير المؤمنين في الصفح عن جرائمهم فتقبل فثتهم وعفى عنهم الا أهل تبريزان من بنى خالد قوم أحمد بن موسى صهر الدعى ومتولى كبر الفتنة أوعز الى القائد أبى عبد الله بن بجة باستيصال شافتهم وتخريب عمرانهم واقتلاع جرثومهم جزاء على ما اتوه من النكث والمجاهرة بالخلعان ونصرة الدعى وايوائه والقيام بدعوته فاستباحتهم السيوف بالقتل رجالا ونساء وولدانا وغادرتهم حصائد واجتمعت العساكر على عمرانهم فخرّبوا الديار واقتلعوا الأشجار وعفوا الآثار وترك المنازل اطلالا دراسة كان كأن لم تكن بالامس فكان في ذلك أعظم العبرة والموعظة لمن سواهم ثم جلت العساكر خلال ديار سائر قبائل الهبط ومرت تتقري جبال غمارة هضبة هضبة وقنة قنة حتى استوعبتها سلوكا واقتضوا من جميع أهلها العدة وقبضوا منهم الرهن على الطاعة فنصلوا الى بلاد الريف وقد دوخوا سائر الجبال تدويغها ودمروا أرض المارقين تدميرا وحسموا منها داء النفاق واثار الفساد وقلوا الى ولى العهد بفاس ظاهرين

ذكر ارتحال أمير المؤمنين لفاس للمرة الثانية وما قارن ذلك من الفتح ودار من الامور وكان من تجهيز العساكر الى الجهات ووصول الابناء من ملوك النصرانية والسودان الى الحضرة في منجيه

لما قضى أمير المؤمنين وطرا من زيارته ورحل الحضرة في آخر رجب العام أجمع امره على الرحلة لفاس لتفقد أحوالها وكثرة اشتياق أهلها الى طلعتة السعيدة والاقتباس من انوارها النبوية لطول عهدهم به منذ سبعة اعوام فتلوم بالحضرة حتى قضى منسك الاضحى فاضطرب معسكره بباب اغمات وخرج اليه يوم الخميس موفى العشرين من ذى حجة عام ستة وتسعين (2) فأقام هنالك نصف شهر أو نحوه فارتحل وعاج على وادى السد وتناقل في الطريق ليقضى وطرا من الصيد ولما نزل بساحة قلعة الكرار وتلوم بها اياما وافته هنالك البشارة بما سنسى الله عنده بتيطاون من الفتح والاستيلاء على المشركين أهل سبته وكان من خبرهم في ذلك ان العصابة القائمة بفروض الغزو والجهاد من المسلمين بتيطاون حاولوا انتهاز الفرصة في المشركين أهل سبته واجتمع زعمائهم الذين مارسوا خدعة الحرب تدبر مكيدة توصل الى استيصال شافة العدو والاستبلاخ في نكايته وتمنحهم رضى الله وتخليد الذكر مع الايام فانتدب للملك منهم زعيم الفتنة \* احمد بن عيسى النفسيس وكان احد المقدمين على الرجل من

ص 108

(1) الانتقال الى صفحة 107

(2) يوم 20 حجة 996 هـ يوافق 10 نوفمبر 1588 .

حامية الثغر وله فى الغزو والجهاد معاهد مشهورة ومشاهد مذكورة وتقدم فى جماعة من أصحابه الذين عرّكهم مشاهد الحروب مع المشركين الى فحص سبته وكان اعرف الناس بمكانته واخبرهم بمسالكه لطول مراسه فتنكب عن المكامن التى يعتاد المشركون انبعثت خيل المسلمين منها وطلوع طلائعهم من جهتها وعدل الى جهة ما منهم من جانب الشمال وكان المكان لا يطرقه انيس من كثرة العشب والتفاف الشجر ومعاماته لاقترابه من العدو فعكف هو واصحابه على تسوية الطريق وتمهيد المجاز للمسلمين من تلك الناحية بقطع الشجر وتنحية الصخر ورضه بالفأس الكهام حتى تأتى لخيل الله المجاز منها واوغز للسادس من مقامهم الى قائد الثغر يستحثه على المسارعة والوصول فى حامية الرجل والخييل وتلقاهم وقصد بهم الطريق الى الجهة التى سواها وارتادها لشن الغارة منها وكان المشركون قد انسوا راحة من خيل المسلمين فى تلك المدة لانكماش مغاورتهم عن الفجوة واعراء مكانهم عن الرصد مكررا بالمشركين وخديعة حتى امنوا واطمأنوا وظنوا بالمسلمين الفشل والملل ولما كان يوم الجمعة الثانى والعشرين من المحرم فاتح سبعة وتسعين اجهوا امرهم على البروز من سبته بسائر سوادهم رجالا ونساء وولدانا برسم النزهة والراحة والتقلب فى الفحص وسرحوا مع الصباح عيونهم الى مكامن المسلمين المعروفة ليستكشفوا خبرها ويأخلوا لانفسهم بالاحتياط من جهتها على المعهود من امرهم فى ذلك فلم يتراء لهم شخص بالفحص ولا انسوا للمسلمين به حركة وكانوا لهم بالرصاد من جهة مامنهم بالشمال ولا هم يشعرون ولما ايقنوا بالبراءة من الفحص ووثقوا بالعاقبة من جهة المكان التى يعتادون بانطلاق الغارة منها اذنوا لآخوانهم المشركين بالبروز من سبته فانتشر سوادهم بساحتها رجالا ونساء وولدانا ومساخ فيها سرحهم واقبل كل على ما بدى له اامين ومطمئين فاستبشر المسلمون بالفتح فقرعوا الطبول وتنادوا بشعار النصر ولم يرع المشركون الا طلوع خيل الله عليهم من حيث لا يحتسبون فانطلقت عليهم مغاوره المسلمين عنانا واحدا فحالت بينهم وبين سبته وتدافعت الساقة تحت الاولية اثرهم فمحنهم الله الظفر واستولوا على سائر سواد المشركين ما بين الاسر والقتل واكتسحوا سراحهم وكادوا أن يستولوا على سبته بما أتيح لهم من الظهور باستيصال عامة أهلها وانتهاز الفرصة فى حاميته ولاكن الله أهل لها حتى ينجز فيها وعده الكريم بفضله ونظم المسلمون \* من تخطاه الاجل من المشركين فى الجبايل سلاسل وحملوا رؤوس القتلى على عجلات اكتسحوها مع السرح للنصارى وقفل المسلمون اعزاء ظاهرين واستاقوا السبى بين ايديهم الى تطاوين فبرز الناس لمشاهدته

ص 109

فكان يوما مشهودا عندهم وكتبوا بالفتح الى امير المؤمنين فوافاه بخيمه من ساحة قلعة الكرار كما قدمنا فاهتز له سرورا من اعواده وزجر من الفال الحسن لرحلته المباركة وكتب لقائد الثغر بالتقائه بالسبى لفاس فارتحل ايده الله لتادلا وتلقاه بأطرافها ولده اميرها المولى الحسن في جيش عرمرم من جندها واستاق اليه هدية من العين والجياد والبغال وخيم بمحلاته على نظير منها وقد كان هب من قبل ذلك فيما بين اولاد حسين واولاد مطاع الذين اقطعهم الدولة ارض بالمغت عاصف من الفتنة أحدثتها المشاجنة في حدود المواطن وانتصر لاولاد حسين سائر أهل حلفهم من قبائل العرب والبربر وجمعوا لاولاد مطاع فأوقد بهم وجاء امير المؤمنين ايده الله وسرح اليهم من مخيمه بنظير قائد القواد وكبير الدولة القائد ابا اسحاق ابراهيم بن محمد السفيناني في قومه سفيان وجيشا من النار وأمره بفرض الوضائع الثقيلة على اولاد حسين وسائر القبائل المنغمسين معهم في الصولة وانتزع خيلهم والمبالغة في ردعهم عقوبة لهم على ما اضرموه من الفتنة وحزبوا الاحزاب فامضى فيهم عزيمته وانفذ في الانتقام منهم أمره وارغم أنوفهم بالزواج المذلة فنجعوا واستكانوا وانزجروا وقوض امير المؤمنين بالثامن من مقامه بنظير معبر وادى أم ربيع واناخ على ضفتها بحواته وكان قد احتبس وشحست السماء بمدرارها حتى ادرك الناس القنط من ابيضاض السنة ثم ارسل الله على سائر البلاد الوابل الغزير فأقام له الايام ثمانيا حتى عقب الصحو من بعد الرى فارتحل مستبشرا بذهاب الجذب وظهور الخصب وتلقاه وقد اهل فاس من مشيخة العلم والاشراف يوم ارتحاله من حواته واعتسفوا اليه الشقة البعيدة وتجسموا الامطار المسترسلة لشدة اشتياقهم اليه وحينئذ الى مشاهدة طلعتة السعيدة فلقاهم البر والترحيب وأفاض عليهم انوار بشره وارغد لهم في الكرامة ثلاثا وسرحهم الى منازلهم امامه بفاس رفقا بهم من تعسف الظعن والاقامة مع الركاب ثم شفح الله ذلك الغيث بالتلج فارسلت السماء به على سائر بلاد المغرب فتراكم بالسهل والجبل بعضه على بعض تراكم الجبال وواصل فيه الركاب الترحال ما بين ابي الخمائر وعين اغبال وكف الله لامير المؤمنين من اللطف به في ذلك وبجنوده بالخلاص من الورطة خارقا دل على \* عناية الله بشأنه وعصمة لحزبه وعدل ايده الله بالناس الى مدينة مكناسة

ص 110

رفقا بهم وشفقا عليهم وراح بهم ثلاثا حتى ذهب العناء عن سائر الركاب وقوض في جنوده لفاس وكان ولي عهده المولى الامير ابو عبد الله محمد الشيخ المامون بالله عن زهو اعزه الله من فاس للقاء امير المؤمنين في جنودها وعساكرها وخيم على رأس الماء من ساحتها وملا بمخيماته ومحلاته بطاحها واستبلغ اعزه الله في الاحتفال وانتقاء الاجناد بما كان له من العناية بجمعها والاستكثار من عددها وعدتها وانتقاء الابطال



من رجلها وخيلها وانتهى في ذلك الى ما لا يزيد فوقه من الكفاية الدالة على الحزم وحسن الملكة والضبط ولما كان يوم التقاء امير المؤمنين وولده ولى العهد بمجمع البحرين وملقى الثقلين برأس الماء اختلفت جنود الله للسلام من الجبهتين وتظاهرت في زيها الذى هو زينة الايام وشعار الاسلام وخفقت في اكف رياح النصر والاقبال الرايات وجندت جنود الاسل والنار فملا الارض سوادها وهزت الارض بزئيرها ضراغمةا واسادها ووقف امير المؤمنين لعرض كتائب ولده عند السلام افواجا افواجا حتى قضى فرض التحية على ما هو المعلوم في ذلك عند الخلفاء وركب ولى العهد الى جنب الخليفة ابيه وسارا معا الى معسكرهما واختلفت جنود الله حينئذ ومدت على الارض جناحا واطلعت من آفاق النصر صباحا وأرعدت رعود النار وهدرت الطبول وماجت الارض بمن عليها وغصت بكتائب الاسلام الدنيا فلا الجبال جبالا ولا الوهاد وهادا واهتزت الاقطار لصيت ذلك اليوم وكان من اجل الايام المارة في الاسلام حسنا وفخامة وشفع بمثله من الغد عند الدخول فاحتفلت جنود الله على سبيلها وامتدت عساكر النار جبلين من العساكر الى ظهر الزاوية وجنبت الجنايب صفوفا وعليها الديباج الموشى وماج ركب الخليفة كالبدر المتلطم وكانت الارسال الوافدة من جهة بنى عثمان بالقسطنطينة هقيمة بفاس لانتظار بلوغ امير المؤمنين اليها فاذن لهم يومئذ بالصعود على سطح الدار المعدة لنزولهم بالرياض من البلد الجديد لما سألوا ذلك لينزهوا الطرف في جنود الله وكتائب الاسلام وكانوا يميزون امير المؤمنين في عابها الزاخر بالمظل الكبير والراية البيضاء التى هي من شعار الدولة كما قدمنا فمشاهدوا من زين اليوم وجماله ما اجتنبوه للحديث في السمر ببلاؤهم غرابة واعجابا وبرز من نظارة أهل فاس للصعيد عالم لا يحصيهم الا رازقهم ودخل امير المؤمنين ايده الله افخم دخول وكان ذلك في يوم الثلاثاء السادس من ربيع النبوى عام سبعة وتسعين(1) ولما فرغ من شأن الموسم النبوى الكريم الذى يبالح الخلفاء \* فى التنويه بيومه المبارك الكريم كان أول شىء قام به ايده الله من اعماله النظر فى أمور الرعايا ورفع الظلامات عنها فجلس لسماع شكاياتهم وأرهب الحد للعمال وحرهم المغيب عن ديوان الخلافة العلية أيام القعود للشكاية واخذهم بغرم ما جاروا به على الرعية واصفى فيهم الى قولها واعتوزت الرفيع منهم والوضيع زواجره فارعلوا وازدجروا واتقوا سطوته فلاذوا بالانتصاف من انفسهم للرعايا من قبل الوصول اليه فرارا من فضيحة الزجر وخجل الموقف بين يديه فكانت احدى مناقبه فى العدل الذى نهج فيه منهج والده الامام رضى الله عنه وقعله الذى اقتفى فيه اثره غب دخوله لفاس فى الفتح الثانى

(1) الثلاثاء 16 ربيع الاول 997 هـ يوافق 1 يبرابر 1589

وجبرت القلوب وخلصت النيات ورفعت الى الله أكف الضراعة من الخاصة والعامة في استقامة ايامه الهنية وبقاء ظلال عدله الوارفة على الامة ثم وصل على تفتة ذلك قائد الشعر والمقدمون على الغزات بسبى سبته واشتقوا به فاسا على التعبية والاولوية وبرز العذارى لمشاهدة ذلك من وراء حجابها فكان يوما مشهودا عند أهل فاس وجلس لهم امير المؤمنين ايده الله بمجلس المنكأة المطل على ايوانهم الكريم الذى اختط بباب قصور ملكهم بالباب الجديد فعرض عليه السبى وسلم أهل الشعر فكان من الايام التى اعز الله فيها الاسلام واذال عبدة الاصنام ورفع الشعراء اليه قصائدهم يهنونه بما صنع الله له فى ذلك الفتح وكان ممن رفع اليه همته فى ذلك صاحبنا وبلدينا الكاتب البارع ابو عبد الله محمد بن علي الفسناي بييتين زجر له منهما الفال بأنه يستولى على سبته وينقاد له ما وراءها فاهتز لهما وحسن لديه موقعهما وهما

هذه سبته تزف عروسا نحو ناديك فى شباب وشيب

وهى بشرى وأنت كفاء اللواتى كلفت بعدها بفتح قريب

ورفع اليه ابن السائح من طلبه فاس قصيدة مطلعها

اعرف الزهر ساح من الكرائم أم البشرى أتتنا بالغنائم

ثم انتهى اليه ايده الله بعد ذلك ما كان من اجلاب عرب اليمن أهل مجالات تيكورارين على عسكرها وقتل قائدها سعيد بن الحسن وكان من خيره معهم أنه لما عقد له امير المؤمنين على بلاد توات وتيكورارين وقلده خراجها فسرحه اليها أوآخر عام اربعة وتسعين كان من اعماله التى اساء فيها السيرة وخرج عن سياج السياسة ادهاف الحد لعربها من اليمن وكان عهدهم بالجاهلية حديث فتنكر لهم وقتل من اعيانهم وشردهم عن البلاد ومنعهم من ورودها وكانت معاشهم ومجنلب ارفاقهم فشخطوا احواله وتآمروا \* على العيث فى اوطانها فأجلبوا على اطرافها واضاع الجهد فى النهوض اليهم وكان أن يستألفهم لرسوخ قواعد الطاعة فيهم فابعد المذاهب فى اتباعهم فتدامروا ورجعوا اليه فتخرم جمعه وقتلوه من بعد أن اتخنت فيهم العساكر ووصل الخبر الى امير المؤمنين بفاس فانبعثت له حفائظه واجمع أمره على السطو بهم فجهز العساكر من فاس والسوس وعقد عليها للقائد ابي عبد الله محمد بن بركة الذى كان فتح البلاد على يده وامر اليه بالنهوض من السوس فى عساكره من الاسل والنار وسرح من فاس عساكر أخرى عقد على جيش النار منها لمولاه القائد سليمان مهرباشى من العلوجى وعلى جيش الاسل لربى دارهم الكريمة علال بن القائد مهر بن عبو وجعل الجميع الى نظر القائد ابي عبد الله بن بركة وضرب لهم وعد اللقاء بسجلماسة ليرجعوا مجتمعين تحت راية واحدة وهم لهذا العهد غائبون تجاهلها كتب الله سلامتهم فى الطعن والاقامة ومنجهم الظفر

والغنيمة واتفق ايضا ما كان من وصول ولد صاحب برتقال من ملوك النصرانية وولد سكية صاحب كاغو من ملوك السودان الى الحضرة في هغيبه عنها(1)

فاما ولد طاغية برتقال دون أنطون (2) فقد كان من خبره ان امير المؤمنين المنصور لما أوقع بجموع الشرك يوم النهر بوادى المخازن حسبما سبق وجدلت سيوفه بستان(3) برتقال واستولى المسلمون على من تخطاه الاجل من سواد المشركين كان ممن ياسر يومئذ من طواغيت الشرك دون انطون عم بستان طاغية برتقال الهالك أسره بعض زغانفة البربر من مطوعة بلاد الهبط واستمالهم بالمال وقد جهلوه فأوصلوه الى أصيلا وعبر البحر الى الاشبونة قاعدة برتقال وكان القائم بها يومئذ بامر برتقال من بعد بستان عمه فرديال(4) ثم هلك لحوئين من ولايته فقام بالامر من بعده دون انطون هذا ثم طمع طاغية قشتالة(5) ان يغلبه على ملكه بها واعانه على انتهاز الفرصة فيه ما قدمنا من تلاشى امر برتقال باستيصال شافتهم وهلاك جموعهم بوادى المخازن الكائن عليهم للمسلمين على يد امير المؤمنين فزحف اليهم بعساكر قشتالة وكانت اهم النصرانية جمعها فخرج دون انطون لدفاعه فيمن بقى من جموع برتقال فالتقى الجمعان بساحة الاشبونة فكانت الدائرة على دون انطون ونجى الى ملكة بلاد نكلطيرة ابذيل(6) فنزل منها خير نزل فاوته وشمرت لنصرته ثم نظر في امره فرأى أن جبر صدعهم وبناء ما تهلم من ملكهم لا يتأتى الا على يد امير المؤمنين الذى فى ملاكه ضرهم ونفعهم وجبرهم وصدعهم وانه لاقررة على تشييد ركنهم الا لمن نقضه بمعاول \* سيوفه الامامية واستته اللهمية فاستخدم له ومد له اليه يد التأميل من وراء البحر وأوقف عليه ابنه من بلاد لنكلطير صريخا وضارعا فنزل بأسفى قاعدة البحر وبلغ الى امير المؤمنين على مكناسة من طريقه لفاس خبر وصوله غرة ربيع النبوى فسرح الى ابنه المولى الامير ابى فارس بالحضرة يأمره بارسال كبير الموالى العلوجى ببابه القائد محمود لصحابتة فوصل به وانزل بسهريج المنارة من بساتين الخلافة بساحة الحضرة واقيم له هنالك من رسوم الكرامة ما يليق بعظماء القوم امثاله

ولما استوعب(7) امير المؤمنين ايدى الله النظر فى أمور قاس وممالكها وازمخ

- (1) اثناء غياب المنصور عن مراكش فى رحلته الثانية لفاس ، وصل الى العاصمة اميران لاجئان هما داود بن على السودانى ودون كريستوف البرتغالى طلبا لنجدة المنصور ومساعدته
- (2) دون انطونيو
- (3) دون سباستيان
- (4) اى الكاردينال هنرى
- (5) يقصد فيليب الثانى
- (6) يقصد ايليزابيت ملكة بريطانيا
- (7) الانتقال الى صفحة 57

القفول الى الحضرة اضطرب معسكره بظهر الزاوية من ساحة قاس يوم الخميس رابع جمادى الاخرى وخرج اليه في العساكر يوم الخميس ثاني عشر الشهر وتلوم به ريشما جهز منه العساكر الى بلاد ازغار لانتزاع خيل العرب حسبما نذكر ان شاء الله .

### ذكر انتزاع الخيل من عرب الخلط وسائر قبائل ازغار وضرب الخراج عليهم(1)

قلت وقبائل جشم التي منها هؤلاء الخلط اولوا العصبة القوية طالما شقيت بهم الدول وركبوا سنن الانحراف والخروج على الخلفاء في الحديث والقديم يمتون في ذلك بسند عان ودم راسخة لا يجاريهم في هذا الميدان مجار ولا يباريهم فيها مبار شنشنة اشتهروا بها وامتازوا عن جنس العرب قاطبة بنوعها حتى لو كانت العرب اهل الانفة واخذان الوفاء يعتنون هذه الخصلة الخسيسة عندهم مزية تشاد ومنقبة تخلد لذهب بفخرها عنهم قبائل جشم التي منها هذه العصابة الخبيثة لما لهم من الشقوق فيها على من سواهم لا تكاد تعقد لهم راية ولا تلوح لهم بارقة ولا تخرج لهم صائفة او شانية الا في سبيل الميل مع اهل الاهواء او خروج على الملوك والخلفاء او هبوب الى ناعق اولى الثورة والانتزاع ديدنا دربوا عليه على مر الليالي وتتابع الاناء فلقد كانوا نكثوا أولا في حدود المائة الثالثة على الموفق العباسي وانحرفوا عن الدولة فأرهب اليهم الحد وسدد نحوهم سطوة من عزائم صولته فلاذوا منه بالهرب وتجزؤا الى القرهطلي(2) فلم تنل منهم سيوفه وكانت اغمادها حثقا عليهم وشرق الموفق بغصتهم ثم جاءت الدولة العبيدية واقتسمت ممالك الشرق مع الدولة العباسية وتجادبتها حبل المغالبة والمدافعة والمشاقة على الاعمال والاقطار والاطوان فاغتموا اختلاف الكلمتين وانقسام الدعوتين فتساعوا الى العيث والفساد واعتزوا على الدولتين ونالوا من الفتنين واقاموا على مشاغبة الفريقين الى أن اراحهم المستنصر العبيدي(3) رغبة منهم لا رهبة على الدخول الى افريقية في جملة من دخل حين نزوع صنهاجة امراء الخلفاء بنى عبيد على افريقية عن طاعتهم وتحويل الدعوة الى الدولة العباسية على نحو ما اشتهر \* عند ائمة التاريخ فرمى المستنصر منهم صنهاجة المنحرفين عن طاعته بالدهية الدهياء النشاد فانتشروا ببلاد افريقية ودمروا الاوطان وانتسفوها واهلكوا الحرث والنسل ثم دافعوا صنهاجة عن البساط الى الساحل وغلبوهم على المدن والامصار واجهضوهم عن القيروان دار ملكهم فلجأوا الى المهدي وتقلصت

ص 163

ص 164

- (1) يوجد هذا العنوان في الصفحة 58 من المخطوط ، وقد اثبتت الكواسة ان ما جاء في الصفحات : (58-62) هو تتمه لما ورد في الصفحات (163 - 169) حيث يتحدث المؤرخ اللشستاني عن قبائل جشم والخلط وادوارها في التاريخ العربي شرقا وغربا وطوال عدة قرون .
- (2) يعنى حمدان قرهط مؤسس حركة القرامطة في شرقي الجزيرة العربية في الربع الاخير من القرن الثالث الهجري
- (3) المستنصر الفاطمي (427 - 487) وفي عهده خرج الكمل بن باديس الصنهاجي في المهدي عام 443 هـ عن طاعة الفاطميين في مصر ، فارسل المستنصر ضد الصنهاجيين قبائل بني حلال وسليم التي نشرت الخراب والدمار في ليبيا وتونس وقضت على الكثير من معالم الحضارة الاسلامية بهله البلاد ، وقد تم ذلك منذ منتصف القرن الخامس للهجرة .

ظلال صولتهم وتفاصرت عن مدافعة هذه القبائل قدرتهم وصارت البلاد تحت قهر العرب وقد خربوا ملكها وثبروا سلكها وضربوا الاتاوة على أهلها فأقاموا تحت خسف منهم يتجرعون مفسح هضمتهم ويشرقون بغصص التحكم عليهم الى أن جاءت دولة التوحيد (1) فعانى ملوكها الخلفاء من بنى عبد المؤمن المشاق العظيمة فى تمهيد افريقية وتداولوا النهوض اليها بعساكرهم من مراكش ولقوا العنف من مشاغبة عربها هؤلاء وكانوا وصلوا يدهم بيد ابن غانية (2) صاحب ميورقة من عصابة دولة اللثام (3) فكانت بينهم وبين الموحدين وقائع وحروب استنفذ فيها الموحدون وسعهم وشابت لها نواصيهم الى أن أعياهم شأن هؤلاء العرب وطال بهم الامد فى ارتكاب الجهد والمشاق المجحفة بهم فى النهوض اليهم بالعساكر من اقصى المغرب وكلما اقلعوا عن البلاد عادت هيف الى اديانها فاحتال منصورهم على ادخال هؤلاء العرب لقطع عادية فسادهم من افريقية وراحة من شعبهم الملجئ الى اتصال الحركات وجوب الارضين اليهم فجأجا بهم الى الجهاد وورى لهم بالعبور بهم الى جزيرة الاندلس بنية الرباط فجدبهم برسن المكيدة وزمام الحيلة الى أن ادخل منهم هؤلاء الخلط ومن معهم الى المغرب ليكونوا تحت قهر الدولة وضغطها وعلى رهب من صولتها فما كان الا ان ابتلى بهم هذه الاقطار وتبين له فى رأيه عدم الاستبصار ويقال ان ذلك من احدى المسائل الثلاث التى ادركته عليها الندامة عند موته وشقى بهم بنوه من بعده وأول من صلى منهم بنار نكثهم والانحراف عنه والخروج عليه وقلب ظهر المجن اليه ومظاهرة العدو عليه يحيى (4) بن الناصر بن المنصور وذلك أن الخلط هؤلاء كانوا متربصين بالدولة منذ استجراهم بجبل المكيدة الى الدخول للمغرب على يد المنصور كما قدمنا ومتحينين لها وقت انتهاز الفرصة الى أن أفضى الامر الى يحيى بن الناصر كما ذكرنا وجاذبه عمه المامون جبل الخلافة ودعى الى نفسه بالاندلس محل امارته فاغتم هؤلاء الاشقياء سمسرة الفتن هبوب ريح اختلاف الكلمة فتناولوا راية السبق الى التكت والانحراف غير متمالكين وركبوا سننهم فى الخروج على الدولة وخلع ربة الدين من اعناقهم وفى شق العصى والمروق من الجماعة فوجه رئيسهم هلال ابن المقدم ببيعته الى المامون باشبيلية حضرته

- (1) اى دولة الموحدين (515 - 668 هـ)  
(2) ابن غانية : ثار ضد الموحدين (580-595 هـ) زمن يعقوب المنصور بليبيا وتونس وتحالف بع قبائل بنى هلال كما وجد من بعض الامراء الايوبيين مساعدات مادية ومعنوية الامر الذى دفع المنصور الى توجيه حروبه من الاندلس الى شمال افريقية للقضاء على ابن غانية .  
(3) يعنى دولة المرابطين (449 - 515 هـ) .  
(4) يحيى بن الناصر بن المنصور الموحدى بايه اشياخ الموحدين فى مراكش ، فاستنجد الخليفة المامون الموحدى الذى بايه اشياخ الموحدين بالاندلس ، بالنصارى واستولى بالقوة على مراكش بعد ان تمت له الفلبة والانتصار على عدد عظيم من اشياخ الموحدين بالمغرب وقد اقم المامون بعد استقراره فى مراكش على الفاء الدعوة الموحدية التى كانت المذهب الرسمى للدولة .

ابي زيد الفاززي يشكره على فعله ويعدده بأقصى امانيه وأمله وهي

الظعن والضرب منسوبان للعرب  
والحرب تبعث منها كل معترك  
حازوا الوفاء الى الاقدام وانتسبوا  
تعشمت جشم نصر المفيد لها  
وجاءت الخلط المشكور مقدمها  
خفوا الى نصره حزب الله واحتفلوا  
كتائب ضاقت الارض الفضاء بها  
فمن صوارم مثل النار في صعد  
بحر على البر مرتج غواربه  
شواهد صدقت فيهم مخائلها  
تذكروا ممن المنصور فاعترفوا  
والفضل يبدو على الاحرار رونقه  
اما هلال فقد أوفى بلمته  
رءا الخلافة حلت غير موضعها  
وقال لا سلم حتى يستقاد لها  
وسلم الامر للال الاحق به  
وافت مصرحة بالود بيعته  
جمعا لفضلين يلقي الحسينين به  
صبرا ابا النجم صبرا انها نجم  
ودم على حالة تجنى عواقبها  
فعدنا لك ايشار ومرتبسة  
وسوف تلقى بعون الله مائرة

ولما تحصلت هذه القصيدة بيد يحيى بن الناصر ورءا ما فيها من التمجيد لهلال

عليها وينهج في هلال غير تلك المناهج فقال الاستاذ المذكور

نسبت شر عبيد العجم للعرب  
اصغ لتسمع انساب الدين هم  
جهلا بفضل رسول الله والنسب  
شعاركم في الخطوب السود والنوب

كانت عبيد العصا للقرمطي اذا  
خلت محلاة بتسرا وقد رحلت  
خانتهم الخيل رعيان الشياه لها  
لو أعلمت وائل يوما بدعوتها  
ونيطت الخلد الرذلي بهم نسبا  
فان تكن الوغى من طلحة سلمت  
وليس من رهب ينجيهم هرب  
اما هلال فقد حاق المحاق به  
حل الحضيض سقوطا وهو محترق  
وغره خلب من شاعر ملق  
وظل من رتب العليا على عدة  
وصار يطمع في مال وفي نسب  
فقل له اراد الخير فاز به  
ولو أوت عاصم للدين واعتصمت  
فان يك مهتد منها بكم فكما  
ومن عصى منكم فالثوت يطلبه  
والحق شمس سناها ليس يحجبه  
يحيى خليفة رب العالمين ومن  
نال الخلافة عن خبر وعن خبر  
اختاره الله فاخترته صفوته  
لم يدخر نصحهم للدين واجتهدوا  
ليس بنكت ولا كتب قد اختلفت  
لم ينتصر بالنصارى والبغاة على  
خليفة مرتضى أنصار دولته  
ظعن الصدور وضرب الهام عندهم  
فيح الوغى عندهم حسن وراحتهم  
وحر جاحمها برد العشية في  
ايا امام الهدى ان البلاد لكم  
وان يجادل بالمنصور ذو جدل  
وان يقل انا عم فالجواب له

ص 167

وافى الموفق لاذت منه بالهرب  
عنها بنو جشم من مائها الاشيب  
فلم تضرها وجدت بعد في الطلب  
فيها لما شربت ماء من القلب  
كأنها القبس الصيفى بالذهب  
فذا الموفق وصفا ليس باللقب  
ما يبعثوا يقربوا للحسين والشجب  
لاقي الوبالين من حرب ومن حرب  
تحت الشعاع بشهب الهند لا الشهب  
فقال صاعقة لاواكف السحب  
فالترب يعلوه ما يرقى على الرتب  
وصار منتشبا في برثن النشب  
الصيف ضيعت جهلا حافل الحلب  
بجبله نالت الدنيا بلا نصب  
تلقي خلال رماد قطعة الذهب  
يمسى ويصبح معلودا من النهب  
وان تراكم غيم الزور والكذب  
يجعله يعلوه حد السيف والقضب  
محقق وبارث من أخ وأب  
من البرية أهل الدين والحسب  
ما كان عن رهب منهم ولا رغب  
ولا كتائب أهل البغي والصلب  
المطهرين من الادناس والريـب\*  
انصار امر الهدى الباقي على الحقب  
ماء الحيا شبها قد لج بالضرب  
ما نالهم في اعتلاء الدين من تعب  
روض عليل نسيم غب منسكب  
شرقا وغربا فنائيتها كهقترب  
فنجل نوح ثوى في قسمة العطب  
عم النبي بلا شك أبو لهب

وهل يمت بشيء لا تمت به  
 اذا عصاك مطيح ليس منتفعا  
 ويرتجى العفو للمعاصي بطاعتكم  
 ايمنح المرء والقهار يمنعه  
 قدمت للدين تحميه وتحفظه  
 بل زدت فخرا ملات الدين للعرب  
 يوم القيامة بالطاعات والقرب  
 فانها سبب ناهيك من سبب  
 ويوهب المرء والوهاب لم يهب  
 من كل باغ وعاد عابد الصلب

ولما انقضت ايام المأمون بن المنصور وتولى الخلافة ولده الرشيد ورسخ قدمه في  
 المملكة وصفي له الجو او كاد بتراجع الموحدين عن يحيى بن الناصر وانتظامهم في  
 ايلاته وتساييلهم زرافات ووحدا الى حضرته ورءا الخلط الكلمة تنتظم والشعنت اوشك أن  
 يلم والاحوال تستقيم والدعوة والاطمئنان قد اغتبط بها الراحل والمقيم آسفهم انتظام  
 سلك الجماعة ورسوخ الطاعة لما يالفوه من الخوض والتضريب الذي به يعتزون على  
 الدول وكانوا من الشم وشموخ الانف والاعجاب بكثرة الرجل والخيال وعظيم الدالة  
 على الرشيد بحالة قد تجاوزت الحدود لما يرون أن بيعته انما تمت باصفاقهم وقواعد  
 سلطانه انما ثبتت بالتوكى عليهم وكرهوا لذلك تراجع الموحدين واتصال اشياخهم  
 الماسكين لعمود الدولة بخليفتهم الرشيد وحلروا مغبة انتظام الكلمة واتفاق الجماعة  
 فبادر شيخهم المالك لمقادهم مسعود بن حميدان الى استفساد الكلمة وتخويل امر  
 الجماعة فجرد من جموعه عساكرا ضخما من خلطه وانفادهم لقطع ما بين الرشيد وبين  
 الموحدين المنعدين من جبالهم مع موسى ابن الناصر أخى يحيى للوصول الى مراكش  
 وأوعز الخلطى الى جموعه بالقبض على جميع الموحدين ورءا حسم العلة بذلك انفة من  
 انتظامهم فى سلك الطاعة \* فسبق للقوم النذير فرجعوا من هنالك الى جبلهم واستفسد  
 على الرشيد انتظام الجماعة فقام لها وقعدوعلم أن الاحوال تتعذر عليه بمكان الخلط  
 من دولته فهجر مضاجعه واسهر اجفانه وجعل أهل شوره على التدبير على شيخهم  
 مسعود واسدى فى ذلك والحجم مع خواصه حتى امكنته الحيلة فى الفتك به فى بابه من  
 بعد محاولات يطول ذكرها كاد الخلطى ان يفلت من لهوات الرشيد من ضعف اصحابه  
 ووهن رجاله حسبا هو مسوط فى دواوين الدول فاغنى عن ذكره ولما نعى الى الخلط  
 خبر شيخهم ومن قتل معه من اخوانهم وكشفوا وجههم فى الخلاف واعلنوا بالعناد  
 وجالوا فى انواع الفساد واجهروا بدعوة يحيى ابن الناصر والاستناد الى بيعته والذب عنه  
 والانصواء اليه وبعثوا اليه ارسالهم وكتبهم يجاجئون به واضرموا نار الفتنة وحشدوا  
 حشودهم واجتمعوا من كل اوب وفتح واستقبلوا الحضرة زاحفين الى الرشيد  
 معلنين بطلب تارهم فاحدقوا بجنبات مراكش وخيموا باحوازها وشرعوا فى تدمير  
 البعائر وقطع مياهها واشجارها وقد خلت امامهم المدارس والقرى الا من كان لهم عليه

ص 168



سلطان من الرعية فانه استقر بمكانه وعظم غيهم وعبثهم في الحوز وساحة الحضرة فضافت الارض بما رحبت على الناس لانقطاع المرافق والمواد وارتفاع الاسعار حتى لقد بلغ الربع من الدقيق من دينار الى ثلاثة دنانير ثم تكالبت الخلط على الرشيد في الحصار وبلغوا في التضييق الى الاسوار واحجمت جنوده عن مدافعتهم فلم ير وليجة دون الفرار عن الحضرة الى الجبل وتوقع اجلاب العرب عليه بخيلهم ورجلهم من قبل أن يتعلق بنرى ذرن واعتمل في الحيلة فأجمع أصحابه على أن يبعث رقاصين يكتب مفتعلة كأنها وصلت من عند جرمون شيخ عرب سفيان أعداء الخلط باقبالهم لنصرة الرشيد وبطاعتهم له وحرصهم على الوصول اليه وأوعز الى الرقاصين بالوصول الى جهة محدودة فينقلبوا بها قاصدين للحضرة مارين على حلة العرب معترضين لهم كي يأخذوهم ويتطلعوا على كتبهم فتمكنت الحيلة وتمت المكيدة وقبضوا على الرقاصين وأقروا لهم بأنهم ارسال جرمون وانه بجموعه وجنوده على وادي أم الربيع مقبل لنصرة الرشيد فأجمعوا على ان قصدوه ليبيدوا جمعه قبل انتظامه بالرشيد ولما تمت الحيلة للرشيد بعد العرب في سبيل تبديد جموع جرمون ووجد منهم فسحة الى الفرار من الحضرة والبلوغ الى مأمنه أفلح في عياله وأثقاله ومن معه من أجناده وحاشيته وجد المسير حتى نزل على مقربة من اغمات ثم طار الخببر لعرب الخلط فشنوا أعنتهم وطاروا اليه بأجنحة الخيل كالعقبان فأدركه أولهم بمحلته فأخذوا \* بمخنقه وضيقوا به وبالغوا في قتاله متكالبين عليه ثم أجفل ليلا للتحصن بأغمات فلم يخلص اليها الا بعد الاشراف على الهلكة من شدة ما لقي هو وأتباعه من المشاق ونالهم من المضر المفضية الى امتداد بعض الايدي ثم تلاحق العرب فأحدقوا بأغمات وأعوزته الاقوات وكاد الجوع يقضى عليه وعلى أتباعه فاعتملوا في الحيلة وركبوا الليل وعميت أخبارهم عن العرب وما أحسوا بالخروج حتى تعلق الناس باطراف الجبال وطاروا الى الانقراض على الرشيد واوغلوا في أتباعه ومضايقته فلم يخلص منهم الى مأمنه من شواهد الجبال الا من بعد عصب الريق ومشاهدة الموت الاحمر وانقلب العرب وملكوا حصار مراكش وجاجاوا ييحيى فأدخلوه اليها وكان من عيبتهم واضرارهم بالناس واقتحام الديار واستباحة الاموال والاستبداد على يحيى وامتهان حرمة السلطان واصطكاك ركب رعائهم بركب الخليفة في البساط والمزاحمة في المجالس ما كره الناس له الحياة وأقامت الدولة على الثبات الاحوال واختلاف الامور الى أن لقيت ما قدر لها ثم صار الامر الى السعيد من بعد الرشيد وكان من نجباء بني عبد المومن وأولى الشهامة والبسالة والهمة العالية وكان أخوه الرشيد عند زحفه من سجلماسة وهزيمته ليحيى بن الناصر والخلط ورجوعه الى كرسى خلافته بمراكش أقصى عرب الخلط الى السوس تفاديا من فسادهم فجلبهم السعيد لاول مصير الخلافة

اليه واستخلصهم لنفسه وقربهم من سلطانه واستدعاهم من السوس وغيره وضمهم الى  
أجناده فكانوا جل عسكره ثم لما كانت حركته واحتفاله العظيم في زحفه الى تلمسان  
وتحريكه على المزيد من بعدها الى افريقية ومن محاصرته ليفمرسن (1) في مكانه الذي  
تحصن به منه ومن قتله أثناء ذلك بيد المنفضين عليه من بني عبد الوادى قوم يفمرسن من  
الشعاب حين صعوده للحصن ما هو مشهور معلوم كان هؤلاء العرب الخلط سبب الوقعة  
وانجرار الهزيمة ولهم فيها أخبار شنيعة لانهم كانوا في أول الحال تأخروا عن السعيد حين  
عزم على القتال واجتمعوا بجمعهم عند استماعهم بقتله فرجعوا لمحلته فأوجفوا عليها  
واستصفوها وأكلوا وقتلوا ونهبوا جملته وأهل دخلته وبعض أهله وقبضوا على أخت  
السعيد وهي العرة نجمة زوج الوزير السيد أبي اسحاق واستولوا على مالها وكان قد  
حصل بأيديهم في تلك الكائنة شئ كثير من السقط . هؤلاء (2) العرب من الخلط ومختار  
وسفيان وكلهم من جشم على ما ذكر نسبة المؤرخين كانوا شيئا لبني مرين سائر أيامهم  
ومتميزين بشعار الجندية في دولتهم حتى اذا جاء الله بهذه الدولة العلوية والدعوة الكريمة  
النبوية وانبعثها لتجديد الدين ونصرة الملة وورثة الارض واحياء معالم الخلافة الدائرة  
وجرى بينهما وبين مرين أمراء فاس من الحروب والوقائع ما أجلت فيه العاقبة عن  
اجتثاث أصل الدولة المرينية واستيصال شافتها كان هؤلاء العرب ممن أبلى البلاء  
الحسن في الدفاع مع بني مرين وشمر للحمامات دونهم حتى ظهر عليهم أمر الله  
وتقطعت بهم الأسباب فأصبحوا طعمة لسيوف الدولة الكريمة العلوية وأسرى مقرتين في  
الاصفاد \* من قهرها وغلبها فاصطنعتهم الدولة واستبعتهم واثبتهم الامام أبو الخلفاء رضى  
الله عنه في مراكزهم من الخدمة وأقرهم في أوطانهم وأمضى لهم ما كان بأيديهم من  
الاقطاعات ولم يغير عليه شيئا مما اترفهم به أمراؤهم بنو مرين حتى اذا كان زحف صالح  
ريس من الجزائر بجنود الاتراك مع الاعور بوحدون المريني مستفزهم على حين ما كان  
الامام رضى الله عنه منفردا عن جنوده انصار الدولة بما كان اطلقهم منذ فتح مدينة فاس  
لمواطنهم بالسوس ومراكش حسبما قدمنا واكتفى بجنود بني مرين الذين اصطنعهم  
بمعروفه واصطفاهم لخدمته بفاس وكان هؤلاء الاعراب ممن عليه المدار منهم فزحف بهم من

ص 59

(1) يفمرسن بن زيان بن ثابت مؤسس الدولة الزيانية بتلمسان (631 - 681 هـ) .

(2) الانتقال الى صفحة 58 .

(3) بعد أن تم للمولى محمد الشيخ القضاء على الوطاسيين ودخول عاصمتهم فاس عام 1349 م فر الى  
الجزائر ابو حنون على الوطاسي طلبا للساعدة العسكرية ضد السعديين وقد وجد القادة الاتراك  
في ذلك فرصة للتدخل وضم المغرب الى الامبراطورية العثمانية ، وجرت لاجل ذلك بهارك حربية  
انهزم على اثرها المولى محمد الشيخ بينما دخل الاتراك فاسا واعلنوا ببيعة ابي حنون بها وذلك عام  
1554 م ، الا أن الشيخ السعدي سرعان ما استعاد المدينة بعد انتصاره على الوطاسيين في نفس  
العام

فاس تلقاء العدو معولا عليهم في الدفاع ومعتقدا بغنائهم عاملا على ما خولهم من نعمته واحتقارا لشأن الاعور بوحسون مستنفر الاتراك لخمول مكانه في قومه وعدم أهليته التي يوم وانه ليس لها بكفء عند الناس كما قدمنا فلم يبعث لذلك عن أحد من جنوده ولا شهد معه الحرب من أنصار دولته الا ستمائة فارس التي خف بها ولد ابن أبي جمادى انفذه بها أبوه ليحضر بها مع أمير المؤمنين الامام رضى الله عنه حسبما ذكرنا قبل وعندما التقى الجمعان بكدية المخالى من ساحة فاس ودارت رحى الحرب فلاححت بارقة الظفر والظهور للامام رضى الله عنه فزحزح الاتراك عن مراكزهم واستولى على مدافعهم لم ينشب أن انفضت كتاب بنى مرين من حوله فاطبة لانطوائهم على النكت وتواطئهم على الغدر فلحقوا ببوحسون وقلبوا ظهر المجن للامام رضى الله عنه وقد تركوه في حومة الوغى وحده في الفئة القليلة من أنصاره فكان خذلان العصابة المرينية شيب نكوصه رضى الله عنه ولحاقه بمراكش وكان هؤلاء العرب من تلك العصابة الفادرة فاعتدوها عليهم وكان ذلك أول الجرائر التي أسخطوا بها الدولة وأسعفوا بها الخلفاء ثم كانت على تفة ذلك واقعة بو ابراهيم الكائنة على المولى عبد الله حين نهوضه من مراكش بمن معه من جنودها لمزاحمة بنى مرين والاجلاب عليهم بفاس في مغيب والده الامام رضى الله عنه لسجلهاسة منازل لآخيه المولى أبى العباس الثائر كان عليه بها حسبما قدمنا فكان هؤلاء العرب من أشد جموع بنى مرين يومئذ عادية وأكثرهم تكاية في حرب السوس الدهضيين مع المولى عبد الله بحلهم وناجعتهم فأساءوا الاحدوثة فيهم بنهب الاموال وسبى الذرية وكشف الحرير وشفعوا بذلك فعلتهم الثنعاء غدرهم يوم كدية المخال وأهاجوا بذلك غضب الامام رضى الله عنه فالتهب صدره حنقا عليهم وتربص بهم حتى اذا أتحت له الكرة على بوحسون فقتله واستأصل جموع بنى مرين واطفا بذلك ذبالتهم المشتعلة اشتعال الخمود وفتح فاسا فتحا ثانيا واستوى على كرسيا \* ثم يقدم ص 60 شيئا على الانتقام من هؤلاء العرب فسرح اليهم القائد أبا عمران موسى بن أبى حمادى العمرى فانتزع خيلهم وأرجلهم كافة وضرب عليهم الخراج ونظمهم فى سلك الرعايا الفارمة جزاء بما اتوه من شنيع احدوثة فى الغدر أولا وثانيا وغرب أعيانهم وروساءهم كافة بأولادهم الى مراكش والقاهم بمضيعة منها فلم يجر لهم رزقا ولا أقطعهم وطنا ولا ضرب لهم بسهم واغرى بهم صروف الدهر وجوب القفر فأقاموا على تلك الحالة السوء الى أن ولى المولى عبد الله الغالب (1) بالله الامر فالتفت الى هؤلاء الاعيان بعض الالتفات واجرى لهم رزقا

(1) عبد الله الغالب بالله بويغ بعد اغتيال والده محمد الشيخ من قبل الاتراك عام 1557 ومام حكمه الى عام 1574 .

والحق لهم فرسانا فأقاموا يرتضعون أحلاف تلك الجارية القليلة وقيائلهم في عداد الرعايا الغارمة الى أن ضرب الدهر ضرباته فهلك الخليفة الغلب بالله وولى أمره ولده المتوكل وجاذبه جبل الخلافة عماء الخليفتان أمير المؤمنين المنصور وأخوه الكبير الخليفة المعتصم وزحفا اليه بجنود الشرق (1) فغلباه على فاس فكان هولاء العرب أول من نزع اليهما عن صاحب المغرب وجنح الى الخلاف عليه فاغتنم ذلك منهم أمير المؤمنين فاستبعمهم ونظماهم في عداد اجنادهما واستنفرهم للزحف معهما الى الريحان لتكثير العدد لا للعمل عليهم في الدفاع فشهدوا معهما الفتح وصحبوهما الى مراكش فراعوا لهم ذلك وغفلوا عنهم فترك أمرهم سائر أيام المعتصم فوضى لم يتمحضوا للجندية ولا تناولهم التكليف بما تبدله الرعايا الغارمة الى أن كانت غزوة وادي المخازن المتقدمة الذكر فنهضوا أيضا مع أمير المؤمنين وزحفوا تحت راياتهم من جملة جنود الله قشهدوا الفتح وراعى لهم أمير المؤمنين أيده الله ذلك أيضا ولما وصل لفاس من مشهد الفتح ونظر في أعطاف دولته وكان من أول المهمات التي صرف اليها عنايته ارحال القبائل التي كانت الدولة تقصيهم عن مواطنهم بجهات مراكش والسوس الى بلاد ازغار من ممالك فاس بما كانت هذه القبائل تسربت الى بلاد وتراجعت القهقر الى اوطانها عند ظلام الجوار واضطرام المغرب نارا وقتنة أيام المتوكل فسرح الى استرجاعهم واجهاضهم على الرحيل الى منازلهم بازغار ثم التفت الى عرب ذلك المواطن من قبائل الخلط هؤلاء المذكورون فاستنكف من اهمال أمرهم من ترك أحوالهم على ما كانت عليه أيام أخيه المعتصم ورعى لهم موات الانحياش اليهم اولا وحضور الفتح مع أمير المؤمنين ثانيا فراء أن يجازيهم على ذلك الجزاء الحسن فحرر أيده الله منهم النصف من بدل الخراج وضربه على النصف الاخر واطلقهم من اسار الغرامة واخرجهم من عداد الرعايا الغارمة وألحقهم بديوانه فتميزوا بشعار الجندية ولبسوا شارتها والحق روساءهم بطبقات القواد \* وأقطعهم ما شاءوا من البلاد فبهت بذلك أحوالهم وكانت لهم به المزية الظاهرة على سائر اقبائلهم من الرعايا الغارمة فلما تراجعت القبائل الراحلة من عرب السوس وعرب مراكش بأمر أمير المؤمنين الى منازلهم المعمورة ومواطنهم التي اقطعتهم الدولة بازغار وجدوا أهل هذا الوطن من عرب الخلط وغيرهم من القبائل المذكورة قدموا جناحهم على تلك المواطن وبسطوا أيديهم على استقلالها عند مغيب هؤلاء العرب عنها ودافعوهم عنها فاستنكفوا من اسلامها وزاحموهم فيها بالناكب واعتزوا بما لبسوه من جلدة الخدمة وحدثهم أنفسهم بمقاومة عرب السوس ومراكش الذين لهم فيها القدم الراسخة وأرهبوا لهم الحد وضايقوهم في

ص 61

(1) يقصد القوات التركية التي استعان بها المعتصم على محاربة بن أخيه المتوكل .

حدود البلاد فاستنكف عرب الدولة عن التجافى لهم عن شيء اقتطعه اياهم الخلفاء فشببت لذلك نار الحرب والفتنة بين الفريقين وجمع عرب الخلط وسائر قبائل ازغار لاولاد مطاع من عرب مراكش فأوقعوا بهم ونكسوا حللهم ولم يفلتوا الا بروس الخيل فامتعض لهم أمير المؤمنين وأجمع على الانتقام من الخلط وقبائلهم ففرض عليهم الوضائع الثقيلة وكانت تسعين ألفا عوضا عما نهبوا لاولاد مطاع وسرح لاقتصاصها منهم فأعطوها عن يد ردعا وعقوبة وأبعد عنهم أمير المؤمنين أولاد مطاع فأقطعهم بلاد تالمنت ثم كانت حركة أمير المؤمنين الاولى لفاس عام تسعة وثمانين (1) فرهب الخلط من سطوته وتجافى عنهم وأقرهم على أحوالهم فازدادوا بذلك استفسادا واغراء بالعيث والنهب والاجلاب على من يليهم من الاعراب بالنهب تارة مجاهرة وبالسرقة أخرى خفية وألحوا بذلك على عرب مراكش والسوس حتى شردوهم عن مواطنهم كارهين ثم تخطوا الى نهب الاسواق واضرام نار الفتنة ومصادمة الاحكام ونبد الاوامر وراء ظهورهم وحدث شأن الحركة وتجهيز البعوث الى تيكورارين من فاس عند مغيب أمير المؤمنين اليها المرة الثانية (2) والايقاع لعرب اليمن الذين أجلبوا على قائد البلاد سعيد بن الحسن وقتلوه حسبما قدمنا ففرض أمير المؤمنين على الخلط حصة قليلة من الخيل ينهضون بها صحبة البعوث المعدة الى تيكورارين فلم يستجيبوا لذلك وتثاقلوا فحق عليهم القول حينئذ وأجمع أمره على استنزالهم وارجالهم عن الخيل وانتزاعهم منها وردهم الى ما كانوا عليه من بذل المغارم والخراج جزاء على كفران النعمة والطغيان ووافق ذلك شأن خروجه لمعسكره من ظهر الزاوية ساحة فاس قافلا الى الحضرة فتلوم به ريثما جرد محلة من عساكر الخيل والنار وعقد عليهم لخالصتيه القائد أبي عبد الله محمد بن ابراهيم بن بجة ومحمد بن سليمان قائد القواد اليوم عند ولى عهده وسرحهم موريا بعسكرتهم هناك \* لحراسة

62

الثغور البحرية مما يخشى عليها من غوائل العدو ومفاجاته اوان الصيف وأخفى على الناس قصده في ذلك واوعز الى اشياخ الخلط وأعيانهم بارحال خيلهم أهل النصف لمراكش ليامنوا بذلك مكرًا بهم مخافة ان يتفللوا من قبل الاستمساك منهم وصلوا العساكر بين ظهرانيتهم واستوصى القواد بهم وبمعاضدتهم وكتب لهم بذلك وامرهم بمصاحبتهم فسكنوا واطمانوا ولما عرست المحلة بوسط حللهم وامكنت الحيلة وتات لهم الفرصة جمع القواد حينئذ الاعيان مورين بالمفاوضة معهم فلم يرعهم الا انقضاض الوزعة عليهم فصفدوهم فى الاغلال والسلاسل كافة وبتوا العمال فى سائر بلاد ازغار

(1) عام 989 هـ يوافق 1581 -

(2) تمت رحلة المنصور لفاس للمرة الثانية خلال عام 1587

وأرسلوا منهم عقبانا على الخيل فلم تمض أيام حتى جمعوا منها آلاف فلم يفلت منها حصان واحد وأرجعوا العرب كافة وتركوهم يدبون على أرجلهم دبيب النمل وسلبوهم من جلدة الخدمة وشعار الجندية وضربوا عليهم الخراج وردوهم الى معهودهم من الفرامة وبثوا العمال لاقتضائها فنجعوا وطلبوا بطن الارض خوفا ورهبانا مما فاجأهم وخمدت نار عيشتهم وزالت عن البلاد شواغبهم فكان ذلك من احدى الاهور الدالة على دهاء أمير المؤمنين أيده الله وصلاح نظره الكريم وتديبره المبارك السيد

وكان (1) من شأن عفوه عن أهل بلاد الهبط \* القائمين بدعوة الشقى ابن قرقوش النائر كان ببلادهم حسبما أسلفنا ما هو معروف أيضا فقد كانوا لما وصل أيده الله لفاس منصرفه اليها عام سبعة وتسعين (2) هذا حدثان القبض على الشقى وقتله وتدويخ العساكر لبلاد الهبط على انتزابه وممشى غوايته وارتجاع أهلها للطاعة والانقياد بسبب القهر وأقبلت وفودهم فى عداد من قدم من وفود الجفات المثالة على باب أمير المؤمنين ليسألوا التخفيف عنهم باسقاط ما احده عمال الخراج وكان أمير المؤمنين أمتن على سائر الرعايا بترك ذلك فجلس لهم أمير المؤمنين جلوسه لامثالهم وبسط لهم أيده الله مهاد عدله وكساهم سراويل حلمه وأفاض عليهم أنوار بشره واذن لهم فى عرض ظلاماتهم وذكر حوائجهم وجعلوا يعرضونها واحدة فواحدة وكلما ضرعوا اليه فى اثر ما يلهم فيه بما لم يكن فى حساب من الرفق والتخفيف حتى أتوا على جميع أغراضهم ولم يبق لهم حق يستلونه ثم قلب حينئذ أيده الله ظهر المجن وحاجهم بهفوة الخروج عليه مع الشقى ابن قرقوش بأن قال لهم هذه حقوقكم قد استوفيت وحوائجكم قد استقصيت وقضيت وأين حقى الذى قبلكم فقد رأيتمكم أعرضتم عنه ولم تعوجوا عليه فقالوا ما معناه يا مولانا أمير المؤمنين أجل وأعظم وأحق أن يقدم فقال اجيبونى عن ثورتكم مع الشقى ابن قرقوش وقيامكم بنصرته وخروجكم على للتعرض لشق عصى المسلمين والسعى فى افتراق كلمتهم فبأى شىء استحلتم ذلك وأى مستند لكم فيه وكان الشقى ابن قرقوش عند ثورته وخروجه قد تلبس للفوغاء بأحد اولاد الخليفة المولى عبد الله وانتمى اليه فقال لهم أمير المؤمنين لذلك محتجا عليهم رأيتم لو فرضنا قيام أخى عبد الله بنفسه فضلا عن ولده وبيعتى فى اعناقكم يسوع لكم اتباعه فتنكثوا وتصرموا حبال عهود الله وموآيقه الشديدة العرى والنبي صلى الله عليه وسلم يقول من أراد أن يفرق هذا الامر وهو مجتمع فاضربوا عنقه كائنا من كان وقال صلى الله عليه وسلم اذا بويح للخليفتين

ص 192

(1) الانتقال الى صفحة 191

(2) عام 997 هـ يوافق 1588 .

فاقتلوا الاخير منهما ثم انبرى ايده الله يقيم عليهم الحجة ويستطرد الادلة فافحم الملا وكستهم ذلة الانكسار والخضوع من وجوم الذنب فخرست الالسن ونكست الرؤوس وخشعت الابصار وطلبوا بطن الارض ولم يجدوا مخلصا غير المنزح للعفو وطلب المفرة فاكبوا على الثرى لاثمين وخاضعين ومتوسلين واعانهم من ضمه المجلس الكريم من مشيخة العلم وكبار الفقهاء فضرعوا الى أمير المؤمنين في الصبح والتجاوز فانبعثت في قلبه الرحمة ايده الله وعمل على شاكلته في عفوه الذي يعفى عن الصفائر والكبائر فقال لهم قوموا فقد وهبت \* ذنبكم لله الذي اظفرني بكم وأظهرني عليكم فانطلق الملا 193 شاكرين وداعين ثم عرض اجتماعي في ذلك اليوم او بعده مع شيخنا العلامة أبي العباس احمد بن علي الزموري بالمنكاهة التي في مجلس كتاب الانشاء في ديوانهم الكريم من قصور الملك بفاس فحدثني بشأن القضية لعدم اتفاق حضوري ساعتئذ اعجابا منه بأحوال أمير المؤمنين ايده الله وما أعطى من الكمال وفضل المقال فقال شاهدت اليوم أو أمس من كمال الاحوال وشرف الخلال وفصل الخطاب شيئا لا يصدر الا من بيت النبوة وقص على القصص على ما وصفت وسردت وهذا بالنسبة الى ما بقى من مآثره في هذا الباب ايده الله بعض من كل وقليل من كثير ولنقتصر على ما ذكرنا اختصارا

فارتحل (1) اليه ايده الله يوم السبت العاشر من رجب عام سبعة وتسعين (2) من بعد سرد صحيح البخارى بين يديه بتراءة العلماء بالقبة العربية من فساطيطه الكريمة على ما هو المعلوم في ذلك من سير الخلفاء رضى الله عنهم عند اسفارهم وسار ايده الله تلقاء مراكش فبرز \* منها ولده ووكيله كان بها في غيبته عنها المولى الامير أبو فارس 58 في عساكرها للقاءه فخيم بها على نهر تانسيفت وقد ملات مجلاته الربى والوهاد وكست الاغوار والانجاد لكثرة ما اخلق به من جنود الله وكتائب الاسلام التي جمعتها دار الخلافة وتلوم بها على النهر الى أن نزل بساحة ركابه مولانا والده أمير المؤمنين يوم الجمعة الثاني من شعبان وقد احتفل اعزه الله للقاء واستكمل أهفته فجدت الجنود وخفقت الرايات وامتدت صفوف النار في خرق من الارض حبالا واعدت رعود النار اشعارا بالسلام فاهتزت لها الجبال وزلزلت الارض ووقف أمير المؤمنين في موكبه على نشز من الارض لعرض الكتائب فجعلت تتنازل عليه من موكب المولى الامير ولده ابي فارس اعزه الله افواجا افواجا مسلمة ومودية فرض التحية فئمة تتبعها فئمة على احسن نظم وترتيب الى أن استكملت فرض التحية وتراجعت الى مراكزها فزحف اثرها المولى

(1) الانتقال الى صفحة 57

(2) رجب 997 يوافق يونيه 1589.

الامير أبو فارس أعزه الله في موكب الضخم وعسكره المجر وتقدم أمير المؤمنين أيده الله من موقفه للقائه اكراما وتشوقا لكثرة ما ألقى الله عليه من محبته فترجل المولى أبو فارس حتى حيا في الارض معفرا وجهه الكريم ودنى للشم القدم الطاهرة الشريفة فحنى عليه أمير المؤمنين حنوا تنفتت الاكباد لرويته وعظيم مرحمته واستبركه فوقف من خلفه فساروا أيدهم الله سير الدراري تجاه المحلة السعيدة وقد اجتمعت جنود الله كافة تحت رايات أمير المؤمنين فماجت الارض بمن عليها فكان اليوم ثانى اللقاء بظاهر فاس كما قدمنا مع ولى العهد حسنا وبهجة وفخامة وأكثر عددا وأوفر جموعا وجنودا أقر الله بهم عين الاسلام وأزال بسيوفهم عبدة الاصنام وخلد الامر فيهم الى يوم القيامة بعزته وقدرته .

### ذكر (1) ارتجاع مدينة أصيلة من يد المشركين

قدمنا ما كان في خلافة المولى عبد الملك المعتصم بالله رحمه الله من نزوع ابن تودة (2) قائد الفحص وبلاد الهبط الى أرض الشرك ومجاجاته بالنصارى الى أصيله على حين غفلة من أهلها واجهاض المسلمين عنها الى القصر فتملكها المشركون وأدال الله الطيب منها بالخبيث على يد من ذكر ولما توفي المعتصم بالله وأتى الله من مولانا الامام المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله بالجبل العاصم من الطوفان والممسك للارض من الرجفان واسد الحفيظة الذى (اذا ورد البحيرة شاربا ورد الفرات زيره والثيلا) (3) حمى أنفه واستشاط غضبه وعصفت عواصف الانفاس الابية منه لهذه الشنعاء التى رمى بها النازع الى أرض الشرك ثغر الدين فتركه ادرد والفعلة التى احدث بها فى سد الاسلام فرجة فجرد أمير المؤمنين أيده الله صارم عزمه لاستخلاص هذه المدينة التى هى فى الاسلام كاسمها أصيله وفى الامصار النبية عقيله وأرهف لذلك حد تدبيره الذى اذا لاقى الصخر تركه زيمما فلم يزل أمير المؤمنين يسدى فى أمرها ويلحم ويسرح ويلجم ويوعده ويعد وبنى ذلك على أساس من المكاييد كأنها لحصافتها بكل مغان الفتل شدت ليدبل وضاق ذرع المشركين بها ورضوا من الغنيمة بالاياب ولما أراد الله انجاز وعده الصادق بعثوا بعثة الخداع فى مستقرهم ليلا \* واستسلمها المسلمون منهم واجهضوهم مجفلين من الدر فركبوا البحر ليلا وطادوا بأجنحة الغربان الى منجاتهم ودخلها حزب الهدى وعاودها الايمان وخرست السن النواقيس لارتفاع اصوات الاذان بالمساذن وأقيمت فيها شعائر الاسلام ومراسمه ومحيت منها كلمة الكفر وطواغيثه وأصبح ثغر الدين

ص 65

(1) الانتقال الى صفحة 64

(2) هو عبد الكريم بن توده صهر المتوكل الذى كان يحكم منطقة الغرب ، ولما التجأ المتوكل الى طنجة طلبا للمساعدة البرتغالية فلوّض ابن تودة البرتغال على احتلال أصيلا وتم ذلك فعلا وقد اتخذ البرتغال نقطة هجوم على المغرب قبيل معركة وادي المخازن .

(3) بيت شعر .



بارتجاعها باسمها بعد أن قطب وتجهم واستاق الله لأمير المؤمنين أيده الله هدى فتحها فيمن  
 نقيته وصالح رايه وتديبره واعتد مثوبة ارتجاعها ذخرا لمعاد وكان ذلك في عوفى  
 عشرين لدى قعده عام سبعة وتسعين ولما اطلعت على الحضرة طلائع البشرى بفتحها  
 اعملت منظوما مهتيا وموريا في البيت الثاني باسمها واسم العزيز ملك مصر على عهد  
 يوسف عليه السلام فقلت

بكر الفتوح لكم تهلل بشرها وافتر عن شنب المسرة ثغرها  
 وعقيلة الامصار وهي أصيلة انت العزيز أطاعك مصرها  
 وافي بها الفتح المبين يزفها لكم وليس سوى قبولك مهرها  
 شغفت ببدرك واستبأك حينها فتجمعت بكما حين وبدرها  
 كانت ليالى الكفر بها فيها دملا وبمصرك الاقوى تبين فجرها  
 خضعت لكم بخضوعها الدنيا وقد لبك من بطحاء مكة صخرها  
 أوطى جيوشك أرض أندلس فقد نذرت تطيعك كى يوفى نذرها  
 واحصد رءوس المشركين بها فقد ان الحصاد لها وارطب بسرها  
 واملك جميع الارض وهن وارثة اليكم بالفتح يسند أمرها

#### ذكر قفول العساكر من نوات ونيكوارين من بعد التمهيد (1)

كنا أشرنا الى ما كان من انتفاض أهل نوات ونيكوارين واجلاب عرب اليممن  
 على قائد البلاد سعيد بن الحسن وقتله وما كان من انبعاث أمير المؤمنين لفلتهم وتجهيز  
 العساكر من فاس والسوس الى جهتهم لنظره مولاه الذى كان فتحها الاول على يده  
 حسبما قدمنا القائد الصدر حم بن بركة الشيطمي وتزاحفت هذه العساكر الى البلاد  
 متتابعة يقفوا بعضها بعضا وكانت الحصنة التي جهزها أمير المؤمنين من فاس صحبة  
 مملوكة قائد المراكب والظعن وصاحب المسرة سليمان هي السابقة الى البلاد ثم زحف  
 رديفا لهم جيش الخيل والاسل يقتاده علال بن محمد بن عب من فاس أيضا واعترض هذا  
 الجيش ناجعة اولاد عبد الكريم من الاحلاف بالقفر ما بين سجلماسة ووادي الساوره  
 وكانوا مجفلين من سطوة الاجناد بما كانت الدولة اسخطتهم على سوء أفعالهم فاستاق  
 غيرهم وامتلأت يده من سبيهم فكان ذلك فاتحة الظفر ولا نذر العرب ومن انغمس  
 معهم في الخلاف واضرام نار الفساد من اهل البلاد بزحف العساكر اليهم وجاءتهم بذلك \*  
 من مكان بعيد وكانوا مخيمين بجمعهم على تيشميون محل ولات الامر من نيكوارين

(1) كان ذلك يوم السبت 20 قعدة عام 997 هـ الموافق 30 سبتمبر 1589 .

(2) يقتضى الترتيب التاريخي للاحداث الانتقال الى الصفحة 62 .

محاصرين لمن بها من الحامية لقلتها وعلموا أنه لا قبل لهم بجنود أمير المؤمنين أجفلوا الى القفر أمامهم وقذف بهم الرعب الى المفاوز على كل وجه فتركوا أهل البلاد الذين تماثلوا معهم على الفساد بين الناب والظفر ثم تلاحق ابن بركة في عساكر السوس وتكاملت جنود الامم بالبلاد واد المستمسكين بحبل الطاعة من أهلها وعجزوا عن القيام بأمرهم في العلوقة والارزاق فافترقوا لذلك محلتين توجه في احدهما سليمان مملوك أمير المؤمنين بعساكر النار ومعه علال بن محمد بحصنة الخيل التي لنظره وانحدروا الى توات ويهمو تيمى منها بما كان رئيسها أبو القاسم بن عمر هو الذى تولى كبر ذلك الفساد وأضرم نار الشقاق فاقتطعوا نخيله وخرّبوا منازلهم وعاثوا فى دياره حتى تركوها بلقعا واقاهوا فى جهات توات لتخريب منازل المارقين من أهلها وكانوا قد شردوا امامهم الى القفر بأولادهم وتركوا الديار والمنازل فمات فيها الاجناد ونسفوها نسفا وسمى القائد محمد ابن بركة فى المحلة الاخرى الى الشط الظهرانى من تيكورارين مدوخا وممهدا ومستالما ومستاصلا حتى محى اثار النفاق وحصل من التمهيد على الغرض فانحدر الى جهة توات وتلاحق بالعساكر التى بها ثم تخطاهم الى قاصية البلاد مما يلى القفر ومجالات عرب اليمن للمبالغة فى التمهيد والاستقصاء فى التدويخ ومشاركة احوال العرب ليحاول فرصة ينتهزها فيهم ويستاصل شافتهم وتعاقد مع سليمان وجنوده على انتظاره والمقام حتى ينقطع اليهم ثم توغل فى البلاد وطال على الاجناد الامد وأدرك الجهد أهل البلاد بما أرسل الله عليهم من العذب والجراد والاجناد اثر ما أضرموه من الفساد فافتقدت الجيوب واعوز القوت واشتدت المخصمة وحذر سليمان اختلال أمر العساكر فارتحل الى المغرب ويهم مراكش دار الخلافة فاحتل بها لشهرين أو نحوهما من وصول أمير المؤمنين اليها من فاس وتنازل وراهم ابن بركة بالحصنة التى معه من عساكر السوس وضرب أوتاد الإقامة حتى سكن روعة الساردين أمام العساكر من أهل البلاد فترجعوا خاضعين وملعين من كل اوب ثم ضاق ذرع العرب بالانقطاع الى القفر وسئمو المفاوز وندمو على ما اتوه من اسخاط الدولة وعلموا انهم لاطاقة لهم بمقاومة عداوة مولانا الامام لما دهمهم من جنوده وراوا من عظيم احتفاله فمدوا يد الضراعة لابن بركة فى قبول فنتهم وتمشت اليه \* رجالهم من أهل الصلاح وكانوا يتقون منه بالقول لما بلوه من صحة مذهبه وصدق عهده وسألوا منه الامان فبئله لهم وانثالوا عليه وألقوا بأنفسهم عليه راغبين وراهبين فتقبل فثانهم ووطأ لهم أكناف البر والقبول وتراجع سائر الرعايا الذين تفرقوا فى البلاد رعبا ورهبا الى قصورهم فسكنت الاحوال واطمأنت الامال وكمل التمهيد واعاد البلاد الى اعظم مما كانت عليه من لندن الفتح والتدويخ ورسوخ الطاعة واقتضى خراجها وأزاح علل اجنادها ورتب منهم فيها من

ص 64

يقوم بحياطتها فى قسبة تينميمون وقفل فى بقية العساكر فاحتل بالابواب الشريفة بمراكش فى شهر صفر عام (1) ومعه وفود العرب وأهل البلاد من كل جهة فلقام أمير المؤمنين برا وكرامة واعترفوا بالذنب فعفا عنهم ووصلهم وخلع عليهم وعقد على البلاد لحم بن فارس أحد صنائع الدولة من بيوت احلاف الزرکان وسرحه الى البلاد فى حصة من العساكر

### ذكر افتتاح بلاد السودان والاستيلاء على ممالكها المنتظمة فى سلك الايالة العلية .

قال مؤلف الكتاب بأى عبارة أفتاح هذا الفتح العظيم الذى طنت حصاته بين الخاقين وملا صيته البعيد مسامع المعمور وتخلل السبع الاقاليم من دائرة البسيط وكاثر بفردته الجموع من فتوح الاوائل والاواخر (وليس لله بمستكثر أن يجمع العالم فى واحد) وما عسى أن يقال فى خارق سياج العادة وغريبه لا تثبت الا فى الحلم فما قرع مثل بنانه صماخ اذن ولا تبدى مثل طرازه على حله فخار خليفة وملك ولا وشيت بمثل منقبتة الجليلة صفحة ديوان فلو رقت اقلام البلغاء من الانامل على اعوادها وقامت خطباء بمحاسنه فى حلل مرادها وفقرت المحابر افواها لتلقينها وامتتها مما فى بطونها لصلت فى ليالى انفاسها \* وكبت لفيها فى مجال فرطاسها وارت من الخضوع والعجز 66 ص  
تقلب وجهها فى الساجدين وناهيك بفتح بيوت الوهم يقف دونه قلم الحاسب بما انتظم من الاقاليم الفسيحة الاقطار الجليلة الاخطار المراصفة القرى والامصار والامم المتعددة الاجيال والافاق المستبحرة العمران والبلاد التى هى محشر العالم ومدرج الدر من بنى ادم والممالك المنتظمة مع خط النيل من عدوتيه انتظام السلك الجارية مع تياره فى طلق من لدن تخوم النوبة الى مصبه فى البحر المحيط من قاصية المغرب ما شئت من مدن قاهرة وقرى متراصفة ومروج نضرة واسواق بالخلق والنعم زاخرة كأنما انطلق أهلها من الحساب لكثرة من ينتابها من جميع زوايا المعمور من ركاب التجر وارباب البضائع الثقيلة الذين يضربون اليها اكباد الابل من كل فج عميق ونهوى اليه اقتدتهم من كل مكان سحيق وحسبك ببلاد ائرها الله وائرها بنهر الجنة ومنبع مياه الرحمة تسقيهم النهل والعلل بحجة ويجبى اليهم الثمرات والخيرات ثبجة وارض كرم الله تربتها وابان فضلها بما اختصها به من معادن الذهب الذى به قوام العالم واس الملك وبناء المجد وبالتفاوت فيه تفاوت اقدار قوة وسلطانا وجنوداً وأوطانا فهى مثرات العديم ومجلب التبر الى المشارق والمغرب فى الحديث والقديم فمن ملكها ملك الارض وجمع الطول والعرض لا يضطرار أهل الارض

قاطبة الى حمرائه واقتيادهم الى الازغان لصفرائه الى ما اشتملت عليه هذه الممالك العظيمة من المرافق العجمة التي جاد بها كرم التربة وخصب البقعة فقد طم بها بحر الحبوب والاقوات والادم وسال بها سيل النعم السائلة المنبثة للتناسل في المزج النضر المتد مع ضفتى النيل جناحا أخضر موسى البرود بوشيح النبات مفدق السقيا بالفيض المتراكب الموج الى معاسن لا تحصى ولا يأتى عليها قلم الاحصاء فكانت خبيئة فتحها فى طى العصور السالفة الى هذه الدولة الكريمة دليلا على عناية الله بشأن هذه الامامة الكريمة القدسية الاحمدية النبوية الشريفة اليها اظهر الله على يدها خوارق العادة وقلد منها جيدها الكريم ابيهى قلادة وكانت هذه الممالك السودانية بما استدار بها من سياج القفر الافيج والمجهل البيداء التي تضل بها القطن الجون وتكل فى قطع مداها عواتم الشهب وتتقطع فى حفاقيها انفاس التسييم غاضت بها نطف التمداد وتلهب وهج سمومها وتموج رقرق سرايها فلا تعمل العملات فى شقتها النازجة الا وهى انضاء كلال ولا يكاد ينفذ طى ملائتها وخذ وارقال لم تسم قط همم الملوك الصافين لها الى غزو ديارها ولا جعل احد منهم ذلك غرضا لهم عزمه على اتصال الاماد \* والاحقاب وكم انقضى من اجيال الامم الذين أوتوا الملك والبسطة فى العباد واستولوا على الاقطار الدانية والبعاد وقادوا العساكر الجرارة وطمحت همهم على الشهب السيارة من كل مقتبل الدولة مرهوب الصولة مشهور البأس قوى الشكيمة طالما هب له النضر وخدمه السعد وساعده على ما اراد انقضاء القضاء وشق الممالك فى سلك سلطانه ومع ذلك زوى عن هذه الامم وجه الاعتزام ولم يعمل فى ذلك روية ولا ارتجالا واجال فيه قداح فكره تفاديا من مرامها الصعب ومراكبها الشמוש الابى وما منهم الا من ينظر منها الى حسناء لا تنقاد وعجماء لو استنطقت قالت ارى العنقاء تكبران تصاد حتى ظن لذلك أهلها أنه لا يروع لهم سرب ولا يكدر عليهم شراب ولا يوقظ لهم من منام الا من جفن الى أن قيض الله تعالى لافتضاض عذرتها الاسد الورد المرهوب الشبى الدامى المخالب الحية اللكر والفحل الذى لا يقدر انفه ولا تسكن شقاشقه منبعت العزائم التي تقلق الصخر وتقتدح زناد الاراء المقتبسة الانوار من مشكاة الرسالة والشراك الذى قد قد من اديم النبوءة القرم الماضى العزيز القوى الشكيم كافل العلا وربى مهدها الناهض باعبائها حامى سرح المجد والمكارم علم العزم والمفاخر الذى رسخ ككبجا وسمى كوكبا امام الامة كافل الارض كهف الاسلام تاج الخلافة مولانا امير المؤمنين سبط خاتم النبيين المنون بامامته المقدسة على العالمين مولانا ابى العباس احمد المنصور بالله امير المؤمنين ايدى الله فطمحت نفسه الشريفة التي لا ترضى غير الدراع متوسدا ونهر المجرة موردا الى امتطاء صهوتها وتسئم ذروتها واحتلال الفتح من الويته فى عقرتها وكان ايدى الله تعالى قبل ذلك حسبما قدمنا قد

وطىء عساكره الامامية نخوم هذه الاقاليم ذات اليمين مع سيف البحر المحيط وشقت طرق هذا القفر البعيد المدى المديد للغاية النازح الشقة الى أن وردت خليج النيل حيث مسقطه من البحر المحيط وشدخت هنالك انوف عوالم وأمم تربي على الاحصاء والاستقصاء من السودان والاحياء الوبرية من العرب وصنهاجة سكان القفر ممن نشأ في ذلك الجو وربى مع الرثال في ذلك الدر في عداد الاوابر الشوارد ينتجون مساقط الفطر بساعتهم في تلك المراسى لا يدنون بانقياد ولأمرت انفوهم على خزائم الملك ولا غضت شكائم الاذعان من جماحهم فلا يفترون بينهم من حرب ضروس وبث غارة شعواء فهم الدهر بين غالب ومغلوب وسالب ومسلوب شأن العرب العرباء في جاهليتها بعدا عن الاذعان وانفة من الانقياد فترامت اليهم العساكر الامامية وجابت اليهم المغاوز بجحافلها \* ووطئت سناكبها عقر ديارهم وعب عليهم عند اطلال راياتها المنصورة ص 68

قاصف الرعب فالقوايد استسلام فما عابت حتى ساقطت في ملائتها طاعتهم حذارا من صولتها وتفاديا من هبوب عواصفها المنتسفة الاثار والاعيان فجابت العساكر من أرض في هذه الامم ما بين وادي نول - اخر اعمال السوس الاقصى الى شط النيل حيث ذكرنا ما يناهز تسعين مرحلة ثم تسامت هم مولانا امير المؤمنين ايده الله بعد ذلك الى الغلب على هذه الممالك الاخرى التي لا توازي لاجل معادنها الذهبية فخامة قدر واصالة ملك واتساع خطة وكثرة امم واتساع عمران ورسوخ امان واستبحار خراج حسبما شرحنا فشجد ايده الله عزائمه وارهدف حدها واجمع أمره على اصطلام انفها الذي طالما شمخت به عزة وانفة وجمع جراميزه للوثبة عليها وثوب الليث الرابض فكان أول ما ابتداء به ايده الله عمله الناجح المسعى في هذا الغرض واصاب فيه شاكلة الحزم الذي هو درعه السابغ ولامته الفضاضة تسريح عين له الى هذه البلاد في صورة رسول اعتمامه من نخبة الخدام أهل النبل والذكاء ليرتاد له البلاد ويسبر له عمق أمورها ويمتلا من الاطلاع على سائر احوالها فسقطت منه فراسة مولانا امير المؤمنين ايده الله وحده الصادق على الخبير قصيره لوجهته واحتل بعقوتهم وكان الرجل ساحر اللسان واسع المكر فتوصل بذلك الى مداخلة آل سكية ملوكها والاختلاف الى أووينهم وحضور مجالسهم وهو خلال ذلك قد طوى كشحسا على ما اعمل اليه الطيبة وارجى المطية يستقرى الاحوال ويختبر المناحي فوجد في البلاد فرصة الانتهاز وعاطل جيد قد تهيأ لاطواق الخلافة العلية فقفل ولم يدع من نفير ولا قطمير الا واحاط به فهما وقتله علما فقص ذلك على امير المؤمنين ايده الله وشجد به غرار عزمه فكان من احتفاله ايده الله وتجهيز العساكر اليها واجلابهم عليها على ما ذكره ان شاء الله تعالى .

## ذكر تجهيز العساكر الى السودان والايقاع بجنودها وما يتخلل ذلك من الاخبار.

ولما ارتجع رسول مولانا امير المؤمنين ايده الله تعالى وعينه الذى بعثه لاستقراء احوال البلاد فكشف له عن عوراتها واشفاه فى الجليل والحقير من اخبارها كما قدمنا وكان ذلك فى سنة احدى وتسعين (1) تلوم من حينئذ يجيل فى امورها قداح السراى وايمتاح قلب التروى استبراء للحقائق وانعاما للنظر .

وكان (2) اول شيء اغنمته امير المؤمنين ونتج له عن نظره فى جلب هذا العيص من ولد سكية (3) شأن الخراج الذى وظفه كان على معدن الملح بتغازى وكان من خبر فى ذلك ان تغازى وهى بلدة تتوسط القفر بين المغرب وبلاد السودان كانت فى القديم من ممالك سكية وتخم أعماله وبها معدن الملح الذى تمتاز منه سائر بلاد السودان ثم لما اشرق نور هذا الامر العزيز على الدنيا ومكن له فى الارض اجلب الامام رضى الله عنه على تغازى فانتزعها من يد سكية واستضافها للمغرب وعقد عليها لرجاله ثم رءا أن يتجافى عن بعض خراجها لسكية مقابلة تسريع بيع الملح الذى تستأمه العير الى بلاده من هذا المعدن فكان سكية يبعث من يحمل له نصيبه من الخراج دون أن يكون له قبض ولا بسط فى احكام البلد والمعدن وجرى الخلفاء من ولد الامام على سنته فى ذلك الى أن صارت الخلافة الى مولانا المنصور امير المؤمنين ايده الله واستفجلت الدولة اليوم لعهد الكريم وتفرقت التجارة وتضاعف خراج المعادن فرءا نصره الله أن المعدن لبيت المال وان اباحة ملحه بغير قيمة فيه تضيع لمال المسلمين وحقوقهم فيه (4) فوظف على هذا المعدن منها مثقالا على كل حمل على جميع الابل التى ترده وتؤمته من سائر الآفاق وتقصده وكانت بحرا لا ساحل له وبني على ذلك المعدن حصنا انزل به من جيش النار من يحميه من الاعراب ومن الامتياز الا ان يؤدى الضريبة من جاء يسعى اليه وشحنه بالاقوات فرءا صاحب السودان ما يحصل من عظيم الربح والمنفعة فى ذلك لامير المؤمنين وحذر مغبته

(1) عام 991 هـ يوافق 1583 .

(2) يقتضى الترتيب الزمنى لملاحقات الانتقال الى الصفحة 114 .

(3) يقصد داود بن علي السدى سيتحدث عنه فيما بعد

(4) يمكن تلخيص مراحل تدخل المنصور للسيطرة على معدن الملح بتغازى فيما يل

1 - لما تولى المنصور كاتب اسكيا داود فى شأن التنازل له عن خراج معدن تغازى فاجابه اسكيا داود بان (بعث له عشرة الاف ذهابا هدية ... فكان سبب المحبة والوصلة بينه وبينه) ( تاريخ السودان للسعيدى ص 111 ) .

2 - بعد وفاة اسكيا داود وتولية ابنه اسكيا الحاج محمد عام 990/1592 ارسل المنصور الى السودان وفدا للتعزية وللاطلاع على موقف الحاكم الجديد من التنازل عن معدن تغازى ، وقد حمل الوفد المغربى معه (هدايا عجيبيات) (تاريخ السودان - ص 120) فارجع اسكيا الوفد معه (أضعاف ما ارسل هو من الهدايا من لحام وستائر الغالية وغير ذلك ومن جملة ما ارسل ثمانون حصيا) (تاريخ السودان - ص 120) .

3 - لما تأكد المنصور من رفض الحاكم السودانى التنازل له عن المعدن المذكور تدخل عسكريا بسان ارسل قوة مسلحة قوامها مائتا جندي لاحتلال تغازى ، وتم ذلك عام 994 هـ/1586 وقام بفرص مثقال على كل حمل .

ان تم له فيه تدبيره فسعى في تعطيل ذلك وافساده ونادى فى سائر بلاده باقتطاع ملح ذلك المعدن ومنع العير التى تمتار منه من الورد به الى بلاده(1) ثم ضرب الدهر ضرباته فقدفت الاقدار بهذا السبب من ولد سكية الى اىالة امير المؤمنين بتدبيره واعمال الحيلة كما وصفنا من حله (2) .

واما(3) ولد سكية صاحب كاغو من ملوك السودان فقد كان من خبر وصوله ان امير المؤمنين لما عزم كما قدمنا على تجهيز العساكر الى جهة سكية مرجعها من الحركة لسواحل السودان المتقدمة الذكر رءا ان يبعث من قبله اولاً عيناً الى البلاد ليحتال على جلب بعض الاعياص من ولد سكية لينصبه لاستيلاف قومه ويرمى به البلاد مع العساكر واختار لاحكام هذا التدبير واتمام الحيلة فيه منصور بن الفلالى شيخ اولاد سالم من عرب القفر لبناهته ومعرفته بالبلاد لجلب الغاره اليها ولما كان له من المداخلة بملوكها لكثرة اختلافه الى ابوابهم وجلب التجارة الى بلادهم فسرحه الى ذلك ملبساً بالتجارة فوصل الى كاغو قاعدة ملك سكية فاسترابوا به اولاً وافضى به الامر الى أن سجنوه ليبتلوه بذلك ويمتنعوه فعالج الصبر على المحنة نفياً للريبة وتوصلاً الى اتمام الحيلة وتنفيق المكيدة فاسرها فى نفسه ولم ييدها لهم الى أن لاح لهم عليه من الشواهد ما يقتضى فى الظاهر من احواله براءاته فسرحوه من الاعتقال واستخدم واطهر لهم من نفسه المخالصة واقام لديهم ثلاثة اعوام يتقرب اليهم فيها بما يظهر من المناصحة مكرًا وخديعة واعتمالا فى اتمام الحيلة الى أن اتفق ما كان من موت الحاج محمد السلطان(4) كان حينئذ من ولد سكية وتحويل الدعوة الى بعض اخوته فافتقرت عليه الكلمة بخروج احد اخوته عليه فدارت بينهما حروب اجلت عن القبض على الثائر فاغتنمها منصور رسول امير المؤمنين فتقرب فيه للسلطان بالمناصحة وحضه على تفريره الى المغرب حسماً لداء الفتنة ودفعاً لما يحذر من مغبته وهو يسر حسوا فى ارتقاء مكرًا به فى ذلك فاصفى اليه وقلده ووكل به من اوصله الى والى الامر من قبل امير المؤمنين بتغازة فقيدا فاغد به من

(1) أورد المؤرخ السودانى السعيدى فى (تاريخ السودان) ص 121 (وفى سنة اربعة وتسعين وتسعمائة فى سوال جاء الخبر بان لا يذهب احد الى تغاز فمن مشى اليه فماله هدر)

(2) يقصد المؤرخ الفشتال وصول الامير السودانى على بن داود الذى وصل الى مراکش فى شهر جمادى الاولى عام 997 الموافق لشهر افريل 1589 وسيفصل الفشتال فيما بعد القول فى الطريقة التى وصل بها الامير السودانى الى المغرب .

(3) يقتضى الترتيب الزمنى لسرد الاحداث الانتقال الى الصفحة 113

(4) اكد صاحب تاريخ السودان بان ثورة قامت ضد اسكيا الحاج محمد فى شهر ذى الحجة عام 994 الموافق لنوفمبر 1596 . وقد يكون ذلك للموقف السلبي الذى وقفه الحاج محمد من احتلال المنصور السكرى لمعدن تغازى ، وتولى فى محرم 995/يناير 1587 اخوه اسكيا محمد الا انه تولى فى نفس السنة وخلفه اخوه اسكيا اسحاق الذى تمت بيعته يوم الاحد 3 جمادى الاولى عام 996 الموافق 10 ابريل 1588 . وقد قامت ضد اسحاق عدة ثورات من أهمها ثورة اخيه على الذى انهزم والقى عليه القبض .

حينه الى مراكنس دار الخلافة فوصل في جمادى الاولى(1) واتصل خبر وصوله بأمر المؤمنين بفاس فاهتز له من اعواده سرورا باتمام حيلته واستبشارا بفتح البلاد على يد العيص من اسباط سكيه الذى اعتمل فى جلبه واعتدها الناس من مآثر \* امير المؤمنين فى الدهاء وبعد الثور فى الصبر على العاقبة لمدة من ثلاثة اعوام وحسن النظر فى اختبار الرسول الذى هو عنوان الملوك على النجاح واستقامة الرأى وصحة التدبير .

وراء(2) أن له بذلك التحكم فيما يشاء عند صاحب السودان فابتدر من انتهاز الفرصة فى تمييز الخراج الموظف على معدن تغازى واعتمل فى اتمام ذلك بأن دس مع ولده المولى ابي فارس عنانها .

وقبض(3) ولد سكية الوافد على الحضرة فى مغيبه بأن يكتب الى امير المؤمنين يرغبه على امداده بالعساكر ليحلب بها على السلطان اليوم بكاغو وطير به امير المؤمنين لناحيته مع رسوله الى سكية صحبة رسالة خاطبه هو ايده الله بها من عنده يأمره بتسريح العير التى تمتاز الملح من هذا المعدن الى بلاده وتهدده بما انفذ اليه من كتاب اخيه المعتمد فى شأن الاجلاب عليه بعساكر المغرب وأراه أنه قد أملا له فى الجواب حتى يرى ما يبدو منه ويصل عنه يحاول ايده الله بما دبر من هذه المكاييد الحصول على غرضه فى تمييز ذلك الخراج الوافر من غير كبير كافة ولا اعمال حركة ثم بدا له ايده الله ان يبني أمر هذه الملاحة المعدنية على أساس من الشرع واقامة للحجة البالغة بذلك على صاحب السودان فاستفتى علماء حضرته وكبار مشيخة العلم وارباب الفتى بها فافتوا بما هو معلوم فى ذلك لائمة المذهب وعلماء السنة من ان للامام فيها النظر والاجتهاد وصرفها فيما يراه من وجوه السداد وسطروا بذلك فتاويهم فانفذها مع رسوله اليه صحبة رسالة اعذر له بها من انشاء شيخنا الصدر العلامة مالك زمام البراعة والامام الذى صلت وراءه ارباب الصناعة ابي مالك عبد الواحد بن احمد الشريف لمرض كان الم بى حينئذ عاقنى عن الانشاء والصعود للباب العالى فتوجهت الاشارة الكريمة لذلك الى شيخنا ابقاه الله بكتب الرسالة فاشكل عليه المصطلح فى استهلالها بما يليق فى حق خطاب امير المؤمنين ايده الله بالنسبة الى المخاطب فتفادى من ذلك ابقاه الله بالاحالة على لتكرار الكتب اليه من انشاءى واقتصر على ما دون الصدر وكتب فى عرض المسودة الى امير المؤمنين يعتذر له عن ذلك بما نصه ايدهم الله ونصر اعلامكم ان مخاطبة هذا الرجل

(1) وصل الامير السوداني على بن داود الى مراكنس فى جمادى الاولى 997 لوافق لافريل 1589

(2) يقتضى ترتيب الاحداث الانتقال من السطور الاولى للصفحة 114 الى السطور الاخيرة منها

(3) يستلزم تنظيم المعلومات الانتقال الى الصفحة 54 .



الذى هو فى رتبة ممالك الحضرة المولوية أمر نعلم فيه لسانى ووقف عن خوض لجهته  
بنانى وخفت ان يكبوا فيه طرف بنانى لان الناي عن هذه المحجة قد مد بينى وبينها  
حجابا واغلق فى وجهى بابا فلا آمن ان افتحمته من الوقوع فى تفريط او افراط  
وخير الامور لو علمته الاوساط لآكن لا سبيل لمعرفة الا بعد علم الطرفين والعبد محجوب  
عن ذلك دون مين فتركت ايديكم الله الصدر لمن هو به منى اقدم وتعاميت عقده لمن هو  
له اعقد ابى فارس عبد العزيز الذى فاضت عليه انواركم واضاءت له سبل هذا المنحى  
اقماركم والا قرعت هواتف لسان الحال سمعى بقوله

يا بارى القوس بريا ليس يحسنه لا تظلم القوس اعط القوس باريا

انتهى وحينئذ توجهت الاشارة العلية الامامية الكريمة الى العبد باشاء صدر

الرسالة \* وفصول اخرى فى مواضع منها ونصها الى رئيس كاغوا وكبيرها والقائم  
بأمرها وتديرها اسحاق سكية بن داوود وصل الله لكم اسباب هدايته وتوفيقه وجعلكم  
من انتمى الى حزب هذا الجناح النبوى الكريم وفريقه سلام عليكم ورحمة الله  
وبركاته اما بعد فهذا لله الذى صرف لهذه الامامة النبوية الكريمة وارثة الارض ومن  
عليها وجعل زمام الامة بيدها والنظر فيما لهم وعليهم موكولا اليها والصلاة والسلام على  
سيدنا ومولانا محمد المبعوث من اطيب المعادن وأشرف من تنصرف اليه الوجوه من كل  
ظاعن وقاطن والرضى عن اله الاثمة الاعلام خلفاء الاسلام واصحابه الذين عزروه ونصروه  
بالسنن والحسام وصلة الدعاء لهذا المقام العلى الامامى النبوى المنصورى الاحمدى  
الحسنى الفاطمى بنصر تدور به الافلاك وتستنزل به الملائك وتخضع له الاملاك  
فكتابنا هذا اليكم من حضرتنا العلية وكرسى اياتنا العلوية ومقر امامتنا الهاشمية الحسنية  
مراكش حاطها الله ونعم الله على هذا المقام المنصور ضافية السربال وافية السيال  
والاعتناء بحفظ نظام الدين وتشديد قواعده من كاسه العنوق والاصطباح والاهتمام  
بمصالح الامة المحمدية مستغرق فيه المساء والاصباح وارسال سوابق الفكر فى تتبع  
المصالح التى تتعلق بها اعلام التوحيد على اهل التثليث هو الدين فى الفد والرواح كل  
ذلك علم الله لتقدم فى هذا الدين المحمدى المقام الشريف ونبرا على اكمل الوجوه من  
عهدة التكليف فقد نيطت بنا التكليف الشرعية التى لم تنط بغيرنا اى مناط  
وارتبطت بنا اى ارتباط ولا مطمح فى التقصى من ربقتها والانفلات من عهدها الا بمواصلة  
الجد فى السالمات والانا واعمال الحزم والعزم وترك الهونا ومتى يقع الخلاص من اعباء  
عرض حملها على السموات والارض فابنت ووعدها بالثواب عليها خالق العالم فتأبنت  
فاليه سبحانه نمد اكف الضراعة فى تيسير الخلاص من هذه الاثقال ومنه نستمد الامانة  
التي بها تنال الامال وغير خلى على من ذاق حلاوة الايمان وخالطت بشاشته قلبه والقى

الى هواتف الشريعة كتابا وسنة سمعه ولبه اننا بهذه الانتقال دون غيرنا مطالبون وبأعبائها مضطعون اذ الناس في هذا الامر تبعو نحن المتبعون وان طاعة هذا الامر الذي تقلدنا قلالته مفروضة على اهل الارض وواجبة على كل من أحاط من اسياح المعمور على الطول والعرض لما اختصنا الله به من امامة الجماعة التي أوتيتها حكم الولاء والكفالة ووراثة الارض ومن عليها لا عن كلاله وقلدنا من حماية بيضة الاسلام والذب عن أمة نبيه عليه السلام وانى لمن بهذه المنزلة ان تطرق أجفانه سمة اغتماض أو يتأتى له عن رعى المصالح الخاصة والعامة \* صدود أو اعراض وعدو الدين الى شق عصي الاسلام ص 36 وافساد بيضته على طول المدى فأغرفاه معمور الفكر والبال فارغ مما سواه ولهذا ومن أجله لم تزل بحمد الله سهام أنظارنا السديدة الى أهداف مصالح الامة المحمدية مفوقة وءارونا ولا كفران لله بحوله وقوته الى صوب الصواب موقفة نعتز منها على ما جر عليه قبل الايام ذيل الاغفال فأسدل دونها رواق الاهمال وكلما أثرنا من مهامه الفيح فنصا وقعنا به على مهارق الاعلام والتعريف لكم ولغيركم ممن أوجب الله عليه الانصات لامرانا قصصا لتلبي في الاقطار والافاق دعوتنا اليه المطاعة وتعطى اشارتنا به على الانام ما يجب لها من الشهرة المقرونة بامثال والاذاعة ويشتهر به ازر هذه العصابة الاسلامية وهذه الجماعة ويحصل لها به بعد سير غوره الفرح والاعتباط ولنا ان شاء الله أجر الاشارة به عليها والاستنباط هذا وان مما وقف بنا عليه بعد استخارة الله زائد الاختيار وسبرنا غوره من سديد النظر بمسبار وما تعاضدت شواهد الشرع على اعتباره واباحة اجتناء ثماره وانه من القلادة التي طوقتنا دلائل الكتاب والسنة طوقها وأسالت أرواح الاذن الالهي من سماء التمكين على أكناف ودقها وأوجبت عليكم خصوصا وعلى الناس عموما تلبية منادينا وانهاء التعريف بالقبول لها الى شريف نادينا وذلك هذه الملاحه المعدنية التي تضرب اليها اكباد الابل وتشد بسببها لبلاد تغازى على الدوام الاقتاب والرحال وتعمل المطى اليها الوخذ والارقال وتشق البيد نحوها باحمال الثقال قد انطوى على مصلحة لهذا الجيش الاسلامي والاسطول الجهادى الذى جعل المولى سبحانه بأيدينا زمامه وصرف بفضلته الى احياء دينه ظعنه ومقامه وشرق من أجله طاغية التثليث بريقه وضاق متسع الفضاء فرقا به وبجزبه وفريقه لا يصلح فى قانون الشرع أن تقابل بالاهمال ولا يبرى من عهدته الا البدار اليها والاعمال لما فيها من الاعانة لهذه الجيوش الاسلامية والعساكر المظفرة بالله الهاشمية الامامية وتقوية هذه العصابة النبوية التى بها يقع الدفاع عن الملة ويحمى حماها بسيوفها المستلة وصرفها فى اقامة أسطول الجهاد وفيما اعتدناه للرباط فى ذات الله من الصافنات الجياد مع ما فيها للامة المحمدية من المنفعة التى ان ضيعناها توقعنا فيما ولانا الله من امرها تقصيرا

وزجرا بارتكابها وانتهاز الفرصة فيها من عظيم فضله اجرا كبيرا وذلك بان وظفنا زنة مثقال تبرا على كل حمل من العجمال التي تنشى هذه الملاحه للحمل على طول المدى والزمناهم ذلك ما أعقب غدا بحيث لا يوسق رحل الا بعد اعطائه ونقده ومن تايى \* فليتيقين بصدده عن حملها وورده وها نحن قد انفذنا اليكم بما لأئمة المذهب فى هذه المسئلة على الخصوص وما لعلماء السنة فيها من الحجج والنصوص والبراهين المحكمة كالبنيان المرصوص لتعلموا أن للامام فيها النظر والاجتهاد وصرفها فيما يراه من وجوه السداد وبخاصة فى اقامة فريضة الجهاد وتستشعروا مالكم فى امثال ذلك من السعادة التي تجنونها ذخرا والفلاح الذي تفوزون بليله ان شاء الله دنيا وأخرى وعرفناكم بهذا لتكونوا اول من ثنى اليه اعناق الرجال وأول من أحرى الاستماع اليه والامثال ومن شممتم منه رائحة الانحراف عن هذا الامر العلى والأزوار فقوموا اعوجاجه بثقاف الالجاب اليه والاضطرار فانتم احق الناس والحمد لله بحشر الناس لهذا الباب وما يذكر الا اولو الالباب انتهى وأسر مولانا أمير المؤمنين المنصور أيده الله الى حامل الرسالة من أبوابه الشريفة أن يكون أول ما يدفع من الرسالتين الى سكية عامل السودان هذه الرسالة الاخيرة التي الان له فيها القول لعله يتذكر أو يخشى وبني له الامر فيها على أساس الشرع فان استجاب وفوض الامر الى أمير المؤمنين فى أمر هذه الملاحه فهو القصد والا دفع اليه حينئذ الرسالة الاولى لما توذن به من التهديد بالعساكر التي طلب أخوه على بن داوود الخالص للابواب الشريفة برسم الاجلاب بها عليه فان لم ينجح بذلك أطلعه بعد ذلك على كتاب أخيه بنفسه الذي كتبه بتدبير أمير المؤمنين يطلب فيه الامداد بالعساكر حسبما قدمنا فان ليج بعد هذه الاعذارات كلها واستنكف فقد صدقت عليه الحججة حينئذ وحق عليه القول وشرع أمير المؤمنين الان بعد ارسال الرسول فى تجهيز العساكر الى تلك الجهة والاستعداد لحركتها بما تستدعيه الشقة الطويلة وطى المفاوز البعيدة من عظيم الاحتفال فاذا استوعب الابهة جلست للوثبة على برائنها تنتظر ارتجاع الرسول (1) الى عام ثمانية وتسعين حتى مضى على بصيرة \* من أمره ويقين من شأنه وكان قد انفذ أيده لاله خلال هذه المدة فى رسالة الى سكية صاحب هذه المالك كان وطيرها مع رجل سبق له الغلو الى تلك البلاد فى سبيل التجارة ممن يليق بديل الدولة فى خدمتها وبمت نصائحها يخاطبه فى شأن الملاحه الكائن بتغازى وهو الذى تمار منه الملح سائر بلاد السودان وينتال عليه من أهل الوبر بالقبلة والجنوب والقاصى والدان وقد له فيها ما اقتضاه

(1) الانتقال الى الصفحة 68 .

سديد النظر الكريم من فرض مثقال للحمل على كل من يتناهبه من القوافل وينتال عليه من القبائل لما أنهى اليه رسوله وعينه أن ذلك بحر لا ساحل له ليكون ذلك عونا لجيوش الاسلام وامدادا لجنود الله على مجاهدة عبدة الاوثان والاصنام واطلعه على فتاوى العلماء ومشايخ الاسلام بما للامام من الاجتهاد فى المعادن فلما تادت الى سكية الرسالة الكريمة شق عليه امضاء ما اقترح فيها أمير المؤمنين من الخراج المفروض على الملاحة حسدا له وخشى مقبة الاستعصاء لامره فسوف بالرسول وبنى أمره على المطاولة به فتفتن أمير المؤمنين لما طوى عليه كشحه فاحفظه ذلك واستشاط غضبا على سكية (1) ونقم عليه اهمال جوابه والتسويق برسوله وعدم نفوذ ارادته فانبعث لذلك أيده الله وأجمع أمره على ما نواه وقبح زناد العزم فارواه وشد اواخى اهتباله واعتنائه فاشتدت وسدد سهام العزم الى غرضه فاشتدت وقدم أيده الله تعالى بين يدي مساعيه الناجحة استخارة الله تعالى التى يستضاء بقبسها فى غياهب الامور ويهتدى بمعالها فى مجاهل البيد اقتداء بما ندب اليه الشرع العزيز وحث على استعماله والحيزة اليه تبسم اليه من وراء الغيب والنجم تحقق له على كل ثنية راياته سنة اجراها الله تعالى فى مقاصده وعناية ربانية تصحب خواتمه ومبادئه ثم عقد أيده الله تعالى مجلسا للشورى والمؤامرة امتثالا لما أمر الله به رسوله عليه السلام ثم كتابه الكريم فجمع الملا من طبقات الاجناد وذوى الحل والربط وأولى البصيرة والحكمة وخبرة الامور لم يستثن مشار اليه ولا مشاور فصعد لهم أيده الله بذات صدره وفاتحهم بعزيمته وما أجمع عليه من تجهيز العساكر الى هذه الاقاليم السودانية والاصقاع الجنوبية معلنا لذلك الملا أن لا يدخر أحد رأيا ولا يمزج بالاذهان نصحا وانه ايده الله غير مسكتنف من حق يوضحونه بحجة ولا متوقف عن الرجوع الى صواب يتبثونه ببرهان يستنم الله فتنازل أيده الله لمجال الاحتجاج ثبريا من الاستبداد بالرأى فأصفقوا اجماعا لم يختلف فيه منهم اثنان ان هنا غير داخل فى حيز الامكان ولا يتصور خياله الا فى الاذهان محتجين باعتراض المفاوز البيد والمجاهل القفار دونها التى لا تشققها الرفاق القلائل الا بعد عصب الريق والافلات \* من مخالب الهلكة فكيف بالعساكر الجرارة والمناقب الضخمة واحتجوا أيضا أن من اجتاز بالمغرب من أهل الدول العظام أهل الشوكة ووفور الاجناد وامتداد ظل السلطان كسولة المثلثين ومناهيهم الموحدين ودولة بنى عبد الحق من بنى مرين ما عملوا فى ذلك خطوا ولا طاف بهم الامل حوله شوطا ولا حاك لاحد فى هاجس ولا القى اليه طاغية وخصوصا متهم المثلثين الذين

ص 70

(1) أورد المؤرخ السودانى السعيدى بان اسكيا اسحاق قد رفض الاستجابة لمطالب المنصور (والتسليم فى ذلك المعلن بل قبح له للكلام فى الجواب وبعث له صحة جوابه حرشانا ونعلين من جديد) (ص 138) اشارة الى أنه بعد انتصاره على المنصور سيضعهما فى رجليه .

مشاهم من لصق ديارهم وانتشار رياح دولتهم من قرارة جوارهم ولو كان ذلك فى طوق امكانهم لكان همهم الذى يسرع اليه هو ابتداهم فما أخذ بحجزتهم عن ذلك الا دخوله فى حيز التعذر فاما الاحتجاج الاول بالمفاوز المعترض دونها اعتراض البحار فاجابهم عنها مولانا امير المؤمنين ايدى الله بأن هذه المفاوز والقفار لم يتعذر بها السلوك من كل وجه بل هى سابلة للتجار ومدرج غلهم مدى الاحقاب والدهور وهم فى كل صدر يصدرونه يختلبون من الرقيق صنوفا وضروبا من صغير يناهز سن المراهقة وضعيف التركيب منحل البنية ممن لا يقوى القوة على المشى ومع ذلك فهم يقطعون عرض هذه السياسب سعيا على الاقدام وخطوا على الارجل بين احقاب رمالها حتى يخلصوا لبلاد المغرب ثم هولاء التجار الخائضون لغمارها المختلفون اليها يعبرونها بأوقار البضائع الثقيلة وأحمال المتاع الجملة بين صدر وورد وأما مولانا امير المؤمنين ايدى الله أقوى استعدادا من استعدادهم وأقدر على الاهبة التامة والاحتفال لذلك منهم وما يجهدهم ويعوزهم فهو عليه أسهل وأيسر بتضعيف العدد السفيرية من مزاد الماء ووفور الاقوات والازودة والاستظهار بالمطى المضطلة بشق المهامه والرواحل المتعامة الشديدة الاسر والقوى التى لاتنصر غصنها المراحل ولا يخذ أوصالها أو عث الجاهل فتبينت للملا حجة مولانا امير المؤمنين ايدى الله وسلمت مقدماتها اليقينية واما الاحتجاج الثانى بعدم انبعاث همم أولى الملك الى هذه الاقاليم واطراحهم بواعث العزم عليها فاجابهم ايدى الله عنه بأن الدول الثلاث طول استقامتها ورسوخ عمود اعتدالها لا ينفكون عن عيها وحرب وارتيك فى اشراك المناضلة مع من يليهم من ملوك الافرنج بالاندلس واختصت دولة الموحدين زيادة على ذلك بمداقعة الميورقى ابن غانية الذى لم يزالوا يكفكفونه عن أقطار افريقية التى أضرمها نار فتنة واما بنو مريين فاستغرقت أيامهم حروب بنى عبد الوادى بتلمسان ولم يغل قط جوهم من نزاعهم هذا على حين استفحال كل دولة وفى ريق شبابها فاما بعد أن رميت بدائها وتقلص ظل اعتزازها فهى تجود بدمائها لا دفاع لها \* ولا حراك وقد انقضت كل واحدة منها وما فرغت من شواغبها ولا صفى لها مورد من مدر على ما تشهد به سيرتهم وایامهم ثم لو خلا وجههم لذلك وصفى جوهم من الشواغب الاخرى فحجزتهم قلم عنه عائق اخر أكبر مما ذكر يقطع بهم عن هذه الغاية لا محالة وهو أن عساكرهم التى يستتبعونها القائمة بشوكتهم وخروبهم مع الافم إنما كانت عساكر الخيل والفرسان الرامحة وعضائب الرمات الناشبة ولم تستتبع اذ ذاك عساكر النار المرهوبة الصواعق القاصفة الرعود وغير خفى أن اجنادهم تلك لاندوخ هذه الاقطار التازحة منها عضابة قليلة ولا طائفة نزره ولو انتهت شوكة ونجدة لان سلاح الفريقين واحد وحربهم ضرب متفق فالقليل بكل تقدير منهم لا يقاوم الكثير من أمم السودان

ولا يتأتى لهم الغلب عليهم الا بالاستظهار بالعساكر المتناهية فخامة ووفور عدد ومثل هذه الجيوش لا يمكنها اقتحام هذه المفاوز البتة لما تستدعيه مؤنها ورحالها وأثقالها وأزودتها من الظهر الذى يفوت التقدير والحسبان ويكاد وجوده يخرج عن حيز الامكان بخلاف هذه العساكر الامامية المنصورية كلاها الله تعالى وحماها فانها عساكر قاذفة بشواطئ النار وحصباء البندق المنهل بسحائب من البارود مرموم تزجيه الرعود القاصفة والصواعق الراجفة تتبعها الرادفة فالحصنة منها تدوخ أقصى تلك الاقطار لعدم القدرة على مقاومتها والانتصار لمحاربتها وكان مما استطرد مولانا أمير المؤمنين أيده الله تعالى فى ميدان ذلك الاحتجاج التنبيه على ما تقتضيه الماسية أيضا فى العساكر والاجناد من اصلاتها نار الحرب ورميها المأزق الجلاد دوبا على التربة بها وارتياضا على صدق المصاع فى صنك المواقف وخوض غمرات الهيجاء وبعيدا عن التراب والاخلاد الى الراحة والركون والسكون الى الدعة لما يودى اليه فى ذلك من وهن عزائمهم ولين عرائكهم وقل شبي شوكتهم عند الحاجة اليهم هذا والاقاليم الافريقية والانديسية قد شغلت لهذا العهد بمن استولى عليها من العجم وعلى فرض خلوها حسب أحوالها مع الدول المتقدمة فصرف الوجهة لاصقاع الجنوب وممالك السودان أحق وأولى بالنفات العزائم فهي وان كانت أصعب مراما وأشمس مركبا فانها أغزر نفعا وأجلى مغبة وأرحب مجالا وأوسع عمراننا وأوفر نشبا وأقوى بمعادنها وكثرة المشناق من رقيقها يدا على الاستكثار من الاسطول لغزو عدو الدين والاجلاب عليه بحول الله وعزته فى عقر داره حسبما هو مبنى النية الصالحة الكريمة على أساس هذا المقصد الجميل بلغ مرامها وأنجح بمئه فى كل ورد وصدور قصدها وامانها \* ولما استضاء للملا نور الحق المبين فيما ذهب اليه أمير المؤمنين وتبينوا عراقة رايه الحصيف فى انساب الصواب وتوفيق الله تعالى لانظاره فى اصابته المحز ووفاء جبلته الطاهرة وقطرته المقدسة بما لا تفى به أفهم الناس وتكل فى ييدائه سباق العقول الراجحة حتى ليكاد يسبر أعقاب الامور الغائبة الى الاعيان ويحدس الاشياء التى يسفر عنها الغيب ووفق فراسته الزكية كان قد رءا وقد سمعا

ص 72

نفت التوهم عن حلة ذهنه فقضى على غيب الامور تيقنا

اصفقوا كلهم حينئذ رجوعا عن رأيهم الى سيد رايه المصيب ونظره المكين الحصيف اذ لا اثر لنبراس مع طلوع ذكاء فعندما تمخضت زبدة هذا التدبير المبارك وافاض فحيح هذا المجلس المعقود الحى للمؤامرة والمشورة مشحوذ العزائم متيقظ الهمم انتضى مولانا أمير المؤمنين أيده الله صارم العزيمة للاحتفال وشمر للجلوس له بنفسه فأطرح الهوادة فى الاستعداد والاهبة الفخمة وذهب فى مذهب الاحتفال أبعد شاو فكان أول ما صرف اليه عنايته استعداد الرواحل والابل اذ هى ملاك السفر البعيد ومركز مداره فوجه أمير المؤمنين الى الاحياء

الظاعنة فى النواحي كفاة من أنجاد خدامه وعهد اليهم أيده الله فى اعتيام كل فدنية ارجبية من البزول الشديدة الاسر والقوى التى اقمم النخض اهابها واتمك سنانها مضطلعة بشق المفاوز البيد وقطع عرض الفلاة المديد مستقلة بنقل الاحمال ولم يسمح أيده الله لاحد قد تولى شيئاً من هذا العمل ان يأخذ ما خرج عن هذا الشرط ولا أن يقبل ما تبدى فيه وصم عيب أو رسمه عجف وانحلال بنية بل تقدم اليهم بالمنع والحظر عما دون ذلك وان عائد العهدة والدرك على متوليه ان جلب ما لا يرتضيه وبلغ فى ذلك أقصى مبالغ التشديد شأنه أيده الله فى معاهد اموره المنوطة بنهاية الاحكام والاتمام ثم عهد بعد ذلك باتخاذ ما تستتبعه من الالات بين رجال محكمة العمل وأوعية وعباب حصيفة وجدل مغارة الفتل وانتقى كل ذلك من علية جنسه ونجحت الاقتاب وجمع لها أيدي العملة من صناع النجارة وتتبع فى اغفال المناابت شجر الخلاف فاستوعب ذلك كله هضاب فارغة وتلول هائلة قضى الناس العجب من مرأها واستغرب فى الامكان حملها برمتها خاصة فكيف بسواها مما هو المقصود بالذات وطهى بحر الاحتفال وزخر عبابه وجمعت الاسقيه والشنان الحصيفة الاديم وتخطت أعداد المئين الى الالاف حتى أن العساكر الامامية لما توغلت فى المفاوز التى نضبت بها المياه واعوزت قطف الثماد وبلالة الاوشال كانت تسيل على أكواز المطى انهار تطرد من العذب الزلال \* وتجاوز الرأى الناس الى ما جنبوا من المقربات من غير مصابرة ظمأ ولا طى احشاء على غلغل بحيث لم تفقد العساكر المنصورية خلال ذلك الدو وأثناء ذلك القفر شيئاً من أحوال الترب ولا غربت عنهم غصارة العيش الفضة الافنان ولا أحسوا لبوس بهمس صنع الله المطرد فى كل مرام يروم مولانا أمير المومنين المقترن بالتييسير لزاما كما ألزمت الاطواق الحمام وما ما استوعب من العمد المضاعفة والسلاح الشاك المظاهر وجهاز من خزائن البارود المتراكمة قناطره المقنطرة التى أوقت على أعداد المئين وأرهقت الالاف ومن خزائن الرصاص المعدة لحصى القذف وبنشق الرمى ومن الانقراض الثقيلة الاجرام المعدة لارسال الصواعق القاصفة الدوى التى تستلب أثلة الابطال من الجوانح وتقتنص ارواح الكمات وتندعر لها المقانب امصاف الوقائع وغمار الحروب فحدث عن كذب بيرين كثرة وقدره تقصر عنها قدر الاملاك وهمة شامخة أنافت على الافلاك :

أوفى بها صعدا حتى غدا زحل من تحتها بمكان الترب من زحل

الى غير ذلك من الاسباب السلفية المتكاملة الانواع والاجناس وأعمل فى نقلها العجل وواله الهندام ثقل أوقارها حتى ان مما استعد وتوفرت به العناية الامامية والة

السفن والاساطيل يرسم اتخاذ الفلك والجواري المنشآت لعبور النيل وامضاء غارب  
بشجه استبلاغا في الاهبة والاحتفال واما الازودة والاقوات فأمر أحرص قلم الحاسب  
وبعث المسهب الاقصار ولما تكامل الاستعداد وتم الاحتفال وتوافت العمال بالبحر التيار من  
كرائم الابل على وفق شريطة مولانا الامام أمير المؤمنين أيده الله وعلى حسب اقتراحه  
وسالت الى الحضرة باعناقها الاباطح من كل أوب فاجتمع منها سواد طم على الحسابان  
اضطربت المجالات ضاحية بظاهر الحضرة وخفتت سياجات السراقات ولاح في الجو  
سنى القباب وعقد مولانا أمير المؤمنين أيده الله على هذه العساكر لملوكة الشهم البهمة  
الناهض لأعباء الاستقلال الموفى على كل ما قدم الله على مرتبة الكمال وشريف الخلال  
الناشيء بهتذيب الامامة الكريمة والتخرج بأدابها التي سبكت ابريزه وقوم ثقافها اوده  
وقدح زناده السابق في مضمار النجاة المبرز في حلبة النجاة المنقطع القرن الذي شأ  
الاتراب وبدا المساجل الداهية النناد وثالثة الانافى وثانى اثنين سبقا واستكفاء وتقديما  
على من سواهما من المماليك والموالي العلوجى بدار الخلافة المعظم جوذر باشى فأعطى أيده  
الله منه القوس باربها وصدق فيه الخير الخير فبرزت العساكر الامامية من الحضرة  
العلية لمخيم محلاتها يوم الاثنين السادس عشر من ذى حجة عام ثمانية وتسعين  
فى حفل بروز وافخموا وانتظموا \* فى أوعب ترتيب وابدعه ممتدين سماطين من سدة  
الخلافة الكريمة وانجفلت الدهماء لمشاهدتهم وغصت بهم فوهاء الشوارع واسترسلوا فى  
مذاهب الاعجاب لكثرة ما كان الناس يتحدثون بغرابة أمور هذه الحركة من أولها وانها عندهم  
من الغريب الذى لا يذكر والممكن الذى يكاد أن يصير من قبيل المحال لاستعظامهم لامور  
تلك المفاوز وافتحامها على بعد شقتها فلم يشاهد من نشاط الاجناد ولا من شره العساكر مثل  
مارى فى هذه العساكر المظفرة فما ملأ لهم الهول صدرا ولا خافوا ولا نكلوا ما يتلقاهم  
من اعتراض الهاق الفبيح وانتزاح الدار وشحط المزار وشد مولانا الامام المنصور بالله أمير  
المؤمنين ازر مملوكهم المذكور بثقات من كفاته وطماته من قواد الاسل (1) اولى الدهاء  
والرأى المطبق لمفاصل الخطوب وذوى النجدة فى مضايق الحروب من كل وخطت فوديه  
بقناع الشيب وقائع الامور وتمخضت البابهم امحاك التجاريب عتادا ودرءا يرجع اليهم فى  
مغض زبلة الاراء ومجال المفاوضة شدا لاواخى الحزم واحكاما لمرائره وجمعا لكل  
شادة وفادة من اوابده وشوارده ولم يقرع صماخ احد ولا دون فى بطون القراطيس  
حديث عسكر بلغ فى الاحتفال والانتقاء والانضباط على قواعد الحزم وتوفير العدد ما  
بلغت هذه العساكر المنصورة وقوضوا الابنية عن فناء الحضرة العلية برصد سعيد وقران

ص 74

(1) ذكر المؤرخ السودانى اسماء القواد الذين رافقوا جوذر باشا فى الحملة ضد السودان وهم مصطفى  
التركى ، مصطفى بن عسكر أحمد الحروسى الاندلسى ، احمد بن الحداد العمري احمد بن عطية ،  
عمار العلمى احمد بن يوسف العلمى ، على بن مصطفى العلمى ، بوشبير العمري ، ابو غيث العمري  
باحسن العلمى قاسم الاندلسى (تاريخ السودان • ص 138) .



مبارك في صدر المحرم عام تسعة وتسعين (2) وصدر خطاب مولانا الامام المنصور بالله امير المؤمنين ايداه الله الى القاضي عمر بن محمود بن عمر قاضي تنبكتو السموع الكلمة في اجيال السودان في منحي اقامة الحججة وايضاح معالم التشرع والاحتجاج بالسنة والكتاب على وجوب تقليد بيعة مولانا المنصور بالله امير المؤمنين ايداه الله وافتراض طاعته على الاحمر والاسود والانخراط في سلك الجماعة بالانقياد لدعوته النبوية والالتزام بامانته الكريمة ونص الكتاب الكريم النبوي الامامي المنصوري بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله ثم كانت العلامة الكريمة المباركة المذهبة المنيرة المشرقة التي خطت فيها يمين الامام وبنان سبط النبي عليه السلام اسمه الشريف المبارك الكريم بتدبير يهجر العيون حسنا ورواء وفخامة ويسع منفسح البياض المعد لذلك ما بين البسمة وهدأ الخطاب الكريم وهو من عبد الله تعالى المجاهد في سبيله الامام المنصور بالله امير المؤمنين ابن امير المؤمنين ابن امير المؤمنين الشريف الحسن ايداه الله وامره وظفر عساكره الى القاضي عمر بن محمود بن عمر كم اسعدكم الله بتقواه وطاعته وعرفكم بركة الانطواء الى حزب الهدى وجماعته \* سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته اما بعد حمدا لله الذي جعل حركة احمد كلما انتصب حركة فتح وامره اذا جزم امر اقبال وعلمه بالغلبة على سائر الاعلام معرفا عند العرب والعجم فلذلك تنلى عند رفعه سورة الفتح قبل القتال والصلاة والسلام على نبيه الذي ارسله بالحق بشيرا وندبرا الى الابيض والاسود وابتغى احمد الفاتح الخاتم فكان بالرعب منصورا على الاقرب والابعد والرضى عن آله فروع النبوة والرسالة وينابيع السماحة والبسالة اهل البيت والمشعر وكفلاء الابيض والاسود والاحمر والايمة الذين ان مكنوا في الارض اقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وعن اصحابه الفائزين بسعادة المورد والصدر يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يقول الانسان يومئذ اين المفر كلا لا وزر ومواصلة الدعاء لهذا المقام العلى الامامي الاحمدى المنصوري الحسنى الفاطمى بنصر لانزال عزائمهم رهوبة وغنائمهم مجلوبة ومجنوبة فكتابنا هذا اليكم من حضرتنا العلية دار الاسلام ومقر كرسى الامام مراکش حاطها الله وبركة هذه الدعوة النبوية الشريفة التي عمت الربي والوهاد وطبقت انوارها الساطعة الاغوار والانجاد تنسكب كالمطر وتنسحب على البشر وتقضى بعادة النصر والظفر وسعادة الورد والصدر بحول الله وقوته والذي نوصيكم به تقوى الله العظيم والعمل بطاعته وان توقنوا ان هذا الامر العزيز منصور اللواء هديد بجنود الارض والسماء موعود ان شاء الله بالظهور والاستيلاء

ص 75

وانه المصيب المنصور المفتوح له لا يناوئه مناو أو يعانده معاندا الا قصمه الله وخذله فهذا امر الله الذى وعد بالظهور ظهيره ولم يخف الخذلان نصيره فلا يغلب حربه ولا يستطاع حربه ومن يتوكل على الله فهو حسبه والدعوة التى قضى لمن اعتصم بحبلها ولجأ الى ظل ظليلها بالاثرة الدائمة والسعادة الابدية ولمن تنكب عن حربه وانتصب لحربها بالاسنة السمهرية والقواضب المشرقية بحول الله وقوته وعزته وقدرته هذا وانه وفقكم الله وسدد واعانكم على اتباع كلمة الحق وانجدكم فمما لا يخفى على كل مومن ومسلم موقن ان هذا الامر الذى نيطت بجيدنا الكريم قلالته وكان لاولنا ابداءه ولاخرنا اعادته وهو امر بغير عروتنا الوثقى لايناط وعقد بغير سلكننا المنتظم لا يتم له اتساق وارتباط اذ نحن باعبائه دون غيرنا مضطلعون والناس لنا فيه تبع المتبعون وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الائمة من قريش وقال عليه السلام لايزال هذا الامر فى قريش ما بقى منهم اثنان وقال \* عليه السلام ان هذا الامر فى قريش لا يعاديهم أحد الا كبه الله على وجهه وقال عليه السلام الناس تبع لقريش فى هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم وبهذه الآثار الشريفة وضروبها ظهر على الحق حتى درج سلفنا وعليه حتى تقوم الساعة بحول الله يمضى خلفنا ونحن مذ ولانا الله هذه الامانة العظمى التى قلدنا بها امامة الجماعة واوجب لنا بها سبغانه على الخلق السمع والطاعة وصرف لاياتنا الشريفة بها وراثه الارض ومن عليها حتى تقوم الساعة لم نغمد سيف الحق ولا ارحنا يوما فى مرابطها جيانا المبارية للبرق وعساكرنا الهاشمية التى اذا ارعدت نيرانها ذكرت برجة الصعق نفتح البلاد المقفلة ارضا ارضا ونقيم من اعمال الجهاد ومصالح البلاد نفلا وفرضا حتى انفتح فى الجنوب الى من يليكم واقيمت دعوتنا الكريمة فى الاقطار التى تصافيكم وتداينكم وعلمنا ان التناول لا يسع مع القدرة وان الله لا يقبل منا فى اهمال ما استرعانا من امور العباد والبلاد سوى معدرة فتعين حينئذ استصحاب العمل وتخطى المرعى من البلاد الى العمل حتى ينجز الله وعده الكريم فى استيلاء على الاقرب والابعد وملاك الاحمر والاسود وناتى بفتح الارضين ان شاء الله على الوجه الاكمل ولما كنتم بتلك المملكة مهيد بابها ومدبر احكامها الشرعية ومدبر اسبابها وانكم بالانار الشريفة التى سردنا والاحاديث النبوية التى اوردنا وبحقوق هذه الامامة النبوية التى تجب طاعتها قطعا وتحرم مخالفتها شرعا اعرف من سواكم واعلم بالتى هى احسن لكم فى دينكم ودنياكم خاطبناكم بهذه الرسالة الشريفة لتكونوا اول من لبي داعيها واجاب مناديتها ولترفعوا بها عقيرتكم فى تلكم الاقطار وتوضحوا للناس هذه الحجج الساطعة الانوار حتى يعلموا منها ما اوجب الله عليهم من طاعة هذه الامامة النبوية الشريفة التى لا يقبل الله الا بطاعتها الاعمال ولا يتم لمسلم نفل ولا فرض الا باداء ما افترض الله على

الخلق من الانقياد الذى تكمل به الفرائض وتتم الانفال وتشعروهم ان من كان بهذه المرشد مقتديا ولندا هذه الدعوة الشريفة مليا ولاوامرها العلية المطاعة مقتفيا وتمسك بعصم طاعة من اوجب الله على الخلق الاستمسك بشريف طاعته والائتمام بواجب امامته فزاحت قداحه وتضاعفت من اقسام السعادة متاجره وارباحه فان ذلك عند ذوى الايمان اوثق العرى والدخر النافع الذى يجده كل موفق سعيد يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ولتقف ان شاء الله لندب الناس الى اداء ما افترض الله عليهم من طاعتنا على قدم وتعد ما لكم فى ذلك عند الله وعند خليفته الامام من عظيم الاجر وجزيل \* المغنم وتستشعروا ما قال عليه السلام لان يهدى الله بك رجلا خير من ان يكون لك بها حمر النعم واعتقدوا مع ذلك ان كل من امنتهوه من عساكرنا الطالعة براياتها البيض على تلكم الاقطار السودانية ان شاء الله طلوع الفجر وكتائبنا المتلاطمة تلاطم امواج البحر فقد امناه ومن اجرتموه فقد اجرناه اظهرا لزيبتكم واشعارا بمكانتكم لدينا ورفعة وايدانا بجليل منصبكم عندنا وسمو رتبتمك والله تعالى يصل توفيقكم ويجعل الخير رفيقكم وحزب الهدى قرينكم والسلام وكتب فى شوال عام ثمانية وتسعين وتسعمائة (1) وألعت العساكر لوجهتهم السعيدة يطوون المراحل ويشارفون كل قون ويقف على السنن اللاحب والجدادة الكبرى المفضية لوادى درعة ولم يزالوا يتعرفون فى كل خطو وباع يعملونه عنيد التيسير والصنع الجم والاثار المباركة الشاهدة بالمغبة الصالحة والعناية الربانية باتمام ما ضمير مولانا المنصور بالله امير المؤمنين ايدى الله فى ذلك من القصد الكريم وزرت عليه طويته الزكية من لم شعث المسلمين ودعم دعائم الدين وتشبيد معالم الجهاد واخماد شرر الكفر المحتوم الضرام بعز الله وقدرته واغدوا فى السير وتجشموا العقبة الكؤود من جبل درن المعترضة مسيرهم وتسوروا بين شواهقها مضائق طرق وتسنبوا حزونا وعزازا لا يسهلون فيه كدمت ولا تنفسح فيه خطى التمل الدارج حتى صوبوا من ثناياه وعقابه للجهات القبلية وتسلمهم السهل من ايدى عنته ومع ذلك لم يرزاهم خفا ولا شبكا ولا عبت باوقار ركابهم دوحه المتناوح وملتف غابه الاشبه مع اعواز السلامة للرفاق القلائل فى سلوكه فضلا عن المقانب الضخمة وزهاء الآلاف من ابل موبلة فما اشتكت وجى ولا طلعا ولا اخل بقواها نصب ومجرى العادة لا يسلم ذلك القدر فى صحصح مرت فضلا عن حزن وعت وسار ذلك الجيش على وئيرة الانضباط يملون فى كل اوب وصوب برعايا مولانا الامام المنصور بالله امير المؤمنين ايدى الله متفينة لظلال الدعة ممتدة الامال فى كنف الهدوء مكلوة بعين حياضته

(1) شوال عام 998 يوافق غشت 1590

الساهرة لئلا يهزمهم فما رزؤهم قدر بسيط حصر ولا ينعوا من اموالهم بقليل لما عهد به مولانا الامام المنصور بالله امير المؤمنين ايده الله الى رؤساء الاجناد من كف عاديتهم عن الرعايا وان لا تنبسط ايديهم في نعيم او همطير وواعها أيضا من العساكر ادنا واعية وكما مدنوا عليه من الانضباط وهذبهم من نفاق السياسة حتى لو سيموا سم الخياط لوسعهم مجالا مع تناهى الشوكة والبأس والشهامة سيرة دربوا عليها حتى صارت لهم سجية وغريزة طباع لم يتأت النسيج على منوالها والحذر على مثالها للملك اسلامي أو جاهلي اذ لم تزل الرعايا تلحقها معرات الجيوش ويحتاجها عيشها وخصوصا من اتضمت معالم غنائه كهولا واستمر \* مبرهم على ذلك مع اتساق العمارات في سابلتهم وخصوصا لما خيموا باصقاع درعة فانه تراكم من العمران على واديه ما اربى على قرى النمل وانتظمت حفافيه انتظام الجواهر على السالك مع امده البعيد وامتداده واغراق أهله في مذاهب الاستكانة والدمامة فما امتدت ايديهم في قتل ولا قدر قلادة حتى انفصلوا عنهم وقد اجهشوا بالدعاء لمولانا الامام المنصور بالله امير المؤمنين ايده الله بالنصر ولجيوشه بالظفر والثناء على علي مقامه وشكر عنايته الكريمة التي ضربت عليهم سياج الحياطة وانامتهم في وتر الهدوء وضربت دون ما يجتلب منساءتهم بالاسداد وخيم العسكر بمنقطع العمارة من اخر وادي درعة حيث مبدأ الاحقاف الرمالية ومثول تلوكه الهائلة وتلوموا هنالك ريشما استوعبوا الاهبة واكملوا الاستعداد واثاب اليهم الشاد وانتهى معهم لهذا الموضع تشييعا حاجب الامامة الكريمة كبير الدولة الصدر القائد ابو محمد عزوز بن سعيد بن منصور الؤزكيتي استكفاه من مولانا الامام المنصور بالله امير المؤمنين ايده الله في تثقيف احوال العساكر ومراقبة امورهم عند منتهى العمران وتجديد ما وهى وانبت من اسبابهم وغير ذلك من شؤونهم لم يستتم فيها الا لئله من علىه الخدام الاكابر الثقافات فتم التجهيز على اوعب ما يكون واكملة فحثوا الركاب وقوضوا الابنية في الرابع وعشرين من صفر العام(1) واستقبلوا الصحراء الافيج ولججوا من شطه قنار اذ ذاك جلدتهم من مكامته فما خافوا ولا نكلوا ولا انتكثت لهم مزيدة صبر ولا فل لهم شبي عزم بل كانوا امضى شكائم وانفذ بصائر وأوثق يقينا بالعلق والظهور وطووا من هنالك المراحل على الطير الميامين وجناح النصر محلق فوقهم موفور القوادم والخوافي تسوق معاطسهم ارج الاقبال في مهب الصبي وَايَاتِ الْفَتْحِ الْكَبْرِيِّ تَتَلَى سُوْرَهَا وَتَجَلَى صُوْرَهَا وَاعْتَسَفَ الرِّكَابُ غَرَضَ هَذَا الْمَجْهَلِ الطَّامِسِ الْعَالَمِ وَالْآثَارُ لَا تَشْقُ الْفَتْحِ الْكُوَاسِرِ جَوْهَ وَلَا تَسْتَقِلُّ بِهَا الْقَوَادِمُ وَالْخَوَافِيُّ فِي دَوْهِ اضْطَاعَاتِ بَهَا الشُّهْبِ الْمَسَالِكِ وَثُنْتَ الْحَيْرَةُ

ص 78

عنان سراها يناغي صدها هوج الرياح فانحت على كئيبها المهيلة تنفسها ووسمت  
 حر الوجوه بلفح حرها ومسموها وتغدى اخفاف المطى العقيق الاحمر من نجيعها  
 وتغمرها بضحضاح الهلها وتكلمها افالها فتستلى بدلها رثالها الى موارد الثماد التي  
 تنزع ركياتها البكية وتمتاج بلالة اوشالها فلا تنفع اواما ولا تقوم برى سفر نزر فضلا  
 عن الجيش اللهام والعسكر المجرطا لما اقتسمت بها المياه بالحسنى وتضافتها الركب بقدرما  
 يغمر الحصاة ويبل اللهاة وينعش رحق الحياة على بون ما بين طرفى هذه المفازة وامتداد  
 وعنها ودهاسها \* فقد ذكر بعض من تكلم على حدود الاقاليم ومواقع خطوطها ما اقتضى  
 ان عرض هذه المفازة اخذ عرض الاقليم الثانى كله ووصف بعض امرها المهول وخضبتها  
 المعضل وان السفر غير متأت فيها الا بعد انكسار سورة القيظ واطلاع طلّاح البرد  
 وذلك فصل الخريف وان سير البحار فيها اثناء هذا الاوان انما هو طى فى النهار ووهنا  
 فى الليل ويقيلون فى الهاجرة قال وهذا دأبهم الذى لا يعدونه أقول قد عارض هذه العادة  
 خارق صنع الله لامير المؤمنين ايده الله تعالى المسهل اقتحامها على مملوكه الفتى الشهم  
 الليث العادى محمود باشى بمقنّب منتقى اوان احتدام الهواجر وتوقد للرمضاء واصلا  
 سرى الليل بناويب النهار حسبما تقرّر ذلك ان شاء الله فى موضعه ودأبت العساكر  
 الامامية على الاعداد فى السير اثناء هذا القفر المنكر الارزاء ولم يغب عنهم من الله تعالى  
 فى كل شمس القيادة اسعاد فى كل متجهم انبلاج وفى كل مبهم انفراج يستنصّون  
 بمشكاة الميامين والتسهيل ويتعرفون لمهاد الصنع المنسكبة الديم فى كل لحظة وائناء  
 كل سكون وحرمة فما شاموا له برقا الا انهل عارض ولا ارتادوا منه روضا انفا الا  
 رتعوه جميما وبارضايتهم بانهامهم وينجد بانجادهم حدث بعض الثقات من اعيان  
 التجارة الذين اخلقوا بردة العمر وانفقوا عينها فى التردد فى هذه الطريق جيئة وذهابا  
 وكان فيمن شيع عساكر مولانا الامام المنصور بالله امير المؤمنين ايده الله وأوغل معهم فى  
 هذه المفاوز انهم وردوا منها منها عرفة قبل ذلك ينضح برشح نزر ينزحه اول وارد وينزف  
 مجاجته فى أربعة اسقية لا يبقى فيه ولايلر حتى خيمت عليه العساكر المنصورية فالفوه  
 معينا عدا فوسعهم نهلا وعللا واقعموا من مزادهم واستقيتهم ما يناهز الفا وهذا نيا  
 مفرق فى الغرابة لولا ما حف به من شواهد صنع الله المطرد لمولانا امير المؤمنين ايده  
 الله تعالى ونصره وهذا فى الحقيقة اذا قيس بسواه من نظمه قطرة من ركام ونقبة من  
 تيار وما عسى ان يستوعب منه مشق قلم ولا تطريز صفتة مهلق فحدث عن بحر جاش  
 عبابه ولا حرج ولم يزل شان عساكر مولانا الامام المنصور بالله امير المؤمنين ايده الله  
 شانهم من اعمال الوخل والارقال وطى هالة القفار تتسلمهم تنوفه لسبب كانما انحت  
 عليهم ارهاقا لشبابهم وشجدا لفرارهم وسبكا لنضارهم وامحاضا للبابهم فالشوكة

شوكتهم والصرامة صرامتهم يتضاعف اقدامهم في تضاعيف هذه الشقة النازحة والنوى القذف التي غادر الوخادة الوسم وهي رازحة وتستحکم مرائد جلدهم فما فتت لهم مشقة في عضدهم ولا انتقص لهم مدد ولا عدد على وثيرة ما تعودوا من صنع الله تعالى الذي لم يزل \* يظللهم بعمامة وجودهم ركاه لا تنخرم قواعده ولا تزال تتعرف عوائده متناسب الهوادى والاعجاز متى تلى نصا لم تلتبس له حقيقة بمجاز يحكى عن بعض الادلاء المهرة ممن صحب عسكر مولانا الامام المنصور بالله امير المؤمنين ايده الله انهم نزلوا منها لا يدعى اتشاي على تفتة خلد صهر من اصعب مسافات هذه المفازة المتكررة الموحشة وابعدها امتدادا المدعوة اصوادا ولم يكونوا عهدوا بالنهل المذكور على ركينين بكيتين هم ولاء مما ادركوا من سلفهم على امتداد الاحقاب والاعصار ممن استفزع في هذه المسالك صبايات الاعمار ودأب عليها بين اقبال وادبار فما انسوا قط ان بهذه البقعة نيفا على ذلك بقياس ولا نقل اليهم في غابر الدهور ولا ماضى العصور نقل تواتر ولا اخبار آحاد حتى نزلت عليهم العساكر الامامية فقادهم رائد التوفيق وصادق الحدس والنطس الى أن صاروا يسبرون حوالى تلك الساحة فعثر بهم النحث على أربع وعشرين ركية انحى عليها القدم وعفى معالمها ودرس رسومها وسوت كنبان الرمل بين جهاتها فاستخرجوا معيتها العد ووردوا أعذب زلال فنهضت به حياضهم واقعمت به اسقيتهم وعم الرى افاذهم وجملتهم فكان لهذا العهد اغزر مياه هذه البهيمة بعد أن كان انكرها وانزرها وافضوا منه الى ممالك الامم الملتمة المتصلة باقطار السودان فوطواها وقطعوا هذه المفاوز من لدن الثغور القبلية الى أن وردوا النيل في قريب من ستين مرحلة (1) فكان من التقائهم مع سكية في جيوش السودان وأممها واستمرار الهزيمة عليه وعلى جنوده ما نصف ان شاء الله تعالى

### ذكر الايقاع بسكية جنوده

لما انتهى لسكية صاحب الممالك السودانية كان طريد سيوفه مولانا الامام المنصور بالله امير المؤمنين ايده الله وقتيل سطوانه خبر اقبال العساكر الامامية تلقاءهم وطن بافاقهم ذوى زحفها ومرجت لها ارضهم واهتزت هولاً ورجفانا أخذ الشقى فى الاحتشاد والاستنفار من كل قاصية وشاسعة وبعث فى المدائن حاشرين ونادى صريخاً فيمن تحت ايبالته من أمم السودان والملثمين واستجاش اجيال اقاليم الجنوب فانتالوا عليه حشودا من كل ثنية وطاروا اليه من كل أوب امتعاضا لهضييمته وذبا عن حوزة

(1) سلكت الحملة العسكرية طريقاً عرف فيما بعد بطريق جودر \* وهذه الطريق تنجه من مراكش نحو لاكتاوا في اعالي وادى درعة ومنها الى تندوف فتغزى وتاودىنى قرية كبابر التي تقع على نهر النيجر غربى العاصمة تمبوكتو ( ص 434 P. Hespèris 1923 )

ملكه وحماية لسرحه مهطعين اليه على الصعب والذلول واتوه بالضحج والريح فحدث عن  
 رمل عالج وقطر الغمام وعالم الدر كثرة لا تضبط بحساب ولا يستقصى الاحاطة بها  
 ص 81 التعداد \* تألفت منهم دهماء احوالت صبغة النهار وأوهمت الييل الديقوجي متراكم  
 الغيهب مثلث على السهول جبالا واتهمت الهضاب واليفاع يجرون الشوك والمدر  
 مظاهرين بالبأس والجلد موطن الانفس على خوض غمرات الحمام وورود الموت الزؤام بين  
 فرسان مداعسة بالسهمرية المطردة الكعوب مثقفين فروسية على المظهمة العرب مجيل  
 اقلام الحظ في مهارق المعارك وما شقى اسطر الطعن المراك خطا على الجنوب والمدور  
 وبين ريمات ناشبة منكبي قسي عربية غير عاصم من رداها زحف لام ولا تنفع الا من  
 الشفر غل الاوام وبين رجل بايديها قصدنى تساجل بها وقع السهام متترسين بالباب  
 المحكم كأنما اجتمعوا للعرض بالمحشر يحكى عن بعض الادلاء الخريث الماهر على بن عيسى  
 وكان لذلك العهد من اشياح العبد سكية المصطنعين لديه أن عدة ما حشد زهاء مائة  
 الف على اربعة آلاف مقاتل وحدث ايضا بغريبة من نوك هذا المعرور انه أرفف من  
 سطوة الاجناد المنصورية وانه لا يد له بمقاومة قتالهم بالنار فأخبر أنه اعد لذلك  
 همسا بسحر ونفثا في عقد يبطل عملها ويبعث خللها وهيئات السيف اصدق انباء  
 من الكتب وهذا من الترهات التي لا تسولها سوى نفس ذاهبة فى الغباوة اقصى مذاهبها  
 ولما تقاربت الفئتان اعترضت العساكر الامامية غابة اشبه ملتفة الشجر صعبة  
 المسلك من اشتباك دوحها فلم يتأت لهم قطعها على التعبئة والانتظام بل سلكوها  
 زرافات ووحدانا وما مرقوا منها الا وقد الفوا العدو اخذ مراكزه بحومة الوغى التي  
 بين يديها ونظم تعبيته فعاجل العساكر الامامية بالقتال من قبل انتظام التعبية وترتيب  
 المصاف ليفت بذلك فى عضدهم فما أرهبهم منجز العدو ولا راعهم وثبتوا ثبوت الليوث  
 الضراغم وبادر كل من العساكر مركزه والوقوف تحت رايته بما كانوا الفوا نظم  
 التعبية ورتب المصاف والتجم للقتال وزحفت اليهم من العساكر الامامية ليوث حواد  
 وابطال بهم مساعير كل صنك المجال كم هتكوا اكلة القيام بهرفات الصوارم وقبوا  
 أديمها بالاسنة اللهاذم وتضمخوا بخلوق النجيع واداروا أكؤس الحنق ادارة الكؤس  
 الجريال واجتابوا السرد الجيك وسابغ اللام لايناظ باحسابهم ذم ولا يشربون الماء  
 الا من قليبا دم ولاعودوا سوى النصر مردا والتأييد عددا من كل حلب اشطر الوقائع

ص 82 يلقى السيوف بوجهه وينحره ويقيم هامته مقام المغفر \*

فمن راضته سياسة مولانا الامام المنصور بالله أمير المؤمنين ايده الله ومزنته  
 على مئازق الجلال وصلق المصاع كم بر بهم من ملك متوج واستخرج بهم خنزواته راسه  
 وداس بسنابكها معطسها الائم وغادره معفرا تحت النجوم وقنعه بالصغار والوجوم فثارت

حميتهم وجاش بأسهم ويرزوا لمصافهم على التعبئة المحكمة النظام وتزاحف الجعمان  
فالتحم القتال وسطع النقع وضرب سرادقه على الجو وتراكم غبار البارود فسدى والحرم  
على الافاق ليلا أحم الجوانب وارزمت رعود النار وانفدح مارجها وانهلث على السودان  
حواصبها بالموت الوحي وانسجم عارضها الركام وابتدر ثنيات الوغى ونازل حومة  
النزال كل كفى معلم من أبطال العساكر المنصورية صادق الحملات دعسا بالقنى  
الخطار وضربا بكل درب الشبابة فحمى الوطيس واحمر الباس واستدارت رحي  
الحرب الزبون حدث بعض أكابر رؤساء الاجناد المنصورية وكان ممن حضر هذه  
الملحمة وصلى بناها أنه قضى العجب مما شاهد من شهامة العساكر المنصورية  
وصرامتهم وذلك انهم لاول ما تراءى الجعمان شدوا على عتوهم سراعا خبيا وايضا شد  
الليون على النقد والقوا كل سلاح عدى السيوف المرهفة شرى لقتال الاشقياء وانفة  
أن يقفوا أمامهم نواق بكية قال فصار رؤساء الاجناد يكفكفونهم كما يكفكف السيف عن  
الانحدار حنرا من اختلال مصافهم وانحلال نظام مراكزهم فبعد لاي وجهد جهيد مارست  
قواعدهم فكان الغوى سكية والاشقياء اتباعه ثبات كالجبال لرجة ذلك الزلزال وضنك  
ذلك المجال وتهافت حماته وأبطاله على الحنق تهافت الفراش على الدبال واستنمات  
زعماوهم وعلقوا ركبهم كما تعقل البلسن توطينا لانفسهم على الاقدام حتى لايتانى  
لهم الفرار فصابر جنود مولانا الامام المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله وعالجوا الصبر  
على شواظ نارهم حتى خرستهم الحرب وعضنتهم أنيابها العصل فلم يكن الا كلا ولا  
حتى هبت صبي النصر وخفقت رايات الاقبال والظهور وصدقتهم العساكر الامامية الحرب  
وتدامر أبطالها وهجموا على سكية وجموعه هجوم الليون على النعم وشدوا عليه  
كالصخرة الملوثة فاستحر القتل فى الاشقياء وأذاقتهم جنود الله نكال الحرب وحكم الله  
لرايات مولانا الامام المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله بالظهور فانكشفت جموع  
السودان وولوا الادبار واجفلوا اجفال الاوابد الشوارد وتقوض منهم ليل غطى الاباطح  
واليفاع وامتدت مسوح سوادهم \* على تلك البقاع بعد أن احاطوا بالعساكر المنصورية  
83 ص  
احاطة الدار من جميع الجهات وقعدوا افواهم لالتهامهم فادال الله عليهم الدائرة وانجرت  
عليهم هزيمة شنعاء لايلوى منهم احد على شقيق ولا صديق حميم ونجى عميدهم  
الشقى برأس طمرة ولجام بيادر الفوت سليب الحشاشة من الفرع قد خار اللعر  
حشاه اذ رءا غير شىء ظنه رجلا واستلحمت السيوف الفئة المعقودة الركب واجلت المعركة  
عن حصيد من القتلى مجلدين قد ضرجوا بدمائهم وضمحوا صاصح تلك البقاع بعلق  
نجيعهم تعفرهم الخوامع والقشاعم قد مثلوا على الارض هضابا وامتد على اديمها منهم  
أديم أسحم فلا تعثر قدم الا فى شلو قتييل ولا يدوس خف وسنبك الالهامة صريع كائروا



الحصى واربوا على العد والاحصى واضحوا مثلا في الغابرين وعظه للمستبصرين وكان قدر مصابرة الاشقياء لصلى الحرب من لدن الضحى الى قرب العصر فى كل ذلك أثبتوا فى مستنقع الموت أقدامهم وظاهروا أثناء هذه الغمرات بين لامة باسهم واقدامهم حتى لم يجدوا أفسح من خلفهم ولا عتادا سواه ادفع لحتفهم فانفضوا وقد أبلوا عدرا :

وما قصروا فى الذب بل كان باسهم يسد به ما بالمجانيق يتلسم

لقد صبروا لو ان غيرك سامهم وقد دفعوا لو أن غيرك يقحم

وما كان ليتاح الغلب على مثلهم كثرة عدد وشدة باس ولاكن جند الله لا يد لاحد بمقاومته ومطالب أمر الله مغلوب وكان تاريخ هذا الفتح العظيم سادس عشر جمادى الاولى عام تسعة وتسعين وتسعمائة (1) فانم الله أمره وأنجز وعده وخر عرش البغى حتى صار ظللا دارسا ومجيا عابسا وجاست العساكر الامامية خلال تلك الديار واجفلوهم عن قاعدة ملكهم وحضرة سلطانهم مدينة كاغو واقتل بها الاجناد المنصورية (2) على الطائر الميمون وأقلع عنها العبد وحاشيته بعض سبائيه تلهفا سلبها شديدا محتملا لما أمكنه من مناعه وذخائره وانتبذ ضاحيا لمنجاته ولحين صكت هذه الوقعة مسامح أقطار السودان ذل لها شواهدقا وصياصها وقذفت الرعب فى اذان ادانها وأقاصيها وطير روساء الاجناد بخبر الفتح على النجيب الى سدة مولانا الامام المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله فعمت البشرى والمسرة الكبرى وسرت الطلاقة والابتاج فى الخاصة والدهماء وتناغت حلبة الكتاب والادباء فى رفع قصائد التهئة الى مولانا الامام المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله وتجادبوا أهذاب الاجادة \* وهصروا أقانين الاحسان ورفعوا

84

العقيرة بها بين يديه أيده الله بين روية وارتجال فمن ذلك قصيدة لمولف الكتاب

جيش الصباح على الدجى متدفق فياض ذا لسواد ذاك محقق

وكانه رايات عسكريك التى طلعت على السودان بيضا تحقق

لاحت واقتهم ليال كله كعمود صبح فى الدجى يتألق

نشرت لتطوى منه ليلا دامسا اضحى بسيفك ذى الفقار يمزق

ارسلتهن جوانما وجوارحا فى كل مقلبها غراب ينعق

وسرت وكان دليلهن اليهم مشحوذ عزمك والسنان الأزرق

ولهى الليالى قد جلا احلاكها نور النبوة من جبينك يشرق

ضعفت بهن وعود نارك صفقة رجت لصيحتها العراق وجلق

(1) كان ذلك يوم الثلاثاء 16 جمادى الاولى 999 الموافق 12 مارس 1591 .

(2) اعتمادا على ما جاء فى تاريخ السودان للسيدى فان دخول جودر لكاغو كان يوم 20 رجب 999 الموافق

13 ماى 1591 .

سحقا لا سحق الفبي وحزبه      فلقد غدا بالسيف وهو مطوق  
 رام النجاة وكيف ذاك وخلفه من جيش جوذرك الغضنفر فيلق  
 جيش أواخره يبأبك سيله عرم وأوله بكأغو محددق  
 لم يشعروا الا واسداد الردى ضربت عليهم من فناءك وخندق  
 كتب الاله على عاداتك انهم قنص لسيفك غربوا أو شرقوا  
 ضلت ملوك ساجلوك على العلاسفها وشاووك فى العلا لا يلحق  
 ان يشبهوك ولا شبيهه نرى لكم فى الخلق أين من اللجين الزئبق  
 بشر ملوك الارض انك فاتح بالمشرفى على الولا ما أغلقوا  
 وبفاصل لك ذى الفقار مقرق ما جمعوه وجامع ما فرقوا  
 دامت طيور السعد وهى غواذر بالمشتهى لك والمسرة تنطق  
 ما دام ذكر علاك فى صحف الثناء أصل الفخار وكل ذكر ملحق  
 وقال الكاتب البارع الاصيل أبو عبد الله محمد بن على الفشتالى وحاز فضل

الاحسان

بشرى تزفا من الزمن المقبل      لمنصة الجدل الذى لم يرحل  
 خطت يد السعد بمهرق يمنها      مهربه ممن الامام الاعدل  
 المالك المنصور من فى سعده      لو شاء طاعن رامج بالاعزل  
 ذى همة منها مضاء السيف أو منها استعير صلابة للجنيدل  
 ومن الى استيكار كل عزيمة وهولها العذل ابن معذل  
 النجل فاطمة وكل مفاخر فهو يفاخر ذركم بالخردل  
 وابن الفطارفة الالى يتازرون من الثناء بالرداء المسبل  
 قوم اذا لبسوا الحديد الى العدا لا يسالون عن السواد المقبل  
 يصبون للحرب الزبون كما صبا      الضليل فى يوم بدارة جلجل  
 قرعت طنايب السواد بجحفل      جهزتموه فى سحاب القسطل  
 فرماهم بصواهل ونواهل      وصواعق عن فعلها لا تسال  
 لولا ضياء المشرفية والقنا المجد ضل به بديل الليل  
 خطبت سيوفك فى منابرها مهم خطبا تديقهم نقبح الجنظل  
 بزت بنى حام ثياب الابنوس اذ كستهم من ثياب الصندل  
 فولت الادبار مثل خنابس يزيحها نور الصباح المتجلى  
 من عثيم رمدت بعشير بعضه      عين الغزالة فى الرعيل الاول  
 لولا المواقيت التى قد قدرت      ما طنت على الاقطار دورة مغزل  
 قولوا لملك السواد اذ جمعت      به جهلا سوابق غيه فى مجهل

ص 85

تلك العساكر مدها من ربهها والراى عند عميدها لم يمهل  
ان البغات وان تكاثر عدوها ما شانها فى البطش شان الاجل  
لا تعجبوا من نصر كل جيوشه فالرعب بعض جيوشه فى جحفل  
لولا عمايتهم فكيف الملتقى بجيوش من ورث الشهامة من على  
يابن سنى الملك ولاكن ليته دل بمدحك شعره فى محفل  
كل الملوكة تصيب أو تخطى فى راثهم من مجمل ومفصل  
وانت سدك الله متى تسرى رايان يكن لك والنجاح بمنزل  
خاضت سيوفك من دم الابطال اذ كلفتها طهرا بماء المقتل  
لطفها بها فكانما ألزمتها فى قتلها الاعداء شبه تسلسل  
عودتها الاغمداد فى هام العدا والحكم خرق عوائد لم يحمل  
وكل أرض قد قصدت ملوكها ضاقت بهم ذرعا بفرط تزرزل \*  
جلبت بنو الاملاك منك بهمة جبلت على دفع الفساد المعضل  
فهم بهربضكم وكل واحد منهم يسمى بمالك بن مرحل  
فاحكم على الملوكة بما ترى من عطفة أو قطعة بالمنصل  
ودع المطيع أمير بعض جهاته يروى بماء العفو بعذب سلسل  
ولغيره يروى الحديد معننا ذكرى فيصبح فى سباق سلسل  
منحك ابكار الليالى وصلها حتى تنال بها كبير مؤمل  
وتضيف ملك مشارق لمغارب عفوا كنظم جنوبها والشمال  
هاك أمير الهومنين قصائد فاحت محابر طيبها بالمتدل  
بهديح أهل البيت هزت معطفا هزوا بمدح جريرهم والاختسل  
لا زلت منصورا وسعدك راكبا لمنال سؤلك كل اجرد هيكل  
وبنوك فى الملك الكبير مساعدين من الاله بالزمان المقبل  
وقال الفقيه النبيل اوحى الادباء ومقرض الدولة المنصورية بدر القريض أبو عبد الله

محمد بن على الهوزالى

المت وقد الوى على وصلها الهجر كما افتر اثر الليل عن ثفره الفجر  
وقد حل اذ لاحت دجى الليل وجهها كمانض سحج الليل عن وجهه البدر  
تساقط لى در القيطا فريده فانجل سمع فيه عن غيره وتر  
تحدث عن مسرى سوار رمت بها مرام تفضل النهج فى فيجها الزهر  
تحامى هواها الطير من خشية الردى قديما واعيا الريح مسلكتها الوعر  
وجشنها المنصور خرس كتائب تحمل ما يردى فيجعله الصبر

تقاذفوا صبها بكل متوج نمنه الى عدنان آباؤه النفر  
على كل محبوبك السراة اذا جرى مع الريح فان الريح من علوه حصر  
صوافن ينموها وجيه ولاحق مطهمة دهم ومنقورة شقر  
بمرهفة ماثورة مشرفية تؤم غراريتها ردينية سمر  
لحدت تحمل الموت الزؤام يحوطها ويكتفها يمن يشيعه نصر  
فجلت بارض السود لم يشن عزمها مهالك صد عن مسالكها الذعر  
ورامت بنو حام لجهل بقدرها دفاعا فباتت فوق آناقها العفر \*  
همى فوقها وطف المنايا بحاصب طواهي عبال النبل من فيضه حمر  
لقد ذكر الحبشان من وقعها بهم وقية يوم الفيل لو ينفع الذكر  
كان قريشا جمعتها لتنتهي الى فخرها المنصور فهي له ذكر  
الى ملك ما شام فارقة الظبي على ملك الاوحاق به القر  
الى ملك لم يهد حد سنانه الى مارق الا ومورده النحر  
الى ملك لولا لوامح رايه لما لقت حرب عوان ولا بكر  
من النفر البيض الذين اكفهم هواطل والافاق مظلمة غير  
اذا ما احتداها المعتفون تبجست فتفعل في الافاق ما يفعل القطر  
تري الارض تهتز ارتياحا بما همى على كل واد فيض نائلها النفر  
هم الصفوة المحض التي لم يشب لها الى الجدم اسماعيل فرع ولا نجر  
لها قصبات السبق في كل محفل اذا استبقت يوما كنانة أو مهر  
فله بيت شد أطنا به اهلى الى فلك الجوزاء شيبة أو عمر  
وبواه وفد الرسالة واهتدى بالجمة في كل داجية سفر  
ايا خير من ام القريض فناء واعمل في اطراء اوصافه الفكر  
هنيئا امير المؤمنين فقد مضى على كل من ناواك أسيافك الدهر  
لئن اسلمت ارض الجنوب مقادها فن كذب تلقى مقاليدها مصر  
وتزور زوراء العراق فتهتدى اليكم واعناق العدا خضع صفر  
وتخفق بالوادى المقدس راية عليك وتهوى فيه الوية حمر  
قدم لفتوح يستحث لئيلها الى كل قطر منك ذو لجب مجر

وكتب (1) ايده الله الى الجهات والاقطار من ممالكه بالفتح وانهاء البشرى بما

(1) يقتضى الترتيب الزمني لتطور الاحداث الانتقال الى الصفحة 48 من المخطوط وقد تنبه المؤرخ  
الزباني الى نفس الملاحظة وسجل على هامش صفحة 48 الملاحظة التي اثبتناها من قبل .

أفء الله عليه من هذا الصنع الجميل والمن الجليل من انشاء مؤلف الكتاب والرسم فى العلامة الكريمة على ما وصفناه -انفا ونصه بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه من عبده الله تعالى المجاهد فى سبيله الامام المنصور بالله أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين الشريف الحسنى أيد الله بعزير نصره وأمره وظفر عساكره \* الى الشرفاء والفقهاء وكافة الاعيان من أهل كذا اسمعكم الله من البشائر ما يملأ صدوركم ارتياحا ويفرح قلوبكم انشراحا ويوسع أرجاءكم واكنافكم فى ظل الامنة انبساطا وانفساحا سلام عليكم ورحمت الله وبركاته اما بعد حمدا لله الذى شرف ملة الاسلام على الملل والنول القرشية على سائر النول وخصوصا الدولة الحسينية التى جعل الله بيض سيوفها الفاطمية قاهرة لاعداؤها الصفرية وعبيدها السودانية وصدع بأنوار خلافتها النبوية دجنه سوداء طالما نعق غرابها مند حام ووصل بدعوتها الشريفة بين سام وحام والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبى خفقت أعلام هدايته على الربى والاكام وكاثر بآياته الباهرة كنهور السحاب ومنعجر الغمام والرضى عن ءاله خير ءال مسادات الاقيال وءاساد الاغتيال خلفه الاسلام وورث بالعدل وشرف الخلال وايمه الخلق الذين ذيلوا معالم النصر بالاكمال وفتحوا الاقطار على التوال وعن أصحابه الذين جاهدوا فى الله حق جهاده بالسيوف والنصال وواصلوا فى اعزاز ملته ونصرة دينه البكر والاصال ومواصلة الدعاء لهذا المقام العلى الاماد النبوى المنصور الاحمى بنصر يكفل الاسلام وعز يخلع جماله على الايام واتصال البشائر تستخدم فى نشرها المحابر والاقلام قانا كتبناه اليكم كتب الله لكم من البشائر أسرارها الى النفوس امتزاجا وهداها الى الارواح مسرة وابتهاجا واقطعها فى الافاق سبلا فجاجا وارقاها الى السبع الطبايق سموا ومعراجا من حضرنا العلية مراكش حاظها الله وبركة هذه الامامة لكريمة تستمد الاقطار من مقاسها وتروى رواية الافادة والابادة من ضحاكها وعباسها والفتوحات الربانية تحتفل الملائكة لولائها واعراسها فله الحمد على نعمه التى لا يحيط الوصف بانواعها وأجناسها وعنايتها التى تضرب بعصاها الصخرة الصماء ممن عصاها فتبادر بانقلاقها وانبجاسها لله المنة هذا وقد علمتم فسبح الله أملككم وواصل أسباب الخيرات قبلكم ما كان من تجهيز عساكرنا المظفرة بالله الى بلاد السودان لافتتاح القاصى من ممالكها بحول الله والدان وما كان من عظيم احتفالنا لذلك بما لم يعهد مثله ولا سلف لاولى الحزم من الملوك بعضه فكيف كله من انتقاء العساكر والاجناد وأسود الحرب الذين دربوا على الطعن والجلاد ومعاينة السيوف والصعاد من كل أبناء حرب شرف فى انساب الوقائع جدهم ويرد الجموع الصحيحة الى التفسير مزدهم وامدادهم بما لا يحصى عددا وكثرة \* وبما لا مزيد فوكله بسطا وقدرة من

ص 49

ص 50

قوة الظهر وصواعق الحرب التي تفرق لها صروف الدهر وغير ذلك من كل ما يقتضيه العزم ويبعث عليه العزم ولما تكامل بحمد الله هذا الاحتفال والاستعداد واخذت اهبتها العساكر والاجناد وأقلعوا في الالوية وساروا على التعبئة ونصر الله تعالى يظلمهم غمامة وتترأى لهم ثنية الاقبال أعلامه وتخفق عن يمينهم وشمالهم راياته وتبدوا لهم في كل حركة وسكون آياته هذا وما كان يخفاكم ما سلف هنا بالمغرب من الدول العظام وممالك الاسلام ومع هذا فما كان أحد منهم ليروم فتح هذا البلاد بسيف أو تتناول همهم الى اغزائها ببعث ولا زحف أو يسموا أنفسهم بالمقدرة عليها وعلى الصمود بجنودهم اليها والحالة انهم أضخم ملكا واعمالا وافصح خطة ومجالا واوفر نفعا وأوسع أحوالا مما كان يشقهم وينفقون فيه أنفسهم وأموالهم ويستغرقون معاناته طول أيامهم بكرهم واصلاتهم وما ذاك الا بعجزهم عن مقاومتها وعلمهم من أنفسهم عدم القدرة على مصادمتها وانها عند جميعهم غيل لا يزحم وعريسة لا تقحم وحسنة آبية لا تنقاد العنقاء تكبران تصادلان البلاد كما علمتم قد توغلت في الجنوب الى أبعد الاقاليم من المعمور واعترضت دونها من القفر وسرابه المتموج بحور وصحارى تضلل القطا في مهامها الفسيح وتكسل في جوب عرضها بل بعضها سواقي الريح كم اغتالت من أمم غولا وترد من حر الاوام وعولها وكم افنت من خلق جيلا فجيلا والقت على الرحال وأهلها كثيبا مهيبا تغلى من رمضانها الرعوس وتذوب من حميمها النفوس وتنزل شمسها على الهام حتى تكاد تلمس باليد ويشتهه على الخريبت فيها اليوم بالغد لا ماء ولا شجر ولا ورد ولا صدر الا شرابا يعشى العيون ويقرب المنون واجاج يغلى في البطون كغلى الحميم وهو اجر يصلى الناس من حرها الجحيم حتى ظن بذلك أهل السودان ان سربهم من أجل البعد والمقاو المعتبرة دونهم لا يراع وليهم الديجوجي لا يرجى لفجره انصداع وحماهم من هذه المشاق لا يطرق ولا يحام وبلادهم حتى بالوهم لا ترام فاستخرنا الله الذي لا يخيب من توكل عليه ولجأ في عظام الامور اليه واحتقلنا لذلك بما يليق من الاهبة والاستعداد وبنينا الامر من الثقة بالله على أوثق عماد فجهزنا جنود الله تلقاءهم في عساكر تحمل الاسل والنار واسودا تانف الدنية والعار فحاضوا اليهم بحار الال وصابروا في قطع الشقة البعيدة عظام الاهوال ولما شارقوا البلاد وهم على ما كانوا عليه بحمد الله من شدة الحزام وسل الحسام لم تضعف لهم والحمد لله شدة ولا نقص منهم ما كابدوه من المشاق عددا ولا عدة زحف الشقى بكافة جموع السودان وحشودها وطلعوا في الجو حنادس واقلبوا اقبال الليل الدامس فالتقى \* الجمعان على ثلاث مراحل من كاغوا فأحرق منهم بعساكرنا المؤيدة بالله 51 ص

سواد لا يعصيه الا محصى الخطرات والانفاس ومن احاط علمه بالانواع والاجناس فدارت رحى الحرب ووقفت على ساق وارعدت رعود نارنا فرجت من صعقتها الافاق فثبت الاشقياء

لنزالتها ثبات الجبال الراسية واقدموا من الشدة والصبر على الموت اقدام الاسود الضارية لا تشبه صوارم ولا اسل ولا يعرفون ما الخوف والوجل يتهاقون على النار من كل جانب تهافت الفراش على الذبال ويتسابقون للسيوف والصيد تسابق الجياد فى المجال مع كثرتهم التى ذكرت بالحشر الثانى حشرها الاول ومغاليبتهم كانت لذلك من قبيل المحال لولا الثقة بالله سبحانه وتعالى وعونه السى كان عليه المعول فلم يكن الا ان هبت ريح النصر والظفر وجاء نصر الله الذى هو لراياتنا حليف فى الورد والصدر فانكشف الشقى وجموعه وولوا الادبصار وركبتهم الاسنة والشفار وفضتهم جنود الله فضا يهز الجبال زلزاله وتصيب النواصي احواله واستمر القتل فى الاشقياء وتركتم سيوفنا الهاشمية حصيدا بالعراء ونفل الله عساكرنا ذلك السواد وكهل الفتح بحمد الله بالاستيلاء على البلاد وانتظام ممالكها فى سلك الطاعة والانقياد والعاقبة للمتقين والحمد لله حمد الشاكرين ولما استوى القدم بعساكرنا وفرها الله فى البلاد واصبحوا فى دنيا لا تفى العبارة لها بكنه ولا تعارض بشبه ولا نظير لها فى الارضين بوجه ماشئت من ممالك متعددة الاقطار متنوعة الاوطان والاطوار جملة المراقق والفوائد ومالف الوافد والرائد لا تحد بغاية ولا تدرك لها نهاية محشر الامم وبستان العالم ومدرج الدر من بنى ادم وملك ضخم لا تصل اليه الهمم لولا عنايته التى لا تقاوم وناهيك بممالك يخترفها بحر النيل نهر الجنة ومدفع مياه الرحمة تسقيهم النهل والعلل بحجة ويجبى اليهم الثمرات والخيرات بشجة الى اسواق تزرخ بالنعيم واتصال عمران كالعقد المنظم وبالجملة فهى غريبة لا تثبت الا فى الحلم وموهبة لا يفى بشكرها لسان ولا يحيط بوصفها قلم وما عسى أن تبلغ العبارة فالامر اضخم والحال أجل وأعظم ولقد اجتمعت اليوم بحمد الله بانتظام هذه الممالك كلمة الاسلام وارتقى الامر بحول الله الى الكمال الذى دل منه حسن الابتداء على حسن الاختتام ولم يبق بحول الله الا صرف العزائم الى جهاد العدو الكافر وان تمور عليه من سطى الاسلام بحول الله الدوائر حتى نفزوه بجنود الله فى عقر دياره ومحل قراره ويعلوا حزب الله على حزب الشيطان وانصاره بعز الله وتأييده ولما طلعت علينا بهذا الفتح العظيم طلائع البشرى والمسرة الكبرى بادرنا تعريفكم ب صنع الله \* فيه الهنى الغريب واعلامكم بحديثه الحسن الغريب لتقدروا صنع الله فيه حق قدره وتقبلوا بحمده سبحانه على هذا المن الجسميم وشكره فانه فتح لم تله مثله الايام ولا عوهد فيما سلف من دول الاسلام ولا علم نظيره فيما تقادم من الاعمار ومضى من الاعمار بما جمع من هذه الممالك العظيمة التى لم يشتمل عليها ملك ولانظمتها سلك وان خبيثته فى طى العصور السالفة الى هذه الملة الكريمة والدولة الجليلة العظيمة لدليل على عناية الله بشانها بما اظهر على يدها من خوارق العادة وجمع على

عهدنا الكريم من هذه الممالك المنتظمة في سلك الانقياد انتظام القلادة فاشكروا الله تعالى على هذه المفاخر التي اذخرها لعصركم وأظهر بها آية انجادكم على الاعادى وتصركم واغتبطوا بما خولكم الله من هذه البشرية والمسرة الكبرى اتم اغتباط وتأخروا بحظكم فيها من السرور والانبساط واتخذوا يومها الاغر المحجل عيدا ومهرجانا واقيموا لها سوقا من البسط نافقة سرا واعلانا واستشعروا عاقبة هذا الفتح العظيم فهو بكل خير شامل ان شاء الله كفيل وعلى ما وراءه بحول الله من الفتوح المتوالية عنوان ودليل وقيدوا نعم الله لديكم بالشكر للنعم قيد وعقال وعصمة بحول الله تومن من الزوال والله يكلؤا جميعكم فلا رب غيره ولا خير الا خيره والسلام وفي ليلة الجمعة سابعة شعبان المكرم عام تسعة وتسعين وتسعمائة(1)

### ذكر ارتجاع العساكر من كاغو الى تنبكتو وما تخلل ذلك من الاخبار

لما استولت العساكر الامامية على مدينة كاغو دار مملكة الملك السوداني وقاعدة ممالك سنغاي ومركز الدائرة من تلك الاقطار ورسخ بها قدمهم ورسيت في ارضها قواعدهم اشرفت بافقا انوار الخلافة العلية وسطعت بجوها انوار الامامة النبوية فمزقت باشعتها سدف البغي الذي طالما قد لبست منها اطمارا خلقه واختالت في ملاءة العزة القعساء وطويت عنها بزة المهنة طى الرداء ونزعت من قلب السعد بمقعم غرب واحصف رشاء فجليت عقلية غيذاء واستقل جدها العاثر فينا هي في التراب في درك اذ انافت على الاوج في فلك واضحت خيسا لكل ليث مشبل من ابطال العساكر المنصورية وفجر عواليهم ومجرى سوابقهم فابتهجت ارجاؤها وزهيت اعطافها وشنفت الدعوة النبوية مسامعها فدار بها نطاق الرحمة وانهلث عليها مياها وخيمت بها العساكر الامامية والقوا بها عصا التسيار واعتاموها دار قرار ثم الفوها مستوثة وخيمة الهواء منحرفة المزاج لا تقتنص بها الصحة الا بشرك علاج ولا يستشعر بها برد الصحة الا من الف جوها ودب من وكرها \* وربى في افقها واما الوارد عليها فقلما سلم من عادية وخامتها الا بعد استحكام صبغتها ولبس جلدتها فطرفتهم بسبب ذلك الوعك وسرت فيهم الاسقام ودبت في جميعهم او كادت الاوجاع والالام وحلدروا مغبة استيلاء الالام على جميع العساكر فلم يكن لهم حينئذ منسوحة عن ارتياد بقعة سواها وادالتها ووافق ذلك ارسال العبد سكية اليهم والقاء نفسه عليهم نزوعا منه الى السلم وتأميلا للخلاص من الهلكة التي ارتبك في اشراكها واشرف على مهاويها واستبقاء لرمقه ودمائه التي بلغ التراخي وربما زعم لبعض بنابة التي تقوضت اركانها فتطارح على العساكر الامامية وبسط كف الخشوع

ص 53

(1) الجمعة 7 شعبان 999 يوافق 31 ماي 1591



والرغب الى قائد العساكر مملوك مولانا الامام المنصور بالله امير المؤمنين ايده الله جوذر باشي ورؤساء الاجناد في تقبل فئدة على خروج ثقيل يضرب عليه التزمه مسانها وتحمل عبئه ونظم نفسه في خول مولانا الامام المنصور بالله امير المؤمنين ايده الله وعبيد جلاله البادخ وقدم بين يدي نجواه هدية مولانا الامام المنصور بالله امير المؤمنين تشتمل على عشرة آلاف مثقال ذهباً ومائتى من الرقيق وانبرم هذا العقد على شرط القبول من مولانا الامام المنصور بالله امير المؤمنين ايده الله وامضائه لعقدته وان المصير لرأيه الكريم في رد وقبول فانكفات حينئذ العساكر المنصورية اثر هذا العقد صارفة الوجهة الى تنبكتو(1) وخيموا عليها وطيروا شرح هذه الاحوال(2) الى سدة مولانا الامام المنصور بالله امير المؤمنين ايده الله وتلوموا ينتظرون جوابه الكريم ليستضيئوا بقبس رأيه السديد في مدلهامات الامور فثابت اليهم صحة ابدانهم وتراجعت قوتهم وذهب عنهم وعت السفر واخذوا في التمهيد وتسكين الشارد وتأمين الطريد وبسط الهدر وخفض الجناح حتى اطمأنت النفوس المستتة في مجال القلق واستقرت الافئدة الجائشة بما خامرها من الرهب والذعر النى ملا احشاءهم وازاغ ابصارهم واشكت لرجبه مسامعهم من اجل جدة الدولة وثقل الوطأة وجلال السلطان في خلال ذلك ثاب لقائد العساكر الامامية المنصورية الفى الشهم جوذر باشي مملوك مولانا الامام المنصور بالله امير المؤمنين ايده الله رأى العمل على شاكلة اولى الحزم والحياطة للامور فاعتمل فى انشاء الاساطيل والسفن لاقتحام النيل والعبور لعنوته القصوى خلال مدة انتظارهم لرجعة جواب مولانا الامام المنصور بالله امير المؤمنين ايده الله مخافة ان يفجئهم السراى الكريم بنقض ما ابرموه مع العبد سكية فيجدهم ذلك على اوفى أهبة واتم استعداد لغزوه والانقضاض عليه بجوارح الاساطيل الامامية السريعة الطيران ولقد كان العبد الشقى لاذ بغير منجاة من الرأى \* الفائل ودفع بكيد ضعيف وتديبير تكسى رعدليد

ص 54

فجمع اقاويه واخذ بزمام سفنه على العبور والاختلاف بين جهتى النيل فى اجتلاف المرافق .

يريد(3) ان يفت بذلك فى عهد الاجناد المنصورية فشمير مملوك مولانا الامام المنصور بالله امير المؤمنين ايده الله قائد العساكر جوذر باشي المذكور لابطال كيد العدو وجمع

(1) ذكر صاحب تاريخ السودان ان دخول جودر تنبكتو كان يوم الخميس 6 شعبان 999 الموافق 30 ماي 1591 .

(2) حمل اخبار المفاوضات التى جرت بين جودر واسحق الى المنصور بشروط على العجمى كما ذكر ذلك صاحب تاريخ السودان فى صفحة 146 .

(3) يقتضى الترتيب الطبيعى لسرد الاحداث الانتقال الى صفحة 114 .

العملة ارباب صناعة السفن لما قدمنا أن مولانا الامام المنصور بالله امير المؤمنين ايده الله قد امدهم بآلاتها وارباب صناعتها فما مضى غير برهة حتى \* شأوا رجلوا في شأوا صنعها واخترعت في نهاية الاحكام ونباهة الشكل فكانت سفن العبدى اخذت بطرف نقيضها قماء وصغر قدر وتفاوت شكل فتسبم كتد الملح منها واستقل على غوارب اليم هياكل مائلة قد البست مدارع القار واذلعت الى الماء السن المجاذف وارسلت في النيل ارسال الاجادل المنقضة تقطع انفاس الرياح شدا وتستقل بالفيلق الجم والاقوار الثقيلة من البضائع فأغرقت تلك الامم الهمل في مذاهب الاعجاب اذ كانوا لانتباز الدار وشط المزار لم ينتشقا لرسوم الملك نسيما ولا وقف بهم على معالمها وخذولا رسيما وانحشرت عوالم من دهمائهم لمشاهدتها وارتاع لها افاصيههم وادانيهم وايقظت اجفانهم من سنة الهدوء وطرقت البائقة مضاجع امانهم وايقنوا أن لا محيص ولا فوات:

أين المفر والالاه الطالب والاشرم المغلوب ليس الغالب

ولما انتهى الخبر لمولانا المنصور بالله امير المؤمنين ايده الله ووعى جلية أمر عساكره المظفرة بادر لاملاء أجوبة خطابهم وتجهيز الامداد اليهم ونقم عليهم التنفيس من مخنق العبد سكية والافراج عنه من بعد استلابه من بزة عزه والاستقراء على دسته والحصول على كرسي ملكه وعرفهم بما في ذلك من اعادة أمره جدعا وان ذلك يشيب اليه قواء ويلم من شعته المبدد وعراه المنقصمة ويقلد ذلك يفث في أعضادهم ويوهن عزائمهم ويركد ربح صيتهم وغاية الامر انهم ان استوخموا البقعة وانكرهم هواؤها يصحروا قريبا منها في مخيم يرنادون فيه صحة الهواء فيسلموا من عواد الاسقام ولا يخلون بمصلحة وقرعهم بالتوبيخ على ما اتوه وصب على أمراء الاجناد سوط عتاب ونقض عرى صلح العبد ونبذ وراء ظهره فرجع بملء العيبة من الحسمة وهيئات الصيف ضيعت اللبن ولشد ما أغفل الامر السديد والرأى الحسن فندم حيث لاينفع ووقع ايده الله للعبد بينانه الكريم على ما بعثه من الهدية ورام من الصلح بقوله تعالى اتمدونى بمال فما اتانى الله خيرا مما اتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون بالله من توقيع يقلقل رضوى وثبير ويرتد له طرف كل مصقع بليغ خاسئا وهو حسير فانظر الى هذا المنزع الكريم وتطبيقه لمجز الاجادة واصابة شاكلة الصواب فأى هاجس يحوم على هذا الرمي البعيد وأى ثاقب فكر يفوص على هذا الدر الثمين وأى سقط دكاء يستضى بانوار هذا المقتبس الاخاطر مولانا الامام المنصور بالله امير المؤمنين ايده الله المقتبس من أنوار النبوة ومشكاة \* الرسالة المحمودة بصيب التقديس المغدق السقيا بمياه البلاغة المشتعل الذكاء المتوقد جمره الفطنة والدهاء فهو ايده الله فى هذا المضمار وسيوفه عن الاسلام ذائدة ودائمة وحرس ذاته الكريمة

من كل عين لإفغة ثم كان من استئناف الامر من أوله وفتح البلاد فتحا ثانيا ما نذكر ان شاء الله تعالى

ذكر انتهاز محمود باشا بالعساكر لمعاودة فتح البلاد وتدويخها والابقاع بسكية وجموعة الوقعة المقوضة لركن الدولة .

قدمنا ما نقم مولانا المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله على عساكره من الاجابة الى صلح العبد والافراج عن كاغودار ملكه وانه لما بلغه ايده الله ذلك قام له في ركبته وقعد واعتنق الامر من أوله وجرى مقينا خفيف النهضة من ابطاله وكماة انجاده وعقد عليه لمملوكه الفتى الشهر مدره الحروب وصفات الوقائع والحية الرقطاء والاسد الرئبال المتخبط نجدة وشهامة واقداما وحزما واعتزاما الفضنفر البهمة ومجلسي الخطوب المدلهمة فحل الكفية وسابق حلبة الممالك والموالي بدار الخلافة العلية المهذب باداب السياسة الامامية المفرغ في مصفات ترتيبها وتدريبها القرم الباسل محمود باشى مملوك مولانا الامام المنصور أمير المؤمنين أيده الله فأفرغ ايده الله منه الادوات على الكمي وشجد منه عزائم نفذ من الحتف على الاعداء وغزل به مملوكه جوذر باشى عن ولاية العساكر ببلاد السودان وكتب له بملاك زمامها وأوعب تجهيزه بالمال واحتمل أكثر خراج اقليم درعة وخرج بلاد تغازى كله وشدازره بمولاه الصدر الكبير النجد المضطلع الشهم الحزامة والنجدة واصالة الرأى فى الامور ترب الكفاية المشعود الفرار بمبادر التجريب والحنكة والمصطفى بنار الوقائع صاحب فتح اقليمى توات وتيكورارين والمضى لعدرتهما القائد الاصيل أبى عبد الله محمد بن بركة عتادا للشورى وعضدا على الاستقلال باعباء الامور فقوض من الحضرة واستقبل خوض المغازة اللواء والمجهل البيداء أثناء فصل الصيف عند اشتعال نار القفيظ واجتدام الرمضاء واشتداد وهج السموم فأعد السير ووصل الاستياد بالتاويب لايلوى على من تعذر حتى خلص منها خلوص البدر من السرار وانصلت من غمارها انصالات السيف من القرابة فى برهة خفيفة لم تزرأه عقالا فيمن نقيه مولانا \* 117 ص

الامام المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله وسعادة جده وهذا أغرب ماثور وأعجب حديث مذكور وباقل من ذلك بذكر سليك بن السلكية دعار العرب ومصاليت صعاليكها الذين دربوا على خوض المهامه وجوب القفار اذ هى مساقط رعوسهم ومنبعت نبعتهم فضلا عن هذا الفتى الذى نشأ فى كنف الخلافة واكنته ظلالها ولم يتمارس بشق المهامه ففات فيها القطنى اهتداء وراكب فيها النكب الهوج وجرى فيها طليقا لم يلز فيه بغير النعام الريد واوبد الوحش وهى الهمم الاحمدية لو رام بها الشعرى لحق والعزائم التى لو صرفها للبحر لانفلق فلم يك الا برهة حتى الم بالاجناد المنصورية الامام

(1) قشب لهم الامل وشد ازهم وشحد بصائرهم وازاح عنهم فمضوا على غلوائهم ولبى منهم نداءه سميع مجيب سابقوه الى مطاهج هممه البعيدة فارعب بهم التجهيز وشحن الاساطيل بحرا وجر الكتائب برا وسار تلقاء عدوه على أيمن طائر واسعد قارن وانصر باسم الثنايا والفتح قد اثلح جيده وتطلع محياه بين براقع البنود ولحظ بأعين الاسنة الدرق ونطق بالسنة السيوف الحداد فطووا المرار تلقاء وجهتهم المباركة يؤمون مدينة كاغو وتوجه اليهم العبد سكية أوعب ما كان وفور حشوده وآتى بقض وقضيض واغتر بما جمع من سواده الطغام الذين أسلموه لوباله ولم يغنوا عنه من الاشياء وكان الغوى لم تندمل كلومه وعلى خيرة بكلال ساعده عن مساورة باس العساكر الامامية ولاكن أصغى لثرهات أوحى بها اليه بعض شياطينه وزخرفها الاغمار من أوليائه الاخذين بخطاهه الى عزائمهم قد نكت الوهن قواها وفل من شكائهم فرام أن ينتهز فرصة فكانها وطلب ثارا فما عدى أن ازداد ضغثا على ابالة واني أن ينتاش فريسة نشبت بين الناب والظفر من أسد وزاد فسار يريد لقاء الاجناد المنصورية كلما تقدم فترا تأخر ذراعا وكلما أقدم قيد شبر نكص باعا يتحامل على الاقدام تحامل الهيظ ونظره الى منجاته ويستحثه السرى من أمام وهواء الى خلف طلب لافلاته والدعر يمسه ويرسله والروع لم يقمه ويقعده فما هو الا أن أطل على العساكر المنصورية فالول جولة حن الى الفراريس النيب ونكص على عقبيه مدبرا ولم يشب له فى موقف الجراد قدم ولا حمل قلبه الضلوع ضررا فولى بسعى مخفق يقرع سن الندامة واستمرت عليه هزيمة شنعاء تجال صفارها وشفع بها الاولى وأجلت الملحمة عن عديد من كهاته وابطاله قتلى مجندين تنتاب العوافى أشلاءهم احاطت بهم دائرة السوء وجنبوا لمصارعهم وقادهم تدبيرهم لتدميرهم فاعتاد الشقى \* مدد النكد ومرى اخلاف رووس وكلما هم أن يقدر للاقبال زندا شح سقطه فلوى العنان تلقاء كاغو والعساكر المنصورية مبتوته السرايا خلفه تمزق أديمه وتوش اشلاء ثم التحقوا به ثالثة انهزامه وهو يعثر فى ذبول الفشل ويتميح بلاله صبر ناضب الوشل وانكفا عليه تيار العساكر المنصورية فانكشف لاول طليعة هو وفله ومر بصفقته الباتره وكرته الخاسرة يبادر الفوت لمنجاته (2) وقد كان لما صرف الوجهة تلقاء الاجناد المنصورية سولت له نفسه من عمل العزم أن أمر باخلاء كاغو ونسف اقواتها ولم يدع بها عدى نزر من عجزه الرعايا فتركها أفقر من جوف غير

ص 118

(1) حسب المؤرخ السودانى فان محمود باشا قد وصل الى تنبوكتو يوم الجمعة 26 جوال 999 الموافق 17 نشت 1591 .

(2) اعتماداً على ما أورده السفيدي فى (تاريخ السودان) فقد التقى محمود واسحق فى سهل بنب شمال النيجر بين كاغو وتنبوكتو يوم الاثنين 25 ذى الحجة 999 الموافق 14 أكتوبر 1591 .

خاوية على عروشها نظرا شديده فيما زعم أوأخى العزم قطعا لارفاق الاجناد المنصورية وأخذ بججزهم عن ترف صبايته البقية وهيئات لن يغنى كيد فيمن أمد من الله بأيد وظاهرته الاقدار العلوية في حل وعقد وكانت الاساطيل التي اتخنت سبيلها في البحر ألقاها اليم بالساحل من كاغو كما تبرز للرفش الصلال من احجارها فأرسلت على نفق الشقى المخلول فانكفا اليها فألفاها تتلمظ فاغرة أفواه الحنف اليه جالبة أسباب العين عليه فرجع بخفى حينين واسلمه الحمام الى الحمام وولاهها وراء ظهره ملء الجوانح اوصابا واللهوات علقما وصابا فامتنت الاجناد المنصورية صهوة كاغو عقوتها ووجهت منهم ضالة سعادها التي طالما كانت لديها متشودة وسكن حينها المتصل لن اقلعوا عنها فهشت لتطلع طلائعهم وسرى البشر والطلاقة في مجياها واعتاضت من العى رشدا ونظرا في سد فرجها وتثقيف أودها فعصبوا مفرقا بولاية المتقض لعذرتها الفتى الشهم ورغم معاطس السود عند الصدمة الاولى جوذر باشى مملوك مولانا الامام المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله مشدود الازر هراش الجناح بمولى أمير المؤمنين الصدر الكبير الشهير الصيت في النجدة والفناء القائد أبى عبد الله محمد بن بركة مع حصة وافرة من عساكر الرجل والرمات حماية وردء للعنوان يخالفهم اليها وتواعد محمود باشى مع النيل فى بقية العساكر اثر العبد سكية امعانا فى استيصاله وقطعا لندابره وكان المخلول آمن من الاتباع توهما أن الاجناد المنصورية تشغلهم كاغوا عن النهوض فى أثره ولم يدر

ان الاسود أسود الغاب همتهما يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

فمشى الهوى وما راعه الا هجوم العساكر عليه وراء كاغو فأوقعوا به هنالك وقبعة قضوا بها سواده وركب ديدنه فى الاجفال وهيئات أن يقيه فرار الا أن يحل ببلدة لا يهتدى \* اليه فيها نهار فكانت هذه الهزيمة احدى الكبر القاصفة لتماثته وفر بنفسه اللثيمة الفرع والارومة وافلت بها من شرك الحنف الناشبة بعد أن كادت تراسلا مرارا ولكل أجل كتاب وانتهت العساكر المنصورية الى القاعدة الشهيرة الصيت المدعوة كوكية وقطع الشقى هو فرصة المجاز من النيل لعدوته القصوى فكان من اجلاب العساكر عليه هنالك ما نذكر ان شاء الله تعالى

ص 119

ذكر اجلاب العساكر على سكيه بمنته من وراء البحر

كان سكيه لما أوقعت به العساكر جهضوه عن كاغوا ثم اجلبوا عليه لانبا فأوقعوا به وراء كاغوا اجفل اجفال العير امام الاسد وتخطى النيل الى ما وراءه واتخذ خندقا لاذ بسياجه وأمل الاعتصام به من مساورة القساورة الغلب من الاجناد الامامية ولم يعلم

انه لوصل عقوة لانتحطه فيها مقل الشهب لانقضوا عليه من جوها انقضاض الجوارح  
المقتنصة للمهج من بين الجوانح وكانت فرصة المجاز من هنالك صعبة المسلك تهوى  
بها جرية النيل من أعلى الى أسفل ويصب منها تياره صب الميازب مع ما أضمره  
ضخاها من الحزونة والوعث العادية التي ترد جميع الاساطيل الصحيح الى التكسير  
مع ما عليه سفن مولانا الامام المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله أيضا من ضخامة  
الشكل فجريها المستحکم في غمار المياه ورسوبها على ضد ما عليه سفن العبيد فانها  
تطفوا على سطح الماء كالقذات لضعف تاليفها حسبما ذكرنا وارتسم للعبيد هذا الخيال  
الفاقد فرقع سرجه في مرعى الامان وغفى جفنه الشاهد تحت افياء الاعتزاز فقيض الله  
لاساطيل مولانا الامام المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله أحد الملاحين المهرة من  
العبيد فدلهم على المعبر ونفذ بهم من ذلك المضيق فبفتوا العبد بغثة الحمام وأيقظوه  
من خمارة سكرته وسقط في يده وشام بارقة البوادر ودهمته داهية صيلم فانقضت خدمة  
عشرته العائرة ونبذه أوباشه وغوغاؤه وأسلمه أشياعه وسيموا من النكبات التي  
تشاوشهم والوقائع التي توالى عليهم واستحصدتهم وكان ممن انخزل عنه في هذه  
الوقية أخوه في نحو من ثلاثمائة من اخوته ووجوه عساكره وروساء دولته فكان من خبره  
وخبير الايقاع بسكية واستئصال شافته وتشريده لارض الكفر ما نذكر ان شاء  
الله تعالى

ذكر استئصال شافة سكية والاستيلاء على البقية من ذخائره وأمواله وافلاته الى  
ارض الكفر محل اغتياله \*

ص 120

لما انخزل أخو سكية عنه كما قدمنا في حصة من اخوته وأهل دولته راسل روساء  
اجناد المنصور ليصل يده بأيديهم موريا بالمظاهرة على أخيه وهو انما يسر بذلك  
حسوا في ارتقاء ويبدى غير ما ابتغى ويروم التقاف الكرة من يد أخيه ودحرجتها اليه  
لصولجان المماكرة والمخادعة يحاول بذلك اجتناب شارة الملك وافراغه على عطفه لما  
قبر من خلو الجو بتنحية أخيه وانها فرصة ينتهزها وفارك ناشز ابدت اليه حينها ولم  
يدر لاية علة تركها أخوه لها خلفها سخين عين فائضة وجود برمق نفس فائضة وما  
فارقها الا بحب الغارب والذروق وقد كان أقوى أيديا وأيسط يدا ولما بنى هذا الفبى  
أمره على هذه المكاييد المنحلة العزائم المختلفة المبادئ والخواتم جأجا بالعساكر المنصورية  
وقلب ظهر المجن لآخيه وأظهر لهم الادهان وامحاض نصح شف من ورائه ما طوى من  
دخل ووم الاصطياد تحت أجنحة العقبان الكاسرة ونازع في فرائس الاسد من بين  
أنيابها الكاشرة فصار ماقون الرأى مخفق السعى ولما أمكنت العساكر هذه الفرصة

بادروا اغتنامها ووطنوا هذا الغبي على ظواهر حاله وكالوا بالصاع الاوفى من مماكرته ولكل امرى ما نوى فجرد واسرية اعتماموا فيها الكمات اليهم من كل دمر أغلب ذى لبد هربت الشدق اسنار الحروب واطنار مئازق الجلال بين معتقلى الرماح ومقلبى اقالم الخطية فى أسطر الكفاح على الجرد السلاهب المظهمة العرب تنقض أسنتهم على ثغر الاقران انقضاض النجم المتكدر اثر المردة وبين قئة للرجل للرمات المساجلة بحواصب المنية الواء الغيوم الذين لم تزل آثارهم فى جباه الوقائع مسطورة وملاحم الكفاح بصيب بأسهم ممطورة يقدمهم كمن من انجاد الحماة طالما حلب أشطر الدهم وبني ناب الوقائع عرفناته غمزا وتحجما مدفوع للعظام وصدع صفاها وقل غريها وشباها يدعى قاسم روادى الاندلسى فكان هذا الجيش المنتقى بما جمع من الحماة والابطال لو تالبت عليه أجيال الامم الحامية وانكفات عليهم أقطار السودان بكل أسحم الجلدة لاستلقوا بحول الله باعباء حربهم أجمعين ولجرعوههم صابا بعلقم حتى يحيطوا بهم دائرة البوار ويهب لهم عليهم عاصف القلب وسارت السرية على الطير السانح وعزم ييسم عن ثنايا الامل الناجح متوجهين تلقاء معاطبهم كاس المظاهرة اخى العبد سكية لناع واجتمعوا به وكادوه بالنى كادهم به من المصانعة والمجاملة والوازرة على عدوهم ووطنوا على الايقاع به والاجلاب عليه وضربوا لذلك موعدا عند طلائع الفجر ثم أجالوا فى أثناء ذلك قدام المفاوضة \* وأداروا 121 ص

أقداح الثورى فتمخضت زبدة ارائهم ان امتزاجهم بعساكر السودان فى قتال عدوهم اخلال بالحزم وتضييع لواجب الاحتياط اذ يكون العبيد طووا مكيدة وغنرا فاذا امتزج بياضهم بسوادهم يميلون عليهم ميلا واحدة فرأوا الانفراد بصدمة العبد أولى وأحزم فركبوا اليه اليل جملا وفاجأوا بالبيات فلم يشعر الا بجلبة الخيل ورجة الوقعة فافلت من بين ظفر وناب ونجى بعد لاي ولات حين منجاة برأس طمرة ولجام من بعد عصب الريق وانتشاب أنياب الخطوب الحمر منتبذا من خوله وصباة أجناده سلبيا شريدا لم يعلق بأذياله عدى لمة من اغيلمة داره تناهز خمسة عشر مع أربع من حظايه نازع فيها ايدى السبى وخلص بها من سور النهب فكانت هذه الدائرة خاتمة زواياه التى أودت غضارته واستشفت بلالته ونسفت عينه وائره وانبسطت ايدى العساكر المنصورية فى نعمته الضخمة واحتوت على ما يملك من نشب وأثاث وعلات ومقاع وحرم ورقيق ولم ينج بزف نعام ولا قلت بقطير عدى نزر يسيير كنعبة من ثماد اعتبره بمسبار وقسه بمعيار فان عدة حظايا هذا العبد المختال بهذا التعيم أوان رسوخ قدمه فى سلطانه تنيف على ألفى حظية فأين ما تستتبع من حلى وحلل وسواها من أسباب الترف والالة والخدم ويسعها من المنازل أجمعين واشتملت ايدى الاجناد المنصورية من الدخائر على ما يقصر عنه اسهاب المكثر ويخرس له لسان المصقع وطارت بالعبد سكيه جنون الإجفال فما أراق

النفس حتى احتل بدار الكفر (1) والشقاء مستلما بدمام الشرك ومحتميا بحمي من جاد الله ورسوله وطوق عنقه ربة هذه الموبقة واحتقب اثمها وطرز بها صحائف عمله من البغي ولا غرو فيمن شقى بمولانا الامام المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله وعثره خاتم النبيئين ان يسلبه الله دينه وديناه ويحيط به دائرة السوء في عاجله وعقباه وتلك سنة الله في عصاته وتوهم العبد انه قد علق من أهل الكفر بدمام لا يخفر وانما سعى يقدمه الى ارافة دمه وسقط به الفشاء على سرحان واستجار من الرمضاء بالنار وكان ضعيفا لاذ بقرمله فلم يزد على أن ألقى قياده لمن فسى به نفسه وتفادى من تيار الهلكة بانلاف مهجته والسعيد من اتعظ بغيره فان روساء عساكر مولانا المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله تقدموا لطواغيث الشرك الذين ءاوه بالوعيد والانذار من حلول الفاقة بهم ان لم يسلموه فاستبصروا في رأيهم ونظروا في مخلصهم ولم يجدوا لانفسهم وليجة من دون سطوات مولانا الامام المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله وبوادره الا أن سقوه كاس الخمام وجرعوه غصص الموت الزعاف تفاديا من جلبية العساكر فهلك \* ص 122

الشقى وقضى نجبه في دار غربة تحت اسمار الحقارة الذميمة والحدث بتربة الكفر والشقاء رمته الرميمة فلم تبكه أرض ولا سماء عظه لمن استبصر وعبرة لمن اعتبر فتم الفتح وجلت النعمة وثل عرش السودان وخلص ملكها لمولانا الامام المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله ورسخت في اقطارها دعوته الشريفة والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين واما خبر اخى سكية النازع فقد كان من امره ما نذكر ان شاء الله تعالى .

ذكر اصطلاء اخى سكية الناكث بنار مكره ووقوعه في انشودة غدره واستلحام بقية اخوته ومن دخل من الناكثيين في صفقته

كان هذا الشقى الناكث لم يزل جمر غدره ومكره منذ نزوعه عن أخيه يشف من تحت رماده وتسول له نفسه لمس النجم في كيد السماء وجعل يسدى ويلجم ويسبرح ويلجم ويستن في مجال المكيدة التي اقتنص بشراكها ووقع في بيرها ولا يحيق المكر السىء الا بأهله وقائد العساكر الامامية محمود باشى مملوك مولانا المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله يقارضه في ذلك كله بصفقته ويرقص له على ايقاعه مكائدا له ومعتلا في اقتنص بغائه كلما لاح له من تلقائه بارق خلب غالطه عنه بسحائب صيف وكانت العساكر المنصورية لما أوقعوا بسكية أخيه الواقعة التي انتسفوا بها عينيه وانسره

(1) حسب المؤرخ السودانى لان اسكيا اسحق قد التجأ الى (تفتنى عند كبار كرم ... وما تبعه احد من اهل سقى) (ص 147) .



واحتوت أيديهم على ما ملك كان من جملة ما وقع الاستيلاء عليه أساطيله البحرية فكان أول ما أبدى هذا النكاث من كنين صدره وكمين مكره ان احتال على استرجاعها من العساكر واستخلاصها من أيديهم وأدى بأنها ملك الرعية الذين شملهم كنف الامان وانه لا يحسن ان يهتضم لهم جناب ولا ينقض عليهم الامان المبذول لهم وكل هذا انما يحطب في حبله ويجر لنفسه فساعده روساء الاجناد ولبسوه على سوء دخلته وعلى طويته خوف استيحاظه واجفاله ثم شفع هذه المخادعة بالافتيات على أولى الامر بأن أخذ فى تقليد الاعمال وتفريقها على رجاله وقسمتها بين خدامه وخيلت له نفسه انه قد فرغ هضبة الاستقلال على سرير الملك وتانى له انتظام السلك فنقم عليه اولوا الامر فى ذلك واعتدوها عليه أيضا وقد كان مولى الامام أمير المؤمنين محمود باشى بعث اليه أولا أحد مماليك الخلافة العلية يدعى محمد بن عبد الملك وأوعز اليه بالقدوم عليه فتلكى وتناقل واعتل عليه بواهى العلل وتعلق بأذنان المعاذير وتلوم تلوم شعثه واستجماع عساكره ووقف الرسول على ما أخذ فيه من الاستعداد والاحتشاد والمظاهرة \* بالعدد والسلاح وتبينت حينئذ خبيثته وحيلة كيد وانهطائه على ما يروم من الفتك والغدر بالعساكر المنصورية فكتب بذلك الى قائد العساكر مرسله محمود باشى وانذره بمغبة امره ليتدرع بلامة الحذر وياخذ أهبة الاستعداد لوروده خوف أن يظنه سلما وهو حرب فايقت منه جفنا غير نائم وقعد له بالمرصاد وجمع للوثبة عليه جرائمه فقدم عليهم يجر الشوك المدر يقدم مقابله الهائلة وعساكره المتسايلة تناهز عساكر أخيه التى ناهضهم بها فى حروبه متظاهرين فى السلاح قد أخذوا أهبة الحرب مصرا على غيه طاويا فى أم رأسه الغدر عاقدا عليه ضميره وعزم على ذلك اذا شابهم باوشابه وخالطهم بسواه فوجد الاجناد المنصورية على أهبة قد استداروا بمعسكرهم واصطفوا له سماطين من باب معسكرهم وقاصية مضطرب قباهم الى مضطرب السرادق الاعظم المعد لنزوله فما لبث أن اقتنصته الشرك وانشبت به المنية أظفارها واستولى القبض عليه فى أربعة وتسعين رجلا من اخوته ووجوه أهل دولته وأودعوا السلاسل والاغلال وعضت عليهم ساودها السود ورقاه صليلها من وساوس جنونه وشفاه من داء كلبه وحكم الجند فى فلة اسياهم فاستلحمتهم وجلل الارض فجيعهم ولحق هذا الشقى بأخيه مقاسمه غصص البوس فأصبح مثلا فى الاخرين وقد كان نفر ستة من ابناء سكية تخطاهم أجلهم الى حين وقته لم ينتشبووا فى كفة هذه الحباله فلم يرضوا من الغنيمه بالاياب

فانتبنوا لبعض الاطراف الشاسعة من هذه الممالك فكان منهم بعض عيث شبوا ناره (1) ودل عليهم عواهم الاسد الطاوية ضفادع في ظلماء يم تجاوبت فدل عليها صوتها حية البحر فجرد اليهم مولى الامام المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله محمود باشى ثقيلة الوطاة من مساعير الحرب وخائضى غمراتها فاجبلوا عليهم واستلحمت الملحمة اربعة منهم وجنبوا لمصارعهم لاول تيارها قتلى ونجى اثنان برمق بلغ التراقى متخنين بالجراح فاضت نفس واحد منهم على تفئة ذلك وكانت هذه الوقعة التى استأصلت شافتهم وقطعت دابر آل سكية فأصبحوا ما بين قتيل وحبيس ختام هذا الفتح العظيم الذى أدال الله به الطيب من الخبيث وشرف تلك البقاع بهذه الدعوة النبوية المظهرة القدسية العلوية وشفن بذكرها مسامع أقطارها وجاد ربوعها الصادية صوب قطارها فنافسها فى تقلد أطواقها العراق والشام وسياذن الله تعالى ان ينهل على تلك الاقاليم عارض رحمتها الركام ويصدق لافقها ما لمح من برق سعده وشام بعز الله وقدرته فله سبحانه عاقبة الامور ويده تصاريق الاقدار لا اله الا هو جلت عظمتة ورفعت لمولانا الامام المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله قصائد \* التهنة لتمام هذا الفتح الكريم والمن الجسيم

ص 124

وجلس (2) للتهنية وانشد الشعراء بين يديه وكنت أول من رفع اليه كلمته وهى من قبيل البديهيات لضيق المجال قمت بها عندما غص المجلس الكريم بالجمهور ومطلعها

هكذا تحرز العلى والمعالى	وتدق الطلا بسمر طوال
وتفود السوابق الجرد اسد	هيج غابها وشيخ العوالى
من كمة الهيجاء تحملها فو	ق متون الجياد صم الجبال
ورماة تشب نار تلقى	جعلوا وقدها جسوم الرجال
سير العزم منهم جيش نصر	غمر السهل والهضاب الاعالى

(1) فصل المؤرخ السودانى عبد الرحمن السعيدى فى (تاريخ السودان) اعمال المقاومة التى قام بها السودانيون ضد القوات المغربية الفاتحة ، واعتمادا على ما ذكره فان السودانيين قد بايعوا بعد مقتل اسكيا لاسحق اسكيا محمد كاغ الذى القى عليه محمود باشا القبض وقتله ، وتزعم المقاومة بعد ذلك اسكيا نوح الذى حمل لواء الثورة طوال سنوات حكم المنصور للسودان هى نحو ثلاث عشرة سنة والذى كبد القوات المغربية الكثير من الخسائر فى الارواح والعتاد واجبر المنصور عدة مرات على تغيير قيادته العسكرية بالسودان للانتصارات التى كان يحققها احيانا ولاعمال الفداء والانتقام التى قام بها . وقد توجهت اعمال المقاومة أولا الى السودانيين المتعاونين مع القارية ثم الى قوات المنصور نانيا ، ومن الذين ذهبوا ضحية المقاومة السودانية القائد المغربى محمود باشا نفسه الذى نصب له كمين فى منطقة المن وال (فلما رموه بالنشاب وطاح على الارض قطعوا راسه وبعثوه لاسكيا نوح وبعث اسكيا ككنت سلطان كى فاقامه فى عود فى سوق ليك زمنا طويلا) (تاريخ السودان ، ص 146) .

(2) الانتقال الى صفحة 44 وقد اشتهب الامر على الناسخ واثبت القصائد التى مدح بها الشعراء المولى احمد المنصور عقب فتح السودان بعد تعرضه لفتح توات وتيكورارين .

فى بحار من السراب وآل  
فصبين النيران صب العزالي  
لصداها أفلاك سبع ثقال  
حرم الحى آلكم خير آل  
مثل ما يرتجى طلوع الهلال  
كل أملاك الارض طرا موال  
مثل ما زان الجيد سلك اللآلى

وغدا يعبر الفلاة سبوحا  
رعدت فى الجنوب منها رعود  
صحبته منها صواعق ضجت  
فادرك مصر والعراق ويمم  
ان شرق البلاد يرجوك شوقا  
للإمام المنصور أحمد أضحت  
ملك زين الخلافة عدلا

منها

منها فى المقطع

طبق الارض صيته المتعالى  
لحن فى أفق العلى والمعالى

فهنيئا لكم بفتح جليل  
اطلع البشر والتهامى نجومها

ثم تلالى شاعر الدولة وسابق الحلبة الفضية أبو عبد الله محمد بن على الهوزالى

فقال

وساعدت الايام فى عنفوانها \*  
بلوغ مدى آمالنا فى ضمانها  
لطائم دارين بدت من صوانها  
ازاهر نصر يافع من غصانها  
ولا زهر الا من شبة سنانها  
ولا سقى الا ما جرى من طعانها  
موام نات عن أرضها ومكانها  
تناعن عزيف الجن فى دورانها  
سناكبها اطوى لها من بنانها  
صبا النصر يحدوها حدا عكنانها  
سدى انفت آنفها من عرانها  
عليه ولجت فى مجون حزانها  
افاقت وهبت من كرى هيمانها  
نضا العز عنها فارتدت بهوانها  
وفرع العلى المعتم من خيراتها  
وفخر بنى ابن المصطفى وهجانها  
به فتن الاسلام فى هيجانها  
بمستعر الاضغان فى غليانها

جرى بمناك الدهر ملء عنانها  
ولاحت لنا فى أفق يملك غرة  
بشائر تاتينا ولاء كأنسا  
فتوح جنى المنصور فى عرصاتها  
ولا غصن الا من قناة قويمه  
ولا روض الا من حماة كماتها  
كتائب منصورية قذفت بها  
تهيم بها الارواح حتى كأنها  
طويت بساط أرضها بقنابل  
سحائب من مراكش قد أثارها  
يوم بنا الصحراء يرتاد أمة  
فكم ملك قد رامها فتعصبت  
فلما همت تلك السحائب فوقها  
فألقت عقاليد الامور الى اللى  
الى ابن ابى الباتول المجتبى من نجارها  
الى ابن الهدى وابن الندى وردى العدا  
ابن الحسن السبط الزكى الذى خبت  
فجاءت الى الالف القلوب التى غدت

ص 45

هديت أبا العباس فينا كهدية  
 واطفيتها بالسيف لا السلم بعدما  
 وكم وكفت من كف يملك ديمة  
 فلا زالت الاقطار تعطى مقادها  
 اليك أمير المؤمنين قلادة  
 مفصلة أقطارها ييواقيت  
 فرائد من اوصافك الغر صفتها

وتلاه صاحبنا الكاتب البارع أبو علي الحسن بن أحمد المسفيوي فقال

تجلى بسعد الجد مقتبل النصر  
 فمن همم أضحي الثريا لها الثرى  
 فقام ملوك الارض من سطواته  
 فهم شاخصوا الابصار نحو جلاله  
 فمن لم ينله ييلق من كمانه  
 فما دون أن يعطوا الانابة منزل  
 وتركهم صرعى بكل تنوفه سكارى  
 فكم سربل الابطال في حومة الوغى  
 فناحت عليهم كل غبراء طفله  
 كما فل غرب الروم سيف انتقامه  
 فهل خاب سعى السودا وقال رأياها  
 رعوا حقة مرعى المملون واغفلوا عواقب ما يأتى به طارق الدهر  
 فما راعهم الا طلائع عسكر تزجى بأسد الغاب دامية الظفر  
 عليهم قتام يشهد الليل انه هو الليل والحرصان فيه سنى الدهر  
 وجرى كاسراب القطا ضمير الحشا ينلن ( 1 ) لو انه قنه النسر  
 تشر بزغ ( 1 ) كانها مسردة الارجد من نقط القطر  
 يسدها المنصور فهي سحائب تجود العدى بالحتف من ويلها الغمر  
 فلا وزر من باسه غير حلمه فناهيك منه قابل ( 1 ) والعدر  
 وناهيك من طلق الجبين كأنما اسرته منها استعير سنا البدر  
 الى خلق لو كان للطيب نشرها لما انتسب الطيب الذكى الى الثمر

ص 46

كذا خلق مهدية علوية توارثها الفر الكرام عن الفر  
 تقربك المهدي عينا وقبله الوصي بما اعقت من طيب الذكر  
 بمن لو رمى صفين يوم جلاده لحت بجيش الشام فاقرة الظهر  
 ليهنه ملك الارض موطوءة له سينتظم السوس القصى الى النهر  
 فما دون درب الشام الا التفاتة فان حاول الاعداء منه اعتصامها  
 فلو انهم حلوا السماكين منزلا لبات الردى من خلفهم دائبا يسرى\*  
 ولو نازل البحر المحيط بعزمه لعادت يبابا حينها لجج البحر  
 عرك خير المسلمين ورثته فناهيك من ارث وناهيك من نجر  
 فلا زلت منصور اللواء مظفرا ودامت بك الايام واضحة البشر  
 فلا نعمة الا ومنك منالها ولا عرف الامن ندى كفكم يجرى

ص 47

وقال الكاتب الحسن بن احمد المسفيوى

فتح كمنباج الصباح المسفر تجنبه من وقع القنى المتاطر  
 هذا محيي السعد باه باهر يدنوا اليك بطلعة المستبشر  
 ايقاوم الاعداء صولة بأسه هل للتمام يد بعاصف صرصر  
 لهديتهن كتابا نظمت على ظهر البسيطة كانتظام الاسطر  
 من كل در طالبا خاض الوغى صال بنيران الحروب مسعر  
 ريعت بها أمم الجنوب كأنها نفر سوائم جفلت من قسور  
 شردت سور ظباك منهم بعدما نهلت وعلت من فجيح احمر  
 تعسوا ونالهم الشقاء كذاك من ناوى جلالك فهو انعس معشر  
 لم يبق حام من بنى حام ولم توردد من حرى صوارم بتر  
 قد اقفرت منها الغمود فطالما طرحت لفى عنها ولما تعمر  
 بيض مضاربهن ان يعثو بها فى فنك حرب خطو عمر يقصر  
 وصواهل وصواعق وحواصب وكفت كمنهل السحاب الممطر  
 فملكك اقطار الجنوب وما سمت لئال ذلك همة الاسكندر  
 وتنال اندلسا وجود ربوعها برد النية من غمام العتيسر  
 فقد الجياد الى الضلال تسومها حكم الردى وتدوس معطس قيصر  
 ادرك بها النار المنيم فطالما الوى به للدين رهط الاصفر  
 فكان عصر اعتاض من بعد المدي من جوهر بحسام باسك جودر  
 فلسوف يطوى مغربا ومشارقا ويزور دجلة والفرات بعسكر

وتحل بالحرمين ربعا زاكيا ماوى لجدك ذى السجايا الطهر  
لا بد من انجاز ما فى الغيب من ابراز موعود به وملخر  
فمنك اقرب مطلب لو انه لمس الكواكب ليس بالمتعذر \*  
فمتى طلبت منال ابعدا غاية القى مقاد مطاوع متيسر  
فلأنت للعلياء كفاء ماجد متيسر من عنصر متخير  
تجنى ثمار العز من غصن القنى وترى قدود القيد قامة اسمر  
اترى العلى ما شدته من صسارم او نلته تحت العلاج الاعبر  
زاكى العروق مقدس الاحساب هامى الجود سامى العز ناجى المفخر  
ابقى الماثور فهى ما امتد المدى غرر تخلد فى مجيا الاعصر  
لا تقننى الا جميل محامد وكذا اقتناء المجد رابح متجر  
تهدى الرفاق حديث مجدك عنبرا وتشرفت بشناك ذروة منبر  
لا زال ينتاب العدى لك عسكر يسرى وتتبعه عوافى الانسر  
وتنال ما املت تملكه كلما دارت به فى الارض سبعة ابحر  
وقال الفقيه النبيه ابو العباس احمد بن القاضى الكناسى من قصيدة مطلعها  
بشراك بالنصر المتين المتاح قطفته بين القنا والصفاح  
قد دوخ الارض واقطارها وعم بالصيت بسط البطاح  
ومنها :

فليهنك النصر الذى حزته دون الملوك فى مغانى الكفاح  
واسعد فقد دانت ملوك الورى لما رأت فى الانقياد النجاح  
للملك المنصور طود العلى واسطة العقد وبحر السماح  
رجب بلاد السود من جنده فافتحت بالسيف اى افتتاح  
ومنها فى تاريخ الفتح المبارك

فتح مبين هو تاريخه ينمو على الارض مديد النجاح \*  
ص 124  
فمن(1) ذلك قصيدة الفقيه الوجيه الاصيل الجليل المشارك القائد ابى الحسن على  
بن منصور الشيعى وهى

وافى كما طلع الا صباح تاييد لكن سرى ليله مع ذاك محمود  
وكيف لا وهو فى مسراه سار على هدى لاحمد لا يعدو تسديد  
ملك شفا الدين من ادوائه وكفى داء من الجوف فيه الكفر معبود

(1) يوجد بياض فى الاصل \*

كذا شفى الصدر من داء الجنوب ولم يدع به اسودا تغنو له السود  
قدم طعام على الجول المركب قد نشؤا ودام لهم فى البغى تمريد  
واستبدلوا الغنى بالرشد ففاتهم ربح ونجح وتوفيق وترشيد  
ما زل منهم على وجه العلى كلف حتى اعتدى وهو بالمنصور محمود  
وظالموا عبدوا الاهواء وزاغ بهم عن اتباع الهدى جهل وتقليد  
ومنها

فقام بالجد لا يلوى على احد وكان منه لشمى البغى تبديد  
وجد منه لتمهيد الهدى ملك اغر ابلج بالتأييد ممدود  
مسدود الرأى منصور اللدى اسدشاكى السلاح حليف اليمن مجدود  
فرع الرسالة محيى الدين ناصره المنصور من لم يجز علاه موجود  
ممهذ بالقنا والبيض ما عجزت عنه الايام والشم الصناديد  
مفتح من بلاد السود ما بعدت ديناره وتبعت دونه بيد  
ومنها

ولا يحوم العدا فى الما هناك وقد تلقى ابن داية فيها وهو مجهود  
يا بعدها من قفار ليس يسكنها الا سعالى لها فيهن ترديد  
ولا يجوب فلاها الصعب مرتحل ما لم تكن تحته وجنان قيود  
ومنها :

تلك القفار التى شق المرور بها ولم يفد معها الركبان تزويد  
ومنها

رام الخليفة غزوا والمجاز بها للجيش فاجتاز عنها وهو معبود  
رمى به عن قسى الرأى موترة بالعزم سودا بسهم الحق قد صيدوي  
فصادف الغرض المقصود من بعد منهم فلا عبد الا وهو معبود  
سهم من الغرب قد اصمى الاساود اذصموا وهم حيث بحر النيل مورود  
وقد دعاهم الى الرشد الامام فلم يصفوا وهل تقبل الرشد الجلاميد  
وحين صموا عن الانذار سمعهم صواعقا بنداها الموت معقود  
تراه ينفث من افواها بردا ينقض حيث فؤاد القرن مرصود  
مدافع بطلت للسود حكمتها فلم يفد معها نفث وتعقيد  
وما استقاموا الى أن جردت لهم بيض واشرعت السمر الامالييد  
وجاست ايضا على رعم انوفهم خلال ما سكبوه خمير قود

قد ركبناها كماة ان لقيتهم في الحرب تلقاك ابطال منا جيد  
 فمن يرى الموت في الهيجاء مكرمة وان قانى نجيع الحرب قنديد  
 ويبذل في رضى المنصور مهجته وان تناهى اليها الفضل والجود  
 كجؤذر نشاة المنصور مبتكرا لفتح الذى كان فيه قبل تبعية  
 وصار الملك محمود الذى شرح الفتح وزيد به من بعد توطيد  
 من مهد القطر وارتاعت لسطوته السود وغادر سبيا وهو مظهر  
 وأنف عزته بالبيض مجتذع وسوده بعد فى الدنيا عبايد  
 رام النجاة هيئات وقد اخذت عليه فى البر والبحر المراصيد  
 والامر لله لا ينجو محاربه ولو يكون له للشهب تصعيد

ومنها

من كل حلف الامر العلى هوى ولم يفد فيه ابعاد وتهديد  
 مكتب منهم للحرب لوقفوا ما لا يحبط به وصف وتعديد  
 اما دروا أن هذا الامر ليس له الا قريش وفيها السر مقصود  
 وان سر الجميع اليوم جمعه ملك له فى مراقى المجد تفريد  
 خير ملوك الورى المنصور من صدقت عن جده المصطفى فيه اسانيد  
 فهو الذى جدد الدين وشيده فجاء طبق الحديث منه تجديد  
 يابن النبی هنيئا ان سعدك قد اغنى وصار له فى الارض تمهيد  
 لغيره من فتوح الارض فانتفضن لها فانك بالتأييد موعود

126

ومنها

وذا أوان التهاني بالفتوح وقد جئت بها غردا اذراق تغريد  
 ومن يعد او يرم للامر غيركم فذاك قد فاته رشد وترشيد  
 فاضرب بسيفك من ناواك ان لكم على العداة بحول الله تأييد  
 لازال امرك بالتأييد مقترنا ما تاهت او جررت اذبالها العيد  
 ودمت تجنى ثمار الفتح يانعة من ارض كل عدو وهو مصفود

وقال الكاتب البارع المجيد ابو الحسن على بن احمد السفىوى :

كدا فليكن مدرك للفخار كدا فليكن مجد حامى الدمار  
 فهل غاية فوق عز عتيد مشيد القواعد فوق الدرار  
 بعث بها شربا ضامرات ترامى لها بها الوخذ بين القفار  
 على ثقة من بلوغ النجاح ولم تضرب التيه ضرب القمار  
 فما عاصم للعدى مهمه ولا مانع ثبح من بحار



فقل للاحايش هذا الصباح ذما للظلام بد بالنهاار  
 فقد نزلتهم جنود الاله وسل على بفيهم ذو الففسار  
 وقد ورد النيل سانى المزاج محيلا بماء الدماء الجوار  
 فكم عارض صب وبيل الحتوف وللتقع ليل احم الازار  
 اذا ما تسامى سماء القتام فكوكبه كل ماضى الفرار  
 وان مارد رام منه استمراقا يبادره منه رجم بنار  
 فان وردوا الحرب ورد اختيار فقد وردوا الحتف ورد اضطرار  
 واضحوا سكارى بكأس الحتوف ولسوا سكارى بكأس العقار  
 وراموا الفرار وانى الشجاة من قدر معجز للفرار  
 فدان الجنوب وهذا الشمال ستنظمه بعد فى قطار  
 وقد كنت اعثرت جد الصليب ستعثره ضعف ذاك العشار  
 وهادى الشئام وهادى العراق ستسمى لكم وهى دار القرار  
 فما مانع منك بعد الديار ولا عاصم منك شحط المزار  
 فانت حميد القديم الكريم حميد الحديث حميد النجار \*  
 ومن رام كيدك فهو الغوى خلايا ما فيه طوع اغترار  
 فقد ان للحق ان يستبين ويخلص بندر الهلى من سوار  
 وينجز وعد النبى الكريم فذا العصر زند لهذا السوار  
 قدم ولك المجد فى الاوج باد وفى فلك العز سامى المدار

ذكر استدعاء محمود باشى (1) وادالة العساكر الاولى بالاخرى وثقيف البلاد  
 بأهل الشوكة من عرب المعقل وجشم وقبائل الصامدة

لما خدمت ذبالة ال سكيه واستحصدت شوكتهم وجدعت السيوف العلوية  
 المنصورية انف كل جبار عنيد وداست عرائين الخوارج المارقين وجالت العساكر خلال  
 الاقطار السودانية وانبئت راياتها فى افاقها الشاسعة والدانية وسارت تطوى ممالكها  
 بسيف التدويخ والتمهيد ارضا ارضا وغورا ونجدا وسهلا وحزنا حتى استوعبت التمهيد  
 واقتضت الطريد وامنتت الشريد وانامت تحت جناح العدل القريب والبعيد واقتضت  
 الخراج وانتظمت ممالك السودان فى سلك الطاعة ما بين البحر المحيط من اقصى  
 المغرب الى بلاد اكنو المتاخمة لمملكة برنوا فتفادى صاحبها من بوادرها وتدقق كتابها

(1) سبقت الاشارة الى ان محمود باشا قد دبرن له المقاومة السودانية كميناً وقتلته كما اكد ذلك  
 المؤرخ السعيدى .

على ارضه انقاذ ارساله الى سدة مولانا الامام المنصور بالله امير المؤمنين ايده الله تعالى بالخضوع وتقرير الطاعة والقاء اليد واقتضاء اوامره العلية الشريفة الى العساكر له ولقومه بانحسار تيارها عنهم وكبح عنانهم عن وطء ارضه بسنابكهم فصارت مملكته بذلك في عداد الممالك التي تناولها الفتح وانتظمت في سلك الانقياد

ان خير الفتوح ما جاء عفوا مثل ما يخطب الخطيب ارتجالا وتنتهي مملكة برنوا هذه المنتظمة بما قبلها من الممالك الى بلاد النوبة المتاخمة لصعيد مصر فطينة مولانا الامام المنصور بالله امير المؤمنين ايده الله نافذة بحول الله وطوله فيما بين بلاد النوبة والبحر المحيط من قاصية المغرب وكان بالرايات العلوية بحول الله قد انتظمت اول الارض بتاخرها وتخطت السودان الى السد بعز الله تعالى وقدرته وكتب الى مولانا امير المؤمنين ايده الله مولاه قائد العساكر محمود باشى بما فتح الله لامير المؤمنين ايده الله من هذه الفتوح العظيمة بسعده الذى لا يطاول وقدرة الله التى لا تغالب فرجع اليه حينئذ الجواب الكريم ايده الله يأذن له فى النهوض والقول الى ابوابه العلية ويأمره باحتمال \* خراج البلاد وعقد على الممالك السودانية لمولاه الشهم الفضنفر الفتى البطل جوذر باشى صاحب الفتح الاول ثم نظر ايده الله فى تثقيف احوال البلد وضبط اطرافها وجهاتها برجاله والجنوم على انف اهلها بنقل قبائل المغرب اليها وانزالهم عليها وادالة العساكر الاولى بالاخري لاراحتها من طول المفيب ومعانات الحروب ومواصلة التدويخ والتمهيد لمدة ثلاثة اعوام(1) واستجمام قواها لئلا من الفتوح وملاك البلاد الشاسعة والغلب على الاقطار البعيدة بعز الله تعالى وتأييده فجلس ايده الله لتجهيز العساكر التى اوجف بها خيلا ورجلا على تلك البلاد وامداد القبائل التى نقل اليها وجتم بسكنها على انف اهلها فاعتمام لذلك من انتقاء من اهل السوس وبلاد حاحة اهل الشوكة والنجاة من قبائل المصامدة وعرب المعقل وقبائل جشم انصار مولانا الامام المنصور بالله امير المؤمنين ايده الله وعصائب الدولة الذين توکات عند نهوضها على منساتهم واستحصد الدول والاقبال بشوكتهم وابتزت تيجان الملوك بسيوفهم الطوال والسنتهم من كل مسعر الحروب وخائض غمراتها ممن اجتاب دلاص الجلد مفاضه وتدرع سابغ الشهامة لامة اسد تحملها من الخيل العراب عقبان قد افرغوا على اعطافهم من كل زغف اللام سلخ حية يتنفضض فى اكفهم من كل لهدم ثعبان فداراش جناحهم وشد عضدهم بعساكر جرارة من جيوش النار الرمات الحمت اكفاء الاسود الخوادر ثباتا واشباه النمر جرارة تحمل صواعق قاذفة بالسسن

(1) اى ان القائد محمود باشا قد استمر بالسودان بين 999 - 1002 هـ .

من النار متلمظة ما تدر من شيء انت عليه الا جعلته كالريم فافاض عطاءه فيهم وازاح  
 عنهم وفرق عليهم العدد والسلاح المستكثر منه بخزائنه وامدهم باسراب من خيل المغرب  
 استاقوها مجنوبة تلوك الالجم بسروجها عنادا يرجعون اليه لثقله الخيل واعوازاها في  
 البلاد وجزى في الاهبة والاحتفال بالظهور وانواع الاستعداد الى ابعد شأ فجهز هذه  
 العساكر والامداد متتالية يقفوا بعضها بعضا وسرح امامهم للكتاوة منتهى العمران من  
 بلاد درعة لمولاه وكبير الممالك ببابه الصدر الكبير الشهير الجزم والاعتزام والنجدة  
 النافذة السهام القائد ابي علي منصور بن عبد الرحمن بيلاز باي صاحب جيش  
 الاصباحية وعساكر النار تشييعا لهم واخذوا بسنة الجزم في تثقيف احوالهم وشد اواخي  
 اعتزامهم وتنبه همهم كلما شيع محلة واقجمها في الصحراء تلقى اخرى فاردفها  
 بالاولى وتسايلت لهذا العهد كتابها على هذا النمط متتالية ونصر الله يقدمها والتأييد  
 يصحبها وعناية الله تحف بها من عن يمينها وشمالها واوعز مولانا الامام المنصور بالله  
 امير المؤمنين ايده الله الى مولاه وعامله على البلاد جودر باشي بملاك امر \* معادن الذهب  
 الثلاثة التي اكتنفتها هذه الممالك وامره بالبناء عليها واختطاط الحصون الجائمة عليها  
 وترتيب الجيش فيها لحياطتها وانتهت الاحوال اليوم الى هذه المراقى السامية من  
 فخامة الدولة وجلال السلطان واتساع نطاق الملك بالاستيلاء على القاصى من المسالك  
 والدان ولله العظمة والشان والانفراد بالحوول والطول

ص 129

ذكر ما اشتملت عليه هذه الممالك المنتظمة في سلك الايالة العلوية المنصورية  
 من الخصائص والمزايا والمفاخر التي لا توازي

اقول والله ولى التوفيق ان لهذه الممالك من جلالة القدر واصالة الذكر واتساع  
 خطة القدر والاستثمار بمعادن التبر واصناف الرقيق المنيف على الدر والاشتمال على مرافق  
 البر والبحر ما تقصر الاقاليم فيه عن فترها ويتضاءل المشارق والمغرب بسببه لعظم  
 قدرها حتى لو شاءت لشدت وانشدت :

فدع كل صوت بعد صوتى فانى انا الطائر المحكى والاخر الصدى

فهي الكريمة التي تعشوا البلاد الى نارها وتستعبد الاحرار بدينارها والعقيلة التي  
 تائف لصلفها ان تنقاد والخريفة التي لم يخلق مثلها في البلاد طالما خطبت الكفء  
 الكريم وخبطت سمراء الدهر ليحيى أملها الرميم ويذيل لها سعد الجد المنتج اختيال  
 الروضة الغناء تحت رداء العشى الى أن تقبل الله دعاءها واجاب نداءها فاضحت مشرق  
 انوار وروضة ازهار وتنقلت من اطوار الى اطوار واقتضت دينها الممطول فى سالف  
 الاعصار فتقلدت سمطى هذه الدعوة النبوية الساطعة الانوار وتشربت بالكفء الكريم  
 العالى النجار والملك العزيز الذى دانت لنولتهم القاهرة امهات الامصار والامام الذى

تأتى الهدات به كأنه علم فى رأسه نسا فاستبدلت ثياب اليل بشباب النهار وتعدت خطايا الدهر بالاغتفار وزادت بما تجدد لها من العز والجلالة فخارا على فخار وها هى فى دعوى هذه المزايا لابسة ثوبى زور ولا مدليه بحج جيها على المفظة مزور اما انفساح الرقة وطيب البقعة فى معظم العالم ومدرج الدر من بنى ادم لم ينظم قط وخدوارقال بين طرفيها ولا استنفلت الخطى مسح اديها بين حادث الاعصار وقديمها تكل عن طى بردتها الشعرى العبور وتلقى الشهب السيارة فى عرض الافلاك دون غايتها عصى التسيار \* وقد ساجل عليها انواء القيوم يسبح الليل المنساب وفى وهادها وحزونها انسباب الايم مخترقا بسائطها البعيدة منسكب الاتى غامر التيار فنقع صداها وشفى امجالها وعم بالخيرات أرضها وجبالها واذا استطردها الى ذكر النيل فلنلم بعض ما قيل فى مبداه ومنتهاه ونشرح خصائص هذا النيل السودانى وفضيلته على نيل مصر فنقول ذكر بعض من تكلم على حدود الاقاليم أن نيل مصر يفرق عن نيل السودان فى الجزء الرابع من الاقليم الاول وذلك بلاد النوبة ونيل مصر يجرى من الجنوب الى الشمال ونيل السودان يجرى من الشرق الى اقصى المغرب وعليه جميع بلاد السودان او اكثرها ومبؤهما معا من جبل القمر الذى فوق خط الاستواء بست عشرة درجة وذلك انه يخرج منه من عشرة عيون فتصب خمسة اناهار منها فى بطيحة وتخرج خمسة اناهار اخرى فتصب فى بطيحة اخرى وتخرج من البطحيتين ثلاثة اناهار فتمر باجمعها الى أن تصب فى بطيحة كبيرة جدا وهى فوق خط الاستواء مماسة له وفى اسفل هذه البطيحة جبل معترض شق اكثرها فيمر الى جهة الشمال مغربا فيخرج منه ذراع من النيل فيمر فى جهة المغرب وهو نيل السودان ويخرج من فثق الجبل الشرقى ذراع اخر يشق بلاد النوبة وبلاد مصر وهو نيلها فقد تبين لك أن امتداد جرية نيل السودان وسيحه فى اختراق الارض أطول مدى من نيل مصر فى البحر الرومى من الاسكندرية ودمياط ومسقط نيل السودان فى البحر المحيط فى اقصى المغرب وبون بعيد بين هاتين المسافتين فنيل السودان على هذا التقدير اوفى عمراننا وأكثر اما اذ مسافته بحسب امتداده لمنتهاه ثم خاصيته منيفة شف بها على نيل مصر وخام عن مداه ان الز فى مضمار مفاخرته وتميز بها دونه تمييز المجلى السابق على سكيث الحلبة وهو انه يمكن اقتطاع الخلجان والانهار المغلقة المشعبة المدانب والجداول وأعلى البسائط مناسبة الاراقم خلال الاباطح والوهاد التى تقل ضروب المزراع وتنظم عليها الجداول الغلب من البساتين ومفروش الشجر والثمار والادواح الاشبه ملتفة الاغصان والرياض المفوفة الخمائيل الموشحة البرود بضروب الزهر الفض والرياحين الانيقة التى يمكن اتصالها فراسخ وبردا فتعفى على واسطة الاقاليم زكاء نبت وكرم تربة وجموم اقوان

وحبوب وفواكه جنية قطوفها دائية واذا انتهت راية الخصب وغزر الحب والاب الى نيل مصر الذي هو بين مد وزجر فما بالك بهذا النيل السوداني التي ساواه في هذه الغصبة وأناف عليه برتبة شماء ومنصب شامخ وذلك أن نيل مصر ليس الانتفاع بسيحه الا أوان مده فاذا أخذ في الانحطاط وغاص اتيه الفائض تلا ما نصب عنه بالازدراع والفلج واما أوان جزره وغور مياهه في الشتاء \* فصل البرد مما يليه فالانتفاع به متعذر فلا يسمح بتماد نزر الا بعلاج من نصب الدواليب على شطئه ينوأ بها المضطلع من الجوامس الايده يرمقون العيش في ذلك على برض ويحصلون على علاه بعد عرق الجبين فتبين ان شطر الغل والانتفاع ناضب المعين مكد الشرب بهذا العلاج الذي هو قرين النصب لزيه الجهد بخلاف نيل السودان فان مملوك مولانا الامام أيده الله محمود باشى أخذ في انشاء نهر اجتلبه من غمره واقتطفه من تياره ويمكن ذلك من غير ما موضع منه وعن قريب ان شاء الله تعود تلك الامصار تزهاوا على جلق وشط الفرات ويطير صيتها في الخصب فتمير القاصى والدانى من أقاليم السودان ببركة مولانا الامام المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله وسعادة الاسلام باياله الميمونة النقية واما جلالة القدر واصالة الذكر وفخامة الملك فأوضح برهان على ذلك ان السلطان أبا الحسن عظيم ملوك بنى عبد الحق من بنى مرين ويعسوب دولتهم وبيت قصيدتهم أوان استفحال دولته وشموخ انف سلطانه غاية ما سمت اليه همته مخاطبة ملك مللى من بلاد السودان ومهاداته واتحافه وجعله في ذلك اسوة الملوك الاعاظم الثلاثة لعهد الدين هاداهم وتاحفهم وأوفد ارساله عليهم وهم الناصر الملك محمد بن قلاون سلطان مصر والشام والطاغية ملك قشتالة ومنسا سليمان بن منسا موسى مالى من بلاد السودان هذه فجهز اليه ارساله وأسنى هديته اليه قال ابن خلدون فانتخب طرفا من متاع المغرب وما عونه من ذخيرة داره وأسناها وعكن رجالا من دولته كان فيهم كاتب الديوان أبو طالب بن محمد بن ابى مدين ومولاه عنبر الخصى وأوعز الى أعراب الفلات من المعقل بالمسير معهم ذاهبين وجاءين قشمر لذلك على بن غانم أمير أولاد جار الله من المعقل وصحبهم فى طريقهم امتثالا لأمر السلطان وتوغل ذلك الركاب فى القفر الى بلد مالى بعد الجهد وطول المشقة على ما به مرحلة فى القفر من ثغور ممالكه القبلية وليت شعرى اذا استغرب الارسال والاتحاف وتجشم هذا القفر الطويل المديد بالهدية فكيف بالعساكر الجرارة واقتحام البلاد وافتتاحها بالسيف عنوة واقتضاض عرثها بالرماح السمهرية والصفاح المشرقية على بعد هذه المشقة التى لاتجاوزها الشهب الا بحلية عاطل ولاكن الهمم الامامية الاحمدية المنصورية لاغرو ان ابتدعت فى الفاخر هذه البدائع وفرعت هذه الهضاب الشم :

فلا كتب الا المشرفية عندها ولا رسل الا الخميس العرمم

ص 132

وهذا معيار ما بين الدول السالفة في المغرب ودولة مولانا الامام المنصور بالله \*  
أمير المؤمنين أيده الله وبهذه النسبة تفاوتت هممها إذ تنتهي اليها ارسال ملوك بني مرين  
واعندوها منقبة ومفخرة ونزلوا أنفسهم لمنزلة الاكفاء لملوك السودان وأهلا للاتحاف  
بهديايمهم ثم ما راجعهم ملوك مالى بالكفاة عن هديتهم الا في دولة أبي سالم بعد  
انقراض أجيال من عهد أبي الحسن قال ابن خلدون وكان يوم وفادتهم يوما مشهودا جلس  
لهم السلطان ببرج الذهب مجلى العرض ونودى في الناس بالبروز الى الصحراء  
فبرزوا ينسلون من كل حذب حتى غص بهم الفضاء وركب بعضهم بعضا في الازدحام على  
الزرافة إذ كان وفد السودان استصحبوها اعجابا بخلقها وأنشد الشعراء في غرض  
المدح والتهنئة ووصف الحال انتهى قلت فيما بعد ما بين المملوح على هدية ملك من  
ملوك السودان وبين المملوح على استياق الملك كله هدية اليه بسيفه فان مملكة مالى  
هذا لهذا العهد بعض من ممالك مولانا الامام المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله التى  
تناولها هذا الفتح العظيم وجزء من تلك الاقاليم المنتظمة فى سلك ايبالته العلية والامم  
التى دانت لدولته القاهرة على رغبة أو رهبة فما من تلك الامم اليوم سودانية أو مديرية  
أو وبرية الا من ألقى يد استسلام ودان لطاعة مولانا الامام المنصور بالله أمير المؤمنين أيده  
الله فهى اليوم مكلوة بعين حياطته نائمة تحت جناح عدله وخفارة سيفه معتجزة  
فضفاض الامة الوافية بحول الله من الحوادث الطارفة مثمولة بكنف العناية  
الكفيلة بالسعادة الدنيوية والاخروية وهى على ذلك لهذا العهد الكريم وما يتلوها ان  
شاء الله كعطف الفاء من الفتوح أوسع نطاق وأسلس انتظاما واتساقا لينجز الله وعده  
الكريم بفضلته فهو الذى بيده تصارييف الاقدار وزمام الليل والنهار واما ما لها من  
الخصوصية بمعدن الذهب الابريز وحد النضار الذى فغرت اليه أقطار الارض أفواها  
واستماحت نوالها استماحة المقتدر المعسر ورمتها جلائل الامصار بافلاذ اكبادها من غير  
مزاحمة قطر من أقطار الارض لها فى ذلك بمنكب ولا مساجلة لها فى ذلك المضمار بلن  
فبحسبك ما قاله ابن خلدون فى كتاب العبر له لما ذكر أن مجلبة المال ومشرات الامم انما  
سببه عراقة الحضارة وامتداد ظل الدول الاماد البعيدة قال واعتبر ذلك بأهل الهند  
والصين وسواهم حتى ان كثيرا من الناس توهموا أن ذلك لان عندهم معادن الذهب  
والفضة وليس الامر كذلك لان معدن الذهب الذى نعرفه فى هذه الاقطار انما هو ببلاد  
السودان وهى الى المغرب أقرب قلت ولاكفاء لبلاد استولت على مادة عمارة العالم وقوامهم  
وفنات معاشهم التى تهوى اليه افئدتهم \* من زوايا المعمور على شحط الزار وبعد  
الدار ويركبون اليه اكوار الاخطار ويمتاحون أوшал البوس حتى يخلصوا اليه بعد جهد

ص 133

جهيد ورمق في الحياة زهيد فهم الدهر منقطعون من كل أوب وصوب .

### ذكر ثورة الناصر بن الغالب بالله ومقتله

كان الغالب بالله عند انقسام الاعمال بين بنيه عقد لولى عهده على فاس وعقد لابي النصر رديفه على مكناسه ثم أسهم الى الناصر هذا بولاية تادلا فأدال له أبو النصر بمكناسه وان كانت تادلا أقل عملا وأصغر ولاية تفاديا من جوار ولى العهد لاستحكام النفرة بينهما ثم ضرب الدهر ضرباته وأسرح الفلك دوراته فهلك الغالب وطيّر بخبره الى المتوكل ولى العهد أولياؤه من مراکش من قبل فشوه واذاعته حسبما قدمنا في محله فوافق حضور الناصر هذا لديه بفاس غب عيد الفطر لما جرت به السنة الى اليوم بين أبناء الخلفاء رضوان الله عليهم من حضور صاحب مكناسه لمواسم الاعياد مع ولى العهد بفاس تأدبا فاضطرب رأى المتوكل فى شأن الناصر وقد طوى عنه الخبر وزين له بعض أهل بساطه القبض عليه فأذهله الجزع فسرحه لاعماله ثم بدى له فى أمره فسرح اليه الملا من العلماء أرباب الفتيا والقضاء من بعد أن اقتضى لهم اليمين من نفسه بالوفاء له فتلقاهم الخبر على ظهر الزاوية بفرار الناصر الى جهة طنجة من ثغور العدو فاعترضته خيل صاحب القصر فقبضوا عليه واستاقوه لآخيه المتوكل فامتحنه بالاعتقال بدرعه ثم بتدلا ثانيا وقطع عمر دولة أخيه فى الثقاف الى أن أتى الله بالتى هى احسن من استيلاء مولانا الامام المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله وأخيه المعتصم على المغرب واستويا على كرسى ملكهم واحرزوا تراث مولانا الامام رضى الله عنه والدم فاقطعوه جانبا من العيش أخضر وخلص من عض الثقاف طول أيامهم فلم يسوموه خطة خسف ولا هوان ولا حمله على الادهم التى حمله عليه ابن أبيه ولا التوى على مناقبه منه ثعبان أسود ولا لسعته منه أفعون لا تنجع فى سمه الزعاف تريقا فمضى يغلوا ويروح فى ظل العافية ويختال فى أثواب الهناء ويسرح فى رياض النعمة والهنئة والخليفتان رضى الله عنهما يزدرعان صنعهما الجميل منه فى أرض سبخاء لاتنبث ولا تثمر الى أن أتاح الله الغزوة التى طنت حصاتها ما بين نقطتى الشروق والغروب وجلا عروس فتحها على صفحات صفاح مولانا الامام \* المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله فى يوم مشهود ملائكة الرحمن شهود فكان الناصر هو آخر من شقى بالفرار من معسكر المسلمين ليلة بيات الملتين على المصاف فاعترضته البربر من الهبط فلم ينج لبلد أصيله وكانت ساعتئذ باقية على كلمة الكفر الا من بعد عصب الريق وهلاك بعض أصحابه فطلع على المشركين صبيحة يوم الفتح بطلائح النحوس وانطلق اليهم مع البوس يستبقان كفرسى رهان فوافى مع خبر الاستيلاء على سواد المشركين واطباق تيار الهلكة والاسر على جميعهم على قدر وكانها اجتمعا على وعد فكان ذلك أول طليعة فلت عزمهم وجبت

ص 134

سنامهم من طلائع شوْمه ولما ملك مولانا الامام أمير المؤمنين أيده الله قياد أهل مملكة برتقال لاستيلائه على أكابر دولتهم واقناتهم وبطارقتهم وقمامستهم وأساقفتهم فبخعوا له بذلك واستكانوا كان أول ما أشراط عليهم تغريب الناصر الى بلادهم واقصاؤه الى أرضهم ليخلوا منه وجه أهل الفساد والانحراف الذين أضمر أمير المؤمنين العزيمة على الفتك بهم من الجيش فأسرعوا الاجابة الى ذلك مهطعين فعبروا به البحر الى الاشبونة دار مملكة برتقال فنزل على طاغيتهم قرديال (1) القائم بتدبير ملكهم من بعد هلاك ابن أخيه بستان قتييل سيوف أمير المؤمنين بوادي المخازن المتقدم فما لبث أن هلك قرديال وثل بموته عرش ملك برتقال وزحف طاغية قشتالة (2) بعساكره الى الاشبونة فافتتحها عليهم عنوة وخلص اليه ملك برتقال فانقرضت دولتهم عند قران السوء الحاصل بمقدم الناصر عليهم فاعتدوا عليه هذه ثانية الاولى فتحاموه تحامى الحرباء ثم انتقل الى أرض قشتالة (3) فطلع عليهم بطلائع الخسف والتدبير ونزل عليهم بعهود التعس وسوء الادبار

رجع التاريخ ولما سيم الطاغية من مكان الناصر من بلاده وتبرم من مقامه في أرضه وطول مكته وتطيره من طلعتة على آفقه وءانس أيضا مع ذلك نار العزم تلتهب من جانب العناية الامامية المولوية المنصورية التهابا وبحر الاحتفال تضطرب أمواجه الزاخرة بكل عدد وعدد اضطرابا والههم الشريفة قد همت بتجديد الاسطول وكلفت بالاستكثار من المراكب الجهادية والالات الحربية بما كان مولانا أمير المؤمنين أيده الله يومل من فتح جزيرة الاندلس وعبور البحر اليها بجنود الله وعساكر الاسلام لتجديد رسوم الايمان بها وافتكاكها من يد الكفر المتغلب عليها في أيام المستضعفين من دول الاسلام بالمغرب وحرر الطاغية مغبة ذلك وعلم انه اليه يساق الحديث والى أرضه بالخسف والتدهير تهفو الالوية وتخفق الرايات فاعتمل مكافاة مولانا أمير المؤمنين أيده الله على ما ءانس من تلقائه من الاسداء والالحام والاسراج والالجام بما أمل أن يفت به في عضد الدين ويسعى به في تفريق كلمة الاسلام فأمل الناصر لذلك ورمى به الى وراء البحر فكان من خروجه \* بميلية (4) ما نذكر

ص 138

(1) يعني الكاردينال هندي (1578 - 1580)

(2) يقصد ملك اسبانيا فيليب الثاني (1555 - 1598)

(3) بعد تولية المنصور التجا الى البرتغال أميران سعديان هما الناصر بن الغالب والشيخ بن التوكل ، وعندما أخذ المنصور يظهر التعاون مع الانجليز ضد الاسبان وأوى في مراکش الأمير البرتغالي دون كريستوف بن دون انطونيو المطالب بالعرش البرتغالي قام ملك اسبانيا فيليب الثاني بثقل الاميرين السعديين من تشبونة الى فرمونة Carmona بالقرب من اشبيلية في شهر ماي 1589 وأخذ يلوح للمنصور بإمكانية مساعدتها للثورة ضده وقد أطم الملك الاسباني على ذلك فيما بعد .

(4) الانتقال الى صفحة 137 . كانت عملية إحدى قواعد الاحتلال الاسباني بشمال المغرب وذلك منذ عام 1497 م .



ذكر خروج الناصر بمليلة وايقاع المولى الامير أبى عبد الله محمد الشيخ به  
وبجموعه على البغلة

لما عظم على الطاغية شان ما أسفه من اسداء أمير المؤمنين والحامه وشحد عزائمهم  
الماضية على ما يؤمل من نكايته وتدمير أرضه وأقلقه ذلك وحذر مغبته شمر للاعتمال في  
المكايد التي هي جنده الاقوى وحصنه الذي يلوذ به عند الشدائد فأمل الناصر لتفريق  
الكلمة وتحريك حوار الفتنة به ليثني بذلك عزم مولانا أمير المؤمنين ويشغله عن شأنه  
ويكافيه على ما يعتمد فيه من نكايته فرمى به الى مليلة من سواحل العدو فنزل بها  
ثلاث بقين من شعبان عام ثلاثة وألف (1) وجاد بالخروج الى تلك الجهة ليخرج بها  
عن سمت الممالك الشريفة وعن حدود الايالة الكريمة حدارا من المباغثة والمعالجة بالساكر  
وليصل يده بالعرب الاجلاف اهل ذلك الوطن المسخطين الدول في الحديث والقديم بالسعى  
في الفساد والخفوف الى القيام مع أول ناعق ينطق بالفتنة من الثوار وليجد وليجة  
الى المروق من هنالك لجهة الشرق ان بدى له من أمره ما يكره فانصل به للحين أولاد  
شعيب أهل وطن مليلة ثم لحق به سائر الاحلاف فالتفوا به وأعلنوا بدعوته وخرجوا  
به الى احيائهم فصرخ الشيطان به في اذان غوغاء تلك الناحية من أهل الجبال المصاغبة  
لها فطاروا اليه من كل اوب وصوب وتسايلوا نحوه من كل فج عميق ومكان سحيق وساهق  
منيف فالتف به منهم جموع لاتحصى وشمر ولى العهد صاحب فاس المولى الامير أبو عبد  
الله محمد الشيخ المامون بالله ابن أمير المؤمنين أيدهم الله الى قطع دابره فبادر أولا  
بتسريح ابراهيم ولد القائد كثيرس أحد قواد عساكر النار في جيش من الرماة زيادة  
على الحصاة المرتبة بها من قبل حدارا من مفاجأة الناصر لها على حين غفلة ثم سرح  
على الاثر القائد أبا عبد الله محمد بن ابراهيم بن بجة في عساكر من الخيل والنار وخزائن  
الرصاص والبارود والكراع الحامل للزرع والطعام وقدمه أيده الله امامه الى جهة تازى  
ريثما يزحف هو بجميع عساكره على اثرهم ويتخطى الى العدو وجهوعه وكان الناصر  
ينحرف الى التعلق بجبل مدغرة وغيائة ليعتلق بلروته ويجاجى بأهله الى الالتفاف  
عليه ولما أحس به القائد أبو عبد الله بن بجة قد ثقلت خطومه بكثرة ما حمل من الخزائن  
والطعام بادر بتسريح جملة من تلك الخزائن والطعام مع عبد الله اعراض في جيش من  
النار رجلا وخيلا ليمدوا بها من بتنازى من العساكر فاعترضهم الناصر على فج  
الفرس \* فتخاذلت منهم فئة ومالت اليه ورجعت أخرى لابن بجة بخزائنهم وظهرهم

ص 139

(1) أبحر الناصر من مالقا يوم 7 ماي 1595 ومعه قوات جرارة معظمها من الموريكوس ونزل بمليلة يوم  
الثلاثاء 27 شعبان 1003 الموافق ليوم 9 ماي 1595 وأعلن منها الثورة ضد عمه المنصور

الناصر الى تازى فى جموعه من العرب وسائر الحشود وجيش النار النازع اليه فنازلها يخادع حاميتها وألقوا باليد فدخلها وأقام بها يومين أساء فيهما الإحدوثة بما تحدث الناس به الى اليوم بمصادرة أهلها وامتحنهم على امال ومطالبتهم بالمكس على سنة النصارى معجبا بسيرتهم مقتفيا اثرهم حتى كان يقول لهم ان النصارى يفرمون حتى على البيض على سبيل الاحتجاج عليهم فيما يصادرهم عليه ويمتحن عليه يهودهم ومسلميهم وخذ لنفسه فى تلك البرهة القليلة من سوء السيرة شنائع جللته العار واكسبته المقت عند الناس وتعرفوا منه عنوان أمره ولما دخل تازى وتسامع به المغتر بأباطيله الواهية الباء من قبائلها واخماسها وأهل جبالها وأوباش عامة تلك الجهات وغوغائها تسايلاوا اليه ينسلون من كل حدب فتكاثرت جموعه وحشوده وانتفت عليه منهم عالم من العرب والبربر يخص به الفضاء ويكثر الرمل والحصى واجتمعت اليه من عساكر النازعين عن أعراض بالخزائن والاقوات والنازلين عن حكمه على تازى جيوش وافرة فلاح له من ذلك بارق خلب اكذبه امنيته فقوض عن تازى وتخطاها الى أمام فنهض اليه المولى الامير أبو عبد الله محمد الشيخ ولى العهد أيده الله من فاس نهوض أمثاله من الملوك العظام أولى الحزم والنجدة فى أحكام التعبية واستكمال الالهبة ومضاء العزيمة وصمم نحوه فى العساكر والاجناد تصميم الليث العادى وقد جر اليه الانفاط القاذفة بصوت النار وسار على التعبية يطوى اليه المراحل تلقاء فالتقى الجمعان على عقبة من سفح جبل مدغرة وقد اتخذ الناصر موثلا يستند اليه فدارت رحى الحرب بين الفريقين ثم صدقهم المولى أبو عبد الله محمد الشيخ أيده الله القتال فاندفع للهجوم بنفسه على العدو لفرط شجاعته وإقدامه وعظيم ثباته وصبره وجميل بلائه وحسن غنائه فى ذلك اليوم هجوم الاسد على الرئال فتماسك المدفون بركابه من الموالى بعنانه ولم يسلموه تم أهم بالترجل عن فرسه مرارا لو أسلموه ليزحف على قدمه مع الرجل من الرماة الموالين لوجه القتال للاقائه بنفسه فى منتظم أمواجهم ومضطرم نيرانهم وقعقة رعودهم ووقوفه بارزا عن موكب الخيل فى قلب مصافهم المتراصف فبعث بذلك حفاظ عساكره وأجناده فتهاكوا فى الموت عليه وشددوا على العدو وألجوا عليه بشواظ النار وارسال صواعق الانفاط فأحرقوهم بسعيرها وتدافعت الكتائب وعظم زلزال الحرب وخرق بابها الكاشر ودلف الموت الاحمر وخان الصبر الاشقياء المارقين فأنكشف الناصر وذوبانه وولى على أعقابته \* مدبرا وقد أصابته رصاصة اسفل الركبة فحطمت منها ساقه وأدركته المشية فاحتمله العرب فى الهودج وطاروا به مضجورين مع سيران الفلات مدعورين مما شاهدوا من ضنك المقام لايلى أحد على احد وتفرق الحشود اياى سبا واستلجم السيف كثيرا منهم ومن العصابة

النازعة للعدو ومن الرماح وانكفا المولى الامير أبو عبد الله محمد الشيخ أيده الله بنصره لا كفاء له واقبال لا يعدل به وطير بخبر الفتح والظهور على عدوه لمولانا أمير المؤمنين أيدهم الله والده وقد كان برز في العساكر والاجناد من مراکش لأول ما طرق الخبر باجلاّب الناصر على تازي وعزم على الزحف بنفسه أيده الله بعساكر مراکش للمغرب فبرز بروزا فخما أوائل شوال عام ثلاثة (1) وزجرت له يوم خروجه على عادة الشعراء  
القال الحسن بأبيات شد عن حفظي بعضها وهي

مقالب أمر الله لاشك مغلوب	وباغى استلاب ما تملكتم مسلوب
ومن تنوه بالحرب من أجل بفيه	فعدك بأجناد المقادير محروب
فلا تكترت بما يلم فقد طوى	لك الله في المكروه ما هو محبوب
عدوك كان البحر يلقاك دونه	فأملا كي تقتاله وهو مجنوب
تبرم من ذل الصليب كان به	يرى وهو فوق الجذع في الجومصلوب
تجرع من أيدي النوائب صابها	فان رام تصعيدا أتى وهو تصويب
يرى لك فضلا في اراحة نفسه	ففي الموت للمحروم سهل وترحيب

فكانت أصدق قال لموافقة الحال كما سندكر بعد وتلوم مولانا أمير المؤمنين أيده الله بعسكره من باب أغمات أياما ريثما استكمل العساكر أهبة السفر فارتحل لنهر تانسيفت ولقيه البشير من قبل النزول بخبر هزيمة العدو وظهور مولانا محمد الشيخ ولده أيدهم الله عليه (2) ثم ترادفت البشائر بكتب ولي العهد بوصف الحال على السنة الحاضرين من أجناده للقتال فعظم الفرح والسرور وتمت البشرية وتضاعف السرور لمولانا أمير المؤمنين بما تواتر عن ولده أيدهم الله من حسن البلاء ومصابرة الحرب وجهيل الغناء ورسوخ القدم في مستنقع الموت وكمال المعرفة بالحروب وردا وصدرا والاضطلاع بدفاع الأعداء وحمد الله على صدق النظر والاجابة في اختياره لولاية عهد الاسلام واعتيامه لكفالة الامة من بعده واقام أيده الله على نهر تانسيفت من بعد ورود البشرية ريثما فرق اغلات والعساكر على الجهات للانتقام ممن بدى منه عيب في السبل وخاض في فساد من الرعايا والقبائل \* مدة الالتفات للعدو ثم انكفا للحضرة مسرورا مجبورا وواصل العرب الاجلاّب الناصر الى مامنه من جبل بني يزناسن فنزل على صار دار بن مشعل وقد أوهنته رجله المنكسرة من الرصاصة فاقام هنالك يتجرع الامها

ص 141

(1) أوائل شوال 1003 يوافق الاسبوع الثاني من يونيو 1595 .

(2) جرت المعركة التي انهزم فيها الناصر يوم الخميس 26 قعدة 1003 الموافق 2 غشت 1595 كما جاء

ذلك في الرسالة التي وجهها المنصور الى قواده بالسودان .

وأوصابها الى أن كان من الايقاع به ثانيا على فاس وقطع دابره ما نذكر ان شاء الله

ذكر ايقاع المولى الامير ابي عبد الله محمد الشيخ بالناصر على فاس ثم القبض عليه وقطع دابره

كان ما قدمنا من ايقاع المولى الامير ابي عبد الله محمد الشيخ ولى العهد أيده الله بالناصر على عقبه فبانه واجفال العرب به الى مأمته من دار بن مشعل من جبل بنى يزناسن من ايالة الترك معتصما بها أجمع السلطان مولانا أمير المؤمنين أمره أيده الله على النهوض بنفسه بالعساكر والاجناد من مراکش الى المغرب وعلى الإقامة بفاس وتجهيز العساكر منها مع ولى عهده أيدهم الله الى اقتحام جبل بنى يزناسن على الناصر غير مكترث باولى الايالة عاملا على الاجلاب عليهم وعليه ان راموا النصر له والوقوف للدفاع دونه (1) فصمم عزائمه الماضية على ذلك واحتفل له احتفالا عظيما وأخبر ولى عهده أيدهم الله بما بنى عليه عزمه فأهاج حفاظه الهاشمية واستنكف من نهوض أمير المؤمنين بنفسه ولج فى الايالة له والمنع مما عزم عليه وهون عليه أمر الناصر ومن لاذ به وتكفل له باقتحامه وقطع دابره ودابر كل من يقف دونه ونهض لانتصاره من الاتراك الذين ءاوى لايالتهم وانه كافى فى ذلك ومفن فيه وحتى عن الامداد له بشيء من اجناد مراکش وجيوشها لاستغنائها بعساكر فاس وجنوده بها وبالغ فى ملاطفة مولانا أمير المؤمنين أيدهم الله وجعل يقتل فى النورة والغارب حتى كسر من سورة انبعائه فسكن وهدأ وأسعفه الى ما أراد فانبعث ولى العهد أيدهم الله للوفاء بما شرط وشمر لذلك تشمير أولى الحزم فاضطرب معسكره على فاس فجلس للعطاء وبدل الاموال فى عساكره واجناده وبعث الحاشرين لجيوشه من سائر أعمال العرب التى لنظره وكفالتة فجمع واستكثر واحتفل بما لم يعهد ثم هجم فصل الشتاء فنزل عليه الثلج بمعسكره وكان العام شديد القر بقلب البرد وتوالى ارسال السماء بمدرارها فصابر أيده الله تلك المشاق ومطاوله الإقامة على معاناتها بمحلاته لمدة من ثمانية أشهر حتى انصرم فصل الشتاء الذى تتعدر فيه الحركة \* من شدة البرد بالغرب فانبعث حينئذ بحر احتفاله وماج وقد أخذت العساكر أهبة الاحتفال والاستعداد وتراكت الخزائن واستوعب الظهر والكراع فقوض أيدهم الله تلقاء العدو فى جيوش ضاق بها وسع اليباب وعظمت النجود والوهاد وطار

ص 142

(1) كان التجاء الناصر الى الجزائر العثمانية اما لتخلى الاسبان عنه او لطلب العون من الاتراك ، وقد كانت وضعية الاتراك فى الجزائر جد مضطربة لاشتداد نوزة القبائل مما اجبر السلطان العثماني على تولية عدد من الباشوات دون جدوى وهكذا لم يكن فى وسع الاتراك تقديم المساعدة للناصر ضد المنصور وفى الوثائق التاريخية ما يؤكد التقارب الذى ظل الاتراك والسعديون حريصين عليه للظروف الخارجية المتشابهة ومعاداة ملك اسبانيا فيليب الثانى الذى كان يساعد الحلف المسيحى باوربا الشرقية ضد الاتراك ويمد بالعون للناصر فى المغرب ضد المنصور

دوى زحفه أيده الله فهلا مسامع الخافقين وتزلزل الشرق ومضى على التعبئة حتى تخطى بلاد تازى الى مجمع الطريقين الاخذة على تافراطا ذات اليمين والاخذة على جارت ذات الشمال فراء أيده الله بمقتضى حزمه واحتياطه انه ان سلك على اليمين لربما يعقب الناصر على جارت الى جهة الريف فيتعلق بجبل غمارة وان سلك على ذات الشمال فربما يخلفه على تافراطا الى جبل مدغرة وغيائة فاحتاط بأن جرد من عساكره محلة وافرة من عساكر الاسل والنار عقد عليها للقائد أبى عبد الله بن بجة وعززه بجماعة من القواد أولى الرأى وتديير الحروب فسلك بها على جارت وارتحل هو أيدهم الله سائر جنوده على تافراطا ذات اليمين ليسد بذلك مسالك النجاة على الناصر وكان أيدهم الله قد نمى إليه قبل ذلك بمراسلة بين جيش الشراقة من جيوشه وبين الناصر على سبيل الاستمالة والانحراف فاتهم ذلك واعتقد بعده عن الصدق لما يرى ان القوم ممن ارغد له فى العيش وبسط بالنعمة وأوفى به على مراتب الاصطفاء للخدمة والاعتزاز بعز الرماية تجبى اليهم ثمرات كل شىء فيسيل عليهم منها سبيل العطاء فيسقيهم علا ونهلا ولا يد عليهم للناصر وسابق خدمة ولا سابق نعمة ولا مجرد معرفة حتى بالعين وما فيهم من حصرهم طرفا من دولتهم فى أيام أخيه وأبيه ومع ذلك فما أضع الحزم فى أمرهم بل أوسعهم حين نمى إليه ذلك عطاء ونشر فيهم نعماء ووطأ لهم أكنافه وأفاض عليهم سجال هباته وطيب نفوسهم من ذلك بما يستميل به العدو الى الصدقة فكيف بمن يمتري اخلاف نعمته لعشرين سنة ثم استوثق منهم بعد ذلك بالإيمان الغليظة عرضوا على المصحف والبخارى بها واحدا فواحدا عرض البيعة فزحف بهم حينئذ أيده الله حتى اذا افتترقت المحلتان اغتمها الاشقياء الذين منهم مع ابن بجة فثاروا بقائدهم من مماليك الامير أبى عبد الله ولى العهد أيدهم الله فقتلوه ثم وثبوا على ابن بجة أيضا فعلته سيوفهم ثم نجاه الله من كيدهم وطار الخبر الى الذين فى محلات ولى العهد منهم فركبوا اليل متسايلين لاختونهم فميز الله الخبيث من الطيب وجعل الاشقياء وجوههم الى الناصر وكانوا زهاء خمسة آلاف كلها من عساكر النار فلما سدى للمولى أبى عبد الله الشيخ أيدهم الله ما كان من غدر الاشقياء وانتزاعهم \* للعدو ورا أن يرجع لفاس حتى يستأنف الاهبة ويعاود النهوض فانقلب بسائر عساكره على هلو وسكون لم يتضعضع له بنكث المارقين جلد ولا طاش له خلد ولا تخرم من جمعه السالم سبد ولا لبد حتى نزل على فاس واضطرب معسكره من ساحتها على كادية (1)

فبث العطاء فى الاجناد ثانيا واراح عليهم وارهدف للصدمة حدهم وجلس للوثبة على

(1) يوجد فى الاصل بياض

برائته ينتظر مثال العدو وكان الناصر عندما اتصل به جيش المارقين الاشقياء وراءهم  
عصبة قوية وظن انهم معظم شوكة ولى العهد من عساكر النار فحسبها فرصة آتحت له  
ومددا سيق اليه ولم يعلم أن الله تعالى خدله بهم فبعثهم اليه حتى يكونوا له قادة  
الى حتفه وسببا لاستنزاله من معتصمه واستخراجه من جحره بادر النهوض فيهم  
فأقبل يطوى المراحل لفاس ووجد ولى العهد أيدهم الله فى جنوده له بالمرصاد فحساد  
الناصر عن جهته فنزل يوم الخميس على وشتانه وارتحل ولى العهد الى مقابلته فنزل  
على دار الرجاء فكانت يومئذ بين عيون الفريقين مناوشة كان الظهور فيها لعصابة  
الحق أصحاب ولى العهد ثم أصبح الفريقان يوم الجمعة على هدو وسكون لم تخفق  
للقتال فيه راية ويوم السبت وهو السابع عشر من يوم غدر الاشقياء كانت المناجزة  
وكان من مدد الله تعالى فيه لولى العهد أن مولانا الامام أمير المؤمنين أيده الله كان لما  
بلغه عيث اولاد حسين بجهة أسايس بقطع السبل على الرفاق عند مفيب ولى العهد  
عن فاس فى نهوضه للعدو بجبل بنى يزناسن جهز أيده الله وصيفه قائد باب قصبتهم  
السعيدة بمراكش مسعود بن مبارك فى جيش من عساكر النار مع جيش هكسيمة  
قواد خسان من جيوش الاسل وأوعز اليهم أن يخيموا بجامع الحمام لقطع عادية  
المفسدين العابسين وحماية الطرق للمارين ثم حدث ما كان من غدر المارقين ورجوع ولى  
العهد لفاس فوافق وصولهم ساعة رجوعه عن تازى يوم السبت واطلوا عليه برايات النصر  
والاقبال وحضروا معه القتال فكانوا أعظم عصابة الحق يومئذ بلاء وغناء وصبرا واقدا  
ونصر الله بهم حزبه ومد سبحانه بهم ولى العهد من غير قصد عند احوج ما يكون اليهم  
وكان من وصف القتال انه لما كان يوم السبت اصبح ولى العهد على التعبئة فجدد الكتائب  
ورتبها وخفقت الرايات وتزاحف الفريقان والتقى الجمعان بمنزل حاجب وكان ولى  
العهد ايدهم عندما شاهد رايات العدو أقبلت وتراعى له حزب الضلال وجموعه شد على  
فرسه فى راياته المظفرة واجناده المنصورة شرها الى العدو حنقا على عصابة \* القدر  
الظاكيتين فانصب عليهم الجنود انصار الحق انسياب الجيال على نعم الوهاد والغيطان  
وتنافست العساكر فى احراز خصال الصبر والاقدام فتهالكوا فى الشجاعة والهجوم على  
العدو فاشتبك الاسل والنار بالنار وبرزت الحجال والغداری المخدرات عالية على اسطح  
فاس تشاهد الحرب وتنظر منافع الموت وكانت مع العدو جموع وافرة مما كتب الله  
عليه الشقاء غطت النجد والوهد وتراءت على السفح تعجب راياتها عين الشمس لكثرة  
ما اتف علىه من قبائل اهل النفاق والانحراف لم يتقاعس عنه احد من مشاهير قبائل  
الخلط واعيان عرب الغرب قاطبة وكانت قبائلهم تتسائل اليه الى ساحة الحرب فتوافى  
منهم اولاد يسي وشهدوا معه الحرب كافة وقبائل الحيانة اهل جهة تازى وكانوا من

حزه واولى السبق اليه لاول ظهوره وشهدوا معه الواقعة الى غير هؤلاء من قبائل الشظفة  
 وعرب الصحراء مع عصابة الغنم من عساكر النار فلما اشتد زلزال الحرب وتهاكست  
 عصابة الحق في الشد على الاعداء هبت من الله ريح النصر لولى العهد فمحنه الظفر  
 ونكص الناصر على عقبه في خيل له قوى وجموعه الادبار مهزوما وترك الاشقياء المارقين  
 بين الناب والظفر فاستلحم السيف الكثير منهم وابتلع الاودية والشعاب والغيضان من  
 تخطاه الموت منهم الى اجل وانكفا ولى العهد ايده الله بنصر لا كفاء له ثم طير في الحين  
 وراء الناصر جيشا من الاسل وعززه من عساكر النار بجيش اخر اركبهم خيل  
 البرادع وجهر عليهم مملوكه مصطفى كبير المماليك ببابه والقائد ابا محمد عبد المومن  
 بن ملوك والقائد بن بجة وجماعة من وجوه القواد وروساء الاجناد فلحقوه بلجابه وقبضوا  
 عليه وقتلوه لحينه واستاقوه لفاس فوجه ولى العهد براسه وجثته لامير المومنين والده  
 ايدهم الله بمراكش فنصب الراس حتى شاهده الناس تنكيسا للفساد واخمادا لنار  
 الفتن الناشئة بسببه ثم امر مولانا الامام امير المومنين ايدهم الله بموارات الجثة  
 وراسها من يومه وتم السرور لمولانا الامام امير المومنين ايده الله وقد وافته البشرية  
 بمعسكره من باب اغمات وكان من خير خروجه انه لما بلغه كتاب ولى العهد ايدهم الله تعالى  
 بخبر نزوع جيش الشراقة الى العدو وقام لها في ركايبه وقعد اجمع امره على النهوض  
 بما حضر من جيش مراكش وان يحمل الرجل من عسكر النار على خيل البرادع  
 فيجد السير يطوى المراحل لفاس ليباغث العدو والناكثين ثم عد من تاريخ الكتاب الى  
 يوم وصول السفير به فوجد ثلاثة عشر يوما لتناقل المجدبه \* من فساد الطريق عند  
 اقتراب الملتقى فجزم بأنه لا يدرك الملتقى ولو طار بالارض فاخذ حينئذ ايده الله في  
 أهبة النهوض بسائر العساكر عاملا على اقتحام فاس على الناصر ان قدر له دخولها وانه  
 لا يثنيه عنه تان حتى ينشب به اظافره ولو ابتغى نفقا في الارض او سلما في السماء  
 فوجه ايده الله عن ولده الامير زيدان أن يستحثه بمن معه من العساكر من سجدامسة  
 وكان قد جهز اليه في جيشه بتدلا وامله بجيش آخر من عساكر النار من مراكش  
 وسرحه اليها لمدافة الناصر عنها ان رام النهوض اليها من دار ابن مشعل وليسد في  
 وجهه وجوه المسالك الى السوس او القبلة ان رام الخروج اليها على الصحراء ثم وجه عن  
 عساكر السوس وكانت مخيمة على انسى بالمرصاد للاجلاب على الناصر ان زلت به  
 الاقدام الى الانحدار للسوس من ثنية الصحراء ثم وجه عن العساكر التي بحاجة  
 وبلاد دكالة وتامستا وسائر العساكر المتفرقة على الممالك في سبيل الردع والانتقام من  
 القبائل المثيرة للفتن وقطع السبل والجاهرة بالنفاق والسعى في التهويل عن العودة عند  
 صرف العزائم الى الناصر فتوافت الاجناد وتوالت الامداد واخفست في

النهوض العساكر من كل بلاد فتكاملت الالهبة وعظم الاحتفال من الاستعداد وبادر الخروج ايده الله ثالث يوم ورود الخبر بنزع الناكثين وكان ايده الله ساعتئذ بين يدي خروجه رؤيا صادقة على عادة مرآيه الصالحة وانه على قصر بمحلة عالية على هيئة افراك وهو القصر المعد لمنازلهم ايدهم الله بمحلاتهم السعيدة ذو السياج المحيط بالخيام والقباب من كتان مترف قال الا ان برج ذلك في مكان باب الصرف من افراجنا نحن اليوم لم يختلف الا في هذا الوصف قال ايده الله فقبل لي هذا قصر المنصور ابو جعفر فدخلت فوجدت صاحب القصر واقفا لي في البرج كان ينتظرني فاطهر لي البش والترحيب ثم رفع الرواق دون القصر فاذا فيه من النضرة والبهاء ما لا يبلغه الوصف ولا يخطر على القلب ووقعت عيني داخل القصر وفي منتهاه في مقابلة باب البرج على صورة امرأة لم تقع عيني قط على اجمل ولا ابهى ولا احسن منها وعليها من الحل والحل وفاخر الزينة ما لا عين رأت فقال لي اقم هنا خمسة ايام وياتيك قال ايده الله فاستيقظت فتاولت انها دنيا وبشرى تاتي فقال لاهل شوره عند الغد ليس الا العزم بالخروج لعل الرويا تصدق بموافات البشرى بالمحلة ونحن في قصرنا فخرج ايده الله يوم الخميس ثامن عشر رمضان عام اربعة (1) ثم وافته البشرى يوم الاربعاء فلم تمض من بعد يوم خروجه ايده الله \* الى يوم الخميس الاخر الا خمسة ايام كما ترى ووافته البشرى وهو في افراك وجلس للوارد بها من قبل ولي العهد في برجه على نحو ما رآه الرؤيا المباركة كفلق الصبح جلاء وظهورا وصدقا وعدت من مرآيه الكريمة التي هي اصح من روية العين فكان ذلك اليوم من ايام الدنيا بما عم الناس من اسرود وشمل من الفرحة للخاصة والجمهور وبرز مولانا امير المؤمنين ايدهم الله اثر ورود البشرى بل عند ورود القبض على الناصر على تفتة ذلك الى فسطاطه الاعظم المعد للديوان العام ذو التاج المذهب الفاره الالامع البروق لشمائها على بعد فجلس للتهنية وانتال الناس عليه من العساكر والاجناد واهل الحضرة فازدحموا على الفسطاط ازدحام الحجيج على البيت وبرزت ارباب الالات الغنا من الحضرة على اختلافها وقرعت الطبول وارتفعت اصوات الالات الملك فامتزجت وملا دويها الخفاقين وضم المعسكر محشر عظيم ودوى هائل فكادت الارض تميد بمن عليها هاء وسرورا واطمئنانا ومجبة في امير المؤمنين ايده الله وشحا بايامه السعيدة وضناة بدولته الشريفة التي اثرت العديم واكسبت المحروم ولقد حدثني من اتق به انه شاهد ناسا من النظارة يوم بروزه ايده الله من الحضرة الى معسكره من باب اغمات يبكون حشية ورافة ومجبة وارتفعت الاصوات في المساجد والمكاتب شيوفا وولدانا ونساء

ص 146

(1) الخميس 18 رمضان 1004 يوافق 16 ماي 1596 .



وصبياناً وحتى شرعت النساء وراء حجبها وحجالها عن ظهر غيب بالدعاء له أيده الله  
وعلى الناصر المثير للفتن التي بعد العهد بها فأجاب الله دعاء عباده وحكم له سبحانه  
بعده بما شاء على وفق علمه ليتم عليهم نعمته ويهنئ باتمام الحق أمته ورفع الشعراء  
والكتاب إلى مولانا أمير المؤمنين قصائدهم يهنئونه بما صنع الله له من الفتح على يد  
ولى عهده أيدهم الله بعضها في الوقعة الأولى والبعض في الثانية فمن ذلك قصيدة الهوزالى  
وهي

هو النصر يجنى من ذوابل مران خياشمها يرعفن بالعلق القانى  
وبيض صفاح بتريمينة وهقدرة شقور سواهم غران  
عليهن من شعت اللوائب فتية نما هم إلى العليا معد بن عدنان  
تسامت بهم غاي المدى وتوقلوا ذرا النسب الوضاح من قيس عيلان\*  
أهاب بهم والجو بالنقع حالك يغطى دياجى ليله شهب حران  
أغر رحيب الباع من سرها شم سليل الملوك الصيد من آل زيدان  
فروى صوادى السمر من ثغر العدى ومطعم سيدان الفلا هام اقران  
هو الملك المامون ميمون غرة تكتفها لليمن واضح عنوان  
حمى بيضة الملك الاغر وقد غدا من الدم عريان الطبا غير عريان  
خطى فوق اشباح المنايا ولم يبيل وللطن فى الهيات ارقام ارنان  
بيوم عبوس لو تقادم عهد لههد مديد لم يصف يوم بسيان  
إذا افتخرت بالشعب والجون عامر ولا عد فخرا يوم عبس وذبيان  
ولا دثرت ذات الاصاد بفقدها لقتلى بنى بدر لها ميم فتیان  
الا سحبت ذيل اذراء بقتلها بنى جشم بالخوذ هل بن شيبان  
لقد جرد المنصور منه مهندا فرى كل ليث من عناد وعدوان  
وهد به هضبار رواسى شمخا تكاد بها الدنيا تميد باركان  
عشية سالت بالاحالف للوغى مهامه عادت بالقنا غاب غيطان  
ولاحت عليهم كل زغف كانما ابيضت على ابدانهم زرق نمران  
فلاقوا دوين الورد كل مدجج يهز اليهم كل اسمر ظمئان  
وبارقة للموت تحت سحابها صواعق تتلوها موارد نيران  
يقيم لها الاحلاف برقا فامطرت عليهم بشؤبوب من الموت هتان  
فكانوا يساقون المنايا واجفلوا لوقع الردينيات اجفال ظلمان  
بلا فيهم المامون كل مصمم ولدان اصم جربا منذ ازمان  
راوا فيما يقتاد من كل باسل مشوق إلى الهيجاء آساد جطان

وجود ذب اذبال العبال فتهيجت حفيظة وراذ المهالك غيران  
تصل بجمر الحرب حتى كأنها له بمناخ الموت مالوف أوطان  
الا أيها المنصور بالله اذ عنت لسيفك اعتاق العدى اى ادعان  
كفتك ظبى المامون كل ملمة ومبهم خطب مسدل ذبل اجنان  
قدم فى سماء العز شمسا منيرة تضى لاقصى المغرب اقصى لان  
ولازال ملثوما ثرى عرصاتكم لافواه املاك معفرى تيجان \*  
ومن قصيدة صاحبنا الكاتب ابى على الحسن بن احمد المسفيوى وهى هذه

وافاك فتح واضح الاقبال اربى على الماضى مدى استقبال  
وتلوت آى النصر وهى كنانب ورويتها امرا وهن عوال  
لله اية عزمه مصمية فى خيى تنبو مصميات نبال  
ما للتمام وهيبة الباس التى قصفت جنوبا بعد قصف شمال  
كم ذا عزمك من عدو قبله فصدعته صدع الرداء البالى  
واذا انتحاك الجمع منه فانه وقف على التكسير واستيصال  
فجعلت من علق لعائمه الظبا وردا وسبيهم من الانفال  
وادلت اشوس صاغرا فاعتناظ من شمم المعاطس موكس الاذلال  
وتركت اربعم نهابا للبللى درس المعالم سجد الاطلال  
ما عاصم من دونهم هرب ولا ينجى سريع الوخد والارقال  
ينقض جارح كيدته فى اثرهم اهدى اليهم من قطا ارسال  
لو انهم سلكوا المجرة لم يكن مجرى النجوم اذن بعيد منال  
وبعيد مطمح همة لا يقتنى الا دلاصا سابغ الاذبال  
ويرى العلاما يقتنى او يجتبى من صارم او ذابل عسال  
طب بتلقيح الحروب مجرب شهم ابى مدرك الادخال  
من زاغ عن رشد فان بكفه ماضى الشباب مقدم الضلال  
كم صك سمع الخافقين بوقعة صارت بها مثلا من الامثال  
ملكته مهابتة القلوب وما زجت حبا كمزج الماء بالجريال  
وله مآثر سائرات دونت سير الكيما تحتلى بمشال  
وله المعالى النيرات الزاهرات الظاهرات الباهرات خلال  
اغنيتنا عن نصب تمييز لها ودليل اثبات ووصف الحال  
من ذا يساجل مجده بل اين من طامى العباب بلالة الاوشال  
من ذا ينافس قدره وجلاله انفاس شمس ظهيرة بدبال

فهو الحقيقة في المكارم والنهي وسواه احقاب وطيف خيال  
وهو المقدم حائرا قصب العلى وسواه فيها مقرف أوتال \*  
ومشيم بارقة المنى من بشر يجلو الخطوب الجون وهي ليال  
لله فيك مغيب يوتى لهذا الدين يوما عازب الآمال  
عما قريب سوف ترغم قيصرنا ويجود اندلسا سحاب وبال  
حتى تسربل ذلة احزابه ويصير رهن القيد والاغلال  
لازلت منصورا ودمت مؤيدا تختال في دعة وأمن زوال

وللقائد ابى الحسن على ابن منصور الشيطمى

هاكذا هاكذا تكون المعالى مسندات عن العلى والعوالم  
وكذا تعطى الفتح أول شىء حركات المنصور وفق اقتبالم  
هل يرام المنصور بالله من قد بطلت معه حيلة الابطال  
من اباد العدى وطهر منهم فى الجنوب البقاع او فى الشمال  
فسئل الركن والمخازن عنه اذ جـ الخطب عند ضنك المجال  
ايعانى عزمات ذى الملك الشهم سوى نكسن اجهل الجهال  
او يدانى عرينه الا شب الحمى الا معرض للوبال  
فلو ان السماك ذا الرمح ناواه لامسى عن رمحه فى اعتزال  
او نوى النسر طائرا عنه منحى لغدى وافعاله فى جبال  
ضل من ظن أنه منه ناج فى فضا بعد حرب او تلال  
ولو أن القطا اعارتته ريشا أو اقلته أرجل الاوعال  
اكثرت أم الثائر المتلى بفرور لحربه أو ملال  
لم يقم حتى اعدته رماح للمرضى الشيخ الليث طود المعالى  
غره برق خلب قد اشارت فى جهام به نوى الامحال  
من بغات تساقطوا كفراش فوق نار للحرب ذات اشتعال  
اوقدوها فاطفاتها دماهم من سيور للشيخ سمر طوال  
غادرتهم وهم على الترب صرعى بعراء مستوحش الربع خال  
عبث الطير فيهم والسيد والاسد باشلائهم وبالاوصال  
وقضى بالشق الاله عليهم وبنصر المامون أفضل وال  
عملة الامر عاند الصلة المرفوع فى الابتدا وفى كل حال \*  
فمر التم من اتاه كمال قبل عشر او قبل الاستهلال  
واتانا منه الزمان بفرد متغال فى فضله متعال

فلمرى لو كان بعض سناء لهلال لانفك نقص الهلال  
ذو وقار يسبى النهى وثبات دولة القطب او رواسى الجبال  
حاز رشد الرشيد فى هدى مامون وعليه على الوصى المفضل  
يا رعى الله منه ابى همام قد اذاق الهموم حزب الضلال  
وحى بالبيض وسمر العوالى حوزة الملك من اذى كل قال  
وكفى اوكتت يراه خطوبا هائلات تموج بالاهوال  
وارانا شفى الغليل بفتح نعم فتح المولى العلى الجلال  
مرجبا المامون به واتانا معلما بالشفاء والاكمال  
فهنيئا لكم امام الهدى ما منح الله من جزيل النوال  
ذاك فتح قد جل قدرا واعيا وصفه مقولى وفكرى وبالى  
رشتهونى سهما ونبلمونى فارتياشى من عنكم وانتبال  
وبكم قد ردت الصعاب ولانت لى القوافى الممكنات الحوالى  
دمت بالمامون حسامك تحمى بيضة الدين والعدا فى اختلال  
وادام المولى لملكك نصرا لا يرى فى الدنيا له غير تال  
ثم لازلت بالمسرة تجنى ثم المشتهى بكف الكمال

وكنت شرعت ساعتئذ فى قصيدة اساجل بها القوم فتجاذبتها مع الاشغال المثالة  
حيثئذ فقلبتنى عليها من بعد الجهد فى المكافحة وانا هورد ما خلص لى منها وقد وريت  
فيها بمنزل صاحب المكان الملحمة والتورية فى عدة ابيات منها بما كان مولانا الامام امير  
المومنين ايد الله يرى ان الكلام الخالى من محاسنها المتعارفة عند أهلها كلام لا تشره اليه  
الاسماع ولا تنقل له بالطبع الطباع وهى

الفتح من حركات احمد واجب	كل العواهى فى العدالة طالب
يعنو الى السنون من اسيفه	قلب المعاند وهو قلب واجب
ايروم احزاب الضلال سفاهة	غلبا لحزب الله وهو الغالب
اودى بجمع مكسر جمع له	تعنو الجموع اعاجم واعارب
جمع له فى الحرب اى وقائع	اضحت على الاعداء وهى نواب
مات باشلاء النفاق تناثرا	اضحى الوهاد بهن وهى اهاضب
قد حلقت للنصر فوق سمائها	من كل فتحاء البنود عصائب
صبت على السودان منه صواعق	فهتم على اسحاق وهى مصائب
فهو الذى من جبره او جلبه	تلقاه اما جابر او جالب

يروى عن المنصور فيه محمد ما اسندته الى الوصى مناسب  
اسد هريث الشدق يففر فكه نحو العدى فكأنه متشابه  
يفرى الكتائب سيفه ولرعبه جند يغير على العدى وكتائب  
سيف به جب السنام لخاسر فى صفقته وجب منه الفارب  
لكس لـ ( 1 ) ( المناجس منزلا لفته عيناه وقطب حاجب

وكان مولانا الامام امير المؤمنين ايدهم الله كتب اثر الفتح الاول عند انهزام  
العدو وجموعه على عقبه قبالتة الى الامراء على ممالكة السودانية والى اجناده وعساكره فطار  
الى ممالك بلاد القبلة بانهاء البشرى ووصف الحرب والاعلام بما اتاح الله على يد مولانا  
ولده ولى العهد ايدهم الله من الفتح وهو وما بعده من التعريفات بالفتح وما يتعلق  
به كلها من انشاء العبد مؤلف الكتاب سمح الله له ونص المكتوب الى كبير المماليك  
المقتسمين لاعمال الممالك السودانية وهما منصور باشى وجوزر باشى اسمعكم الله من  
البشائر ما يملا صدوركم انشراحا ويوالى لديكم مسرة وافراحا سلام عليكم ورحمت الله  
تعالى وبركاته اما بعد حمد الله الذى ايد الاسلام بمحمد فاصبح وهو فى كيد الاعداء  
مامون وحمى الحقيقة بسيفه الذى لاتزال جماجم الاعداء ساجدة لحدته المسنون والصلاة  
والسلام على نبيه الكريم الذى سطع به نور الحق المبين واقام به اود الدين فاصبح  
وجبله قوى متين والرضى عن االه الشمم العرانيين واصحابه اللاتدين بسيوف الحق  
دعاة الباطل فاضحى الهدى منهم فى حرم امين والدعاء لهذا المقام العلى الامامى الاحمدى  
المنصورى بنصر يطوى الارضين ويوسس الدين على دعائم التمكين ويروى صدى  
السيوف من قلب \* قلوب المشركين واولياء حزب الشيطان المارقين الملحدين بعزه  
وعنايته فكتابنا هذا اليكم على معسكرنا السعيد على نهر تنسيقت والا جديد بحمد  
الله الا ما عود من عوائد النصر والاقبال والبشائر تنتاب اسراب العلية فى الصباح  
والمساء وتنتال هذا والى نهيته الى جهتكم من الانباء المثيرة للفرح والسرور والبشائر  
الثلجة للافئدة والصدور اعلامكم ان الشقى الناصر حليف الصليب وولى الطاغوت ورضيع  
لبان الموالات لدولة الاقنام والناسوت كان الطاغية خذله الله قذف به الى جهة مليلة  
قذف الثوات ورمى به رمى السلا عن الستات متعاميا للخروج فى جهتنا لما يظن ان العرب  
اخف باسا والين مسا وكان بظننا ان النصارى خذلهم الله لا يفلتوه من ايديهم  
او يسلموه للبعد عنهم وانهم انما يرمون به فقط مغالطة وزبونا منهم لاكننا مع هذا لم  
نضيع شيئا من اسباب الحزم وموجبات العزم بل انفلدنا فى الحين الى ولدنا الاجل بب

ص 152

(1) بيض فى الاصل .

الشيخ اعزه الله تعالى أن يأخذ للوثبة عليه الالهة والاستعداد ويجلس على برائينه للأجلاب عليه بالعساكر والاجناد وبرزنا نحن بعساكرنا المراكشية جماها الله الوافرة واجنادنا المؤيدة بالله الظافرة بحال من الاحتفال والاستعداد تسر الاسلام وتسوء عبدة الاصنام مما كان الا ان اقاده وباله لما فيه حممه وسعت به الى اراقة دمه اقدامه فحمله الجهل بعواقب الامور والدوائر التي عليها وعلى من التف معه من الاحلاف ومن تبعهم من اهل الفساد تدور فاقبلوا حتى تخطوا تازى وراءهم واتخذوا جبل غيائة ومطرفة موئلهم والتجاءهم وما كرهنا نحن منهم التوغل الى حيث لا ينجوا منهم احد ولا يخلص لهم مال ولا ولد ولا سيد ولا لبد فلما اتاح الله فيهم الفرصة بادر بب الشيخ اعزه الله تعالى انتهازها وركب الى الاشقياء جسر السعادة الربانية ومجازها فما راعهم الا انتفاضيه عليهم بجنود الله الاسود الابطال وليوث الحرب والنزال وضراغم الهياج الذين تزول لصدمتهم رواسى الجبال من كل رام بشرر وضرب بالنبل والوتر وشهم يقيم هامته مقام المغفر وبطل يقدم اقدام الغضنفر لا ياكل السرحان شلو صريعهم مما عليهم من القنى المتكسر فصبح بهم اسعده الله الاشقياء فى يوم اغر محجل وطلع عليهم بالرأى تحمله السيوف والاسل فصدقهم القتال وهجم عليهم هجوم الاسد على الرئبال وهم اعزه الله مرات عديدة بالرجل عن فرسه زاحفا مع الرمات فى مستنقع الموت على قدمه فأغرا لالتهام الاعداء الاشقياء فكى فمه فيعزم عليه الانكشارية اصحابه بالركوب فيمتنع عليهم \* ولا يكاد الا بعد الالاح العظيم يلتفت اليهم وتبدى منه اعزه الله فى ذلك الموقف الضنك من الصبر والشجاعة والاقدام ما قرت به عين الاسلام ولم يكن الا كلا ولا حتى منحه الله الظفر فولى الشقى وجموعه الادبار واستاصلتهم السيوف والنار وأخذهم الله تعالى على يد ولدنا أسعده الله تعالى اخذة رابية وأنت عليهم سيوفنا المشرفية ورماحنا الردينية فلن ترى لهم من بقية هذا من بعد أن لم يبال الشقى وجموعه جهدا فى الاحتفال والاستعداد بما لا مزيد عليه عدا وعددا ورجال فقد زحف معه عرب الشرق بحلهم وأولادهم كافة ما عدى اولاد طلحة خاصة ثم أخماس تازى عن اخرها ومشهور البربر بعدا فرها وست عشرة مائة من عساكر النار وغير هؤلاء من الحشود الذين اضلهم الله وقادهم غويهم لدار البوار فاتى السيف عليهم بحمد الله اجمعين فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وكان ذلك يوم الخميس السادس وعشرين من ذى القعدة (1) والعاقبة للمتقين والحمد لله حمد الشاكرين وعرفناكم بما سنى الله من هذا الفتح العظيم والمن الجسيم لتأخذوا من السرور بشارته بحفظكم

ص 153

(1) الخميس 26 قعدة 1003 يوافق 2 غشت 1595

الوافر وتشكروا صنع الله فهو الكفيل بالزيادة للشاكرين وتبشوه الى من هنا لكم من عساكرنا المويندة بالله والاجناد والى سائر أهل مملكتنا الشريفة بتكلم البلاد حتى ياخذ الجميع ان شاء الله بحظه من السرور بهذا الفتح المبين والى الجسيم ويطمئنوا بما عود الله لمقامنا العلى من عوائد النصر والاقبال ومساعدة والايمان والليل حمدا على ما أنعم وشكر لما كمل وتمم ثم اعلّموا أن بروضنا بمحلتنا السعيدة لساحة حضرتنا العلية ما كان الا لمجرد استشراف أحوال ولدنا أسعده الله تعالى لاغير والتطلع لما لا ياتينا من تلقائه من أخبار الخير واليوم لما أجمل الله العاقبة بما منح من الظهور على الشقى الذى أراح منه العباد وطهر منه البلاد واطمأنت برسوخ الهناء والعافية الجهات والاقطار والقرى والامصار هانحن بحمد الله داخلون لدارنا العلية لناخذ فى شأن ما أمدكم به ان شاء الله من العساكر والاجناد ونجهزه تلقاءكم من سائر العدد والامداد فان ذلك عندنا هو الشغل الذى نعمل به الوقت فى الحال ونصرف اليه وجه الاعتناء والاهتبال وكتب فى السادس لى حجة الحرام المبارك متم عام ثلاثة وألف (1) ولما أجزل الله المن وشفع الفتح الاول بالثانى واتى بالثى هى أحسن من قطع وأسر العدو واستيصال شافة المارقين الناكثين كتب أمير المؤمنين أيد الله الى سائر ممالكه الشريفة يعرفهم بتمام الفتح وقطع دابر العدو ثم الى أهل فاس والى حواضره \* وأهل الثغور من بلاد المغرب يشكر لهم الثبات على العهد والوفاء والمجاهدة بمناوات حزب الشيطان ومشاقته وعدم الاكثرات بطنين ذبابه ونصه من عبد الله تعالى المجاهد فى سبيله الامام المنصور بالله أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين الشريف الحسنى أيد الله بعزير نصره وأمرهم وظفر عساكرهم الى الجماعة التى نوايها بمزيد الشفوف والايثار ونختصها من أهل ممالكنا الشريفة بخصوص المزية والاعتبار ونخلع عليها من عنايتنا الكريمة الملابس الساطعة الانوار ونمهد لها مهاد السكون والاطمئنان فى كفالة سيفنا الماضى الفرار والصفوة التى نعرف لها صفو الوداد وخلوص الاعتقاد فى حالتى الاعلان والاسرار جماعة الفقهاء والشرفاء والاشياخ ونواصل لديكم بالمسرات الغبوق بالصباح سلام عليكم ورحمت الله تعالى وبركاته اما بعد حمد الله الذى وعد بنصر من ينصره فكفى به وكفا وكفى به نصيرا جامع كلمة الاسلام فمن أراد تفريقها باء بفضب منه وساء نصيرا والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذى نصره بالصبا فكانت له ظهيرا وابتعثه أحمد الحاشر فكان بالرعب منصورا والرضى عن ءاله الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن اصحابه الذين أرغموا انف قيصر قسرا وتركوا جناح كسرى

ص 154

(1) يوم 6 حجة عام 1003 يوافق 12 أغسطس 1595 .

كسيرا والدعاء لهذا المقام العلى الامامى الاحمدى المنصور الفاطمى بنصر يوسع الاولياء حماية والمارقين الملحدين تدميرا فكتابنا هذا اليكم كتب الله دوام العافية واتصالها وعصمة لانزول وان زلزلت الارض زلزالها وحفظ لكم وللاسلام من حفاظ هذه الدولة الشريفة الاحمدية حامية لا تورد الا قلب القلوب نصالها ولا توخر عن الדיاد والبلاد مصالها من معسكرنا السعيد بظاهر حضرة مراكش حاطها الله ونصر الله تعالى قد ملأت الخافقين أجناده وتوالت مع العشى والابكار امداده وارعدت بالصهيل الى الكفاح والجلاد جواده وسيفنا المنصور بالله قد تنفض تنفض الثعبان فلا تكاد تمسه حنقا على المارقين الاشقياء اغماده هذا وانه بلغنا أنجدكم الله تعالى ما أنتم عليه من طروق الخيال الذى ما ألم حتى قوض والبار الذى خبى عندما أومض من رسوخ نياتكم وصفاء طوياتكم ومضاء عزمانكم وما كان من عدم اكرائهم بطنين ذبابه \* والاستتكاف من الانصات الى لمع أسرابه والاهتمام من عواء ذبابه الى ما بدا لنا من الاستماتة على كلمة الله العليا وتصميمكم على حزب الله المفلح فى دار الزلفى ودار الدنيا واطباق صغيركم وكبيركم على المحبة التى لاشرط فيها ولا ثنيا والمجاسر بمناءات حزب الشيطان ومشافته وبلبل كل أحد جهده على حسب طاقته حتى عرفكم الله عاقبة النجح وجلا على صفحات ولدنا وولى عهدنا وكافل الامة ان شاء الله من بعدنا عروس هذا الفتح واستأصل بحمد الله بسيوفنا شافة المارقين الطغام وأباد بها الاشقياء اولياء عبدة الاوثان والاصنام والى هذا فالذى ينقرر لديكم حرسكم الله وأنجدكم وفسح فى الهناء أمركم انه ما كان ظننا من قبل فيكم أهل ذلك الثغر المحوط والبلد المحفوظ الا مثل هذا وأكثر واجل وأكبر ولا نعتقد فيكم الا اعتقادا يفيد القطع بمحبنتكم ونجدتكم فى كل مورد ومصدر ولا نراكم لهذه الدولة الشريفة الا الشعار والدثار ولا نعدكم الا حيث نعد الاولياء والانصار وانكم عندنا ممن لا يوتر عن هذا الجنب العالى ولا ينخدع بخلب بارق ولا بلمع سراب فهذه المنزلة المكينة من ضمائرنا الشريفة انزلناكم وعلى هذا المحمل الجميل من معتقدنا الكريم حملناكم ولهذه الخصال الجليلة والاصناف الجميلة أهلناكم الى أن كشف بهذه الخصلة التى أحرزتموها الفطاء وبرج الخفاء اتضح حينئذ بحمد الله مصداق ظننا فيكم اتضح النهار ولاح للعيان بارقة المستطار وتضوع فى سائر الافاق نسيمة المعطار فازداد بذلك اعتقادنا الجميل فيكم تصميميا واربى حسن ظننا على ما كان من قبل به عنكم زعيما ولاح للبادى والحاضر دليل ما كنا نقطع به عنكم من الوفاء حديثا وقديما وانها لخصلة مهدت لكافتكم جميل الرضى بعل هذا المقام ووسيلة لا نزال نرعى لكم بحول الله مواتها مع اتصال الايام ومزية تقضى لكم من على مقامنا ان شاء الله بنهاة المقدار والعناية السامية المنار وجميل الرعى وجزيل الايثار والشغوف



الذي تسنى لكم به المزية على سائر أهل الحواضر من ممالكنا الشريفة والامصار  
وركابنا انعالى على أهبة الرحيل ان شاء الله من العناية التي تشملكم سرا واعلانا وتلقون  
من صنع الله تعالى لديكم وصنعنا ما يقربه أعينكم دهورا طائلة بحول الله وازمانا  
فلتنبسط بذلك امالكم وترون احوالكم ويطمئن بالكم بعز الله وعنايته وقد عاينتكم  
نور الله ببصائرهم ان هذا الامر العزيز عند الله بمكان وشانه لديه سبحانه \* لا يوازيه  
قدر وشان فعناية الله محفوفة ونصرته له معروفة وامداده له على الدوام من قوته  
واحسانه اليه متزايدا واختياراته له فوق ما ينتهي اليه اختيار الرائد لاينال منه كيد  
كائد ولا يخضده خذلان خادل ولا عناد معاند عصمة من الله لاتخشى بفضله ومنه انتقالها  
ونعمة نوصيكم أن تجعلوا استدامة الشكر عقالها فان حبل اعتصامكم بحبل هذه الامامة  
الشريفة مربوط وهنأكم بهنأ أيامها السعيدة موصول ومنوط وزمنكم بزمنها الممتد  
الاعصار بحول الله وقوته مرموق ومغبوط وسربكم بكلاءة الله تعالى وكلاءتها مع اتصال  
الايام بحول الله مرعى ومحوط والله تعالى يوزعنا واياكم شكر نعمائه ويصل لنا موصول  
صنعه الجميل بصلة ايديه الجسم والائه وهو المسؤل سبحانه ان يحفظ رجاءكم  
ويصدق في فضله الجزيل وصنعه الجميل رجاءكم ومعاد السلام الاتم عليكم ورحمت الله  
تعالى وبركاته وفي يوم الاثنين ثالث عشر شوال المبارك عام أربعة وألف من الهجرة (1)  
النبوية الكريمة ولما تكاملت هذه الفتوح الجليلة وفرغ مولانا الامام أمير المؤمنين أيدهم  
الله من تدويخ أهل الزيغ والانحراف واطمانت البلاد وهدأ الاضطراب ورسخت قواعد  
العاقبة وقفلت العساكر والاجناد من الجهات أهم أيدهم الله بانجهاد وأخذ الاهبة له  
والاستعداد ومجازاة عمو الدين على ما كان اعتمل فيه من كيد الاسلام وتفريق كلمته  
والعزم على استرجاع جزيرة الاندلس من يد الكفر ونظهيرها من خبث الشرك فكتب الى  
أهل الخير والدين وأولى الصلاح بكل بلاد يلتمس منهم أيده الله التوجه الى جنبه  
العالي بالادعية الصالحة والابتهالات الناجحة وطلب الاعانة والامداد من ملك الارض  
والسماء على ما أهم به وعزم عليه وتوجه بنيته الصالحة اليه فمنها الى صاحب مكة  
والمدينة وأرض الحجاز السلطان حسن بن أبي نهم من بنيهم الشريف ال الحسن رضى  
الله عنهم ونصه من عبد الله تعالى المجاهد فى سبيله الامام المنصور بالله أمير المؤمنين  
ابن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين الشريف الحسنى أيد الله بعزیز نصره اوامرهم وظفر  
عساكرهم الى الاصاله التي تبججت من ذوابة هاشم فى صميمها وتوغلت من عرصات  
حرم الله ما بين زمزمها وحطيمها وتمتعت من عرارة نجد باننشاق نفحاتها الريحه

(1) الاثنين 13 شوال 1004 يوافق 10 يونيو 1596 •

وشميتها أصالة السلطان الأثيل المثيل الاسنى الاسمى الأزكى السلطان حسن بن أبى تهمى  
أبقاكم الله والبيت ذو الاستار تفتيئون ظلاله وتلثمون من الحجر الاسعد خاله سلام عليكم\*  
ورحمت الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله معز هذه المثابة العلية الامامة النبوية العزيزة  
الانصار السامية المحتد والنجار صاحب اذيال عزها الوريث الظلال على أهل البيت السامى  
المنار بحر القسطنطينية وولائها لحيها سكان الحمى والذين تبوءوا الدار والصلوة  
والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذى اطلع شمس الهداية الساطعة الانوار والرضى  
عن الله الذين تضال لمجد هم السامى المقدر الشموس والاقمار وعن أصحابه الذين  
استاصلوا شافة الكفر بمواضى الشفار وصلة الدعاء لهذا المقام العلى الامامى النبوى  
الابدى المنصورى الحسنى بنصر تجنى الفتوح من قصب رماحه وتجرى الاقدار على وفق  
اقتراحه فكتابنا هذا اليكم من حضرة مراكش حاطها الله وصنع الله تعالى لهذه الدعوة  
النبوية مفعم السجال واسع المجال والايام بعز صولتها ويمن دولتها بهذه المغارب باسمه  
الشغور مؤذنة باتصال امرها العزيز بحول الله الى أن تطوى ملاء الدهور بعز الله  
وعنايته هذا وان شيخ الركب المغربى وهو المرابط الخير الحاج محمد بن عبد القادر لما  
أزمع الى المعاهد الشريفة الرحيل وهب له من حرم الله نسيم يميل وءان للمطايا ان  
تعمل الوخذ والدميل مد الى على مقامنا أكف الرغبة فى كتاب كريم يتشرف بحمله  
ويتعرف منه السعادة بحول الله فى مقامه ومرتحله يتضمن الايضاء به اليكم فى المورد  
والمصدر وملة مقامه بجواركم من حرم الله تجاه البيت والمشرع فحملناه هذه العجالة  
لترعوا له ان شاء الله عنها المعتبر وتوالوه من جانبكم بما يصدق فيه الخبر والخبر ويدنى  
له من اماله قطوف كل فتن مهتصر ثم مما نكلفكم النهوض لاجل حقوق الاخوة باعبائه  
ونطالبكم لوشائج الرحم التماس دائه المساهمة بالدعاء مع الاحيان تجاه البيت  
الحرام وعند الملتمزم والمقام أن يويدنا الله على عدو الدين بفضلته وينجز لنا وعده الصادق  
فى اظهار دين الحق على الدين كله ويسهل علينا بفضلته وهعونته أسباب فتح الاندلس  
وتجديد رسوم الايمان بها واحياء اطلاله الدرس حتى ينطلق لسان الدين فيها بكلمة  
الله التى طالما سكت عنها بدائه وخرس وشرق بريقه فقص واحتبس فداء دعاء لايرد  
لانه جرى من أهله فى محله ومعاد السلام الانم الانم عليكم ورحمت الله وبركاته ومنها  
الى قاضى القضاة المالكية بمصر الشيخ بدر الدين القرافى ثم الى كبير مشايخ الاولياء  
والعلماء علم الطريقة اليوم بالديار المصرية الشيخ الاستاذ زين العابدين بن الشيخ  
القدوة محمد بن أبى الحسن البكرى الصديقى وكلاهما \* من أهل ود هذا الجناب العلى  
النبوى وأوليائه محبة وصدائفة يفاتحون مولانا الامام أمير المؤمنين أيده الله على تتابع  
الاناء مع كل ركب برسائلهم وبهداياهم من كتب العلم التى هى أنفس الدخائر عندهم

أيدهم الله فكتب اليهم مع صاحب الركب عامئذ في معنى الجواب والتعريف بالفتح  
والتماس الادعية الصالحة منهم ومن أهل الخير والصلاح هنالك بالحرمين الشريفين  
على أيديهم ونص الخطاب الشريف من عبد الله تعالى المجاهد في سبيله الامام المنصور  
بالله أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين الشريف الحسنى أيد الله بعزير  
نصره وأمرهم وظفر عساكرهم الى الفاضل الذي اعتجر بلباس التقوى وهو زين العابدين  
وتحلى بحلى المعارف الربانية وملك حلية العارفين والسابق الذي برز في الطريقة  
وسلك على المجاز الواضح الى الحقيقة ففاوت شاو السابقين والعارف الذي تجرد عن  
رعونة الاهواء النفسانية فكان سلوكه على التجديد الى حضرة الواصلين الفاضل السرى  
العارف الربانى سلالة العلماء سبط الفضلاء الشيخ أبى عبد الله زين العابدين بن أبى  
الشيخ السامى المقام قضب المشايخ الاعلام فخر علماء الاسلام الشهير البركة فى الانام  
تاج العلماء قنوة الفضلاء كنز الاولياء علم الطريقة أستاذ الشريعة والحقيقة الشيخ  
أبى عبد الله محمد بن أبى الحسن البكرى الصديق أبقاكم الله وأرواحكم تتعطر برياحين  
الانس فى حضرة القدس وتتشمم النفحات الهابة من رياض المشاهدة الى مدارج النفس  
ومعارج النفس سلام عليكم ورحمت الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله يفيض أنوار  
عناية أحمد على صاحبه الصديق مظهر كنوز المعارف الربانية جيلا بعد جيل من بيت  
عتيق والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذى اختار لمرافقته صاحبه فى الغار  
والعريش والطريق والرضى عن ءاله ائمة الخلق وسيوف الحق وأصحابه الذين فاضت  
أنوار هدايتهم على الغرب والشرق والدعاء لهذا المقام العلى الامامى النبوى المنصورى  
الاحمدى بنصر تتسق به الفتوح اتساق الاسلاك وسعد تدور على قطبه دائرة الافلاك  
فكتابنا هذا اليكم من حضرة راکش حاطها الله وصنع لهذه الدعوة الامامية مفعم السجال  
واسع المجال وعزماتها الماضية تبعت الى العدى رسل الاوجال وتسرى اليهم سرى  
الاجال والايام بعز صولتها ويمن دولتها بهذه المغرب باسمه الثغور مؤذنة بانتصال أمرها  
العزير بحول الله الى أن تطوى ملاء الدهور هذا وانه اتصل بعل مقامنا كتابكم الذى  
صدحت على أفنان البلاغة \* سواجعه وعذبت فى موارد المحبة الصديقية مناهله ومشارعه  
ولطفت فى كل معنى من المعانى أسالبه ومنازعه وتالفت على الاجادة فى كل مقصد  
من المقاصد مواصلة العلبة ومقاطعه وأينعت بأزهار المعارف الربانية اباطحه الفيحاء  
واجارعه ومعها المنظومات التى سجت بالحكم ديبها ورسى فى البلاغة قلمها وربى فى  
منبت المواهب الربانية يراعها الفصيح وقلمها فحل من نفوسنا موقعها العجيب محلا من  
دونه الشريا فى مطلعها والبلور ليلة تمامها اعجابا بها وتنويها بمهدىها وابتهاجا  
بالخوارق التى أطلق الله على لسان مبدئها والى هذا فيحيط بعلمكم أن هذا المقام العلى

ص 159

مقام تنفق فيه على الدوام ان شاء الله سوق بضائعكم وتنموا فيه مع الايام سعود مطالعكم  
وتسموا فيه على كل مقام مقاماتكم وتستوضح فيه على المحبة الصحيحة اماراتكم الواضحة  
وعلاماتكم فعلى هذا تعقد منكم الخناصر وتشد الاواخي والاواصر بعز الله ومنه ثم  
مما نستطرد لكم ذكره على جهة البشرى واهداء المسرة الكبرى اعلامكم ان عدو الدين  
طاغية قستالة الذي هو اليوم العدو الاكبر للاسلام وعميد ملل التثليت وعبدة الاصنام  
لما انس من تلقاء جنابنا العالى نار العزم تلتهب التهابا وبحر الاحتفال تضطرب امواجه  
الزاخرة بكل عدد وعدة اضطرابا وهمنا الشريفة قد همت بتجديد الاسطول  
والاستكثار من المراكب المتكلفة للجهاد ان شاء الله بقضاء كل دين مهطول وعلم أن  
الحديث اليه يساق والى أرضه بالخسف والتدبير بحول الله يهفوا كل لواء خفاق رام  
خذله الله مكافاتنا على ذلك بما أمل أن يفت فى عضدنا الاقوى وعزمنا الذى بعناية الله  
يزداد ويقوى فرمى بمخدول من أبناء أختنا عبد الله كان ربي لديه وطوحت به الطوائح  
منذ ثمانية عشر عاما الى مليلة احد ثغوره المصاغبة لغرب ممالكنا الشريفة التى الى  
كفالة ولدنا وولى عهدنا كافل الامة ان شاء الله من بعدنا الامير الاجل الارضى صارم  
العزم المنتصر وحسام الدين الامضى الامير أبى عبد الله محمد الشيخ المامون بالله وصل  
الله لركائبه الظافرة التاييد والظهور والعز الذى يستخدم الايام والدهور فالتف عليه  
من باباطيله الواهية البناء من أوباش العامة والغوغاء ومن قضى له من اجناد تلك الناحية  
بالشقاء جموع تكاثر الرمل وتفوت الحصى والنمل لاح بها للشقى خلب بارق اكذب  
منيته فصمم نحوه ولدنا اعزه الله تعالى بجنود الله التى اليه وبعساكر تلك الممالك  
التى القينا زمام تدبيرها فى يديه \* فما راع الشقى الا انقضاضه عليه من جوه انقضاض  
الاجدل وتصميمه اليه بعزائم تلك الطود وتفلق الصخر والجنبد فاستولى عليه بحمد  
الله للحين وعلى جموعه الاشقياء فى يوم أغر مجبل وساعة انزل الله فيها على الخوارج  
المارقين العذاب المعجل فاستأصلتهم الشفار وحصلت هشيمهم المصدح السنة النار وقبض  
على الشقى فى يوم كان شفاء للصدور ومنتزها لحملة السيوف وربات الخلدور  
وأحرز الله تعالى فخر هذا الفتح العظيم والمن الجسم لولدنا اعزه الله تعالى فى  
خاصة أجناده ونهض وحده بأعبائه ونحن على سرير ملكنا وادعون مطمئنون فلم يحتج الى  
انجاده من قبلنا ولا امداده والعاقبة للمتقين والحمد لله حمد الشاكرين وعرفناكم لتأخلوا  
بحظكم من السرور بهذه البشرى التى أسرت الاسلام وأسأت بحمد الله عبدة الاوثان  
والاصنام وتعلموا مع ذلك ما عليه الاحوال اليوم بحول الله لدينا من خفق رايات العزم  
وشحذ اراء الحزم واعمال عوامل الحزم الى مجازاة عدو الدين ان شاء الله على فعلته  
التى عادت عليه أسفا ولهها واعادة ما كان أسلف من ذلك ان شاء الله بالمكيال الاوفى

ص 160

وقدمنا اليكم التعريف لتملونا ان شاء الله بادعيتكم الصالحة أوقات الاجابة وتحرصوا على التماسها لنا هناك وبالحرمين الشريفين من كل ذى خشوع وانابة ان يويدنا الله على عدو الدين بفضلته وينجز لنا وعده الصادق فى اظهار دين الحق على الدين كله وسهل علينا بفضلته ومعونته أسباب فتح الاندلس وتجديد رسوم الايمان بها واحياء اطلاله الدرس حتى ينطلق لسان الاذان فى أرضها بكلمة الله التى طالما سكت عنها بلدائه وخرس وشرق بريقه فغص واحتبس فييده الحول والقوة وعنايته العناية المرجوة ثم نوصيكم بحسن الوقوف لاصحابنا فيما يشتري من الكتب العلمية برسم خزانتنا الكريمة الامامية العلية ثم الاتحاف بديوان الشيخ والدكم التماسا لجميل بركاته وتمسكا بما سبق من الاجازة العامة وسائر منظوماته وموضوعاته ومروياته وهذا موجب اليكم وسلام الاثر معاد عليكم ورحمت الله وبركاته فى ربيع النبوى عام خمسة وألف (1)

### ذكر الايفاع بعرب الغرب أهل النكت والانحراف

قدمنا ما كان من استلاب هولاء القبائل من ميزة الجندية التى كان البسهام اياها أمير المؤمنين وأخوه المعتصم عن الزحف تحت راياتهم الى مراکش وما كان من انتزاع \* الخيل منهم على يد القائد بن بجة ومحمد بن سليمان وردهم الى الاثارة التى دربوا عليها من لدن اسخطتهم السولة فى أيام الامام رضى الله عنه على الانحراف الى الاعور بوحسون واستنزاهم من رتبة الخدمة الى الانخراط فى سلك الرعايا الفارمة فانطوا لذلك على الضغن للدولة من حينئذ وتربصوا بها الدوائر الى أن كان ما ذكرنا من ظهور الناصر وهبوب ريجه الراكدة فاعتنموها وحسبوا فرصة أتاحت لهم للافساد على الدولة فانبعثت ضفائهم من مكائنها وكشفوا وجوههم فى الانحراف والخلاف وتسايلت رجالهم الى الناصر واكبوا على شراء الخيل والعدة والاستكثار منها وتشاغل عنهم أمير المؤمنين وولى العهد أيدهم الله حين صرفوا العزائم الى العدو فما فرغوا من حسم دائه واقتلاع جرثومة بفيه حتى غلظت شوكة هولاء القبائل وتكاثرت خيلهم وتجاوزت حد الاحصاء جموعهم لتراجع خارجهم المفرق على البلاد من ضغط المغارم وهبوبهم الى اوطانهم من كل اوب وصوب حتى ضاق عنهم نطاق الوطن وتراكمت حللهم السود تراكم السحاب المرزم فانبسطت فى ازغار وارخت على جوانبه سول ليلها البهيم من سفح جبل لطة الى البحر والى سلا فغطت السهل والحزن وملات الشعب والاوادية وحضر معهم مع الناصرين من خفت نهضته من جموعهم القريبة من فاس وشغل الآخرون من يليهم من الاجناد التى نقلها مولانا أمير المؤمنين من عرب مراکش والسوس انصار السولة الى

(1) ربيع الاول 1005 يوافق نوفمبر 1596

أوطانهم وأنزلهم بين أظهرهم ضغطا لهم وحذارا منهم من مثل هذه عن الحضور مع  
ولى العهد لينقصوه حصتهم ويزيد بمثلها فى العدو فكانت بينهم حروب مدة أيام نهوض  
ولى العهد بالعساكر لجبل بنى يزناسن ورجوعه لفاس الى حين الايقاع بالناصر  
وأضرموا الاوطان وراءه نارا وفتنة فاسفوه بذلك أيدهم الله واحفظوه فجهز اليهم  
العساكر اثر الايقاع بالناصر مع القائد أبى محمد عبد المومن بن ملوك ثم حدث له ما  
استدعى اليه القائد أبا محمد المذكور من الامور التى لا يطلع عليها الا خاصة مثله فبعث  
عنه وأمر العساكر بالاقامة بمحلتها وبمكانها حتى يعود فبعثه سفيرا الى أمير المومنين  
أيدهم الله فى شأن ما عرض لهم من المصالح المهمة فزددت بذلك قبائل الانحراف جرأة  
وأوهمتهم أنفسهم فى استدعاء القائد أبى محمد والاخذ بحجزة العساكر عن الزيادة  
اليهم وقبض عنانهم عن الاجلاب ما لا يطيقون فتداعت جموعهم الى الزحف تجاه قبائل  
مراكش والسوس انصار الدولة الذين جاذبوهم الوطن وفغروا أفواههم لالتهامهم  
فجندوا جنودهم وتدافعت حللهم المائجة بسواد لا يحصى فكاثروا العرب \* انصار  
الدولة وشمروهم عن البلاد التى أقطعوهم وادى بهت فاستندوا الى سلا وبلغ الخبر  
الى أمير المومنين بمراكش فاستشاط غضبا على أهل الانحراف وجردهم عسكرا ضخما من  
عساكر النار رجلا وخيلا من جنود مراكش مساعير الحرب الذين ظالموا اصطلموا  
بجمرها وعززهم بجيوش جرارة من أهل الاسل وعقد على الجميع للشهم البهمة القائد  
أبى عبد الله بن بجة فارتحل بهم يطوى المراحل وأفئدتهم تلتهب حنقا على الاعداء  
الناكثين وعهد أمير المومنين الى ابن بجة أن لا يبقى منهم ولا يدر قلما اطلت رايات  
عساكر مراكش اسود الحفائظ المبتزين لتيجان الاملاك على سواد الاشقياء الناكثين  
وقد كانوا جندوا الاجناد وكتبوا الكتاب وتجاوزت جموعهم حد الاحصاء ويقال كانوا  
زهاء ثمانين ألفا عشرين خيلا وستين رجلا وأعجبتهم كثرتهم فلم تفن عنهم شيئا أجفلوا  
أمام الرايات اجفال الرئال امام اساد الفيل وقوضت حللهم تقويض اليل البهيم وانبتت  
فى البسائط تبغى النجاء ولات حين نجاء فركبتهم العساكر ولصقوهم لصق الزرورة  
للغارب فأمطرت عليهم السماء بموارج النيران وشهب الرجم وانقضت عليهم الخيل انقراض  
الجوارح على الكراكى وأوغلوا فى اتباعهم مستلين لارواح ومكتسحين للسرح  
ومنتسفين للزرع ومدمرين للوطن ولاذ الاشقياء بالاذعان وطلب الابقاء فسدت العساكر  
فى وجوههم الثنايا والفجاج وجثموا على أنوفهم واقتعدوا لتف راياشهم فتبعوا الخيل  
أولا فأرجلوه عنها ذكرانا وانانا فاستيقوا للحضرة اسرابا اسرابا فقصت بهم الحضرة  
وساحتها وضاعت بهم مرأبظ الملك ومزارع السلطان وأفنا منهم الموت وبعث منهم الى  
ممالك السودان وتوزعتهم ايدى التفريق على الاجناد ثم طالبتهم العساكر بالناض فنفضوا

منها أكياسهم نفض الجراب ثم اكتسحوا الاموال والانعام ورضوا الازودة من الطعام ثم استلبوهم من الحلال والحرام وطووا البيوت والخيام فكانت هي الباقية على الاشقياء فانتبلوا بالعراء حفاة عراة جياعا كأنهم سكارى من رجة الصعق ثم انفتوا في البلاد متفرقين في سبيل السقاية والرعاية والحراثة بالخمس يتكفون الناس وأقر منهم الوطن فلا تلقى به اليوم منهم انيسا ولا تسمع رغاء ولا صهلا الا وعوة الذياب في الاودية والشعاب وأصبحت مساكنهم خاوية على عروشها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وكان من سر الله تعالى ومن أعظم الايات الدالة على عنايته بهذه الدولة الشريفة النبوية أن طوائف من هؤلاء الاشقياء كانوا عند تشتيت \* شمل قبائلهم وتفرقهم على البلاد أيادى سبا الى وطن تامسنا لخصبها يعالجون المعاش وينتعشون بالحراثة فلما جاء الصيف أرسل الله عليهم نارا استاصلتهم بالحريق ورعت زروعانهم رعى الهشيم فكانت تطلبهم في بطن الارض لالقاء انفسهم في الطامير فتفيض انفسهم من لهيبها وتتبعهم يتخطفهم لسانها من بين من جاورهم يمينا وشمالا حتى اذا استأصلت جوبهم وافنت كثيرهم اطفأها الله من عنده فلم تعد على أحد سواهم على افراط خصب الوطن وكثرة من ضم من شعوب وقبائل وعجل الله لهم عذاب النار في الدنيا ايذانا بعذاب الآخرة فكان خارقا عظيما أظهر الله به صنعه لهذه الدولة الشريفة فيمن شقى بعصيانها وسعى في خذلانها وضرب به مثالا لاولى الابصار

س 163

(أوضاع أوروبا الغربية في السنوات الاخيرة من القرن السادس عشر) (1)

فأظلم (2) الجو بالفتن على طاغية قشتالة منذ نزوله عليه وتهالكت في مشاقته ملوك الامم النصرانية فكان أشدهم تكالبا عليه وأكثرهم جراً على الاجلاب على ممالكه والتضييق عليه والاخذ بمخنقه ايزييل (3) سلطانة ممالك بلاد نكلطيرة لاغراء مولانا أمير المومنين اياها بمناواته وشجع غزائمها على عداوته ومظاهرتها على مغالبتها بما أمدها به من النحاس لتفريغ مدافع النار واطلاق ملح اليارود لها بالشراء من ممالكه الشريفة وامدادها بالمعادن التي اعوزتها ببلادها فنصبها أيده الله في وجه علو الدين وقبض له منها أيده الله بمقتضى حزمه وواسع تدبيره وشدة احتياظه شاملا يشغله تفرغا واستجماعا الى ما كان أيده الله صرف اليه وجه غزائمه الماضية من تجهيز العساكر

(1) اقتضى ترتيب المعلومات وتنظيمها وضع هذا العنوان، وللإشارة الى الاحداث التاريخية الهامة التي تضمنها المخطوط والتعلقة بأوروبا الغربية في أواخر القرن السادس عشر مما يندر وجوده في مصاليد أوربية معاصرة .

(2) الانتقال الى صفحة 134 .

(3) ايليزابيت ملكة بريطانيا ( 1557 - 1603 )

الى بلاد السودان التي فتح ممالكها وملك ارضها فتم له ايده الله في ذلك تدبيره وكمل في نكاية عدو الدين مراده وقصده واغترت صاحبة بلاد نكلطيرة بمظاهرتة \* وطاوعته على ما اغراها به وتوكلات على منساة الاسناد الى عالي جنبه والاعتضاد بعظيم سلطانه والاستمداد من شريف ايالته وضخامة ممالكه وقاومت بذلك الطاغية على ضيق خطتها فسمرت لمساقته ومضايقته فنازلت اولا بعساكرها الاشبونة(1) قاعدة بلاد برتقال من ممالكه ثم رام مناهضتها واحتفل في تجهيز الاسطول لئنازلتها فأوقعت به اساطيلها وارتد على اعقابه مفلولا فازدادت بذلك جرأة عليه وبالغت في الاحتفال له فملأت عليه البحر اساطيلها وجرت عليه هزائم واتيح لها عليه الظهور واوغلت في مضايقته حتى هجمت اساطيلها على أسطوله بهرسي قادس(2) من سواحله فالت منه سبيا وتغريقا وملكت عليه البحر اجمع فكادت اساطيلها تقطع عنه منافع الهند ومجاييه وعطلت على بلاده مراقق البحر والتجر وضاق منها مخنقه الى اليوم ثم ساجلها الافرنج في الانتفاض عليه والمجاهرة بمساقته والاجلاب على ما يليهم من اطرافه وممالكه وذلك أن ملك الافرنج كان في القديم من اصغم الدول وافخم الممالك واوسع الايالات خطبة واعمالا ثم رجع القهقري شيئا فشيئا حتى ضاق نطاقه وتوزعت ممالكه فغلب على بعضها طاغية قشتالة عند ركود ربح الدولة الافرنجية وتفاقر قدرتها بالضعف العارض للدول عند هرمها ووافق ذلك ما كان من تحويل جمهور أهل تلك الممالك الى الدين العادث في الامم النصرانية المعروف بالانريان(3) فكان ذلك اعون على خذلان ملك الافرنج لاطباق رعاياه على الانتقال لهذا الدين فصمم هو على دينه الاول ورام رعاياه يسوقهم بعصى القهر الى دينه فاستعصى عليه شأنهم فتجافى عنهم وتركهم ودينهم مداجاة وهوادة وليس له مع ذلك وارث يرث ملكه ذكرا والبنات لا يرثن الملك في دينهم كما يرثن عند غيرهم من النصراري فلم يكن اقرب اليه واحق بآرثه من ابن عم له سلطان اهل نبارة(4) الوارث لملكهم من طريق الخؤولة وكانوا كلهم على دين

(1) قامت القوات البريطانية اثر انهزام الاسبان في الارمادا بعملات عسكرية بحرية ضد لشبونة خلال ماي - يونيه 1589 ولكنها فشلت ، وتشير الوثائق الانجليزية المعاصرة بان فشل الحملة يرجع الى تراجع المنصور عن تقديم المساعدات التي وعد بها والواقع هو أن المنصور قد استغل الصراع الاسباني - الانجليزي للضغط على خصمه فيليب الثاني ملك اسبانيا الذي اشترى حياض المنصور بالتخل عن مدينة أصيلا يوم 13 سبتمبر 1589 . ومن الجدير بالذكر هو أن بالوثائق المغربية رسالة للمنصور تتضمن معلومات هامة وقيمة عن معركة الارمادا البحرية التي جرت بين الاسبان والانجليز صيف 1588 .

(2) تم احتلال الانجليز لمدينة قادس خلال يوليو 1596 وما اورده الفشتال من معلومات قيمة عن المضاعفات الخطيرة التي ترتبت عن احتلال قادس يدل على سعة الفؤرخنا ومدى اطلاعه على مختلف الاحداث والتطورات المعاصرة .

(3) يعني الحركة اللوترية نسبة الى مارتن لوتر زعيم المذهب البروتستانتى

(4) يقصد امارة Navarre الفرنسية



لاتريان فطمع لذلك طاغية قشتالة في ملك الافرنج لانقطاع وارثه وتحول دين اهله  
فاعتمل في التصريب بين سلطانهم وقومه واغرى بعض اهل بارس قاعدة ملكهم بالفتك  
به فاستحكمت النفرة بينهم وبين سلطانهم وتوجس في نفسه من ذلك فانتقل عن بارس  
الى روان (1) احدى ممالكه ووصل يده بيد ابيه عمه صاحب نبارة (2) ثم عاود باريس  
منازلا لها قدس اليه اولياء طاغية قشتالة من اهلهما بالفدر على يد قسيس قطعنه ثم غالبه  
السلطان المطعون على سلاحه فقتله به في الحين ثم هلك هو من طعنته فصار بسبب  
ذلك لصاحب قشتالة من مملكة افرانصة برطانية ويرجوم (3) والبعض من نبارة  
وصارت باريس بعد خروج صاحب افرانصة برطانية ليجيه (4) ومعناه جماعة تدير الامر  
وصاحب قشتالة معهم في تلك الليجه كأحد تلك الجماعة وكان يدهم بجيشه الذي  
بافلانفس (5) ثم ملك صاحب نبارة ابن عم السلطان الهالك بارس واتصل أهل افرانصة  
وانضم بعض الى بعض فقويت شوكتهم واستفحل امرهم وتعاضمت صولتهم فسمت  
همهم الى استرجاع ممالكهم ومعاودة سلطانهم وشمروا لمغالبة طاغية قشتالة على ما يليهم من  
ممالكه فصمدت عساكرهم الى بارس فنازلوها واجلبوا على أعماله وممالكه وزاحموه  
بالمناكب ولاحت لهم بوارق الظهور عليه فتهاكوا لهذا العهد (6) في مضايقته ووقفوا له  
بمدارج النفس فضاق منهم مخنقه وتكالبوا عليه مع صاحب بلاد نكلطيرة كل من جهته  
ثم عززوا بثالث الاتاقى من أهل فلنفس (7) وهم أهل مملكة الطاغية القديمة التي منها  
أصله وقد انتقضوا عليه وصاروا عليه البامع الافرنج وأهل بلاد نكلطيرة فاضرموا  
عليه جهات ممالكه نارا وفتنه وصلى بنار حروبهم برا وبحرا فظهروا عليه ظهورا  
أطمعتهم في انتشار سلكه ومقاسمته في ملكه وفي هذا التاريخ صمد اليه اسطول سلطنة  
بلاد نكلطيرة في مائتى مركب ونيف مشحونة بجيوش وافرة وعساكر النار على احتفال  
عظيم يقدمها دون كسطوبان (8) الذى كان اوفده على امير المومنين والده دون انطون  
سلطان برتقال النازع الى بلاد نكلطيرة عند تغلب طاغية قشتالة على الاشبونة حسبما  
قدمنا وطارت لنوى زحفها طيارات الطاغية واغربته الناعقة وتصاعدت من النعر الى  
اوكارها مشرقة ومفرجة حذارا من انقضاض الفتح الكواسر عليها من مراكب اهل نكلطيرة

ص 136

(1) مدينة Rouen الفرنسية

(2) يقصد Heuri de Navarre

(3) يقصد

(4) يقصد بكلمة ليجيه La ligne

(5) يقصد Flandres

(6) يعنى عام 1596

(7) يقصد ثورة الاراضى المنخفضة.

(8) Don Gristophe بن Don Antonio المطالب بالعرش البرتقالى

المائلة لعظمتها وجفانها على تيج الموج كالمعاقل الحصينة فاجابت على مدينة قادس من مدن سواحل قشتالة وهي الباب الاعظم الى ممالك الطاغية ومثوى التجائر الثقيلة من بلاده ومحط رحال الاموال الطائلة من ارضه ومرسى اسطوله وفرضة المجاز الى ممالكه والعقيلة المائلة على كرسيتها في بحر الزقاق انفة وعزة وتحصينا فافتض عذرتها اسطول الانكليز واستباحوا حماها وكانت اغربة الطاغية الاندلسية واسطوله المعد لسفر الهند جائزة عليها ومحامية دونها فأوجف عليها اسطول الانكليز ولم يكن لا من قبل بهدافته فأوقع بها وكانت فيما زعموا خمس مراكب للطاغية مشحونة بالاهوال يقال فيها من السلع النافقة بارض الهند النامية الارباح يساوى المئين من الالاف فاتيح للانكليز الاستيلاء عليها والظفر بها واكتسحوا الاساطيل ثم اضرموا أعوادها نارا فاتي عليها التدمير تغريقا وتحريقا ثم اقتحموا المدينة عنوة واستولوا عليها بالسيف غلبا وقهرا فاستباحوها \* واطلقوا أيدي العيث فيها فحصلوا من أموالها الطائلة وذخائرها المستبحرة وتجارها الثقيلة على ما لا يضبطه قلم حاسب ولاذ التجار من أهلها وأكابرها وحاميتها بقصبتها فاحاطت العساكر ونصبوا عليها مدافع النار وشاهدوا الموت الاحمر فالقوا باليد واستأمنوا وطلبوا الابقاء على مال بداره فداء يقال انه مائة وأربعون الف دقة ويقال مائتان وبعثوا الى قومهم بشبيلية فأعطوها عن يد فاخرج عنهم عساكر الانجليز فخرجوا متسايلين الى ارضهم ناجين بانفسهم من بين الناب والظفر ومقتنمين الابقاء عليهم واجتمعت على المدينة العساكر وسائر عمارة الاسطول وتهالكوا في تخريبها واضرموا بيوتها نارا فاصرعوها الى الارض والصقوا مبانيها وقصورها بالرغام فأصبحت اطلالا دارسة كان لم تغن بالامس واقاموا عليها ستة عشر يوما منادين هل من مبارز فأعطاهم الطاغية الاذن الصماء وقد عظمت فيه النكاية وحلت به المصيبة وقد تصاعد أسطول الانكليز لهذا العهد من بعد تخريب قادس مع بحر الزقاق للعيث في سواحل الطاغية وتدمير ارضه والاجلاب على ممالكه والتضييق عليه والمبالغة في نكايته وهو متظامن لصولتهم ومستكين لا يثبس له عرق بحركة ولا يختلج منه خافية ولا قادمة لنهوض ولا مدافعة والبسته هذه المعرة الشنعاء الدل والصغار وجللته الهوان عند الملوك اضداده فاطمعتهم فيه وفغروا أفواههم من كل جانب الى التهامه مكن الله منه بعنايته وعزته حزب الاسلام وجعل ملكه نهبه سيوف مولانا الامام

ص 137

وما زال (1) ايده الله تتوالى بها نزواته على أرض الكفر وطواغيث الشرك فتقتاد

(1) الانتقال الى صفحة 303 حيث يشير الفشتالي الى عزم المنصور على استرداد الاندلس وما قام به من محاولات لاستقلال الصراع القائم بين الاسبان من جهة والانجليز والفرنسيين والهولنديين من جهة اخرى وكيف أن الاسطول المغربي قد أصبح قوة يفتشى بأسها في الدفاع والهجوم ، وقد قام الاسطول المغربي بهجمات على جزر كناريا وأحرز انتصارات عديدة بها كما يؤكد ذلك الفشتالي .

السبى والانفال ولا كالجزائر الخالدات التي ضرسها بانباها واضحت مشمرات اليد بما تستاق كل عام من سبيها المغرب بالظباء والعفر من نساها العربيات الاصل والخلق يسجن الاذبال ويمشين مشى قفا البطاح تأؤد ارهب الحصور رواج الاكفال وهو اليوم ايده الله لهذا العهد بصدد الاكثار من الاساطيل رغبة في الجهاد والاستظهار على عدو الدين قوى الاسر بحمد الله وافر العدد والمدد مراش الجناح بما اتيح لسيوفه المظفرة من الاستيلاء على الممالك السودانية المعينة بخراجها المستبحر ومعادن الذهب على التوسع فى الانفاق الذى لا يخشى عيلة ولا فقرا وبالسواد الاعظم المستاق من رقيقها على تسخير المجاذيف الثقيلة بالاساطيل كاجنحة الطير خفقانا وسرعة وطيرانا كمل الله تعالى قصده وانجز وعده فانه احد وجوه الحيل التى كان بنى ايده الله على اساسها الوثيق نيته الصالحة عند انبعاث عزيزته على تجهيز العساكر لبلاد السودان فى تلك داه ونصر لوائه ان يجيب فى هله نداءه ويشحد عزائمه الماضية واره حتى يبلغ امل الاسلام فى الجهاد ويفتح من ارض الاندلس من اقصى البلاد والافطار البعاد بعزته وقدرته

واذ(1) جرت بنا جياذ الاقلام فى ميادين التقييد الى هذا المدى البعيد عن دولة مولانا الخليفة حامى بيضة الاسلام امام الامة كافل الملة تاج الخلافة مركز دائرة الامامة مولانا \* الامام المجاهد ابى العباس المنصور بالله امير المؤمنين ايده الله فقد ان لنا أن نختم هذا السفر بمئاثره الشريفة المنيفة التى وعدنا اول الكتاب بسوقها الى أن يسنى الله تعالى بفضله على يده من الفتوح والظفر الممنوح ما يستفتح به ان شاء الله سفرا اخر متصل موصول الاخبار المتقدمة بصلة من اخباره الحسان وعائدة من مئاثره الكريمة الباقية مع الايام وبالله نستعين وبجبل عضده نعتمص واياه نستغفر من زلل القول والعمل انه هو الغفور الرحيم .

ص 170

### ( الناحية الادارية ) (2)

واما(3) العدل الذى قوام الملك ونظامه فقد اجمع أنه مارى من ملوك العصر اعدل منه ايده الله وما فى الارض اليوم مملكة جارية على حكم طريق العدل وقوانين الشرع ومناهيج السنة احسن من مملكته ولا سلطان اعدل من سلطانه ولا وطن اكثر رحمة واسلم اعتقادا واوضح ملهبا وامتن ديننا واكثر لاهل الخير والصالح جمعوا وابعد عن البدع والمناكر نزاهة واعتصاما اجمل من وطنه المبارك واياته الكريمة الامامية وهلا بحيث يعترف

(1) الانتقال الى صفحة 169 .

تبدا من هنا دراسة المظاهر الحضارية فى عهد المنصور .

(2) اقتضى امر تنظيم المعلومات الحضارية فى عهد المنصور وضع هذا العنوان الخاص .

(3) الانتقال الى ص 193 .

به الصديق والعدو ولا يجحده منصف والمكابر منقبة خص الله بها هذه الايالة النبوية والامامة الكريمة الحسينية ليدل بها على شرف النجر وكرم المحتد وطهارة الاغراق ولما ورد أن الخلافة انما خص بها من يشاء وشرعها فيهم لتكونهم مجبولين على العدل الذى هو اقبح الرذائل حسبما نص على ذلك ائمة المذهب وعلماء السنة وقد صدق فى ذلك الخبر الخبر لما شاهدنا من سير الخلفاء رضوان الله عليهم ومعدلتهم فى رعاياهم واماننا ايده الله اجراهم فى ذلك على سنن والده الامام رضى الله عنه الذى هو واسطة عقدهم والقطب الذى عليه مدار فلکهم ولذلك كثيرا ما نراه ايده الله يؤثر سيرته الحميدة ويجهد نفسه فى سلوك طريقه القويمة وجادته المستقيمة ويمضى رسومه الكريمة على الاطلاق ويامر لى انا عبده ومن خصه من كتاب الانشاء ببابه العالى بكتب ما يجد بعلمته الكريمة من رسوم اسلافه الكرام والاوامر القديمة بالتجدد على كل ما يرفع الينا من كتبه رضى الله عنه على الاطلاق من توقف ولا اعمال نظر فى مضمونها ايثارا منه ايده الله للعدل وعلما منه بأن الامام رضى الله عنه فى ذلك ثالث العمرين وفاروق زمانه بلامين ومثائر امير المؤمنين ايده الله فى ذلك يضيق عنها حجم الكتاب خصوصا ما يرجع الى المحافظة على حدود التشريعة فلقد كان \* ايده الله فى ذلك صلب العود قوى الشكيمة أشد الخلفاء اتقيادا للشرع منصفا حتى من نفسه فيما يتوقف عليه حكم الله ومن اغرب ما يحكى فى ذلك من مثائره ايده الله على حسن معدلته ايده الله وشرف انصافه قضية البغل وكان من خبرها ان رجال قائد رواء امير المؤمنين والقيم على مراكب الخلافة العلية عثروا على بغل عليه سمة دواب امير المؤمنين التى تمتاز بها فرفعوه الى قائد الرواء وادعى الرجل ملكيته فترافعا الى قاضى الجماعة الشيخ الفقيه العلامة الاوحد ابى الفضل قاسم بن على الشاطبى فى يوم القعود للفصل بالمحكمة من ديوان الخلافة العلية فادى قائد الروى بدعواه محتجا سمة لامير المؤمنين التى على البغل فعارضه الرجل فدعى الملكية وطالبه القاضى بالبينة فلم يحضرها فاستفهم حينئذ قائد الرواء عن البغل أنه امير المؤمنين فقال بلى هو لامير المؤمنين فقال اذن يحلف امير المؤمنين على بغله يمين الاستحقاق وحدثنى القاضى ابو القاسم هذا أنه لما رفع القضية لامير المؤمنين وعرفه بتوجيه اليمين عليه سر ايده الله وامر من حينه باسلام البغل الى الرجل من غير أن يبلو عليه شيء من تخليل الانقباض للحكم عليه ولا لاحت عليه شواهد الاتفة التى تلحق جبايرة الملوك الذين لا يميزون حقا من باطل وحاليا من عاقل من عاقل والولد سر ابيه فقد روى ان امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه تحاكم مع رجل فى حدود أرض كانت بينهما الى القاضى شريح رحمه الله فانكر الامام رضى الله عنه ما ادعاه خصمه فقال شريح لمدعى الك بيئة فقال لا فقال لعل كرم الله وجهه اذن تلزمك اليمين على يمين على نفى

ص 194

دعواه فقال علي رضي الله عنه الحمد لله الذي ارانى من امة محمد صلى الله عليه وسلم من يقضى مساكينها على خلفائها فكانت هذه المنقبة الجليلة التي لمولانا الامام امير المؤمنين ايده الله بها الاسوة الحسنة بجدته الامام علي كرم الله وجهه اعظم منقبة تروى واية تتلى وماثورة على منصة الاشتهار تجلى ومن مشهور مآثره في العدل أيضا ايده الله غلظته على جبابرة العمال المشهورين بالحيف وارتكاب الجور وموالاة تكلمه عليهم وشموكهم بأنواع العذاب والانتقام وقذفهم في السجون والمطابق مقرنين في الاصفاد ومصادرتهم وغلق أبواب الشفاعة دونهم حتى يهلكوا تحت العذاب أو يصيروا بتوالى الاحقاب ونسج عناكب النسيان عليهم في عداد الاموات كما فعل ايده الله وأجزل مثوبته بأصحاب صاحب الشرطة بالحضرة عند أمير المؤمنين وكان رجلا منبوزا عند الناس بارتكاب الجور والحيف وقساوة القلب واستحلال أموال الرعايا بالنهب لا يرقب في موطن الا ولا ذمة حتى شهر بذلك وجلب اليه مقتا \* أوجب منابزته واطراحه وأقعد به عن الاستعمال في الخطط الى هلم وكان آخر الاعمال التي أوبقته وبارت صفقته وجلبت لسوقه الكساد وكسسته مذلة العز أن أمير المؤمنين ايده الله كان سرحه في عام ثلاثة وتسعين من معسكره بتانسيقت في الاجناد مع مولاه قائد الموالى الملعوجي من عساكر النار بحضرته محمود بن على زرقون لاستيصال شافة أهل الدعارة والفساد بدكالة وبلاد حاحة وتمهيد السبل وانتزاع خيل العرب وتدويخ المنحرفين عن الطاعة وجعل أمر الجيش لمولاه والنظر في أمور الرعايا لداود بن على فأساء السيرة وأطلق على الرعايا من عماله النار الموقدة واستباحهم بالنهب ولما قفل للحضرة تعلق باذياله أصحاب الظلمات واجتمع منهم عالم كبير فقصت بهم أبواب قصور الخلافة وأقنية دور الملك وشوارع الحضرة وارتفع للسماء ضجيجهم ضارعين شاكين فامتعض لذلك أمير المؤمنين ايده الله واشتد غضبه لما وقد في صدره من الشفقة على رعاياه فأمر بداود فأحضر بين يديه وقرعه بالتوبيخ والملامة فتنصل من العهدة وبرأ منها الى العمال المباشرين للرعايا فالزمه أمير المؤمنين باحضارهم فجاء بهم كافة قتل بهم الى السجن فنظمت في أعناقهم السلاسل والاغلال وضربت على أرجلهم القيود ثم جلس أمير المؤمنين ايده الله لسماع شكايا الرعايا وأذن لهم في رفع ظلاماتهم فكان يوتى بالعمال أيام قعوده للفصل مقرنين في الاصفاد حتى تقضى منهم حقوق الرعايا بمجلس الحكم فيعودوا الى محبسهم واستمر الامر على ذلك أياما عديدة يباشر أمير المؤمنين ايده الله النقص والابرام بنفسه احتسابا لله ووفاء لحقه في عباده الذين امترعاهم له وجعل اليه كفالتهم حتى استوعب ايده الله المنظر في أمور أهل الظلمات وانصفت الحقوق وردت المظالم وجبرت القلوب فارتفعت الاصوات وامتدت الاكف بالدعاء له والضراعة الى الله في استدامة أيامه وكريم امامته ووارف ظل

عدله ثم شفع ذلك أمير المؤمنين فاسقط على كافة من استعمل عليه داوود عماله من الرعايا تطهيراً لولته من إثمهم وتكفيراً لذنب استعمالهم متقالاً عن كل نائبة فاعتاض لهم أمير المؤمنين من عنده ودفع لهم خراجها من بيت ماله وكان الواجب في ذلك أموالاً عريضة فارتفع بذلك النداء بكل مصر وفى كل أرض بإسقاط ذلك تخفيفاً ورحمة فانطلقت ألسنة الشكر وارتفعت إلى الله الكلمات الطيبات الذكر داعية لأمير المؤمنين بما نرجوا الله أن يطرز به صحيفة أعماله وبره ثم جعل أيده الله فئة العمال وديعة السجون ورهينة القيود فضرب عليهم بسور من الإهمال والأعراض \* لا تخترقه شفاعة حتى هلك جلهم تحت عذاب السجون ومحنة الثقاف إلى أمثال أمثال هؤلاء ممن يشق حصاه من جابرة العمال وقسات القلوب اللين استصفيت أموالهم واصطلت نعمتهم وغودرت ديارهم بلاقع واودعوا بطن الرمس من طول الثقاف ونوالى السجن أراحة للبلاد والعباد من سوء ملكتهم نفعه الله وأثابه على صالح نيته ومن مناقبه الجليلة التي اشتهر منها أيده الله فضله ووسع الوري عدله الزامه العمال غرم ما تحلف عليه الرعايا انهم جاروا عليهم فيه وانتهبوه منهم حيفا من غير احتياج إلى إقامة بينة احتياطاً منه أيده الله على الرعايا وكسرا لشوكة العمال جارياً في ذلك على ما ذكر صاحب المازونية في قضية الفقيه الامام الصالح عبد الرحمن المعروف بشبظون بفتح الشين والباء الموحدة الاندلسى وعلى ما ذكره أيضاً الامام العالم أبو العباس أحمد ابن يحيى الوثرىسى في القضية نفسها في كتاب الفائق له رحمه الله وعلى ما استحسنته امام المذهب مالك بن أنس رضى الله عنه فجراه عن الاسلام والمسلمين خيراً وكان أيضاً أيده الله قد سوغ للقاضي توجيه الحكم على من يتعين عليه حق في داره الكريمة وكيم شاهدنا من اماء استاقها عمال الخراج هدايا لداره العلية فاذا قام من الرعايا من يدلى بحق في بعضها ولو بعد حين أمر أيده الله باخراجها من قصره لدار القاضى حتى تستحق وربما وجه القاضى في ذلك من عنده من غير مشورته ثقة بما يعلم من عدله إلى قائد القصر وكبير الموالى العبدى بأبواب دور الخلافة عبر الخصى فيامره باخراج من يتعين فيه من رقيق دار الخلافة فيمثل أمره عملاً على ما تقدم من اشارة أمير المؤمنين أيده الله ولو بسطت الكلام في هذا الباب لاستقل منه تأليف وحده بعدله أيده الله الذى جدد به اثار من مضى من الائمة الخلفاء أشهر بحيث لا يخفى واما سيرته الكريمة أيده الله فى ملكه ورعاياه وخروجه ودخوله وجلوسه وركوبه فأقول كانت سيرة الخلفاء رضوان الله عليهم من أول الدولة إلى أيام المتوكل عفى الله عنه سيرة مطلقاً لم تحفظها قوانين ولا قيودتها ضوابط بل كانت الامور مسترسلة وجارية على مقتضيات الحال بما كانت الدولة عربية ساذجة غير مرتاضة للقوانين التي تملك زمامها وتمسك عن الاسترسال عنازها إلى أن صار الملك والخلافة للمولى عبد الملك

ص 197 \* من مولانا الامام المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله بالطبيب الماهر والحكيم المدبر الباهر الذي يحيل الصبغة ويولف الطباع الشادة فلم التعت وجبر الصدع وسكن الهيعة ورتب الالقاب وواخى بحسن سياسته وحميد سيرته وجميل معدلته بين الشاة والذيب والضب والنون والعرير والبعر وجعل بين العرب والعجم رحم الخدمة الواصلة وقربى الصداقة الجامعة وندب لكل منهم أهل بلواه من الصنفين فاخص رؤساء العرب وأكابر الدولة منهم بالمشورة والتدبير وقيادة عساكر الخيل الزينية واصطفى من العجم موالى انبتهم نعمته ودربتهم تربيته فنجبت طوائف عديدة ليس منهم فتى الا أضخم حالا وأعظم شأنًا من أمكر ناحية فمن الاكابر المشاهير من الطبقة العليا منهم الذين لهم مزيد الحظوة والمكانة والتقدم على الجماعة كبيرهم سنا مول أمير المؤمنين أيده الله ولزيم بابہ العالی من قبل الخلافة منصور باى لان باى لفظة عجمية معناها قائد القواد وهو لقب يختص به عندهم قائد جيش الاصباحية من جيوش النار شرفه أمير المؤمنين وميزه بتسميته تنويها لما رقاہ لهذا العهد من قيادة الانكشارية كانت له أولا الى قيادة الاصباحية ثم للفتيان الخاصان المقدمان على سائر الموالى بأبواب الخلافة العلية أبو الشاء محمود صاحب خزائن الدار وقائد جيش الموالى المملوجى من عساكر النار المعروف بجيش الانكشارية وصاحب فتح ممالك السودان الفتح الثانى ثم جودر قرعه فى الحظوة والمكانة وقائد جيش الاندلس من جيوش النار وصاحب فتح الاقطارالسودانية الفتح الاول والمخصوص بمزيد الاستعمال فى الولاية وتقليد الخراج والجباية ويلحق بهما الفتى عمر رديفهما قائد جيش أهل السوس من عساكر النار بحضرة الخلافة العلية وتلى هذه الطبقة فى الجلالقة فئدة أخرى ردفا لهم فمنهم حيوان وبختيار ولبيب وبغا وفلان وفلان من أمثالهم ومن دونهم من ضمه العجر المتخذ لهم بايوان الخلافة العلية وكانوا عددا جما يضاعف أمير المؤمنين منهم ممن كان أيده الله عنى لعهد الكريم بجمعهم والاستكثار منهم وتفريقهم واحتضانهم واستكفائهم فى خواص أمور الملك والثقة بأمانتهم على المهجة وانتقاهم للتصرف بين يديه وخدمة بساطه ومناولة طعامه والوقوف على رأسه وموالاته ركابه هتجلين بالالابس الجميلة والديباج وسائر أنواع الحرير والمناطق المذهبة والسيوف الجلالة والعمائم الضخمة الموكلة ببديع الصنعة المحكمة على رؤسهم كالصوارج فصاروا لذلك أبهى حلل الملك وطرزا على ملابس الدولة واتخذ من هنا الجنس الذى هو جنس العجم الصنف المسمى \* بالبياك وهم أهل القانيس الصغرية

المهبة ذوات الاعراف من ريش النعام الملون يقفون سماطين أمام قبة جلوسه من الايوان فى الحضر وأمام فسطاط جلوسه فى السفر والصنف المعروف بالسلاق وهم أهل القلانس الطويلة البينة مسبوغة على المناكب ويناط من أعلا الجباه جعاب صفرية مذهبة يقف هؤلاء خلف البياك سماطين ايضا من خلف البياك الصنف المعروف بلبردرش أهل اللقايف وهى رماح قصار غليظة العصى مغطاة بالحريز وغير مغطاة وهرصعة بمسامير بيض وغير مرصعة ركبت عليها اسنة عظام وزجاج هائلة تنبت من ريشتى كل سنان منها أضلاع مستقيمة وغير مستقيمة يقف هؤلاء خلف السلاق سماطين أيضا ثم الشنشيرية وهم الذين يتولون مناولة لطعامه وصنعا ورفعا وغسلا ومسحا جعل نظرهم لقائد سفرته وقيم جفانه وهرتب صحوف خوانه بختيار هولى أمير المؤمنين ومن سباياه بوادى المخازن ويقال انه ولد القنت دون ثم القبجية وهم حفظة الابواب وحراسها قدم عليهم حاجب بابه العالى ونشأة دارهم الكريمة القائد مولود مولاه ثم خدمة سريره الكريم وانماط جلوسه وسدنة كرسية كل هؤلاء لا يحصوا من غاشيتهم أبواب الخلافة وأواوين الامامة يتداولون بها وظيف الخدمة وملازمة الابواب الشريفة كل يوم مناوبة وتزيد القبجية على من سواهم بهيبت طائفة منهم تحرس الابواب ليلا وتطوف على مساييف السور المحيط بقصور الخلافة ثم الششواش وهم الطائفة التى تتولى ضبط الجيوش عند المصاف فى حرب أو سلم على الكتب السى الجهات والاقطار بانها خبر أو نفوذ أمر أو تقرير ظالم أو جائر أو تصفيد خارج ولا مكان فى المناوبة بين الطبقات المرتبة لملازمة أبواب الخلافة العلية وكل هذا مما زادت به دولته الشريفة على سائر دول أسلافه الائمة الكرام وخلفاء الاسلام بل وعلى سائر الدول بما جمعت من ربي العرب والعجم والفخر الذى ما اتفق لاحد من الامم وان كان أخوه المولى عبد الملك أمير المؤمنين المعتصم بالله قد عانى شيئا مما وصفناه لآكن كانت أيامه من قصر عمرها وكثرة أهوالها كخيال طارق وخبب بارق لم تستقر فى شىء أحواله ولا تمت فى كل ما يروم أعماله رجعا الى ذكر سيرة مولانا أمير المؤمنين أيده الله وكان اذا ركب أيده الله فى العيدين للمصلى أو خروج الى حركة أو دخول منها أو ملاقة ولى عهده وهى الايام التى فيها الاحتفال وتظاهر بها جنوده فى زيها الذى هو شعار الاسلام وزينة الايام جندت الجنود وكتبت الكتاب وتمدت العساكر \* أمام موكبه العظيم جبلين يتقدم الجبلين لواء من كل واحد منهما عند منتهى الجبل وكل قائد من قواد عساكر النار يقف عند انبعاث جبل جيشه تحت الويته محفوقا بجيش من روساء جنده أهل الخيل الذين يدعون باكباشيات فاصلا بذلك بين جيشه وجيش من يردفه من خلفه وهكذا متقهقر الى اول انبعاث الجيش من تلقاء أمير المؤمنين وكل يعرف مركزه ورتبته لا يتعداه الى غيره بتقديم أو تاخير ولا يجد السبيل الى ذلك



لوارد والترتيب الذي جرى عليه العمل في عساكر النار بالحضرة أن يتقدم لولا جيش السوس ثم يردفه جيش الشراقة وكل واحد من هذين العسكرين ينقسم جبلين ثم يردفهما العسكران العظيمان عسكر الموالي العلوجي ومن انضاف اليهم وعسكر الاندلس ومن لبس جلدتهم ودخل في زمرتهم وهذان العسكران المجران يسيران صفين متساويين لتعادلهما واتحاد رتبتهما واستواء منزلتهما في كل شيء حتى في التقديم على سائر الاجناد عند العطاء فتارة يتقدم هؤلاء وتارة هؤلاء منأوبة غير أن جيش الموالي الاعلاج يحظى بالمسير في الميمنة لمزية الولاء وكلاهما يحظى بهولاء ركاب أمير المؤمنين يتقدم عليهما قائدهما الفتيان الخاصتان الجليلان محمود وهو قائد الموالي وجوزر وهو قائد الاندلس ما لم يقب أحدهما أو كلاهما في زحف لتمهيد أو فتح بلاد أو اقتضاء خراج فيخلفهما الاعلى من الطبقة الرادفة لهما من خواص الموالي والماليك وترفع على رأس كل واحد منهما الاولية والرايات ويحفه عسكر مجسر من بلكباشات ثم يتصل بهذين العسكرين الداخلة العظيمة الفخمة الهائلة وهي المؤلفة من البياك والسلاق ولبردروش على ما وصفناه انفا من زيهم وترتيبهم فاما البياك وهم أهل القلانص الصفرية ذوات الاعراف الريشية فهم الذين يلون ركاب أمير المؤمنين يحف به بعضهم يمينا وشمالا ويرفع البعض رماحه اليزنية المنصورية امامه ومنهم صاحب مظله العظيم المرفوع على رأسه كالعمامة يحمله حالة ركوب أمير المؤمنين القريب منهم درجة لقائدهم برويز هولى أمير المؤمنين والموالي له رتبة واذا كان أمير المؤمنين ماشيا على قدميه الشريفين حالة مروره الى المسجد الجامع على مقبرة سلفه الكرام للباب النافل الى جهة قصوره أو متقلب برسم الراحة فى المشتهى وهو الروض المتصل بقصر البديع الذى من اثاره الشريفة تولى قائدهم برويز رفعها بنفسه ويسير عن يمينهم وشمالهم السلاق وهم أهل القلانص الطويلة البيض المرسله على المناكب ذوات الجعاب المدهبة المنوطة بها من أعلى الجباه \* ويزيد هؤلاء على العزام على ما كنا وصفنا من زيهم قبل بأجنحة طوال يوافونها أيضا من ريش النعام الباقي على أصل خلقته (1) المنوطة بالقلانص من أعلا الجباه ويرسلونها الى وراء ويسير عن يمين هؤلاء وشمالهم لبردروش أهل اللقايف وتتكيف من الجميع صورة هائلة تبعث للمهابة فى الاعين والرعب فى الصدور وتسير الجناثب فيما بين سماطين هذه الداخلة مجنوبة صفا صفا الى الوية عساكر النار ومنبعث حبا لها المرودة يقودها صنف يدعون السراجة ركبانا وكانت جنائب الخلفاء من قبل يقودها الرجل من الوزعة فكان هؤلاء احسن زيا وأكثر نلعا عند الحاجة اليهم فى الحروب ونحوها وجيش الاصباحية العرمرم

ص 200

(1) بياض بالاصل

الذى لنظر باى لارباى(1) ينقسم كتيبتين عظيمتين تسيير احدهما ذات اليمين والاخرى ذات الشمال امام الموكب ويرفع اللواء العظيم الابيض الذى هو علامة على شعار الدولة المدعو باللواء المنصور على رأس أمير المؤمنين أيده الله يستامه من خلفه ثم من سائر الالوية عدد كثير أكثرها حمر وامامه الطبل العظيم الذى يسمع دوى صوته على البعد ومن خلفه الطبول الاخرى التى يقرع مع المزامير المعروفة بالفيطات واحدها غيطة يتولى النفخ فيها قوم من العجم أساتيد يتعلمونها فتنبعث منها أصوات وتلاحين لاتحرك الطبع ولا تبعته على شىء سوى الحرب حكمة فلسفية ومزامير أخرى وجعاب طوال صفرية على مقدار النفير تسمى الطرنبطات مما أحدثه أمير المؤمنين أيده الله أيضا فى دولته ازدادت بها تلك الآلة حسنا ومزيد فخامة ويردف هذه الالوية والآلة من خلف أمير المؤمنين موكبه العظيم يمد على الارض جناحا من خيل الاسنة بالجمال والتميمات وكم رأينا كافرين ترك دينه والتزم دين الاسلام ابتغاء عرض قليل من الدنيا يناله وكم قد سمعنا من مسلم فى أرض الشرك ارتد افتنانا بعرض يسير من عرض الدنيا وأخلق بخصلة يترك الانسان لها دينه الذى يبذل دونه نفسه أن تكون جليلة القدر عظيمة الخطر وأحوج الناس اليها وأفقرهم الى عطف القلوب عليه وصرف الوجوه اليه وهم الملوك والولاة انتهى

ثم(2) كانت الغزوة العظمى التى اقتطع بها أهل الكفر حامية سبته من أحزاب الشرك واقتادوا من سبيها نحو اربعمائة نفس ثم شفعاها الله بارتجاع مدينة أصيلة واقتلاع الكفار عنها اغتناما لقلته من لهوات أمير المؤمنين أيده الله ثم صرفه همته أيده الله الى اتخاذ الاسطول برباط سلا أمنه الله فتعددت مراكبه وعقد على رياسته لرجل من أهل المغرب يدعى الرايس ابراهيم الشط المثل المضروب فى الشجاعة والمعرفة بأحوال البحار والحصون وكتب له بذلك أيده الله تقليده الشريف من انشاء الكاتب أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى على رسم المصطلح الذى كان الانتقال عنه ونصه هذا ظهير كريم رفع للجهاد أعز منار واستل لاعزاز الله عسبا ماضى الفرار وهيا للجوارى المنشآت ثبح البحار امر به عبد الله تعالى أمير المؤمنين المجاهد فى سبيل رب العالمين أبو العباس المنصور بن أمير المؤمنين محمد الشيخ بن أمير المؤمنين محمد القائم أيد الله تعالى أمره وأعز نصره للرئيس الانجد الاحظى الامضى المجاهد الاوجه الاكمل أبى سالم ابراهيم الشط ولما كان ممن علمت كفايته واشتهرت فى الجهاد عنايته وارتبت فى البر والبحر على الغايات غايته واحاطت بتصاريف ذوات الالواح والدرر درايته رأى أيده الله أن يقلعه قيادة الاسطول ويقضى به لوظيفه الجهادية دميثة المظول ويسند اليه

(1) بايلر باى او بيلر بك قائد القواد

(2) الانتقال الى ص 302 .

رياسة القطائع والشواني ويحط زمامها من يده بيد الحازم اليقظ الذي لا يلم به الكسل والتواني فقدمه \* أعلى الله قدمه وعرفه الخير والبركة في كل ما توجه اليه عزمه ويممه (1) على العمارة البحرية والقطائع الجهادية فليتقدم لذلك بما لديه من الجهد والبصا والكفاية التي يستمد منها الصارم المنتضى عاملا بما يقضى له من الله الثواب ومنا مزيد العز ومزيد الرضى وانا نسئل الله له توفيق الاعمال والبلوغ فى هذا القصد الى أقصى مراتب الكمال بيمينه وكرمه فمن وقف عليه فليعمل بمقتضاه ولا يتعداه والسلام ولما كمل بناء حصن الفتوح الذي هل به أيده الله تعالى باب البحر ومتبوا السفين من مرسى العرائش نقله اليه وانزله به توثقا بمكانه واستنامة الى حرمة وضبطه وصحة عهده ونصحته ووفائه وأدال منه برجل من العلم هاجر لمالكه الشريفة يدعى الرايس شعبان فهو اليوم قبطان الاسطول الامامى الجهادى ورئيس الجماعة من رؤساء المراكب الجهادية والقطائع البحرية

ومن (2) المآثر التي حسنت فيها أيده الله سيرته وحمدت طريقته تقسيم زمانه الى أيام الديوان وهي التي يجلس فيها للجهور والوقود وأحكام الجند ومناولة أمور المملكة بالنقض والابرام وخص بذلك يوم السبت ويوم الاثنين ويوم الاربعاء وكذا سيرته الكريمة أيده الله فى كل يوم منها أن يخرج بعد الفراغ من وظيفته وقراءة ما كان يلازمه من الاوراد الى ايوانه الكريم وقت الضحى غالبا وبين يدي حضور الطعام فيوذن للناس فى الدخول على طبقاتهم وأولا قاضى الجماعة بحضرتهم ثم المفتى بها ثم من يحضر من كبار الفقهاء ومشايخة العلم ثم الحاجب وقائد القواد والكتاب ثم سائر أكابر الدولة وروساء الاجناد ووجوه الناس على طبقاتهم وعلى حسب مراتبهم فيأكلون مجالسهم بين يديه ثم يوزن بالطعام فيوتى به ويشرع الباب للساخيلين ويغص الايوان بالخلق ويواكل بيده أيده الله بقية الامراء الكرام ومن يخص من القرابة وكبار العلماء الذين سميناهم انفا يوترهم بذلك اجلالا للعلم وتعظيما لاهله فاذا أكل وضعت موائده أيده الله بين يديه وينادى بأهل البساط وأكابر الدولة للاكل منها تشريفا وتنويها ثم تتبع بجفان جمه وموائد أخرى متتالية ويدعى سائر الناس اليها طبقة بعد طبقة ومائدة اثر مائدة حتى يكتفى جميع الحاضرين ويفضل من الطعام ما يكفى اكثر من ذلك وكان أيده الله يعجبه الاكل بيديه ويدعو اليه الناس وينقبض لانقباضهم عن القيام للاكل وربما عنف على ذلك بالقول شيمة حسنة وخلق كريم فى الفضل فاذا قضى ذلك وقام ودخل وافاض ذلك الحجيج

(1) يباين بالاصل .

(2) الانتقال الى ص 204 .

وانصرف الجَم الغفير لمنازلهم وجلس أهل الايوان وأرباب المناصب وأكابر الدولة الذين عليهم مدار الامور يرقبون خروج أمير المؤمنين ثانيا فاذا حاز وقت الزوال أو كاد يخرج للجلوس وابراسيم أمور ملكه وسلطانه فيحضر خواص بساطه الكريم وكاتب سره ويناوله ما ورد على أبوابه الكريمة من الكتب من سائر الاقطار لكتب ما يخصه منها وتفريق غيره على الكتبة وتعرض عليه القضايا ومهمات الملك ثم يوذن لسائر الاكابر والكتاب وأولى المناصب فى الدخول فيأخذ عند ذلك أيده الله فى العلامة ان كان اليوم يومها فتارة بيده الكريمة ان كانت الكتب أجوبة أو ظهائر وتارة بالطابع ان كانت مظالم أو براوات الاشغال والعطاء أن يأخذ فى املاء الاجوبة على الكتبة أو فى سماع ما يرفعه أهل الديوان من المسائل مناوبة يستمر على ذلك حتى يصلى الظهرين غالبا يوم الناس فيهما فيدخل الى قصره أيده الله \* ويتفرق الديوان وهذا أيده الله دأبه غالبا فى الحضر والسفر وربما عرض له ما يوجب انقباضه عن الخروج للغداء فيستنيب ولده الاعز عليه والمترف بالسكنى لصقه فى حضرته المولى أبا فارس أعزه الله عند مغيب شقيقه ولى عهد أمير المؤمنين وخليفته من بعده وكبير بنيه الامراء الكرام المولى الامير الامام الاعظم أبى عبد الله محمد الشيخ المامون بالله أعزه الله تعالى والى أيام الراحة وهى التى تتخلل أيام الديوان لا يحضرها الا الندمان من الخاصة أو من ينادى من غيرهم لخدمة تعرض أو مشورة تتعين ان كان من أهلها واذا كان يوم الجمعة صلى أيده الله بالمسجد الجامع من قصبته السعيدة المنسوب الى يعقوب المنصور من بنى عبد المومن من خلفاء الموحدين وجلس اثر الصلاة على ضريح الامام والده رضى الله عنه بالروضة المشرفة الكائنة بقبلى المسجد الجامع حتى يقار الحزابون بين يديه سور الملك وما يتبعها من الآى وخواتم السور الى الاخلاص والمعوذتين واية الكرسي وخواتم البقرة وكل ذلك من أوقافه على ضريح الامام والده قدسه الله ثم يدعوا أيده الله وينصرف الى قصره الكريم من الباب النافذ على يسار الخارج من الروضة المشرفة وربما جلس هنالك لسماع المشتكين والنظر فى المظالم وأكثر ما يكون ذلك فى ايوانهم الكريم رضى الله عنهم يوم الاثنين غالبا وربما استناب على ذلك ولده المولى الامير أبا فارس أعزه الله عند مغيب شقيقه ولى العهد المولى الهمام أبى عبد الله محمد الشيخ المامون أعزه الله تعالى واذا عرض من مصالح الامة والنظر للمسلمين ما يصرف وجه عناية امير المؤمنين وعكوفه عليه وعين ايده الله لئلا يمتد له وحضور مجلس حكمه قاضى الجماعة ومفتى الحضرة وصاحب المظالم وما اشكل من القضايا رفعه الملا الى امير المؤمنين ايده الله بالديوان الكريم فيقضى فيه قضاءه المصيب وينظر فيه نظره السديد واذا انصرمت من الزمان ملة تلتد ايده الله السجن وامر الملا المذكورين بالعدو الى ابوابها والنظر فى احوال المنكوبين وذوى

الجنايات فمن بان وجه تسريحه سرحوه وما اشكل رفعوه الى امير المؤمنين ايده الله وعرضوه والاحوال اليوم(1) جارية على هذه السنة الحسنة والطريق السوية كتب الله تعالى لمولانا امير المؤمنين اجرها واجر من عمل بها من اعقابه الكرام من بعده ومن الامور التي يتأكد حرصه ايده الله عليها ويصرف وجه اهتمامه اليها بعد الاطلاع على ما عليه اجوال رعيته وعماله ويتفقد جهات ممالكه واعمال النظر فيما يتكفل المسلمون بصلاح احوالهم وبسط اموالهم وكلما انس احدوثة محاسنها او ثلثة تلافى سدها لا يشغله عن \* ذلك شاغل ولا يصرفه عنه صارف واما معرفة اخبار الافاق الشاسعة والاقطار البعيدة والاطلاع على انباء الملوك اضداده واوليائه وبث اصحاب الاخبار في البلاد دانيها وقاصيها واذكاء العيون في سائر جهات ممالكه من داره الى اقصى المغرب بل والى قاصية السودان اليوم(1) من ممالكه فهو في ذلك ايده الله اية باهرة وعصمة للاسلام ظاهرة فله من رجاله المصطنعين على كل مرقبة رصدة وعلى كل ثنية نقباء وفي كل خلوه او جلوة عيون اذكاها هوكلين بنقل ما يحدث من خبر او قصة او يدور على اللسنة وله في كل صنف عين كائلة واذن واعية وطلائح مرتبة فكانت الاخبار لذلك تسبق اليه قبل بروزها للناس بايام وباشهر وربما استأثر بعلمها وطوى ذكرها عن الناس كافة ولايكاد يخلو له يوم من ورود وبارد بخبر على بر أو بحر وكان عمال ثغوره وولاة الاطراف من ممالكه وبلادهم يجهدون انفسهم جهدها ويذكون على كل ثنية لعلمهم يحظون لديه بانها الاخبار اليه وتطيرها لجناحه على أول موردها وانبعاثها ثم لا تكاد ارسالهم ورفاقصهم تصل اليه الا وقد الفوا الخبر قد تقرر لديه وسبق اليه باوعب مما كتبوا واشفى مما سمعوا فيقفوا موقف الحيرة والبهت وربما تهكم ايده الله تعالى على بعض اصحابه في الجواب عن خبر يظن انه قر اغرب به وهو قد سبق اليه بامد بعيد فيقول له ما معناه لايزال على هذه العناية المشكورة من انهاء الاخبار والمسارة بهما والمسابقة قبل كل احد الى ابوابنا نفاذها وهذا باب لم يزل يعنى به قديما وحديثا اولو الحزم من الملوك لما يبنى عليه من جلب المصالح ودرء المفاسد والاستعدادات للامور قبل هجومها وامير المؤمنين ايده الله اشد حزمها واعظم تيقظا واكثر ضبطا ممن رىء وسمع به في ذلك من الخلفاء العظام والائمة الاعلام ولقد بلغ به الاغراق في مذاهب الحزم ايده الله الى ان اخترع لهذا العهد (1) اشكالا من الخط على عدد حروف المعجم يكتب بها فيما لا يريد الاطلاع عليه من اسراره ومهمات اموره واخباره يمزج بها الخط المتعارف فيصير بذلك الكتاب ملمعا مستغلقا فلا يجد المطلع عليه بابا يدخل منه الى فتح شيء من معانى الكتاب ولا الوصول الى فهم

ص 206

(1) يوافق ذلك عام 1002 هـ

سر من اسراره حتى لو تلف الكتاب أو سقط أو ضاع أو وقع في يد عدو لامنت غوائل الاطلاع على اسراره فكان في ذلك آية اعجز بها الورى ثم نوع ايده الله هذا الخط الى انواع يخص ولى عهده منها بنوع يرجع اليه في فك معمى كتبه ثم اذا جهز احدا بالعماسكر أو بعته سى غرض رسالة أو قلده جانباً من أطراف ممالكه ونغوره \* ناوله خطاً من تلك الخطوط يفك به رسائل امير المؤمنين ويكتب به هو من عنده فيما يريد تعميته من الاخبار وخبايا الاسرار(1) فختم بذلك ايده الله على اسراره ختما لا يفض بحدس ولا يدرك بمعنى ولا حس ولا يرسم حده بنوع ولا جنس وصارت هذه المنقبة من اعظم اثاره في الحزم وحسن الضبط ومن اشده اعوانه على الاضطلاع باباء سلطانه وشد اوأخى ملكه وضبط امور رعيته وبلاده امتنع الله به الاسلام وولد امره مع الايام واما السياسة فاقول هذا الباب كالجامع لما قبله لكون حد السياسة من حيث هى تعم الجميع واما ما يرجع الى السياسة الخاصة التى هى جبر القلوب واستيلاف الشمارد وتسكين المرتاب وارضاء الموالى ومداحات العدو وجمع التفريق وتفريق الجمع وانتهاز الفرصة عند تأتياها والعمل على الحزم والاخذ بالحذر وامضاء العزيمة عند تحقيق الظفر والدفاع بالتى هى احسن عند اشتباه الامور فمضممار لا يبلغ فيه ايده الله شأوه ولا يشق غباره واما جبر القلوب فاشهد انه ايده الله فى ذلك وحيد الائمة وفريد الخلفاء الاجلة حضرت ليلة بين يديه ايده الله أنا واخى بلدا ووطنا وصاحبى عشرة طويلة ورفيقى مدة مديدة منذ عهد الشيبية وزمان انشاب مجالس العلم والاخذ عن مشيخته الكاتب الفاضل ابو عبد الله محمد بن على الفشتالى ومعنا الحاجب المعظم الصدر الكبير القائد ابو محمد عزوز بن سعيد الوزكىتى وقد كنا أفضنا فى الحديث مع مولانا امير المؤمنين ايده الله حتى جن الليل وانصرفنا لنازلنا بالبلد فوجدنا قصبتهم السعيدة قد غلقت ابوابها فانقلبنا الى الايوان الكريم وبتنا فى ضيافة امير المؤمنين ايده الله وكرامته وبرز للعبيد ايده الله من قصره الكريم ومتعنا بمسارته ليلتئذ فاتفق ان استدعى منى ايده الله ومن صاحبى ما عندنا من مهمات الاجوبة المكتوبة للجهات والاقطار فرارا من البطالة ومن تاخير عمل اليوم للغد فناولته ايده الله ما لدى من السجلات ولم يكن عند صاحبى غير كتاب من امير المؤمنين الى القائد الصدر ابى عبد الله محمد بن ابراهيم بن بجة يعزيه فى ولد توفى له فاعتذر صاحبى بانه لم يحضر غيره وانه ليس من المهمات التى تتكلف ليلا فرد عليه امير المؤمنين ايده الله وقال له او ليس فى الكتاب تسليية المخاطب به وجبر قلبه وفى المبادرة به دليل على الاهتمام بشأنه فقلنا جميعا بلى يا امير المؤمنين فقال ايده الله واى شىء

(1) فى مجلة الاسبيريس Hespèris لعام 1927 ص 221 نموذج للشيفرة التى اخترعها المنصور .

اوكد واهم من جبر القلوب فدعونا وفدينا وشكرنا وتناول ايده الله الكتاب فعلمه من حينه وهذا كما ترى \* غاية في مكارم الاخلاق وجبر القلوب ومراعاة السياسة .

### ( الناحية الاقتصادية ) ( 1 )

ومن (2) اعظم آثاره ايده الله تعالى التي تنقصر فيها اهل الدول العظام عن فترة ومسبار عورة حاشا مولانا الامام المهدي رضي الله عنه وقدمه المعاصر السكرية التي ابتدع رسومها واخترعها ببلاد حاحة وشوشاوة من عمل مراكش وعلى مسافة القصر منها وهي من الامور التي اتفرد ايده الله بتدبيرها فجاء للناس منها بآية الاعجاب والغرابة اذ يرون ذلك مما تختص به تربة بلاد السوس التي اخترعها بها مولانا الامام المهدي والده قلته الله حسبما قدمنا فكان كل من تولى الخلافة من ذريته الخلفاء الكرام منه الى مولانا الامام امير المؤمنين ايده الله نجله يقطع بان ذلك لا يتأتى من جهة الامكان في غير ارض السوس ويعتقدونه مذهباً وقوفاً منهم رحمهم الله في ذلك وفي غيره مع المألوف من الامور والمشاهد من الاحوال فسدوا باب القياس واعمال التجريب ووقفوا مع التقليد \* فسدوا شان الانبعاث الى اختراع الاشياء وتوليد الامور والتهم بما لم يمض منها في سالف عصر ولا تقدم العمل فيه من زيد ولا عمر فسادا في العقل ولا خللاً في حاسة الفكر واضربوا صفحا عن قول الحكماء كم ( 2 ) ( 2 ) الاول ( 2 ) ( 2 ) الهمم ورضوا بالسهل وفتحوا باحراز الوجود الى ان جاءت دولة امير المؤمنين ايده الله فرفض التقليد واتسعت التوليد والاختراع واطرد قياس المشاهد على الغائب وعظمت الانفة من الاقتصاد على الكفاية فجات الآثار بادرار الفتوح ونباله الصنائع وتحكم الحضارة ولطف الاختراع والتوليد وسعة الذرع وضخامة اشكال بحيث لا تشبیه بينها وبين ما تقدم زمانها ابقى الله ايامها ونصر اعلامها وحفظ على الاسلام امامها وشان هذه المعاصر شان الخوارق الخارجة عن طوق البشر جفاء وعظمة وتوطيد او تشييدا ما شئت من برك رحبية وجفان كالجواب وقدر راسيات ولوالب فلسفية وحركات هندسية ارتاد ايده الله للاولى منها البسيط الافيح بوادي وال من بلاد حاحة وانفذ اليها العرفاء بامور المعاصر وتصاريفها ومقاييسها ومقاديرها والتربة التي تركو بها غروس قصبها ( 2 ) ( 2 ) قدس اليهم اهل البلاد زعموا ( 3 ) في سبيل الملاطفة واعمال الحيلة في ل عزيمة امير المؤمنين واطعامه عنها فحدث الملا ايده الله عن تعنيف امورهم وتعسفها فاتهمهم وتلفظن لاذهانهم وتهدهم وردهم ثانيا على اعقابهم وخالطهم بمن يتقى

(1) اقتضى تنظيم الموقوفات الحضارية وضع هذا العنوان .

(2) الانتقال الى ص 279

(3) بياض بالاصل

به فصدقوه ( 1 ) حينئذ النظر واخلصوا النية والعمل رغبا ورهبا فنمت الارادة ونجح  
المسعى واحاط الحدس والتقدير بسائر امورها واعمالها وتصاريقها ثم انطلق العمل  
وغم الاغتراس بالقصب الاوطان ( 1 ) ديار الطحن ومساكن العمل ومخازن الشعير  
واهراء الحبوب والبرك ( 1 ) تمتار منها قدور الطبخ مياه السكر اوان الطحن ثم  
افرغ القدور الراسيات والجفان والجوابى ووقع الاحتفال من ذلك بما يوجب البهت  
والحيرة ثم اجرى ايدى الله لاستدارة رحاها العظيمة الاخشاب الجافية الاجرام النهر  
المعروف باسيف انوال المخترق للبسيط الافيح يتسمن ظهر السور السامى النروة  
القوى الاسر البادى الجناء الطامح العرف الى عنان السماء وتوصل الى امتطاء صهوته فى  
سهل من الارض بتدبير احكمته الفلسفه والهندسة يتطاطا له حتى يركبه اولاً على وجه  
الارض عن ذراع وذراعين ركوب الراحلة الداخلة الذلول ثم لايزال تسمو به نهضته  
على التدرج متصاعدا الى السماء وقد تماسك باعرافه ولزقت بظهره حياته ( 1 ) بين  
أطمه حتى ينحدر عند مصبه من ميازيبه على لوالب الارحى من اربعين ذراعا ونحوها ثم  
عززها ايدى الله بالثانية التى اخترعها على الرسم ببلاد شوشاوة \* واذا القيت عصا  
التسيار بمعصرة منهما رايت مجمع الورى وأول الحشر وقرية النمل وكورة النحل  
ومدرج الدر لكثرة ما ضمت من العملة وحشرت من الخلق ولا تسأل عن  
هولها ولغظ الاصوات بها تدل على عظمة شأنها وضخامة احوالها  
على ضخامة الملك وسعة ذرع الدولة وقد قطعت معاهدة الكراء فيها اليوم  
لطائفة من اهل الذمة ( 1 ) عن كل سنة وناهيك من امام يستنتج بسديد رايه  
وصالح تدبيره ولطيف توليده هذا القدر من الخراج الوافر الذى لايزال بيت المال هنيئا  
بمرى اخلافه مع الايام ان شاء الله بباب دار الملك وعلى عتبة حضرة الخلافة عفوا من غير  
احتياج الى ما تحتاج اليه الجباية من تجهيز العساكر المعينة على انتزاع نواجدها وهو  
اليوم ايدى الله بصدد استحداث ثالثة لصق اختها بشوشاوة قوى العزم على الاستكثار من  
المعاصر حتى ينمو العدد ويتضاعف الخراج كهل الله تعالى مقصده وثبت قواعده واجرى  
على ما فيه صلاح المسلمين مصادره وموارده .

ص 281

واما (2) ما يفرغ مع الايام من مدافع النار ومكاحلها بدار العدة الماثلة قرب ابوابهم  
الشريفة من قصبتهم المحروسة المذكورة بزفير الاكيار وزبر الحديد لفتح جهنم الى ما يجلب  
مع الاحيان على يد المعاهدين من تجار الحربيين من السيوف الهندسية والقسى  
الرومية والمكاحل النارية فشى غصت \* به الخزائن السلاحية والديار العادية واذا

ص 304

(1) بياض بالاصل

(2) الانتقال الى ص 303 .



وصلت الى هضاب الاكبر الحديدية والحجرية والرماس المائل كالجبال الراسية والبارود المنبت في الدهاليس الندية والمخازن الرحيمة رأيتما يبلى الفكر ويوجب البهت ولقد بلغ الاغيا في الحزم لهذا العهد الى اتخاذ حصن دار الجلد من قصبتهم السعيدة لاختزان البارود وحب الجوف بعيد الغور ندى الارض بالغ اقصى مبالغ الضخامة والجفوة قد احاط به سوار الخندق الممنع البعيد المهوى الى قرارة الارض قد حتم عليه التحصين بأبطال الكيس واخصته الشريفة والهمة الكريمة الامامية باحتكار الفاضل عما تمتاز منه الثغور والحصون والمعاهد والاطراف والممالك القاصية والاقطار البعيدة الشاسعة كل ذلك عدة للجهد وحيطة على البلاد وحماية لبيضة الاسلام الوثيق العماد اسئل الله تعالى لمولانا الامام ظل الله في الانام مشي الانام التي عرف فضلها الاسلام بقاء يخلق اثواب الايام ونصرا تخفق بعزه الرايات والاعلام وتحصد سيوفه المناقنين وطواغيث الشرك وعبدة الاصنام بمنه وفضله (1) .

### الناحية الاجتماعية (2)

ذكر مآثر مولانا الامام المنصور بالله امير المؤمنين ايده الله واولا ما يتعلق بذاة الكريمة خلقا وخلقاً .

فاما الخلق فاقول وبالله استعين ان الله بلطيف حكمته فضل هذا النوع الانساني بان خلقه في احسن تقويم ثم قسم سبحانه هذه الهيئة الحسنة والصفة الجميلة التي اخترعتها قدرته ودبرتها حكمته في سائر اشخاصه فجعل صورها تتفاوت فيه بالكيف والكم فمن ابيض واسمر واحمد واسود واعين واغور واقنى واخنس ابلج واقرن واقوه واشفه واشبه وطويل وقصير ومعتدل وجعل الكيفية الجامعة للمستحسن من هذه الاوصاف الجميلة سمة يمتاز بها من يشاء من عباده ليدل بذلك على ايثار من اتصف بها وعلى عنايته بشانه لما جاء ان الله تعالى اذا احب العبد حسن خلقه وخلقته ولما كان لهذا الامام ايده الله من الشان عند الله ما شهد له بمقبة حاله من كونه حامى بيضة الاسلام وكافل امة نبيه عليه السلام وشرف الليالي والايام وامام الجماعة عند سائر الانام خصه تعالى بما اتاه من الكمال وحسن الخلق في الذات والصفات التي منها اعتلال القدر وتناسب الاعضاء وسبط الخلق وجميل الرواء ورقة البشر فجعل بذلك سبحانه صورته الحسنة قيما للابصار ومورد السوام والالحاظ ونهبة للاحلاق حتى انه بما اعطى ايده الله تعالى من تمام الخلق وحسن الطلعة ووسامة الحيا الذى يجول من تحت اديمه الشفالى ماء النعيم من المهابة التي تفرق لها الاسود وتوهى الى الارض بالسجود بحال لو ابصره عليها

(1) آخر كلمة وردت في المخطوط

(2) اقتضى امر تنظيم الملومات الضاربة وضع هذا العنوان .

مبصر في عالم من سرات الناس وساداتهم وهو لا يعلم من يكون لحكم لأول ما يقع عليه بصره إله اشرف القوم ومولاهم ومودع سر الله منهم لما قام ايده الله تعالى على ذاته المشرفة وطلعت الفراء من الشواهد التي لا يدانيه في وصف من اوصافها الكاملة وملامحها الجميلة الرائقة ولا سرى ولا سيد وسبحان مكنون الاكوان ومخترع الصفات والالوان في ابداع تكوين واحسن تقويم لا اله الا هو فتبارك الله احسن الخالقين واما الخلق فيتنوع الى الحلم وكظم القبط والدين والتوكل والصبر والعمو والعدل وحسن السيرة وجميل السياسة وكرم النفس والسخاء والشجاعة فاما الحلم الذي هو ميزان العقل ورأس العمل الديني والديوي فهو حلة مولانا الامام المجاهد المنصور بالله امير المؤمنين ايده الله تعالى السابقة ومنقبته التي شهد بها وغلب عليه اسمها اجمع الناس قاطبة من عهد مولانا الامام المهدي امير المؤمنين والده قدسه الله الى هلم أنه أحلم الخلفاء كافة من أهل بيته الكريم واكثرهم اناة واملك لنفسه امساکا عند الغضب عن العجلة الموقعة في الخطأ عند اقامة الحدود والمواخلة بالجرائر ومذهبه الجميل ايده الله ادراه الحدود بالشبهات وتكفير السنة لعشر امثالها والتماس التاويل وقبول المعذرة ورعى اللامام فيمن لا يغضب الله والصفح عن كل ما لا يتعلق به من الذنوب حق غير حقه ولو كان مثل جبل احد ما لم يعد على المسلمين بضرر او يحدث في الامرين خرق فيشب حينئذ وثبة الاسد ويهجم هجوم القدر وتنسف عواصف باسمه الديار نسفا فلو لم يكن من مناقبه الشريفة ايده الله في هذا الباب ومثائره السائر المثل الا ما كان من تجافيه عن عبد الكريم بن مومن ابن يحيى الحاجب كان عند الخليفة الغالب بالله وكان بذي اللسان جموع العنان واغضائه عن جرائره التي احفظه كان بها يتنفي بذلك التقرب الى مخنومه الغالب بالله وكان بذي اللسان جموع العنان لكان ذلك كافيا وبجميع مكارم الاخلاق لمولانا الامام المنصور بالله امير المؤمنين ايده الله ولقد سمعته ايده الله مرارا يقول ويقسم على ذلك (1) انه ما علم من نفسه اعتمد قط السطو باحد او تصدى الى نكبته لمجرد غرض نفسه وحظه او وتر له قبله قال ولو كنت اواخذ بذلك احدا واتبع الحسايف السالفة ما كنت لاقيل لعبد الكريم بن الحاجب عثارا ولا اهمل في القود منه ثارا وعلى ذلك فقد كان عندما صارت اليه الخلافة رفع محله ومكن في بساطه قدمه واثبته صدرا في دولته وجعلته بحى مخلواته واضرب صفحا عن هفواته حتى كانه قد احسن فيما اساء وتلع من حيث ضر ثم اسف على فقده عند انقضاضه لايعبر عنه لما يعلم من نصحه الذي شفع له لديه وسمعته لذلك ايده الله يقول في حقه لو

(1) بياض بالاصل .

كان يفتدى \* لبذلت فيه الطارف والتنايد من كنوزى وهذا كما ترى خلق عظيم لا يوتاه الا من اتاه الله شرف الخلق والتكوين من معدن النبوة وطينة السر والمعجونة بما الرسالة واما الدين والتقوى وخشية الله تعالى والتنفل من الحول والقوة اليه واطهار التعلق لعظيم قدرته والخضوع لجلاله والتواضع لكبريائه وعظيم جبروته فذلك شعاره ايده الله الذى يمتاز به ومذهبه الذى به يدين نفسه وعلمه الذى يروض عليه جوارحه وسيفه الذى يطالب به سلطان شهواته آخذا نفسه ايده الله باداء حقوق الله وفرائضه الواجبة التى منها حضور الجماعة والسعى للجمع واداء الفريضة المكتوبة فى وقتها المختار شديد الحرص عليها كثير التأسف على فواتها ومماطلتها بوقتها حتى لربما عنف لذلك مؤذنه على اغفال التنبيه وتكراره ان عن له من امور المسلمين المتدبرة ما يشغله ويصرف سمعه عن الاضغاث للنداء وكان سبيله فى ذلك ايده الله ان يوم بالناس كافة ايام الديوان المعقودة لتناول امور المملكة بالنقض والابرار وحضور الجم الغفير وبالندمان خاصة ايام الراحة ومنها قيام رمضان واحياء لياليه المباركة بالاشفاق ينتقى لذلك مشيخة القراء والاساتيد المبررين فى السبع وحسن الاداء والتلاوة ويستنفرهم لشهود رمضان معه فى الحواضر كالشيخ الحافظ ابى العباس احمد بن على الزمورى المصلى كان الامام والده من قبله منذ عام الفتح بفاس تم بسائر بنيه الخلفاء من بعده الى هلم جرا وغيره من مشاهير الاساتيد والقراء فكان ايده الله يقوم معهم ليالي رمضان كله ثم يبرز صباح كل يوم من ايامه لسماع الحديث الكريم ايضا وسرد الجامع الصحيح للبخارى بين يديه يعقد لذلك مجلسا حافلا من اهل العلم ومشيخته برسم المذاكرة والتفهم فى اسرار الاحاديث النبوية ويحضر لذلك من كتب الفن بقصد الرجوع اليها فيما اشكل حصة وافرة من تاليف غريبة وكتب جمة النفع مما ضوته خزائنه الكريمة المشتملة على علم الاولين والاخرين فاذا حاول العلماء بميدان المذاكرة فى فهم مسألة شاركهم بغزارة علمه وملكته وربما تناول رايه السابق الى فهم المسألة فيطبق المفصل بما يقر العين ويشفى الصدر ويبهت الحاضرين فاذا كان عشمى النهار وبرز للايوان وقعد للرمى بين يديه للسهام يجلس لذلك الموالي ومن فيه دروبة من كل صنف وتوضع لهم دارهم معدة لذلك فمن اصاب الغرض بسهمه وقرطسه شاد بذكره المشيد وصدع باسمه فيتناول الحصة المعلومة لذلك فتنبعث المنافسة الواقعة \* بين القوم فى ذلك على مزيد التريب والتخريج فى الرماية وهذا دابه ايده الله فى رمضان كله حتى ينصرم والقصد فى ذلك كله جميل والنية سالحة (1) معه الله واجزل (1) واذا كان فى ليلة الاحياء قل من يستطيع

(1) بياض بالاصل .

قيامها معه وكلما صلى فيالقيام لا بالعود لما ورد أن صلاة القائم تفضل صلاة القاعد بسبع وعشرين درجة وكان يصلى صلاة الصبح بوضوء العشاء وأكثر ما كان ينفق له ذلك ليالى المسامرة ولطالما قطعنا معه الليل معشر המתعين بمناذمته حتى يطلع الفجر فى بعض الاوقات أو يكاد فاذا انطلقنا الى مراقدنا تطارحنا سكارى من الكرى فيأخذ هو أيده الله على رسله الجلوس حتى يصلى الصبح بوضوء العشاء غالباً حدثنا بذات مرارا على سبيل التهكم بنا حيث يرانا تتمايل بين يديه من سنة الكرى وهو أيده الله أقوى من سمعنا من الملوك جسرا على المسامرة حدثنا أنه ما غالبه النوم قط بل ربما استدعاه يشرد عن عينه لايلافهما التيقظ والهجوم وهى خصلة شريفة خصوصا فى حق الملوك لما تدل عليه من شرف الهمة وصرفها عن الالتذاذ بالمقام الىالالتذاذ بأعمال الفكرة فى الامور العظام وكان مع ذلك أيده الله مواظبا على صيام الايام المستحبة عند العلماء فى كل شهر وله أيضا أوراد من الذكر ووظيف منالسبحة أدمن عليها والتزمها منها مسبغات مولانا الامام والده رضى الله عنه الى أدعية أخرى جمعها هو ونظمها فى سلك أذكاره وسلسلة أوراده من ذلك الجزء الذى من تأليفه جمع فيه الادعية الماثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى كل ما يستعمله الانسان من العبادات والعبادات ويقوله عند جميع الحركات والسكنات استقرأ ذلك وتبع جمعه واستخرجه من كتب الائمة التى منها جمع الجوامع للامام الحافظ الاسيوطى وسأذكر هذا الجزء عند ذكر تأليفه أيده الله وأورد هنالك خطباته البارعة التى من املائه أيده الله بنصها وكانت له أيضا نية صالحة ومذهب جميل فى حب أولياء الله وزيارة مشاهير الاموات منهم والرغبة فى لقاء من علم فضله ومثانة دينه وصحة تقواه من الاحياء اذ كان أيده الله بفضل علمه ووفور عقله وسعة درعه فى المعرفة و (1)

فى الدهاء لاينخدع بتمويه المتنومسين ونصب المحتالين الذين ياتون الدنيا من طريق الاخرة فهؤلاء أخس الناس صفقة لديه وأسقطهم فى عينيه أما الاموات الذين كانيتعاهدهم بالزيارة فالشيخ أبو عبد الله الهزميرى بأغمات أهل الحركة الى جهتها مرتين من الحضرة وكلتاها فى ابان الربيع واژدهار الارض بزخرفها بقصد زيارة ضريحه المبارك ولجده المقدس والتبرك بما هناك \* من مشاهير الاولياء امثاله كالشيخ عبد المجيد المدفون بباب قصبته وكان قبره قد غمره الردم وجر عليه الخمول لذلك ذيله حيناً من الدهر الى أن دل عليه رجل رءاه زعموا فى النوم فى قضية مشهورة عند الناس وعرفه بمحل قبره فشهده الرجل ونحن عند الردم حتى خلص الى القبر الى امثاله من مشاهير الاولياء كالتونسى وغيره ممن ذكره صاحب كتاب

ص 174

(1) بياض بالاصل .

التشوف الى رجال التصوف فأما حركة مولانا الامام امير المومنين ايده الله الاولى اليها فقد كانت يوم الاثنين عاشر شعبان في عام اثنين وسبعين وتسعمائة وكانت حركة زيارة وراحة فاحتفل لذلك ايده الله بأفخم زى وأكمل بهجة وأرغد عيش وكنت يوم خروجه ايده الله من الحضرة تأخرت وراءه هيئة فخرجت أقتفى اثر الركاب العالى فينما أنا في أثناء الطريق وقد اصفر الاصيل وهد على الارض طرازه المذهب وتراحت لى قباب الخلافة العلية تلوح من بين شرفات السياح وهو قصر اتخذه مولانا الامام امير المومنين ايده الله من الخشب المولف ذات الالواح بعمل عجيب موهه فيرتمل به فى الاسفار القريبة حسبما ياتى ذكره ان شاء الله اذ أدركنى شيخنا العالم العلامة السرى الفاضل الحسيب مفتى الحضرة الشيخ أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف الحسنى فارتجل نصف بيت عندما وقف على فى معنى التشوق وشكوى البين ومفارقة الاحباب وهو (أبا فارس بان الخليط وودعو) وقال اجز يا فلان فقلت (وولوا وحسن الصبر شيعوا) ثم قال (وغرد حادى البين وانشقت العصى وكاد فؤادى للنوم يتقطع) فقلت (الى الله أشكوا فرقة منهم وقد تجرعت من كاس النوى ما تجرعوا) ثم زدت فتخلصت للمدح فقلت :

لئن شرد السلوان عنى بعدهم      ففى صحبة المنصور انس أجمع  
ثم قال :

تدور عليه هالة لقبابه      ومركزها قصر الخلافة يلمع  
وقلت

سياج به بحر الندى متموج      ومن أفقه شمس الامامة تطلع  
فانتهينا الى المحلة السعيدة عن أبيات سبعة أو ثمانية وعمدنا الى بساط مولانا امير المومنين ايده الله وتهاى لنا الدخول الى مقامه الكريم فعرفته خبر الابيات وسردتها عليه فارتاح لها واستحسن ثم ارتجل ايده الله فضرب مخيماته بساحة اغمات وتلوم بها يومين وقصد للثالثة من يوم نزوله لزيارة مشاهير الاولياء فاعتوه ضريح الشيخ ابنى عبد الله الهزميرى وعاج على ضريح الشيخ عبد المجيد ونصل الى مشاهر الاولياء بالجبانة الكائنة خارج المدينة \* تجاه المصلى فدعى بكل مقام منها وفرق على ذوى الحاجات 175 ص  
هنالك أموالا جمة على يد قاضى الجماعة ابنى القاسم بن على الشاطبى والامين الفقيه ابنى الحسن على ابن سليمان (1) حملوا الحقائق بالبركة والثواب وكان ممن صحب ركابه العالى ايده الله فى تلك الحركة المباركة شيخنا العالم العلامة قاضى

(1) بياض بالاصل .

القضاة بفاس الشيخ أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الحميدى بها كان مولانا الامام أمير المؤمنين أيده الله استقدمه عامئذ من فاس برسوم القراءة معه حسبما أذكر ذلك عند ذكر علومه الكريمة ومشايخه الدين أخذ عنهم وكان لودعيا خفيف الروح حلو الشمائل فاتفق أن بعث إليه الفاضل الكاتب أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله العنابى من أصحابنا بكبش وعسل أتخفه به فكتب إليه القاضى يداعبه ويمدحه بأبيات من نظمه ورفعها الكاتب أبو زيد الى شيخنا العلامة أبى محمد عبد الواحد الشريف وسأل منه أن يجيب عنه القاضى ويهزمن لسانه عليه العذب الماضى فاستجاب أبقاه الله وانتدب وقدم لذلك مقدمة رفعت لاهل الاداب ومن اشتملت عليه المحلة المنصورية السعيدة من الشعراء والادباء والكتاب راية خفاقة وأقامت للبسط والدعابة سوقا نافقا وسال جميعهم أن ينسجوا على منواله ويحلوا حلوه نعاله وصاغ الكل من أشجاعه الراتقة ودرره المتناسقة قلادة حلا بها جيده وجلا من فقرها أ بكر القول وغيره فتباروا فى ذلك الميدان تبارى الجياد يوم الرهان وأنا أصف الحال وأذكر منظوماتهم على نسقها لما اشتملت عليه من غرر الادباء وحسن الفكاهة التى تصقل النفوس والارواح وتهدى إليها البسط والارتياح ونصها قال شيخنا العلامة أبو محمد عبد الواحد الشريف أبقاه الله تعالى الحمد لله فائدة لما تقرر فى الفطر السليمة والسنة القويمة ما يجب على العلماء من التعظيم وعرف اطراد ذلك بين الناس فى الحديث والقديم أهدى الفقيه الاجل سلالة الصالحين ونجل العلماء العاملين أحد كتاب ديوان الخلافة ومن له فى السكون والوقار المزية والانافة أبو زيد عبد الرحمن بن الامام علم الاعلام سيدى أبى محمد عبد الله العنابى رضى الله عنه ونحن بمحلة مولانا الامام المنصور بالله أيده الله لزيارة اغمات عسلا وكبشا لسيدنا قاضى الحضرة الفاسية العالم الامام العلامة وأحد الفئة وصدر هذه المائة ذى الاخلاق الحميدة والمذاهب السديدة أبى محمد عبد الواحد الحميدى استجابا لمودته وصالح ادعيته فكتب سيدنا القاضى المذكور الى الفقيه أبى زيد المذكور آيانا فتح بها الى

ص 176

الباسطة والمداعبة بابا على عادة الافاضل أمثاله فقال : \*

أيا كاتب السر يا من بانى	مخاسنه فى الورى باهره
هديت الى الشفا	فاكرم بها منحة ماهره
وتبشا سميئا له كلوة	تفوق الكلى نعمة زاهره
فلا زلت تثبت كتب الانام	سيوفا لاعدائه قاهره

ولما دارت هذه الابيات بين من بالمحلة المنصورية من الكتاب وتلقوها بالبر والترحاب فلهج بها الشادى والبادى وغرد بها فى أئر الركائب الحادى فوقوا الى مداعبة الامام ناظمها سهائر القوافى وطاروا لمباسطته بالقوادم والخوافى فواجفوا على آبياته بخيل

البدية والارتجال وقاموا لذلك على قدم الاستعجال فقال أقصرهم في ذلك باعا وأقلهم  
بهذا الفن اضطلاعاً عبد الواحد الحسن

اشيخ الجماعة يا قطبها ومن في العلي مركز الدائرة  
شنتت بأبياتكم غارة فاحييت لى همة غابره  
وذكرتنى مربعا لم تنزل قديما به مقلتى ساهره  
وحركت فكرى بعلم غدت بصدرى مراسمه دائره  
فهذا جواب لايباتكم الى ابن بدور العلي السافره  
سليل الافاضل حقا ومن محاسنه فى الورى ظاهره

ثم قال وقال صاحب القريحة الوقادة والمحاسن المألوفة منه والمعناده صاحب القلم  
الذى تزرى شباته بشبا السنان وتوظف فقره من السنان الوسنان المثقف بثفاف الاداب  
المنصورية أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الفشتال يعنى مؤلف الكتاب سمح  
الله له

أبحر علوم طمت زاخرة وشمس معارفها الباهره  
لك الفضل عقدا فقد أصبحت كئائب نظمكم نائره  
وهزت صوارم ابداعها فصلت بها صولة قاهره  
بقيت تشنن بها غارة لتتشر أمثالك السائره

وأردفتها بفقرات من النثر فقلت فخذها أعزك الله على عجل تسعى لجلالك العالم على  
قدم الحياء والخجل وتقف فى مجال الاجادة دون طرف بلاغتك الاغر المحجل والسلام  
ثم قال وقال الفقيه الكاتب المجيد والاديب الذى يبدى فن المحاسن ويعيد صاحب القلم  
الذى يصيب من الاغراض كلاها ومفاصلها وتعترف له بقوة امضاء \* من الصوارم  
مناصلها والفقر التى رفعت للبلاغة لواء وارتدت من المحاسن رداء وضرب بها المثل فى  
العدوبة ولقلوب الادباء خلوية أبو عبد الله محمد بن على بن عبد الرحمن الفشتالى

نسجت أبا مالك حلة بصنعاء أفكارك الحاضره  
وأجريت ماء الربيع الى رياض فكاهتك الساحرة  
وأخفقت قيد المعانى على مواكب أغراضك الظافره  
عيون البيان ولاكنها لغير النهى لم تكن ناظره  
فخذها بدية من قد غدت وجوه فهاهته سافره

ووصلها بنثر يقول فيه فدونكم أعزكم الله هذه القطعة وقد طهرت بين ثوبى وقصور  
وسترت وجه عوارها ببرقع المعجاة التى هى محل اغضاء فحول المنظوم والنثور ولا غرورة  
وانتم أرباب النظام وأمرء الكلام ان استنتجتم عقيما واستقرضتم فى هدا الفن مزجسى

البضاعة عديما بقيتم تقيمون للعلم رسوما وتثبتون للمعاني حدودا ورسوما والسلام  
ثم قال شيخنا وقال الفقيه المتفنن ذو الفهم القديم والادراك المستقيم قائد المسائل  
العويصة بنواصيها ومستنزل عصم القوافى من صياصيها شعلة الذكاء والنير الذى  
يزرى سناه بذكاء أبو عبد الله محمد بن على الهوزالى حفظ الله مكانته وحرس مجادته

أيا تحفة الدهر يا ناظره وطرفة أيامه النادرة  
وبدر العلوم التى قد نضت دجى الجهل أنواره الباهرة  
ومن كرعت فى حياض المعانى له بديهته بالدكى ساخره  
أنظمك أم قرقف بابلى ولفظك أم نفثه الساحره  
تعلل أرواحنا مذ عشانا بأرواح روضاتك الزاهره  
أمن دارن قد سرى موهنا أم ارتاح أخلاقك الطاهره  
فككتم به عن أسارى القوافى قيودا بأرجلها دائره  
فلا زلت يا شيخنا يهتدى بنورك فى الليلة الساهره

ووصلها من نثره بقوله لاغرو أعزك الله أن جاءت لحضرة جلالك تمشى على  
استحياء فقد راعها ما راقها بمحلك السامى من سنى وسناء ياله من علا لو سابقت  
بديهته فى العلا فى ميدانه وكبى فى الثناء عليه جواد بيانه ونبا عن المضاء فى وصفه  
كاشح لسانه وشبابة سنانه لازلت فى أفق الجلالة بدرا يلوح للهداة التياحا وبحرا  
للفضل ترده \* الامال فتمايل انشراحا وتشمل ارتياحا والسلام وقال شيخنا وقال  
ص 178  
الفقيه المتفنن المشهور الاديب ملتقى راية الادب باليمين والتمثان أن لايشارك فى نيلها  
باليمين من قصرت عن مجاراته من أرباب البيان الخطى وتسنم غارب الاجادة دونهم  
وامتطى قيد اللواحق ببيانه وبنانه ومستوقف الطرف بلسانه وسنانه مجرى أنفاس المحابر  
على صفحات المهارق ونجيع الكلمات على صفاح الصورم فى المنازق أبو الحسن على  
ابن منصور ابن سليمان الشيطمى أبقاه الله طول المدى محفوظا مما يتقى كلما راح  
واغتدى

أيا عالم العلم يا ناشره وحامل راياته الظافره  
وقاضى القضاة الذى فاخرت به الشرق مفرنا الظاهره  
وناظم عقد المعانى التى جرت دونها المثل السائره  
وازرت بفضل الطلا بالنهى كذا بشدا الروضة الزاهره  
وظلت تردد حسن الثناء ترويه عن نفسك الطاهره  
وأخلاقك الفر لما قصدت عن النزر بالدرر الفاخره  
وأيقظت عمدا عيون البيان من كل فتانة ساحره



تشير بمعنى لطيف الى محاسن اخلاقك القاهره  
وتبنت سحر البلاغة فى مهارق ظلت لكم شاكره  
رويدك نهت سرب المعانى بعيد الكرى فاهتدت حاضره  
ونبهت كم من بليخ بها جديد الذكى نافذ الباصره  
يطبق منها المفاصل غير هيابة ذى قوى ظاهره  
تصرفت اقلامه بالكلام كالريح بالمزنة الماطره  
ولولا المضاء بلا نبوة لشبهتها بالظبى الباتره  
فلله درك من ماجد محاسنه جمه وافر  
ومن سيد جامع للذكاء حلو الشمائل والـ ( دره

ووصلها أيضا من نثره بقوله اليك أيها السيد الذى اهتدى بمصباحه واعشق الى  
غرره وأوضاحه بنيات أفكار تمر الى كفالتكم يد الافتقار ملتمة منكم نيل القبول والاعضا  
والنظر اليها بحسن التجاوز والرضى فمثلكم من كفل وصفح عن العى والتخل واستقرض  
فارضى وسامح فى الاقتضاء أبقاك الله للادب نحوك حله وتجمع يقاصيله وجمله \*  
ص 179  
وللقريظ نقطف زهره ونجتلى غرره ها ذر شارق ولاح سنى بارق والسلام قال شيخنا  
وقال الفقيه الاديب الكاتب الذى ارتفع صيته فى دماء الاخلاق وسما وغدا بين النظراء  
فى عدوبة الشمائل علما وحصل من الادب على حظ وافر ونصيب ورمى الى غرض  
الاجادة فى منازعه بالسهم المصيب وتدرع من حسن الخلق جنته لانتقلها سهام الانزعاج  
والقصب ونسلت القلوب الى محبته من كل حدب أبو عبد الله محمد بن عمر بن أبى  
القاسم الشاوى أبقاه الله تضرب به فى رين العريكة الامثال وتتهاداه لفضائله وفواضله  
أندية الملوك والاقبال

أمجى رسوم القضا الدائره وانسان مقلته الساهره  
ومطلع شمس المعارف من مغاربنا حكمة ظاهره  
وبحر العلوم التى أوجبت له الفخر والعز فى الاخره  
وقاضى عساكر ملك غدت لخمسه السبع كالساهره  
ودانت له الارض طولاً وعرضا فارسال أملاكها سائره  
الى بابه تبتفى وطاة وأمنا لسطوته القاهره  
كفاك افتخارا أبا مالك حضورك أيامه الزاهره

أتك أيها السيد الذى يقتدى بعلمه ويهتدى الى معرفة الصناعة الادبية بمتشوره

ومنظومه باسطة اليك أكف الاحتقار ومسفرة لجلالك عن وجه القصور والاعتدار وأنتم أعزكم الله محل التجاوز والاعضاء والنظر اليه بعين القبول والرضى أصلح الله بطول بفائكم عامة المسلمين ونفع بعلمكم مولانا أمير المؤمنين أيد الله سلطانه ومهد أوطانه ثم قال شيخنا قال الفقيه الجليل المقدار والكاتب الذي طار صيته في حسن التوقيع وسلامة الصدر كل مطار الفاضل الذي لا ينسج الا على منواله في السكون والوقار والاخلاق التي لا يستفزها العقار صاحب التوقيعات المنصورية الكفيلة برد المظالم والاخلد بشبا قلمه بثار المظلوم من الظالم مفيد الاوابد الادبية بعقال والمعمل في نيلها الوخذ والارقال حتى لاح ببرا في سمائها واثلق وجزاز عن سابقه في مضمارها حصل السبق ذو المناقب الفاضلة والمزايا ومحط رحال الشكايا أبو محمد الحسن بن عبد الكريم بن عبد العزيز بن علي أبقاه الله وأزمات الملهوفين لا تنكشف الا من يراع بنانه ولا يهتدي فسي كشف كربهم الا بيانه \*

ص 180

أشيخ العلوم التي قد سرت بدائع أبياته السائره  
طلعت وكنت كنجم الصباح وسدت باخلاقك العاطره  
اذا ما نويتم طلاب العلى فكل المعالى لكم سافره  
أتتنى بالامس أبياتكم رياض المعانى بها زاهره  
معا شعركم ذكر عبد الحميد وأضححت فصاحته دائره  
فلومه في عمر البحترى لا عجب من فطنة باهره  
علون ووقت قضات الورى فدم هكذا مركز الدائره

أطال الله بقاء سيدى وأجل ذخائرى وعددى اننى علقت هذه الابيات والاشغال  
تكتفنى وكذا الخاطر بأسباب شتى تقسمنى ووراء ذلك كلال الدهن وجمود الطباع  
ونقصان الخواطر عنون الابداع واستمرار البلادة التي هي من لوازمنا عادة من لى  
بمساجلة من لا يدرك مضماره ولا يشق فى ميدان البلاغة عباره

ولا عار ان قصرت دون مبرز سعى الناس قبل سعيه وشئان

انتهى ولما قضى أمير المؤمنين وطرا من الزيارة أرسلت السماء على محلته المنصورة  
بمدارها واسترسل صبا الغزير أياما تباعا حتى أجهضته على الرحيل وما تما من  
الراحلة ولا استكمل اربا من النزهة فقلل الى الحضرة لثمانية أيام نفعه ( )

وأجزل مثوبته وأما ركنه الثانية اليها فكانت في جمادى الاولى من عام ستة وتسعين  
فطاف أيده الله على مشاهير الاولياء على سنته الاولى ودعا بكل مقام وبذل الصدقات

(1) بياض بالاصل .

وفرق الاموال وقفل ماجورا واحتقب محملا مبرورا وكان قد تناقل ايده الله في مفداه  
لاغمات من الحضرة ومنقلبه وتلوم شهرين أونحوهما يتقلب في البسيط المتمد من الحضرة  
لاغمات حتى قضى وطرا من النزهة وتملا من الراحة وفي مقامه ايده الله بمحلته السعيدة  
على اغمات صدرت عن جلالة العالى آيات من نظمه البارع الذى يسلب الوقار ويفعل  
فعل العقار فى الاعتذار عن ترك الوداع وهى

تبدى وزند الشوق يقده النوى فتوقد انفاسى لظاه وتضرم  
وهش لتوديعى فاعرضت مشفقا على كبد جرى وقلب يقسم  
ولولا ثواه فى الحشا لاهنتها ولاكنها تعزى اليه فتكـرم  
فاعجب لاساد الشرى كيف تحجم على انه ظبى الكناس ويقدم \*

ص 181

فانتال عليه من بالمحلة السعيدة من كتاب حضرته وشعراء دولته انتال الهيم  
على الورد والنحل على الشهد وتباروا فى تديلها ونظم حصيانهم فى اكليلها ونص  
واراهم غبارا ثم قال الحقوا وكان اول الحلبة فى ذلك الميدان واحرزهم لراية  
السبق يوم الرهان شيخنا العالم العلامة مفتى الاسلام وعلم الاعلام ابو مالك عبد الواحد  
بن احمد الشريف ابقاه الله فقال

واعجب من ذا طور صبرى عندما تجلى فدك والجنان متيم  
تحمل فى القلب فى شرك الهوى وحل اصطبارى وهو من قبل مبرم  
وغادرنى مضنى حليف صباية وقدا تبغد بين خليك ومفرم  
فله عينا من رانا وبيننا رسائل شوق لا تبين وتكتم

ثم تلاه شاعر الدولة ابو عبد الله محمد بن على الهوزالى فقال

اخوض عباب اليم فى حومة الوغا وسمر القنا بين الضلوع تحكم  
واصدع قلب الفيلق المجر عنوة ويصدع قلبى احور العين افحم  
واحمى دمار الملك شرقا ومغربا ويحمى فؤادى وهو فيه محكم  
واكتم ما انويه حتى عن الحشا واودع من بلواه ما ليس يكتم

ثم تلاه صاحبنا الكاتب ابو على الحسن بن احمد المسفيوى فقال

تواى به ما بى اسى وصباية طواها قببات البين عنها يترجم  
فهاجرنى اودى بحسن تبصرى وذا جلدى نهب لدينه ومفتم  
ليهنهم مشوى الضلوع فانه سليم على حكم الصباية مسلم  
فان يك تعذيب المتيم فى الهوى فان فؤادى فى هواهم منعم

ثم تلاه مؤلف الكتاب سمح الله له فقال :

الم يك هذا الخشف يالف وجرة فما باله بالنحنى يتلوم :

صحت اخاه البدر في اليل ساهرا يمثله في الهوى والتوهم  
وقالوا نظير الخير ران قوامه فقلت غلظتم انه منه اقنوم  
لقد وسع الارضين صدرى فسيحة فضايق احتمالا بالذى منه يكتم .  
قلت اردت بالمنحنى منحنى الضلوع فوريت بالمكان المعروف ورشحت ذلك بذكر

س 182 وجرة وتلاني صاحبا وبلدينا الكاتب ابو عبد الله بن علي الفشتالي فقال : \*  
خضوعي حاكم الغرام قضى به وشان القضاة بالشهادة تحكم  
فلو لم ير العدلاني دمعي وزفرتي لما كان في رسم القضية تعلم  
غزال يمس خوط بان واننى لا نجد دابا في هواه واتهم  
فهبنى اروم كنم نار صبايتي فان لساني الحال عنها يترجم  
ثم تلاه الفقيه الاصيل الفاضل نادرة العصر ونخبة الدهر القائد ابو الحسن علي  
بن منصور الشيعي فقال وقد تخلص من الغزل الى المدح وتخطى القطعة الى القصيدة علي  
عادته ابقاه الله في الاكثار

فيطلع قرص الشمس من تحت دجنة يمد بها املود بان مقدم  
غزال على الاقدام جراه النوى بقلب جرى للهوى فيه يعلم  
يصول فيردى الضد وهو مصمم وتثنى المهى منه العنان فيحجم  
امام على كل الكمال قد احتوى فلا فضل الا وهو فيه متمم  
لئن شغف الارام حبا فقد بسى فؤاد المعالي وهو في الغيب مكنم  
وشاق كذا بكر الخلافة فارتمت عليه جها والمفاطس رغم  
فعلتها بين الصوارم والقنا وكانت شهودا والصدائق التقدم  
وحل لها جيذا وساقا ومعصما بنصر عزيز يزدهيها ويعصم  
تخطت اليها الخاطئون ولم تكن لتعدل بالمنصور والله يعلم  
ولو لم يصلها لاستمرت مشيخة عن الفير او تبقى الدنى وهي ايم  
فلم لاتجر الذيل فخرا وقد سمت به حيث لم تسمو شمس وانجم  
اليس هو المنصور من وطء العلاء وذب عن الاسلام والخطب مظلم  
ومهدد بالهند واني والقنا وما أسس الرأي السيد المعلم  
اليس الذي حاط البرية واغتدى به الدين مرصوص المباني مفخم  
وتلل عرش الكفر عند احتزابه وغادره بالبيض وهو مصرم  
فدانت له صيد الملوك واصبحت ممالك تمضى كل ما هو يلزم  
وطاع له الدهر الكؤود واجمعت عليه السعود تمتجيه وتخدم  
فشيء ما شاء العلاء ولم يدع من المجد طراما يفوت ويتهم

واحيي رسوما للقلوب قد احتوى عليها العفا فهي به اليوم تنعم \*  
 وقام بها يجلي حلاها مطبقا مفاصلها والفهم في ذلك صيلم  
 يبيت عليها ساهر العين كائنا لسلطانه في الراي يسدى ويلحم  
 خبير بما تحوى الدفاتر مخبر ولاكنه مغرى بذلك مغرم  
 عليم باسرار الديانة عامل وقوف على حد الشريعة قيم  
 امام له ارث النبوة والهدى دوين الملوك ان ذاك مسلم  
 سليل رسول الله والمحدث الذى تقر له بالفضل عرب واعجم  
 فمد ظفر الاسلام منه بصارم تيقن ان الشرك لاشك مقصم  
 كما اننى منذ اتصلت به سمت بى الحال واثال الغنى حيث تعلم  
 واصبحت اكنى ثم لولاه لاغتدى سهى كذا عند النداء يرضم  
 ولو لم افز بالسبق منه لما اعترت عيون المعانى فكرتى حين انظم  
 ولا صاغ لى صوغ القوافى ارومها فتانى سريعا وفق ما اتحكم  
 ولا طاع لى حر الكلام يزينه مديح الامام حيثما انكلم  
 ولانقاد لى جيش النظام اقوده فيتبعنى من خلف وهو عرمم  
 ولا تنف صنع له الشكر فيه لا الى فانى عن نهاه معلم  
 وما الشعر الا جوهر لا تناله من ابخره ذات الاعارض علم  
 ولو نيل بالابدى لهان ولاستوى بليغ يجيد القول فيه ومفحم  
 ولاكن بغوص الفكر بعد ارتياضه زمانا باداب تعين وتفهم  
 لقد رضته الى ان انقاد واغتدى يسلم لى فيه حبيب ومسلم  
 وها اناذا قد جئت فيه بمدحها فان قصرت فالامر من ذاك اعظم  
 وان صادقت قصد الامام فانه مرامى والامر الذى كنت ارام  
 فخلها امير المومنين عقيلة تروم رضاكم فهو للفوز سلم  
 محبرة تروى احاديث مدحك فتطرب عنها النفس اذ تترنم  
 محلاة بالمدح مدحك قد ضفى عليها يمان من ثنانك معلم  
 دبت لها من بعد ان زنت صدرها باربعة تعلق من يتمم  
 فجلدت بوجه المدح غرة ادهم وتلك تجر الدليل زهوا وتفخم  
 تهنيك بالزور الذى نلت اجره ويعقبه بالله فتح معمم \*  
 ويمن واقبال وجد مجد نصر وتمكين مبين ومفهم  
 بقيتم بقاء الثيرين وملككم مدى الدهر بالنصر العزيز مخم  
 ولا عدمت منك الخلافة ناصرا فانت لها دون الانام القلم

ثم ذيل القطعة الامامية ثانياً بأربعة آيات اخر اظهار للقدرة وكمال التصرف وجريا  
على سنن الجماعة فقال

ويعجب منها الرجال فيغسدي عليها ويمضي حكمه وتسليم  
ويشعر رمحا من قوام وينتفر ظبا من جفون في النهى تتحكم  
ويقدم تيبها وهو بالحسن صائل فيبهر من ذاك الاسود فتحجم  
وتشفق مع ذا أن ترى ومكانه من القلب مستوى عليه التالم

واما من كان يرغب في لقائه ايده الله من كبار الاولياء والصلحاء الاحياء لاشتهار  
فضله وقوام طريقته بما كان ايده الله لا ينخدع بتمويه اهل البدع وتمويه اهل  
الحيل حسبما قدمنا فجماعة منهم الشيخ الولي الصالح البركة العالم العلامة \* امام  
المحدثين وكبير الاولياء وقطب العلماء العاملين بالمغرب ابو نعيم رضوان بن عبد الله نزيل  
فاس احد مشايخ مولانا الامام امير المؤمنين ايده الله الاتي ذكرهم وكان رحمه الله احد  
رجال الكمال علما ودينا وغاية في الزهد والورع والاستمسك بالسنة والتجرد من  
ملايس البدع شديدا في احواله منجزا منقبضا ذوقا كان امير المؤمنين ايده الله  
لذلك يؤثره ويعتقده ويعظمه وكلما صعد لبابه العالي لرواية يرويها او لشفاعة يرفعها  
هش للقاءه واقبل عليه بوجه البر والترحيب ومهد له الجلوس بازائه تعظيما واجلالا  
واختصه بمزية الخلوة حتى ينصرف مكرما ومعظما ومشفعا ومنهم الشيخ العالم البركة  
الصالح الواعظ الصوفي عالم مكناسة وخطيبها والمعلم عند الخاصة والعامة من  
أهلها احد بها ليل الجنة الشيخ ابو بد الله البصري المكناسي وكان من اولياء الله  
الصادقين علما وقدا ومن أئبله البهاليل اهل المقامات والكرامات وكان امام اول الامر  
بمكناسة في المواسم والاعياد وخطيبا بالجامع الكبير منها وشيخ الفتيا بها والوعظ وكانت  
تصعبه رضى الله عنه غفلة جرها عليه علو السن وطبيعة البله فكان يطرح لذلك الادب  
المستعمل مع الملوك في القول والعمل ولا يبالي بما قال او فعل ولقد شاهدته يرتقى  
على نمارق امير المؤمنين ايده الله مستندا ومتملا وثمرغا فكان امير المؤمنين ايده الله  
على خنزوانة الملك وشبهه انف الخلافة يحمل ذلك منه ويخفض له جناح الدل من الرحمة  
ويبليق له في القول حتى ينصرف راضيا ويمضي شاكرا داعيا ومما يلحق بمئاته  
الشريفة ايده الله في هذا الباب ايضا تعظيما للعلماء الذين هم ورثة الانبياء واجلالهم ورفع  
منازلهم على سائر رجال الدولة وايشاره اياهم بيزيد القرب في الدخول عليه من قبل  
الجمهور ايام الديوان والتودد لهم بمواكبة المشيخة منهم واهل المناصب يدا بيد في  
المائدة كقاضى القضاة بحضرته العلية العالم العلامة الصدر الاوحد ابى الفضل قاسم بن  
على الشاطبي ومفتيها الشيخ الامام العالم العلامة الصدر الفاضل ابى مالك الحسيب

السرى عبد الواحد بن احمد الشريف واقفيه الفاضل السرى وبنى سعيد الشريف احد اعلام تلمسان وعلماؤها المهاجرين الى الخلفاء رضوان الله عليهم وكفاضى الجماعة بفاس الشيخ العالم العلامة الاوحد ابى مالك عبد الواحد بن احمد الحملى والمفتى بها الشيخ الامام العالم العلامة المحقق ابى زكرياء يحيى ابن محمد السراج والشيخ العالم العلامة ابى العباس احمد بن على الزمورى الى امثالهما من مشيخة العلم بفاس. كشيخ الجماعة \* الامام الاوحد الحافظ القدوة ابى العباس احمد بن على المنجور والمجتهد الحافظ العالم المعلم الصدر ابى العباس احمد بن على الزمورى وقاضى الجماعة بالحضرة المحمدية قاعدة السوس الشيخ الامام العالم الزاهد الورع البركة المسن ابى عثمان سعيد بن على الهوزالى والمفتى بها الشيخ الفقيه العالم الفاضل السرى ابى عبد الله محمد التلمساني وكل هؤلاء ايده الله يؤثره بالمواكلة معه فى مائدته متى عن حضور بعضهم او جميعهم فى الحضر والسفر ويتاحفهم بهداياه وطرقه الى منازلهم وبياتهم وكل ذلك اجلالا للعلم ومحبة فى اهل الخير وتوددا لاهل الدين واما احسانه ايده الله الى من دون هذه الطبقة من طلبة العلم واقباله على كل صنف منهم وتضعيف الجرايات لهم وايشار المجتهد وذوى الفهم منهم بمزيد العناية والاقبال فعناية اشرفت على جميع العلم انوارها وعمت كافتهم جدتها حتى لقد تنافس الناس لهذا العهد الكريم من اجل ذلك فى اقتناء العلم والاحتراف بصناعته الشريفة لاعتزاز أهله وسعة ارزاقهم حتى كثر حاملوه واستبحر جهابذته فتعدت المشايخ وكثر التلميذ ونبع التأليف والتصنيف حسبما ياتى بسط ذلك فى محله وكل ذلك بعناية امير المؤمنين ايده الله وشريف همته وصالح نيته كتب الله له اجر ذلك واجزل له ذخره يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا واما شانته ايده الله فى التوكل وجميل الاخلاص وحسن التواضع لعظمة الله وجلاله والتادب مع قدرته التى امسكت السماء ان تقع على الارض وبها اختراع الكمل والبعض فمقام الخاصة من اوليائه الناظرين الى صور الاشياء بعين الحقيقة والانظار الدقيقة وحالة من يعلم ان العزائم وان فلقت الصخر والاجناد ان ملأت السهل والوعر والسيوف وان ارهقت الاسود وملكت البيض والسود وانجابت لوهيضها الخطوب السود واوشكت ان يفتح بمفاتيح اقفالها السد السود لا تغنى فتىلا ولا تملك من الامر دبيراً ولا تبىلا ما لم ينهض لها من عناية الله وتاييده عضد عاضد وساعد مساعد ولهذا لن تراه ايده الله على انقياد الدهر لحكمه وتضاؤل الافلاك لنعله وامثال الايام لامره ومثول الدنيا ببابه الا منتصبا على حال الاستسلام ومتحاميا لحمى الربوبية ان يستام خائفا على فوار بر التوكل ان يتصدع وعراها ان تفصم لذلك اذا شمر لامر من امور سلطانه يتوكل على عصا المشيئة وينهض على منساة التوكل وعمود الاخلاص ويتجرد من لباس الدعوى والانلة

ولهذا كان كثيرا ما يحضنا ايده الله معشر كتاب الانشاء ببابه العالى \* على استعمسال المشيئة والاكتار منها فى الكتب الكريمة الصادرة عن مقامه العالى الامامى شرفه الله وقد فعل وربما عنف على تركها عند عرض السجلات بين يديه وتصفحها بحضرتة فيلحقها مرارا بيده الطاهرة فى محلها من الكتب حرصا على استمرار عادة التادب مع الله وسلب الارادة عن نفسه للقادر المرید والفاعل المختار الذى اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون لا اله الا هو جل اسمه وتجدد ايضا اذا امتدح بنظم او رفع اليه الشاعر كلمة يتدبر معانيها ويعرض على محك اختباره مبانيتها فاذا وجد لفظة ينظر اليها النقد بطرف خفى لخروجها عن سياق التادب مع الله ولو باقل شىء مما لا يقدر فى عقيدة ولا يحدث وصمة فى الدين تورع عنها وخرج الى الله بالبراءة من عهدتها واهر بنبذها وادالتها باسهل منها وربما اصلحها على قائلها اذا كان زمام القول ايده الله بيده فمن ذلك ما اتفق لعبد مؤلف الكتاب فى ابيات اربعة كنت صنعتها باقتراحه ايده الله لتنقش على بعض ابواب قصره المبارك السعيد الطائر الذكر الشهير بالبديع الاتى ذكره ان شاء الله يتضمن البيت الاخير منها تاريخ المبنى فقلت على لسان القصر

هذه وفود السعد نحوى تنتمى وطلائع البشرى لبابى ترتمى  
وسمت الى عفات عرفك مثل ما يسمر الحجيج الى سقاية زمزم  
خطت بمصر عن السعود بشائرا لاحت على الشرفات مثل الانجم  
واوان صنعى ان تقول ولا تبلى فبديع احمد جنة المتنعم

ولما رفعتها الى جلاله العالى وعرضت على اختياره وبحر معرفته الذى لا ملامح لشطط وانتهى الى محل التاريخ من قولى فيها فبديع احمد جنة المتنعم باستخراج مالها من الحساب بعد اخراج ما لسى فى تلك الجملة استنكف ايده الله من اطلاق الجنة التى هى دار النعمة الباقية على قصره الذى هو دار النعمة الفانية ورغب لللك عنها تورعا وتادبا مع الله ذى الجلال والاکرام فأوجب ذلك الانتقال الى غيرها واين هذا من يلقب مبانیه بالخلد ويسميها بالفردوس ويطلق عليها دار اسلام كما هو مشهور لخلفاء بنى العباس فى مشيداتهم بيقداد ومن هذا المعنى ما اتفق للعبد ايضا وقد نظمت قصيدة اخرى باقتراحه ايده الله لتكتب فى مباح القبة الخضراء من قباب قصره السعيد المذكور فقلت منها اصف القباب

من كل سامية العماد فتاجها بسنا النجوم مكلل ومرصع  
ثم قلت مشيرا الى القصر \*

نلقى به زمر الملائك عكفا يسجدون فى حرمى حماه وترجع  
فانتقد على ايضا ايده الله من جهة الورع اطلاق الحرم على قصره وتاكيد ذلك بذكر



الملائكة وعكوفها على السجود والركوع ثم حاول ايده الله اصلاح المعنى على فارشدني بفضل معرفته ولطف اشارته الى ما يناسب ذلك في بيوت الله كالساجد وما في معناها من الاماكن المتعبد فيها ليسهل ما قصدت ويصلح ما اردت فقلت حينئذ بيتا اقتحمته بين البيتين وهو

وبكل زاوية بها متعبد خلع الوقار عليه ما لا يخلع  
واردفته بقولي

تلقى بها زمر الملائك عكف يسجدون في اكنافهن وتركع

فنسبت عكوف الملائكة على السجود والركوع الى المتعبد واضربت عن ذكر الحرم صفحا فاستقام حينئذ المعنى وزال الاعتراض وازداد الكلام بهجة ورواء فاستفدت منه لذلك ايده الله في هذا المجلس اديين ادب الدين وادب اللسان الذي هو مراعاة جانب التناسب بين الكلام والالتحام بين المعاني حتى يصح الارتباط ويقع الاغتباط وينبعث النشاط وهذا امر لا يجاريه في مضماره ايده الله فرسان هذا الشأن حسبما ياتي من كلامه البارع ايده الله ما يدفع عنها تهمة الميل ودعوى الاطراء (1)

ومما يحكى في هذا الباب قضية الثلج الذي ارسل الله على معسكره ايده الله حسبما قدمنا ذكره -انفا منصرفه من الحضرة لفاس في صفر من عامنا هذا وهو عام سبعة وتسعين فقد كان الواقع فيها جلا والخطب عظيمما ولولا ما تدارك من لطف الله الذي شأنه ان يتدارك به المضطرين من عباده وكان امير المؤمنين ايده الله اشد الناس فيه بلاء وامتحانا لافتراقه عن وطنه واثقاله وسياجه وسائر خيامه وخزائنه من وهن الظهر وانسداد المسالك بالثلج المتراكم بعضا على بعض فلم ينتظم شمله الا بعد ايام فكنا نشاهد منه ايده الله خلال تلك الشدائد وملاقاة تلك المشقة من عظيم الصبر والتجلد وجميل الاحتمال ما يشهد ان ذلك غريزة وسجية كريمة جبل عليها ايده الله ولو تتبعنا جزئيات هذا الباب وما شاهدناه او سمعناه من حين نشأته ايده الله الى هلم من جميل صبره وحسن رضاه لشدت عن الحصر والاحصاء وضاق عنها نطاق الاستقصاء فانه في ذلك ايده الله المثل المضروب ضاعف الله اجره وأجزل ذخره وأما العفو والتجاوز عن هفوات المدنيين فاقول اعلم ان هذا الامام ايده الله ورضى عنه \* اعظم الخلفاء عفوا وابعدهم فيه شأنا وربما كان اعظمهم قدرا وارفهم صيتا وذكرنا وأكثر في افواه الايام ثناء وشكرا ولو فصلنا المجمل من عفوه وحللت الكليات الى الجزئيات لضاق حجم الكتاب عن وسعها ولاكن اتي ببعض الجزئيات لتكون عنوانا على ما وراءها ان شاء الله فنقول قد قمنا في

ص 191

(1) الانتقال الى ص 190 .

باب الحلم ما كان صفحه وتجاوزه عن عبد الكريم ابن مومن الحاجب كان عنده وعند الخليفين أخويه المولى عبد الملك والمولى عبد الله فيما كان سلف منه من الهفوات التي أحفظه بها أيام أخيه المولى عبد الله الغالب بالله فأغنى ذلك عن الحادثة ومما يحكى عنه أيضا أيده الله في هذا الباب من الخصال العظيمة والمنقب الكريمة عفوه عن أهل السوس فيما كان سلف منهم أيام المشاقة والعصيان السالف في خلافة أخيه وصدرا من خلافته هو حسبما قدمنا فظهر منهم من المجاهرة بالخلاف والزحف لحربه تحت رايات عدوه والمظاهرة عليه بالانفس والاموال والافعاش عند المقابلة فالذى الذى يفرس في الصدر البغضاء ويزرع الغل ويوقد نيران الاحقاد ما لاتحملة كل النفوس ولا يتغاضى عنه الملوك عند الغلب والاستيلاء فما كان الا أن مكنه الله تعالى وأظهره عليهم فدوخت سيوفهم دانيهم وقاصيهم واستنزلت من صياصيه عاصيهم وانتالت وفودهم على بابه العالى ضارعين خاضعين ناكسى الرؤوس من وجوم الذنب واطهار اللياد بالعمو منه والتوسل فالقى الله في نفسه أيده الله عند ذلك من الرحمة والشفقة والعطف ما يجده المرء على ذوى رحمه فقابل جميعهم بالعمو وخفض لهم جناح الذل من الرحمة وبسط رواق حلمه عليهم ورفع سيفه عن سفك دمائهم وتجاوز لهم عن كل ما سلف منهم من سوء المشاقة وقبح المقابلة فأصبح جميع اقليم السوس امانا مطمئنا وهو على ما هو انفساح خطة وكثرة شعوب وقبائل فكم اشتملت عليه من خلق وضم من ضعفاء وصلحاء وعلماء يكتب الله أجر كل واحد منهم على انفراده ثم شفع لهم أيده الله فضيلة العفو والتجاوز مما لم يكن فى حسابهم فأسقط عنهم مغارم ثلاث سنين رققا بهم ورجاء أن يخلف الله عليهم بما كانت حروبه السالفة مع المتوكل أفتتهم واصطلمت نعمتهم وأقوت مخازنهم وخربت عمرانهم فتلاشى أمرهم وانتالت أحوالهم حتى راشت العافية وتمهيد الدولة لهذا العصر الكريم جناحهم ببركته أيده الله ويهن تقيته وشمول عدله واطمئنان الدولة لمهده(1)

ومولانا أمير المؤمنين أيده الله المثل المضروب فى هذه السجية الكريمة والخصلة الشريفة ولو تتبععت ما له أيده الله فى هذا الباب من المآثر وعظيم المفاخر وشغلت الفكر بتذكاره والقلم باحصاء سحائبه الغدقة وأمطاره لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلماتي وأنا ألم ببعض ما على الببال من ذلك ما وقع لصاحبنا الكاتب الفاضل اللوذعى الحلو الفكاكة الجميل الدعابة أبى عبد الله محمد بن عمر الشاوى ما (2) لطول الاغتراب

ص 192

(1) الانتقال الى ص 200 -

(2) بياض بالاصل -

بالجزائر في خدمه المولى المعتصم بالله عبد الملك أمير المؤمنين بمطرح \* اغترابه منها وقد كانت عند صاحبنا ابن عمر فرقة من قبائل مسفيوة أهل الجبل المثل من درن على الحضرة سوغوه أيدهم الله تعالى مقرمها طعمة مكافاة على الهجرة وتناول الاستثناء عشر الزيت من مقرمها لاستئثار خزانة السلطان بها في سائر الافق المراكشي فما كان الا أن تدبر ابن عمر أبياتا شعرية تناهز الخمسة يهز بها جلع كرم أمير المؤمنين أيده الله ويستل منه صرف عشر زيت أصحابه عليه لينفرد بمقرمهم جملة وكان الشعر أنجح الوسائل عند مولانا أمير المؤمنين أيده الله فقبل وسيلته وسوغه ذلك أيده الله تعالى وهو عدد كبير من القناطر المنقطرة وما زال يبيع منها في كل عام بثالاف من الذهب العين حتى صار بذلك في عداد الاغنياء وأهل الثروة والرفاهية ومن كرمه الذي كاد أن يكون كالسنة الجارية الصلات والعوائد التي يصل بها أيده الله خاصته وأهل بساطه غالبا عند المواسم ودأبه في ذلك انه اذا كانت ليلة العيد أحضرت التخوت ونضدت في سباني من الوشى ونثرت على من حضر من أهل البساط وربما رفعت الى من لم يحضر من الخاصة وأكابر الدولة لا يكاد موسم يخلوا من ذلك يختص القاضي منها بخلة يتجمل بها للخطابة به أيده الله في كل يوم عيد الفطر وربما شفع الخلع ببضائع من العين حضرت مجلس الخواص من بابه العالي أيده الله ليلة عيد الفطر من عام ثلاثة وتسعين وقد استدعاني لشغل تعين وكتب تأكد فألفت القوم ينتظرون الخلع الموسمية لوعده سبق لهم بها وتقدم من قبل أن أخرج فبرزت اليهم ونثرت عليهم فقلت في ذلك أخاطب مولانا الامام المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله :

يا اماما شاد مجدا أقعسا وعلى هام الثريا عرسا  
ما لريقى لم يجد بطحاءه عارض من راحتك انجسا  
أمطر الخلق تخوتنا وكسى مطرا جودا وعندي احتبسا  
أفلا عبدك عبد جاءك من ثناه لعلاكم سندسا  
فاذا ما اختال غيرى في ملا قد كسته الفخر ابهى ملبسا  
فلدى المنصور أرجو نائلا ينقل الظهر ويشنى الارؤسا

ثم ما زال ينثال على بعد ذلك من شئيب احسانه أيده الله المتواليه وسحاب  
(1) الهامية ما أقصم الكيس وانقل الظهر والرأس ومما يحكى في هذا الباب  
ص 202 أيضا من مناقبه الشريفة أيده الله ومناثره المنبقة قضية الفقيه الفاضل السرى الحسين \*  
المسترسل النشأة عن الفطرة والسداجة صاحبنا الحاج أبى العباس أحمد بن أبى

العافية الشهير بابن القاضي وهو لقب غلب على هذا البيت القديم السرور والاصالة وكان من خبر الحاج أبي العباس انه لما ارتحل الى المشرق فى عشرة الثمانين لقضاء الغريضة ولقاء مشيخة العلم والاخذ عن الائمة اقام بمصر وروى عن علمائها وحمل اجازاتهم الى المغرب ولحق بمستقره من فاس ثم وفد من بعد ذلك على مراکش وتلطف حتى وصل الى مولانا أمير المؤمنين بمدخلة أهل بساطه من العلماء والكتاب وكان يحضنى الود من بينهم فكنت سفير وسائله ومنفق بضائعها حتى نجحت وحصل على الامنية من خدمة أمير المؤمنين والانتظام فى سلك أولى السموات المرعية ثم تاب له رأى فى معاودة البلاد المشرقية للتطوع بحجة اخرى واستزادة العلم والتحصيل وكانت له نية بالغة فى نشر مآثر مولانا الامام أمير المؤمنين أيده الله فى الافاق فجمع من مفاخر الدولة وأمداحها وفتوحها ومآثرها ما أملى بثه فى الاقطار ونشره فى المشارق لو ساعدته الاقدار واستأذن مولانا الامام أمير المؤمنين أيده الله فاذن له ووصله وتوخى الطريق على البحر فركب السفين من ثغر تيطاون فاعترضتهم أساطيل العدو فى بحر الزقاق فأسرتهم وحصل فى ورطة عظيمة لولا ما تداركه من الطاف الله تعالى وشمله من عناية مولانا أمير المؤمنين أيده الله التى تجلى الخطوب المدلهمة وتفك عن العناة قيود النوائب المليمة وطير الى أبوابه الشريفة كتبه من أرض العدو ضارعا ومتطارحا عليه ومقدما وناشد السموات التى لا تحفز ذمامها فانبعث لها أيد الله وحفظ له عهودها ووصل أخوه العدل الشهير من صنف الحضر بفاس بوفور العقل وكمال الدهاء محمد شقرون بن القاضي فى جملة من أهل بنينهم بفاس وأشفق وترحم ووعده بخلص أخيه وهناه مما اهمه من امره وكتب فى شأنه أيده الله الى قائد تيطاون والى الامين على أخماسها ومفانها التاجر الارضى أحمد فظل يحرضهم على السعاية فى اقتدائه وصرف العناية الى استخلاصه بكل وجه يمكن وكان الكفرة قد توسموا فيه مخائل السراوة وتنسموا منه رائحة الحسب والاصالة فانبعثت مطامعهم اليه وشططوا فى الفداء وبعث الى أهله فى ولد لنصرانى معلم ماهر قد نصبه طاغية قشتالة لصناعة اكوار الانفاط وعمل السلاح بحجرة بادس فكان له بذلك عندهم خطر وبال وزعم النصرانى لابن القاضي بافتدائه بولده وكان من أسرى الجانب العالى الامالى ومن سبى وادى المخازن فتقدم بنو القاضي الى مولانا أمير المؤمنين أيده الله \* فيه وكان لديه أيده الله من أهل المدينة والمقاطعة بالاموال الطائلة فدفعه اليهم ولم يكن شىء أسهل عليه من بذله على خطره فذهبوا به لفاس لينطلقوا به الى تيطاون للموعد الذى ضربوا بها مع والده فوافق ذلك ما كان من خلاص أخيه الحاج أحمد وخروجه من سبته الى تيطاون بتدبير التاجر الحاج اللأوس من أهل مكناسة كان فى بلاد العدو منذ اعوام يخاصم فى مقاطعات بعض الاسارى

غدره بها علج ارتد الى دينه الاول وممر في طريقه راجعا على جبل الفتح بالحاج ابي العباس فاحتال وتلطف حتى قاطعه بمال لم يخل عن رفق لمكايد اعتمل في استخلاصه بها فلم يتفطن بها الكفرة الا من بعد عبوره الى سبته فأدركتهم التمامة وطيروا السفن اثره فأقلت من حبالها ابن القاضي وحصل في انشوطتها الحاج الفلوسى مستخلصه فلم يتخلص منها الا بعد عصب الريق وبجاد أمير المؤمنين وعنايته واغلاظه على من تحت اياته من أساقفة الكفرة وقسيسيهم الذين على يدهم مفادات أسارى المشركين فعمل الحاج ابو العباس وقومه وجوههم الى مولانا أمير المؤمنين أيده الله يستلونه الانعام عليهم بما تقاطع من المال لبقاء الحاج الفلوسى رهينة فيه هو وسلعه بسبته فلقيه أيده الله برا واكراما وأمر بتلك العدة من المال فدفعت اليه من حينه وشفعها له بصك سوغه به أيده الله ما حصل منه على ربح عظيم أورثه الثروة وكان صاحبنا الحاج ابو العباس يزعم أن جملة المال بما بلل له أمير المؤمنين أيده الله في المقاطعة وبما حصل عليه من الربح بسبب ما سوغه وبما أطرح عنه من اللازم بعنايته وجاهه تناهز عشرين الفا بعدها عدا ويفصلها تفصيلا وهذه منقبة عظيمة ومئاتر جليلة جسيمة لو لم يكن ليحكي من مناقبه مولانا أمير المؤمنين أيده الله في هذا الباب الا هي لكانت كافية وبجميع المفخر واقية لما تدل عليه من عظيم الكرم والجود وحسن العهد والوفاء ورعى ذمام الخدمة والوفياء وعلى انها بالنسبة الى غيرها بعض من كل وقيل من كثير واما صلته الجزيلة أيده الله تعالى وهباته الجسيمة الجليلة للشعراء ومن يفد على حضرته العلية من وفود الاعيان والعلماء وذوى الحاجات المثالين على بابه من كل قطر وفي كل وقت فأجل من أن يحصى أو يأتى عليها العد والاستقصا فان حضرته أيده الله كانت لاهل الارض قبله تؤمها الوفود وتنجع اليها القبائل والمران اليزنية تفوت الرمل والحصى عدا ويفمر بحرها الارض غورا ونجدا وكل ذلك على أحسن نظم وأبداع ترتيب وأفخم زى واكمل بهجة ورواء وبحالة تفر بها اليوم والمئة لله \* عين الاسلام ويخلع قلسوب الكافرين من عبدة الاصنام (1) .

وأما مسائلته أيده الله عن يعقل او يمرض شيء من اهل بساطه واكابر دولته وعبيد حضرته واربياء نعمته واطهار الشفقة لهم والضنائة بهم والجزع عليهم وعبادة الخاصة منهم بنفسه وتعاهدهم بارساله وانفاد أطبائه اليهم على القرب والشحط وتمشيه ما يليق من الادوية والاشربة لهم من داره وحضور جنازة من يموت من خاصته واركاب بنيه الامراء الكرام للطبقة التى من دونها فشيمة تستعبد الاحراز وسياسة تأخذ

بمجامع الالباب وتبعث على بذل المهج فى جانب رضاه الكريم وما عسى أعد من مناقبه الشريفة وأشر من مآثره الكريمة فى ذلك فحدث عن رمل عالج كثرة لاكنى أذكر بعض ما يحضرنى ليكون عنوان على ما وراءه مرض لصاحبى ووليبى الكاتب أبى عبد الله محمد ابن على الفشتالى صبى صغير مرضا أشرف به على الاياس واتفق أن جاءه يوما بالديوان الكريم النذير من منزله بأشراف الولد على الفوت فأرهقته الشفقة التى تجد الوالد على الولد وازعجته الى منزله فلما ثم عرض بروز مولانا أمير المومنين أيده الله للايوان الكريم فاستدعانى وأملى على من المهمات ما تتعين فى كتبه المشاركة والمعاضدة قصدا للانجاز والمبادرة وسألنى عن صاحبى بما كان ظهيرا وردءا لى عن الانشاءات التى اختصتنى وإياه العناية الامامية بالتهوض بأعبائها والامانة على أسرارها وكنت جهلت السبب الذى أزعجه وخفى عنى وجه العذر فاستشيط مولانا أمير المومنين أيده الله غضبا لغدوه من قبل أن يحين الرواح وبعث عنه أيده الله مستحثا له فلم أشك ان وصل أن يصب عليه من العتاب والملامة سوط عذاب واهمنى ذلك شفقا على صاحبى من موقف الخجل والارتباك فوصل وأعرب عن حاله وأبان وجه عذره فما كان الا أن رق أيده الله للحال واستحال من حينه الغضب الى الرحمة وجعل يسائل أيده الله عن حال الصبى ومرضه سوال مشفق وبالح فى ذلك الى أن قال له أيده الله ان أمراض الصبيان قلما ينجح فى علاجها الا طب العجائز ولا كمجائز دارنا فابعث لهن من يسائلهن ومن هذا المعنى أيضا ما اتفق لعبدهم رضى الله عنهم مؤلف الكتاب وهو ان ولدا كان لى صغيرا يناهز السنين مرض فقضى فوافق أيام الديوان التى يتعين فيها البكور الى الابواب الشريفة لاقامة وظيف الخدمة فتأخرت لمواراة الصبى وكتبت لحاجب الباب أعرفه بالقصة ليقيم المعذرة عند السؤال عنى فما كان الا أن خرج مولانا أمير المومنين الخروج الثانى المعقود لعرض مهمات وابرام أمور ملكه \* وفقدنى فى خدمة بساطه فاستفهم عنى فأخبره حاجب الباب بالحادث الذى أخذ

ص 209

بحجرى عن الطلوع للديوان الكريم فتأسف للرزء أيده الله أسفا نبه على فريقين بين عبيده وشاد لى الفخر على صنفى من خدمة أبوابه وأطال أيده الله فى السؤال عن الولد وعن مرضه وهل لدى ولد غيره ثم هل هم لام واحدة أم لامهات وأطنب أيده الله فى السؤال ووليبى أبو عبد الله يجب عن الحال اطنابا أشعر الحاضرين من الخاصة بما (1)

الخدمة ووسائل التربية حتى أرسل الى أحد الخاصة ممن يانف من انتباب الابواب بولده عن ساعتها بولده يعزىنى عن المفقود فاستحالت التعزية الى التهنية بسبب ما شرفتنى به عنايته أيده الله من الاهتبال بشانى والاهتمام مما أهمنى والتأسف لما

(1) بياض بالاصل .

أسفنى ولما بكرت على العادة للابواب الشريفة فى الديوان الثانى ووافق ذلك انقباضه  
أيده الله عن البروز للناس يومئذ من أجل ألم خفيف ألم بذاته الكريمة شرفنى بالدخول  
الى حيث مقر ذاته الشريفة أيدى الله بالقصر الذى هو من مشيدات الامام والده قدسه  
الله لكثرة ما كان يالفه ويؤثره على غيره من قصورهم العالية من قبل اكتمال مباني قصره  
البديع المعفى على آثار الاولين والاخرين حسبما ياتى فى مجلة فافتتحنى أيدى الله  
لاول ما اطمأن بى المجلس بين يديه بالتعزية عن الوليد الناشئ فى نعمته عظهرا أعلى الله  
أمره وأطال للاسلام عمره غاية الشفقة والاسف وانبرى يسئل فى الحضور عما سأل  
عنه فى المغيب وأربى واستقصى حتى كلت أناشئى بين يديه خجلا وسرورا بما شاهدت  
وأما ما قابلتنى به عنايته أيدى الله عند انغماسى فى العلة المتطاولة لآمد من حولين  
كاملين وشملسنى (1) واهتمامه وحنوه على وهو صلة سؤاله وانفاذ أطبائه  
وارساله وطورا بحاجب بابيه ومتاحفتى بالمربيات والاشربة المعنمة لداره فشىء  
لاتنهض العبارة بأعباء شكره وبحجم البيان عن استيفاء قلبه فضلا عن كثره والله تعالى  
أسأل أن يحفظ على الاسلام مهجته الكريمة ويحلى جيد الدين والدنيا من دولتهم الغراء  
بالدرة الثمينة اليتيمة وأن يجعل أسياهم المؤيدة المنصورة لحماية الله والامة جنة وارفة  
واقية وتميمة وأما الكرم والجود والسخاء الذى لايلحقه شرف وهى أعظم الخصال  
وأشرف الخلال وأكرم السجايا التى لها عند الله وعند الناس البال فأقول يحق أن أقدم  
هنا فصلا استفتح به الفهرى هذا الباب ليكون تذكرة لاولى الباب قال رضى الله عنه وهذه  
الخصلة الجليلة قدرها العظيم موقعها الشريف موردها ومصدرها وهى احدى قواعد الملكة \*  
وأساسها وتاجها وجمالها تعنوا لها الوجوه وتذل لها الرقاب وتخضع الجبابرة وتسترق  
بها الاحوال ويستمال بها الاعداء ويستكثر بها الاولياء وتحقن بها الدماء ويحسن بها  
الثناء وتملك بها القرباء والبعداء ويسود بها فى غير عشائهم الغرباء وهذه الخصلة  
بالعزائم الواجبات أشبه عنها بها مساقط وبل الجود قد ارتحلت اليها الشعراء من الاقطار  
القاصية والافاق الشاسعة وضربوا الى بابه أكباد الابل وكان ممن أزجى مطيته الى  
حضرته العلية مادحا ومسترفدا شاعرا المشرق والمغرب لوقته بلا مدافع الشريف السرى  
الفاضل أبو عبد الله محمد بن أبى الفضل المكى وفد على حضرة أمير المؤمنين أيدى الله  
من مكة وخاض اليها حشى الديمومة وشبح البحار فسقط على المغرب فى عام ثمانية  
وثمانين وأناخ على ولى العهد بفاس المولى الامير الهام أبى عبد الله محمد الشيخ المامون  
ابن أمير المؤمنين أيدى الله فأكرم وفادته ووطا له أكناف القبول وبسط عليه النعمة ثم  
وصل صحبة ركابه العالى الى باب أمير المؤمنين أيدى الله عند مقدمه عليه بمعسكره

ص 210

(1) بياض بالاصل .

على نهر تانسيفت فى جمادى العام حسبما أسلفنا ذكر هذا الملتقى المبارك فمدح أمير المؤمنين أيده الله بقصيدتيه الطنانتين وهما اللامية التى أولها (1) والدالية التى مطلعها

أترى زمان الرقمتين يعود ومذيب جسمى بالبعاد يعود  
ثم بقصائده آخر وتوشيحاته مدهبات تضمن جميعها ديوانه المجموع فى امداح  
امير المؤمنين ايده الله المروع فى خزانتهم الكريمة حسبما ياتى ذكر هذه المنظومات  
فى محله ان شاء الله فوصله ايده الله فى تلك النوبة بالف اوقية وخلع وحملان  
وانقلب صحبة ولى العهد أعزه الله تعالى لفاس فاقام بها مكلوا بعنايته مشمولاً بمبرته  
مغموراً بعوارفه الى ان تحرك مولانا امير المؤمنين ايده الله على تفتة ذلك بفاس حسبما  
قدمنا ايضاً فلقية هذا الشاعر فى جملة وفد اهلها بقصيدة لامية موصولة اولها :  
قدومكم بالسعد غنت بلابه واخره محمودة اوائله

وستاتى ان شاء الله ايضاً عند ذكر شعره فكان يتمشى له فى كل شهر من لدن  
مقدمه الى حين منصرفه تسعمائة درهم وكانت مدة اقامته نحو من سنتين فلما ازمع  
القفول الى \* المشرق وصله مولانا امير المؤمنين ايده الله ومولانا الامير الهمام ولى عهده ايدهم  
الله تعالى بنحو اربعة الاف اوقية دون الخلع والكسى وشقاق الملف ورقيق الكتان فذهب  
مملوء الحقائق موفى الرغائب وحمل معه سجلاً كريماً بخاتم امير المؤمنين ايده الله الى  
ملك بلاد الروم من بنى عثمان عرض قيده ليقلده قضاء صنعاء  
اليمن فنجحت فى ذلك وسائله بعناية مولانا امير المؤمنين ايده الله  
ونفوذا ارادته عند ملوك الارض وكتبوا لابن الفضل التقليد فقوض الى اليمن مجبوراً ثم  
عاجل بدره السرار من قبل التمام وانسبت به المنية اظفارها فطرقة المرض بالبحر عابراً  
الى الاسكندرية ففاضت نفسه رحمه الله وقذف به فى الموج فعادت جواهره النفيسة  
الى معدنها وبيعت تركته بالاسكندرية واشتمل عليها ولاة الروم بها قدسه الله تعالى وغفر  
له واما اكرامه ايده الله لصنف العلماء الذين يجلبهم الى حضرته من الاطيار برسم التحليق  
للمذاكرة فى مجلسه الكريم وللأخذ عن المشيخة الاعلام منهم وانتفاع طلبة الحضرة  
بهم فشىء لم يعهد فى غير خلافته الكريمة وايامه السعيدة وكان كل من وفد منهم على  
بابه الكريم لا ينقلب لاهله الا بالاف من العين واوقار من الملف والكتان وانواع  
الملابس واما ومراكب حتى كان شيخنا الامام العلامة شيخ الجماعة وصدر العلماء ابو  
العباس احمد بن على المنجور رحمه الله كثيراً ما يقول ما عهدنا بلذ المؤمنين فى الصلوات الا  
فى ايام الشرفاء ولا عهدنا بلذ الالوف الا فى ايام مولانا الامام المنصور بالله امير المؤمنين

(1) بياض بالاصل .



اذ كان رحمه الله ممن ادرك دوله بنى مرسن فلم يكن ليعهد فيها بدل المثين فضلا عن  
الالوف وعطاياه ايده الله للواردين على حضرته العلية ووفود القاصدين من العرب  
المصطنعين وجماهير القبائل المنثالين على ابوابه الكريمة من كل اوب وصوب وما يبذله فى  
سبيل الخير وطريق الزلفى لو تعرضنا الى عده وتفصيله لضاق عنه حجم هذا الديوان  
ولقد رأيت كثيرا ممن يتبجح من المؤرخين بمفاخر ملوك قطره واولياء نعمته يعد لهم من  
بعد المبالغة فى الاحتشاد والاستقصاء مآثر لو قابلنا جميعها بمفرد من مآثر مولانا الامام  
امير المؤمنين ايده الله ما رجح بوزن حصة من مآثر الحجة من ذلك ما ذكر ابن حيان  
فى تاريخه ان المنصور بن ابى عامر اعلم غزاته الثامنة والاربعين الى مدينة شنت ياقوب  
وهو تغيير اسم يعقوب كبير الحواريين الاثنى عشر اصحاب المسيح عليه السلام  
بلغت كساه فيها الى الفى كسوة وذكر ذلك على سبيل الغرابة وليت شعرى \* اى نسبة  
بين هذه الجزئية التى وقعت وانقطعت وبين اضعافها مما يبذل امير المؤمنين فى سبيل  
الخير كل عام ويجرى على يده مرتبا من الكسى سانهة على الدراع فقل ان تصحوا  
يوما ابواب ديار العشر ومودع السلع من غاشية اهل الاعانات واولى التفضل والانعام  
الذين يتحينون اوقات الملابس المرتبة زمرا تتبعها زمر دون ما يبرز من قصوره الكريمة  
احيانا الى الاشراف والصدور ووفود الملوك وارسالهم من المتاحفة بمفاخر الخلع والتخوت  
ونبيه اللباس وربما شفعت بالمراكب العتيقة والحلى الثقيلة والاموال الطائلة الجسيمة واما  
ما يجهزه صحبة بعوثة الى فتح الجهات والاقطار وعساكره التى يرمى بها اقاصى  
الممالك البعيدة فاتحة ومدوخة فشىء لا يحمله الا البعير ولا ياتى عليه حسبان ولا  
تقدير فحدث عن كتب يمرين كثرة

ص 212

### ذكر الاحتفال للميلاد الكريم والتنويه بموسمه العظيم

هذا الموسم الكريم النبوى ومشرق انوار الطلعة النبوية ومجلى عروس الكون ومظهر  
كتر الله فى العالم وسره المنتقل فى اصلاب النبيئين عليهم السلام من آدم خير من طلعت  
عليه الشمس صلى الله عليه وسلم صلاة يتهادها فم الى فم وقلم الى قلم حتى تظلنا  
فى اعسر من عنايته الراية والعلم هو مطرح الهمة الكريمة الامامية النبوية الشريفة المنيفة  
ومرم اعتنائها وعظيم اهتبالها واحتفالها واكراما والاجلالا ولئن كان الخلفاء رضوان  
الله عليهم لم يجدوا ايامهم ومددهم من احياء سنته التى ثابروا عليها خلفا عن سلف  
والاحتفال لوكيمته العظيمى التى تحضرها ملائكة الرحمان ويهتز لعظيم شأنها الملوان  
فلقد اربى عليهم مولانا الامام امير المؤمنين ايده الله تعالى فى صنعها الجسيم والاحتفال  
ليلها العظيم ويومها الكريم بمقدار ازدياد بحره الطليق على نهرهم وامتداد باعه الرحيب  
على فترهم حياها الله من همم هاشمية \* وشيم نبوية ونفوس كريمة علوية كم لها من

ص 281

ص 282

فخار عظيم ومآثر تلوح غررا في جباه الايام وهي كماثرة يرضون بها الرب في كل عام وتقر بصنيعها عين المصطفى خير الانام عليه اطيب الصلاة واذكى السلام والرسم الذي جرى به العمل (1) لاحتفال هذا الموسم النبوي الكريم انه اذا طلعت طلّائع ربيع الاول طلّائع هذا النبي الكريم صلوات الله عليه وسلامه توجهت العناية الشريفة الى الاحتفال له بما يربى على الوصف ويقف دونه همم الحاسب فيصير الرقاع الى الفقراء ارباب الذكر على رسم الصوفية من المؤذنين النعارين في السحر بالاذان واصوات رهبان فيهوون للدعوة من الاماكن النائية ويعكف على خدمة رياض الشموع التي تجلو الحاسن هذه الجهابذة الذين يبارون النحل في نسج اشكالها لطفًا وادماجًا حتى اذا كان ليلة الميلاد الكريم وقد اخذت الالهبة وتسم الاستعداد وتناهى الاحتفال واقصى مبالغ الكمال وتلاقت الوفود من مشايخ الذكر والانشاد وحضر وقت زفاف العارى في رياض الشموع الى الابواب العلية الشريفة وحضرت الآلة الملوكية والافلاك المؤلفة من الاخشاب لحمل جنوعها يحملها اسارى النولة وأولو الطرق من الصحافين المحترفين بحمل خدور العرائس عند الزفاف يتقدمهم عريف الاشغال بالباب العلى مصلحًا لشأن افلاكها ومعدلا لسيرها

مشايخ الوزعة وخدام الشرطة ومشايخ البلد انتظم عالم من النظارة سماطين بحافى الطريق من ابواب الخلافة العلية الى حيث مثوى الشموع من منزل اولى صنعها وخدمتها قد جملوا جنبتي الطريق وركبوا الاسوار والاسطاح وبرزت ربات الحجال من اعلى المنازه والصروح فضخمت الجملة وعظم الزفاف وبرزت جنوع الشموع كالعذارى يرفلن في حلل الحسن والضخامة والجلال واحتملت على افلاكها يقفوا بعضها بعضا في عدد كثير كالنخيل فارتلعت اصوات الآلة وقرعت الطبول وضج الناس بالتهليل والتكبير والصلاة على النبي الكريم وتتصاعد على الوصف من الزى العظيم والزفاف الجليل حتى تستوى على منصات الشهرة بالايوان الشريف ثم يقع البيات على التغليس لحضور المشهد الكريم فاذا حضرت صلاة الفجر برز مولانا الامام امير المؤمنين ايده الله فيصلى بالناس ثم يقتعد اريكة قبته وسرير ملكه وعليه خلع البياض شعار الدولة الكريمة وقد ازدهى المحفل وضخم الحال وتناهى الجلال واصطفت امام القبة جنوع الشموع المبارية للمآذن والنخيل ضخامة اجرام وطموح اعناق واصطفاف العذارى المختلفة الالوان فمن بيض كالدمى وحمرة جلبيت في ملابس ارجوان وخضر سندسية \* الفلائل وقد تقسمت طول جنوعها قباب مستديرة بها استدارة اركان المآذن وتفننت فيها الصنائع نسجا وقادت بين الارجل الضخمة والافلاك المضاعفة تنوء بها العصابة اولوا القوة متعددة المواعد والمشاكى كانها هضاب نرجس نهر ذوائبه ايدى النواسم واستحضر من انواع الحسك امام الحضرة كل تورا مصنوعة من النشب اخذت مدمج خصوصها التفافيح

ص 283

(1) بياض بالاصل .

النافذة النقش قد ركزت في انابيبها المجوفة وغير المجوفة عمد ملبس الجسوم من الشموع طوال القدود طاعة في الجو باسنتها المذهبة مولوية بالسنتها الدلقة تضرب باشهارها الجنة من اولى الدربة بقطف انوارها فتقطفها بالاجلام المحززة والمقطعات المجوفة التي تمسك ما ابانه الحلاق من شعورها فلا يسقط منها شرر ولا يوم لها قنار وملثت امام الحضرة الامامية لوقود العنبر آلة ضخمة الشكل فضية الصوغ بديعة النقش مظلمة بالغطاء الدمج الشباك يناول مولاة وقودها العنبري الى انفضاض المجلس قيم الاثاث في تسهيل من الظرف والخصوصية لا يغيب عن امدادها بالوقود فتتصاعد فوق المشهد منها غمامة عنبر قد سدت افق الشمس وضربت دون سماء القباب سرادقا جونا فتملا المعاطس وتعلق عمائم الاطواق والجيوب واللبب وتسائل الناس من البلد على طبقاتهم مفلسين من شرفاء وقضات وفقهاء وكتاب وشعراء وقراء وخطباء واجناد وروساء واشياخ نيهاء وعمال اثراء الى من تعلق باذياتهم من اللقيف والغمار بما يعين التنخل ويعجز التأمل فاذا استوى الورود واصطفت الصفوف الاجناس وتآلفت الاشكال ورضيت مقاعدها السرات وخلص من زحام الابواب الضيق وعصى الرياد عن كتب الله سلامة ثوبه وحفظ بشرة وجهه فكثيرا ما نرى الانوف لخدوشة من التراحم والتدافع بالابواب التي يظللها عصي اشبه من عصي الوذعة ومن يسد طريق العارض الهاطل تقدم اهل الذكر والانشاد يقدمهم مشايخهم من بعد ان يفرغ الواعظ من قراءة ما يناسب المقام من الاستفتاح للفضائل النبي صلى الله عليه وسلم وسرد معجزاته والثناء على شريف مقامه وعلى جلاله واندفع القوم لترجيح الاصوات بمنظومات على اساليب مخصوصة في مدائح النبي الكريم صلى الله عليه وسلم يخصها اصطلاح العرف باسم المولديات نسبة الى المولد النبوي الكريم قد لحنوها بالحنان تغلب النفوس والارواح وترق لها الطبايع وتبعث في الصدور الخشوع وتقشعر لها جلود الذين يخشون ربهم يتفنون في \* الحانها على حسب تفننها في النظم فاذا اخذت النفوس حظها من الاستمتاع بالحنان المولديات الكريمة تقدمت اهل الذكر المزحجون بالرقيق من كلام الشيخ ابي الحسن الششتري رضى الله عنه وكلام القوم من المتصوفة اهل الرقائق كل ذلك تتخلله نوبات المنشدين للبيتين من نفيس الشعر يتحنون به المناسبة بينه وبين ما يتلى من الكلام عند الانشاد من نسيب او غزل او امام بنسيج او تشوين للمعاهد الشريفة او مديح نبوي او ما ولى على سبيل لطيف من الظرف ولحن عريق في نسب الاجادة ثم حضرت دولة انشاد الشعراء وكان الخلفاء رضوان الله عليهم يتساهلون في اتباع الغث الذي يلهج به من ذلك العوام المتشاعرون بما يلقون سفاسف القول وسافل الكلام المصقول بشرك القافية الواهية والوزن الخارج عن نسب الاجادة ومصطلح الاوزان

العروضية فلما جاء الله بساعة الكمال القمت اللهم العلية المنيفة الكريمة الامامية الاحمدية المنصورية على الله بحبها وايد حزبها من ختم محاسن هذه المحاسن الشريفة النبوية بالدعوة الجليلة الامامية العلوية بمثلية هذه العصابة الخسيصة التي يتحاشى مجالسها النبوى عن خصف انعلتها الوطرة على اوطينه الشريفة الملوكية ويتنزه عن قولها الثقيل الذى تشمئز منه الطباع ولا يحصل لواحد على الاسماع اذن ولا قبول فانصبت مع الامتنان بحفظه الجراية وغيثية الاحسان وادانتها العناية الشريفة الامامية بالعصابة الادبية من كتاب الدولة وشعراء (1) هذا الميدان وجهابذة هذا الشأن ودفعتهم لهذا المضمار العادية (1) الامامية فتباروا فى احراز الخصل تبارى الجياد يوم الرهان والشان فى الانشاد ان يقف الشاعر بازاء المسمع مستتيا اياه فى انشاد ما خبره فاذا فرغ خنع الشاعر وانصرف لمكانه من المجلس الكريم وجرى الترتيب بتقديم قاضى الجماعة الشيخ العلامة جملة الفضل الصليب العدد القوى الشكيمة صدر الفئة اثير الخلفاء سفير الائمة خطيب الخطباء بلبل منابع الجمع والاعباد القاضى ابى القاسم بن على الشاطبي نحمد الله بعفوه فانشدت له قصائد تابى الاثبات فى هذا الموضع وتلاه الشيخ الامام علم الاعلام مفتى الاسلام بحضرة (1) انمودج الفضل ولبنة التمام ذو النسب الشريف والحسب العريق الاصاله المشتمل بمائة السوداء والسراوة وذماتة الاخلاق ولين العريكة رضيع لبان العفة مليح البسط على ديانة مضمرة ثغرة النادره (1) فصيح القلم المغبر فى وجوه \* اهل اللسان والبيان شيخنا العلامة ابو محمد عبد الواحد بن احمد بن الحسن الشريف الحسنى فانشد له

س 285

الاحى نجدا والمعاهد من نجد وسائل بها من حل اكنافها بعدى  
 معاهد انس لاتزال اعراضهما مصارع عشاق ومسلى لدى وجد  
 نعمنا بها والعيش فينان مورق وجرى الهوى ملء العنان بنا تردى  
 احن الى تلك المعاهد والربى وماذا الذى يقنى حنينى او يجدى  
 ليالى الهو بالكواعب كالدمي وينعم طرفى فى معاطفها الملد  
 وكل هضم الكشمع اغيد ناعم فله من عقد عليه ومن قد  
 اذا هز غضب اللحظ ثم سطرى به فرى فوق ما يفري المجرود من غمد  
 اغازله فوق الكثيب سحيرة ويبسدى من الاشواق فسوق الذى ابسدى  
 فبتنا على رغم الحسود ويئنا احاديث احل من امان ومن شهد  
 اطارحه الشكوى واخضع ذلة واشفق من هجر يتاح ومن صد  
 اذا ما رنى طرفى الى روض حلمه فما شئت من زهر جنبى ومن ورد  
 فله عينا من رانا ويئنا تدار كؤوس من وصال ومن وعد

(1) يبيض بالاصل .

اقد غض جفن البؤس عنا ودونه  
 وقد امنت لدائنا من رقيبها  
 هو العيش لو ان الشبيبة ساعدت  
 فقد نسخ المشيب حكم شبيبتي  
 ولكن الى الاخرى سرى بهمة  
 عناد العصاة المؤمنين ومن به  
 هو البحر جودا والسماكان رفعة  
 هو الآية الكبرى التي عم نورها  
 اليه تناهى كل فخر وسؤدد  
 فمن جاهه قد نال ادم طوله  
 ايا ليت شعري هل بظاهر ربه  
 وازجى له العيش الضوامر جاهدا  
 واحدوا بها والليل ملق رواقه  
 عليه صلاة لا يزال نسيمها  
 وتم سلام لا يزال مجددا  
 اليك مدت الكف يا خير مرسل  
 فبين يدي في المعاد مواقف  
 بك استمسكت كفاى فى كل موقف  
 وخذ بيدي فضلا فما لى وسيلة  
 وود بئيك عشرة السبط انهم  
 امان لاهل الارض ما وجدوا بها  
 ولم لا وانت جدهم وابوهم  
 وفيهم ومنهم من يلاذ بظلمه  
 امام الهدى خلف الندى قاهر العدى  
 له همة تعلق الكواكب رفعة  
 وصولة ضرغام اذا احمر ياسنا  
 ورأى اذا ما الرشد عمت وجوهه  
 وادراك ما يعيب العقول مناله  
 له استسلمت كل الملوك ومن لهم  
 ابوه جد الاملاك والجد جده

ص 286

مهامه تنضى ضمير العيش والجرد  
 فيا لك من عيش هنى لها رعد  
 ببقيا وما ان من بقاء ولا خلد  
 فما انا من ليلي ولا انا من هند  
 تبارى نجائيا لخير الورى تخدى  
 تلوذ دوو الامال طرا ولا يكند  
 به العفو ارجو والشفاعة استجدى  
 وذو المعجزات اللاتى يعين فى العدى  
 فيا كف مذنب باذياله شد  
 وحاز به رقدا فيا لك من رقد  
 ارى ملقيا رحلى ومفترشا خد  
 قبيل انقراض العمر والكون فى لحد  
 فطورا بنا تمدو وحيننا بنا تخدى  
 يعاهده من قرب دارى أو المجد  
 اليك اياذا الفضل والعز والمجد  
 دعاء غريق فى مئامه بردى  
 اجازى بها عن هزل امرى وعن جد  
 فلا تسلمنى فى مضائتها وحدى  
 امت بها يوما اليك ومن ود  
 بدور الورى اهل الحفيظة والعهد  
 من الفتن الجما ومن كل ما يزد  
 فله من اب ولله من جد  
 سميكم المنصور كالاسد الورد  
 وواقى الردى هادى الرعايا الى الرشد  
 ويقصر عنها كل قيل وذى جلد  
 ولان الشموس من كمال ومن عهد  
 وجم اذا طاش الوقور عن الخرد  
 وصدر بلا ضعف هناك ولا حقد  
 بلقيا هزير لا فى صدر ولا فى ورد  
 فلكل من هاد هناك ومن مهد

امولاي حزت الفخر والفضل والندی  
علوت على كل الملوك وفقتهم  
هنيئا بما خولت يا خير من رقت  
بكم ولكم ذلت ودانت طوائف  
كففت اكف الظالمين عن العدى  
وأمنت ابناء السبيل وسبلها  
وصينت بكم اموالنا ودمائنا  
مدانجكم يعيب القوافي حصرها  
ولم اتعاط المدح الا تبركا  
بنفسى واهلى والعشيرة كلها

وتلاه الفقيه الفاضل جملة السداجة وكرم الخلق طيب النفس جميل العشرة  
وطيء الكنف فى الطبع مسترسل عنان النشأة على الفطرة جامع المجلس الاثنا من طلب  
ممتع وادب بارع وخط رائق وقلم فصيح وسيف باتر ولسان عامل القائد ابو الحسن  
على بن منصور الشيعي واشدله على الرسم المذكور :

أترى الزمان بوصل ليل مسعدى  
وابيت فيه مقبلا فى حجرها  
ومنها

وتبرجت تسبى الوجود بزينة  
من اذا تجلت فى مشاهد قدسها  
من لى بها قد اسفرت فى ليلة  
نلك الليلية ما لها اخت سوى  
فهل اركبن لها المطى عشية  
والليل يسحب مقبلا ديباجه  
والعين تخفق للروح خفية  
ويسوقها تذكار من سكن الحمى  
ومنها

تلك المعاهد هل ارانى نحوها  
وهل اغتدى والصبح من كحل الدجا  
والليل من افق المشارق قد طوى  
والنجم مسلوب السنن وقد انظفا

اصل الشرى والسير سير المسند  
راء وعين الشمس مقلة ارهد  
راياته بعد انتشار الانبند  
طفأ الشرار على ثقاب موكد

ومنها

شهيل تترك بالفضا شمل الحضا

بددا وشمل الوصل غير مبدد \*

ومنها

ياهل ابيد بوخدها البيد الى

ان ابلغ الارض الطيبة النسي

فاحط عنها في المقاعد رحلها

وازور بالزوراء قبر محمد

خير البرية خاتم الرسل الذي

فاق الاوادم في الندى والسؤدد

ومنها :

تلك المعالي والعمالي كلها

من دونها في قربها المتفرد

فاقت على السبع الطباق وخيمت

في حضرة القدس القديم السرمدي

ومنها :

وسئل به آي الكتاب فقد حوت

من سؤدد المختار ما لم يجحد

فالقدر اعظم والمقام اجل من

ان يهتدي لثنائه بتعدد

هو النبي المستجار بظلمه

في الحشر من هول هنالك مرعد

هول يهيل الرسل لآكن ينجلي

بشفاعة المختار افضل منجد

غيث العوالم رحمة الله التي

شملت مواهبها وما تنفد

ومنها

فحمي بآيته وحد حسامه

شبه المعارض او وريد الملحنه

فاسأل به بدر الذي ابتدر العدى

فيه الردى من باسه المتأسد

واسأل به احدا وهل اعنى به

احد خفاء بخطبه المترودد

ومنها

اخذت على كسرى وقيصر بعد ان

ثلث عروشها كان لم تههد

ابدت لها من غيظ ماء بحيرة

وخمود نار قبلها لم تخمد

ومنها :

صبح قد اصبح بالمهيمن غرة

لدهر فاقد قدر ذلك واحمد

واشكر لملك بعد اصبح مشهرا

ذاك الصباح معظما للمولد

حلا النبي به ولم يترك له

حقا ولم لا وهو فرع المخذ

خير الخلائف احمد بن محمد

محمد المهدي الامام بن الامام محمد

القائم الهادي الذي ابلى الهدي

بالقرب شمساً بعد جد مجهد

حزب الامام الطود منصور اللوى

السيد بن السيد بن السيد \*

وقضيت لهم اسياهم وصعادهم

ان يصعلوا فوق السماء الابد

تلقي بهم اسدا ظمء مالها  
وتريك منهم فى النوال اكفهم  
هم وطموا المجد المؤئل فارتقى  
بخليفة اعيسى الملوك علاؤه  
انى لها بمؤيد قد مده  
ومنها :

رأى اذا ما عنه جهاز رايعة  
لاكنه مستصحب بسعادة  
وعزيمة ابقت السود فى اى  
وغلوا بها ما بين نفس مروع  
هى عزمة قد انقت الامر العلى  
شامت بوارقها القتام وارعدت  
وقيلهم تركت عساكر قيصر  
فى ما بين تلقى الرؤوس به الظبى

ومنها

هدى الموافق قد رسى للحلم من  
ويريك بحرا فى المعارف زاخرا  
يقظ يوارى الغيب عنه حقائقا  
ظفرت يد الاسلام منه بصارم  
أبراحة الله الذى بعلائه  
لقد اطلعتك على المحافل رتبة  
وسناك قد بهر العقول وسرها  
ملات محبتك القلوب وقادها  
وغرسته فيها فائمر بالشنا  
وبه آتيت مغردا كالطيراذ  
يهنيك بالعيد الذى عادت لكم  
بكم يهنا العيد لورا فلقد  
لا زلت زينة كل عيد والعدا  
وبقيت منصورا بربك غالبا

ص 290

يوم اللقا الا الدما من مسورد  
تقضى مهاليك الابى الابعد  
بعماده المنصور فوق الفسرد  
اذ لم تجد لماناله من مصعد  
رب السماء باسعد وتابسعد

اغناه عن جند عليه مجند  
تقضى مهاليك الابى الابعد  
انقياد لامره المسترشد  
ومجدل ومشرد ومقييد  
من الاذى وسواد تلك الابعد  
هندا والسند البعيد بارعد  
بالقصر هلكى بالرماد الرميد  
فتخر ساجدة لهيبة أحمد

علياه طود أى طود أقود  
عما تشا فسل نفز بالمقصد  
فيرى بعين الالعى المتوقد  
حسن الروا ماضى الغرار مهند  
تم الهناء وسر كل موحد  
للملك كالبدر المنير الاصعد  
مرعك فى هذا المقام الاسعد  
احسانكم يا ابن النبى بمقود  
وجنيته حلو المذاق بمزود  
قامت اياديكم لنا كالامد  
به المسرة بالشواب المخلد  
صغتم لاهيته حل لم تعهد  
حصد لسيفك ذى الفقار الاربد  
يا خير منصور به ومؤيد

وتلاه مؤلف الكتاب سمح الله له فانشد:



وعد بوصل اللوى والرقحتين عد  
 نار الخليل التي سيطت بها كبدى  
 مرابع الشوق قد أقوت من الجلد  
 وما عليهن من وتر الاقود  
 وان ظمئت فمن ماء العذيب رد  
 لانتھروا سائلا واما على بعد  
 يصلى بنار عذاب منكم وقد  
 وجئت حى خلول السفح من أجد  
 يكاد ينقد من لين ومن عيد  
 تفتت عن لؤلؤ رطب وعن برد  
 حتى تصافح لحد المصطفى بيد  
 حاز الفضائل من مشى ومتحد  
 من دونها الشهب فى الاشراق والعد  
 تحنو لعزته الاقيال من اكيد  
 جناح كسرى فلم تخفق مدى الامد  
 من فارس قفرات العمر والكتف  
 يرجى له الجبر مرغوب ولا عضد  
 اخنى عليها الذى اخنى على لبد  
 هادى الانام الى نهج من الرشيد  
 فيه الكمال انتمى ختما ومنه بلى  
 عمرى وملء فم منها وملء يد  
 به استقل منار الدين فى سعد  
 كل الجهات فلم تقصر على بلد  
 فى جبهة الكهر لم تكسف على الابد  
 شهب السماء بشمع فيه متلد  
 مرفوعة من زبرجد على عهد  
 أمسى بانسكاب الدمع فى تكد  
 دخان ند باوج الجو منعقد  
 وهى الولايد عقم الام بالولد  
 ما دار فيه بلا لهو وغيردد

أعد أحاديث سام والحمى أعيد  
 وعج على المنحنى من اضلقى بيد  
 ومل لاكناف جرعاء الحمى لترى  
 كيمث الجئاذر بالآساد فانكة  
 وشم بروقا أضاءت من ثناياهم  
 وقل لهم ان جرى دمعى بربعهم  
 يا جيرة العالمين الله فى دنف  
 ويا نسيم الصبا ان جئت كاظمه  
 قف بالكتيب وعانق فوقه غصنا  
 وارشف نفور الاقاحى وهى ضاحكة  
 وطف لدى البيت سبعا واسع ملتثا  
 لحدنا تضمن خير المرسلين ومن  
 من حيرت فيه ايات ميينة  
 به اعتلت مضر الحمرا الى شرف  
 أجل من كسرت جبرا قواضبه  
 وجدلت قيصر قسرا وقد حطمت  
 وغادرت كل جبار لديه وما  
 وأصبحت ملة التثليت منه وقد  
 محمد سيد الارسال خاتمها  
 يا صفوة الله يا ثوث العباد ومن  
 أهدي اليك صلاة لا ازال مدى  
 اهلا بمولدك الميمون طائره  
 فى صبحه استبقت خيل السرور الى  
 يوم غدت كل ساعاته غمرا  
 قدركم الصبح منه اليل فالتبست  
 من كل هيفاء قد قامت على سرر  
 تظل من نغم الاصوات فى طرب  
 قد ظللتها غمامات نواشى من  
 يا مولدا وبه الايام قد علمت  
 يا مهرجان نود الحور لو حضرت

قد قارض الله في تعظيمه ملك  
خير امام له في كل حارجه  
من كفه ملتثما  
ليث له من قناع القيل يسكنه  
من معشر ان يكن عدنان أصلهم  
فان تسألهم فهم بنو حسن  
له الرماح التي ان هز عاملها  
ان اشرعتها يد منه مويضة  
يقظان يقرء من عنوان فكرته  
فكر تخر له الافكار ساجدة  
يقلف بالدر وهو البحر منفردا  
طوق جيدي بنعمي منه جاريفة  
فصرت اسجع مدحا فيه لاعب  
سواك ربك من طين الكمال لذا  
قد أكبرتك عيون الخلق اذ نظرت  
روح سيوفك من دم العدا زمنا  
وما ورا السود الا السد تفتحه

ص 292

بر له في سبيل البر كل يد  
حبل من الود مربوط الى الخلد  
لاكنه بانسكاب العرق منه يد  
ومن بنيه الاسود كل دي ليد  
فهم لعدنان أصل المجد والسودد  
وان تحاربهم فهم بنو أسد  
لم يثنهن نسيج الذرع والزرذ  
أقمن ما في عصي الدهر من اود  
في اليوم ما تبرز الايام بعد غد  
اذا اغتدى نافثا بالسحر في العقد  
والبحر يقذف بالدر وبالزبد  
ما زلت عمري في عيش بها رغد  
سجع المطوق في أوراقه غرد  
أمسيت في الخلق مثل الروح في الجسد  
للشمس قد بزغت من جهة الاسد  
فكل جفن لها يشكو من الرمذ  
بجيش نصر له الاقدار من مدد

وتلاه الفقيه الكاتب علة ذكاء ومحرز خصل السبق في مضمار الانشاء النابه  
العزيز العزيم المكانة المغلق السجية المسترسل الطبع العذب الفكاهة الحلو  
النادرة المبرز في اشتات الفضائل الاخ الكريم والولي الحميم أبو عبد الله محمد بن  
علي الفشتالي فأنشد له

اسرار وجدك من جفونك تعلم  
تخفي الغرام وفي الشهود عدالة  
دمع وسقم والسهاد وصفرة  
لم يدر من ألف السلامة ان ما  
اطبقت أحشائي على نار الجوى  
وتأديت فمن هويت جوارحى  
ان لم يفض دمعى على اخنودة في  
نار البعاد على خفاء مكانها  
برق باقصى المشرقين ومساؤه

ولسان دمعك عن هواك مترجم  
لا يقبلون رشى على أن يكتموا  
كل على عقد الصباية يرسم  
العين من نضج الفؤاد معنم  
فمنازل الصبر بها تتهدم  
فالعين تنثر واللسان ينظم  
صحن خدى فهو فيه مبهم  
احرق من نار العذاب وآلم  
من مقلتي بالمغربيين به دم

يا ساكنى سلعا فقد سلع الحشى  
 وسكنتم بالمنحنى من اضلعى  
 وروت حديث ابى الزناد جوانحى  
 بتولهى وتولجى وشوقى  
 لانا الذى سلت عليه يد النوى  
 يا بادى النخل النجاب بمهمه  
 اغواله وقف على ارجائه  
 فاضت مياه جهاته وتلاطمت  
 الف اغتيال السالكين بقفره  
 صفر البسايط والذرى متهيّب  
 تطفو النجائب فوقه فكانها  
 تسموا على كفل النجود وتارة  
 رقفا على قلب الذى ذهبت به  
 هن القسى لرمى اهداف المنى  
 واذا المطى بنا بلغن محمدا  
 ولها المراعى الخضر حول مناهل  
 بلغت بنا شمس الرسالة والهدى  
 تاج النبوة سرها وجلالها  
 يا طلعة بمولد جنلت بها  
 عم السرور العالمين وقد غدا  
 ايوان كسرى ساجد شكرا  
 غاضت بحيرة ساوة كخمود نا  
 يا خير من عنت الوجوه لجاهه  
 طلعت شمس الدين فى افق العلا  
 وغدا بك الكفر كان عيونه  
 فباى آيات التحدى يعتنى  
 ابا نـفـجار الماء من بين انا  
 ام بانشقاق البلر وفق اللداتى  
 ام بالاساليب التى يمينها  
 يفرى به غلب الرقاب من الاولى

من رقتن موصول التفرق ارقم  
 وجرت دموى بالعقيق عليكم  
 نوم المضاجع عن قتادة يحرم  
 وتشوفى ليورود طيف منكم  
 سيفا من الهجران وهو مصمم  
 ضل الظليم به ونسر قشعم  
 فالريح ان مرت به تترنم  
 امواج اله فلا تتجشم  
 بطشا فلا تكاد نفس تسلم  
 بالال عن درك الحيا يتلثم \*  
 سفن يدافعهن يم خضرم  
 ترسب فى خضر الوهاد وتتهم  
 تلك النواحي فى النوى تتحكم  
 اوتارها الحدا ونحن الاسهم  
 فظهورهن على الرجال تحرم  
 زرق بيض ازاهر تتنعم  
 سيف الالهية الذى لا يقحم  
 العروة الوثقى الملاذ الاعصم  
 الدنيا لها ثغر العلا يتبسم  
 عرس بها للكائنات وموسم  
 وشهب الافق ترمى المحرقات وترجم  
 ر الفرس للنور الذى هو اعظم  
 وهو الوسيلة للجنان وسلم  
 بك وانتى للشرك ليل مظلم  
 مطروفة اوقت فيها حصرم  
 فكرى ونطقى بالفهاة ملجم  
 مل حكاها النهر وهو مفصم  
 على شرط الذى يتوهم  
 سيف البلاغة وهو غضب مخلم  
 جاءتهم عصم الفصاحة تخلم

وأنى مسيلمة اليمامة افكته  
 اترى الخواق من مخارق كاذب  
 شب أبو لهب ضرام لهيب  
 قبل الدعاء على الصناديد الالى  
 يا خير من نيطت بعروة عزه الا  
 يا خير من خطت رواحل الدجا  
 اوصاف قدرك منهل متهيب  
 ان كان قد اثنى عليك الوحي يا  
 قل للذى حاك القريض لانت فى  
 فائن العنان لنجله وسليله  
 ملك ترى الاملاك خاضعة له  
 ودت عداه ان تكون رعية  
 طود يلوذ بعزه وبعده  
 الملك المنصور نجل الما  
 لهم الغطارقة الذين توارثوا  
 ائت الذى بكر الخلافة حزتها  
 ولبوس باسك فى المخازن ادى  
 وبريت اذاق الطيور من العدا  
 داست قبائل القبائل واعتلا  
 جهزت جيشك وهو عنب كوثر  
 فارفق على القوم الذين تريدهم  
 وطدت فى السودان مملكة لها  
 فغزوتهم بصواهل وبوازل  
 بخلائق ضريبة شهيدة  
 وعواسل بجحافل وفساطل  
 وقواضب عربية قرشية  
 رضاعة مهج الكهات اما درى  
 بكتائب لون السماء دروعها  
 دكن لهن من الاسنة اعين  
 خرس كما رعد الاذى شهامة

فكان منه على العماقة ميسم  
 محمد لا يستوى ومذمم  
 ومن القراية من يضرب ويولم  
 سجبوا الى غور القلب واسلموا  
 سباب وهى وثيقة لا تفصم  
 بفائه واليوم صعب ايوم \*  
 وعليه اطيوار المدائح حوم  
 عين الوجود فما لنا متكلم  
 جنب ثناء الله الكن ابكم  
 المنصور اى وسيلة لا تحرم  
 لتحوز عزا من حماه يقسم  
 اخذا من الراى بما هو احزم  
 دين الرسول من الفساد فيعصم  
 لك المهدي سبط محمد وهم هم  
 مجدا بنوه على النجوم فخيما  
 فى مازق فيه القنا يتحطم  
 وسط المخازى بستيان الاشتم  
 فتخاف اخلاف المواعد فيهم  
 كعب اياتك التى لا تسثم  
 عدلا ونار بالشهامة تضرم  
 فهم السوام وانت فيهم ضيفم  
 بين المغارب والمشارق مجثم  
 يدري عنافتها الوجيه وشدقم  
 ساما وصاب فى الحروب وعلقم  
 عقدت برودا بالقشاعم ترقم  
 علوية حسنية لا تهادم  
 الاندال ان ان رضيعها لا يفظم  
 وفلانص الفرسان فيها الاتجم  
 ومن مثار النقع ثوب اسحم  
 ولسان سيفك فى الطلا يتكلم

ايام الفئات يفوص في ييم الدرو  
 اما ترى سمر الرماح يسودها  
 فاجتحت من بسنغاي اسحاقا وقد  
 ظنت حصانك في الوجود فكل من  
 اهل الاقاليم ابست اما ترى  
 فمدت الاملاك من اقطارها  
 هدى العزائم قد ارشت نبالها  
 فاجل قداح الرأى واعقد راية  
 ابن الامام الظافر المهدي من  
 ناداكم السعد باعلا صوته  
 علمت بنو الدنيا جميعا انكم  
 دوموا لهذا الامر وابنوا بيته  
 انبي القريض الخائضين بأبحر  
 هدى الاناشيد التي تشدو بها  
 من دوح فضلك يجتنى ثمر المنى  
 عنرا امير المومنين فمن غدا

وتلاه الفقيه الفاضل علقمة العصر والادب الرطب الجتى والهصر والمقول البادى  
 الكلف يجيب طى وقتل المهامه نشرا وطى الوثيق عقد للرجولة والجزالة والحسب  
 والاصالة فارس الميدان وفاره الجوارح المطعم اكلة النظم المبرز فى الامداح المقومة الانابيب  
 القاضى ابن عبد الله محمد بن على الهوزالى فانشد له على الرسم

يا حبذا ربح اتاك نسيمها  
 ودعاه من سلع بريق لامع  
 فاحت به نفحات رملة عالج  
 ينبئك عن مسراه فجر باسم  
 يا ساكنا نلعات جرعاء الحمى  
 هل لى الى تلك المعالم عودة  
 بابى عشيات هنالك تزدهى  
 بيوانع عين سقام جفونها  
 غيد تشب على القلوب لرامها  
 من لى بمن حل العذيب ودونه

ولديه من اخبارهم مكتومها  
 فانصب من نثر الدموع نظيمها  
 بشدا عريب باللواء تخيمها  
 بحديث اشواق شواك اليمها  
 فربى العذيب ظعينها ومقيمها  
 تشفى شجوننا فى حشاي سمومها  
 حسنا ويعبق نشرها وشميمها \*  
 سقم الجوانح لا يبيل سقيمها  
 حتى يلوب عشاؤها وصميمها  
 اعلام نجد سهلها وحزومها

ومهامه لو كلفت بسلوكها  
هل من خوائف مهربات صلب  
وقف على اسرى السرى ارقالها  
تخدى بنا فى كل مرت صحصح  
تسم المزورات المجاهل فاعترت  
حتى تشق الدرب فوق ظهورها  
ونبيخ بالبطحا فيحطم كل ما  
واصب فى تلك الجمار مدامعا  
وتعرفت عرفاتها وحرأؤها  
واحيط عند المشعرين كليهما  
فاكون ممن قد اجاب ولم ينى  
وأرى بروقا موشمات موهنا  
لاحت فزفت للرحيل رواحيل  
حتى وردن بنا العقيق فراقها  
وتنسمت نفحات تربة من به  
وتلالات انواره فسمت لنا  
قرب حوت سر الوجود ومن له  
من تنجلى يوم الجزاء بجاهه  
فخليلها انحى لاحمد قومه  
من افصح الحجر الاصم بصدقه  
وسقى واطعمها كتائب جيشه  
والبدر مشق لبعثته كما  
قسما بساطع نوره ان حم لى  
لاعفرن جبين وجهى لائمها  
لعالم جاست خلال ديارها  
ايات وحى احكمت واتى بها  
لازال روح الله يعبق عرفه  
وصلاته ابدا يضاعفها له  
وادام تاييلا لوارث مجده  
ملك نمته دوحه نبوية

ص 297

ريح لكل بليها وسمومها  
اخفافها ولحومها واديمها  
ودميلها وعنيقها ورسيمها  
والال يخفضها به ويقيمها  
بزلالها اكاهن وكومها  
ويسيل فى بطن المسيل سعومها  
حطمت عليه من النفوس حطيمها  
تطفى لظى جحيم الفؤاد جحيمها  
شوقى وزمزم والصفاء ورسومها  
شعري وميط عن القلوب همومها  
لما دعى للبيت ابراهيمها  
من نحو طيبة لا زال اشيمها  
يحكى وشيك وميضهن طهيها  
بتلاع هاتيك الربى تنويمها  
طابت اباطح طابة ونسيمها  
غرر طوى حجب الضلال نجومها  
وجدت فراديس العلا ونعيمها  
عن اوجه الرسل الكرام غمومها  
يبقى الجوار وروحها وكليمها  
واجابه ذيب الفلان وريمها  
صاعا فاشبع هيمها ونهيمها  
خمدت لفارس نارها وضريمها  
زور لتربته الكريمة خيمها \*  
لثرا رسوم لا يمل لثومها  
اي ملائكة السماء تسيمها  
مئوى الامانة روحها وحميمها  
بجوى مدينته المنيع حريمها  
حتى القيامة لايزال يريمها  
اسنى الخلائف فخرها وعظيمها  
وسمت به اقبالها وقروحها

ببرية انسابها وارومها  
 جلية اناتها وحلومها  
 اسنى مناسب خندف وصميمها  
 كشفت بهم بهم الخطوب وشيمها  
 علما نزار قيسها وتميمها  
 بكر وتغلب ذهلها وجشومها  
 اضواء خندف فاستنار صميمها  
 تيهها وهاشما كذا مخزومها  
 من هاشم أرج الاصول كريمها  
 واهام أمته فنعيم مميمها  
 ينبوع عذب المكرمات نديمها  
 ونفيض فيهم بالمواهب ديمها  
 أغصانها وظلالها وغيومها  
 موطودة أكنافها ورسومها  
 تلح المنى صمعاؤها وجميمها  
 يقظان فى مهد الامان ينيمها  
 بحلا محاسنه ودام يقيمها

شمسية احسابها وبهاؤها  
 سهلية ورحيبة اخلاقها  
 مضرية مرية فهريه  
 اقامة مجد فى مطالع سوؤدد  
 اعلام فخر سودت هضباتها  
 لم تاب سوددهم ابات ربيعة  
 فمن بن فحطان عشت ادوارها  
 نسب تهز به قصى عطفها  
 وتقرع النور الميين محمد  
 ونما لنا المنصور فهو سليله  
 وأنى به المهدي فارغ نبعه  
 تنقيا الانعام وارف ظلها  
 وافى أبو العباس فانتشرت به  
 حتى أعاد لنا خلافة هاشم  
 مخضرة عرصاتها قد فوفت  
 لا زال منه للبرية سايس  
 وغدت معاصم المواسم تزدهى

وتلاه الفقيه الكاتب البارع النظم المطواع القريحة النبيل الاغراض العذب

الالفاظ المطبوع الكلام المالك لزام الكتابة والنظام الحسن التذير الريان \* من فنون

ص 298

الاداب العسول اللكاهة المغرب ببديع التنكيت الكاتب ابو على الحسن بن احمد

المسفيوى بقوله على الرسم :

وسرت عليك من الغمام سوار  
 نثرت جمار الدمع من اشفار  
 فيه وشيك المحو فى الاسطار  
 ولا مشار الشوق غير مدار  
 ويخال عطفنا لنوى شطر سوار  
 أم اللميل بها بعيد مدار  
 خطت على سبج سطور نضار  
 فكانما هو من اوارى وار  
 ايك الدجنة للصباح قمار

حيث رسومك جمة من دار  
 فضبابتى بمحصب من خبئها  
 كسم يساوره البلا فكانه  
 ترك المتيم لايفيق وما احتسى  
 فيخال نفع الترب مسكا اذفرا  
 ومنازعى كاس السهاد زوامر  
 او بارق طى الفياهب مثلما  
 قدحته ايدى الغيم فى فحم الدجا  
 ورعيتها حتى اذا صدحت على

ولقد قدحت زناد شوق يبتدى  
لاكنهم منعوا الخيال مع الكرى  
ان بان انسى كان انسى لوعتى  
او أنتشق أرج الحياة فذاك ما  
فاجعل شعارك عزيمة من همة  
وأخ الدميل على المطى سوى اذا  
والثم هناك تربة العز التي  
الامجد الاشرف الذى قد جاءه  
حرم الهداية والرسالة خير ما  
وطن النبي الطاهر المختار من  
هاد الى السنن القويم وءاخذ  
ومؤيد بالمعجزات المحكما  
وتباشر الهدى المنيف به كما  
وتزيبت بشعاره الدنيا كما  
وانجاب غيم الشك عن وجه الهدى  
يا خير من يجدى الرجاء لبايه  
فصفاتك الفر التى لا تنقضى  
أخرسن كل أذى بيان مسهب  
صلى عليك الله ما نم الصبا  
وأدام وارث دست هديك سبطك  
سباق شأو المجد أدنى خطوه  
فاذا السوابق عارضت مضماره  
أقلامه ان خط توقيح العلا  
وله ندى كف يساجله الحيا  
ما أقسم العانى بها الا انثنى  
هذا الذى سلب الملوك نفوسها  
ما عاصم من دونه لجج ولا  
ومتى يجهز للعادة رسالة  
قداح زند المكرمات ومعتلى  
وجميل ذكرك صار اسرى من صبا

بلهيبه طيف الخيال السمار  
وكفى بصد بعد شحط مزار  
أو بان جارى كان دمعى جار  
يهديه نفح بشامة وعرار  
امضى واقضى من شبة غرار  
أمت بوخذ مطلع الانسوار  
ازدى حصاها رفعة بدرار  
من نفح روح الله صوب قطار  
يلقى النزىل به عصا التسيار  
أعلا دوائب يعرب ونزار  
حجز الخلائق عن شفير النار  
ت الساطعات الواضحات منار  
يتباشر الامجال بالامطار  
تتزين الاغصان بالازهار  
وأنا ندر الحق بعد سرار \*  
حذر البوار وموبق الاوزار  
أو ينقضى بالعد قطر بحار  
وجلبن عى المصقح المكثار  
بشذى رياض الزهر فى الاسحار  
الزائى الارومة فى أصيل فخار  
أمد المبارى أو طموح مجار  
رجعت ولم تعلق له بغيرار  
يوم الوغى قصد الغنى الخطار  
فيغض جامحه يد الاقصار  
ويمينه مقرونة بيسار  
ولبوسها ومهد الاقطار  
يجمى شقيا منه بيد قفار  
كانت لهم بالجفيل الجرار  
أوج الفخار ومدارك الاوتار  
من حيث لا يبدوا دليل نهار



وكفى بلثم التراب من آثاره شرف الرقاب ورفعة المقدار  
لا زال وهو مؤيد ومسدد حامى الدمار مظفر الانصار

الى غير هؤلاء من الفضلاء الاعلام وفرسان النثر والنظام من كل فياض القرية  
يهز من لسانه العضب الحتام وتمشى تحت رايته أمراء الكلام صان الله جماعتهم وأجزل  
من الدر المكنون بضاعتهم وألزم الالفاظ والمعاني طاعتهم ولم يزل فى خلال دولة  
الانشاد يختلف الطرفاء من الخدام على الناس لاختصال الملابس بماء النعيم المصعد  
من نثير الورد والازهار الاردية يكسب عليها بطاقات الرياحين والآس سكباً غدقا فى  
الحجور والاردان فتدمت ما تعلق باللباب والاطواق والحيوب من غمائم العنبر التى  
تصاعد نؤها وسدافق المشهد الكريم فيلبث طيبها لصق بالاثواب مدة مديدة ثم تنهل على  
الحفل عارض النعمة من أبواب القصور الكريمة ويخص بالجفان والاخونة والصحون  
والطياير الرحبية الافطار جامعة لالحم المسارح وأنواع الطير \* ودواجن البيادن  
الفضاء الطبخ بالايوان الشريف ويخص الاطعام بين يدي الامام طبقة الاشراف  
والنمط الاعلام من العلماء والفقهاء والقضات وأكابر الدولة ثم تبت الموائل بين الناس بكل  
جهة وتمد بسط الاديم والمطارف صونا لاوطية المجلس الكريم فيقال على الناس من النعمة  
العارض الهطل والسحاب المروم فلا تسئل عن التفتن فى المطابخ والتنويع فى المآكل  
والارضا فى النعمة قد استهلكته ضروب الحيوان وايد طياره ودواجنه وانتهى  
الاحتفال الى ما يوجب البهت وينغمس الناس فى الاكل المتدارك والطعام ولتواثر بحيث  
لايبقى بين رفح الخوان ووضعها وتعاقب الجفان فضلة من الزمن حتى يقع البهت  
وتختل الهضوم فتمت النعمة وتختم الكرامة ويشرح بحمل الارضاخ بانسكاب العلاوى  
المتنوعة والمربيات المتقنة ثم تصب الحلقات المستديرة للأكل الحصون العديدة المملوءة  
بفانيد السكر الرحبية الافطار المعتامة من البخار اللطيف المدعو بالفرفرى صبا غدقا  
فيتطرح عليها صنف أهل الذكر والانشاد ولفيف أهل البلد لجنوبهم متهاكين فى  
اختطافه وتداوله بحالة تستضحك أمير المومنين ويهش لها ارتياحا ثم يختم بالشكر  
والدعاء فينفصل المجلس ويفيض الحجيج وقد مكث من فاضل الطعام بفضاء الايوان  
الشريف هضاب سامية فيؤذن للمساكين وذوى الحاجات المعومين عليها بالاسباب  
الشريفة تحويم القشاعم فينقضوا عليها ويسيل على هضابها منهم السيل العرمم  
فلا يادون عنها حتى تلقى كلمتهم ويرضوا جميعا فينقضوا عنها والجبال جبال فاذا  
انصرفت ايام الوليمة الشريفة برزت صلاة الشعراء وعليها التوقيع الشريف فينشر  
عليهم وتشفع لعلبة المشايخ بالخلع الشريفة تقبل الله من أمير المومنين وأجزل ثوبته  
وضاعف له الجزاء الاوفى فى دار النعيم وكانت لولانا أمير المومنين ايده الله صدقات

ص 300

فاشية واسعة عظمة العائلة يجربها على ايدى ثقات من رجاله فمنها الاموال التى يخرجها ختم كل رمضان ويعم بها ذوى الحاجات بحضرتة العلية اهل الخير والدين كل على حومته حتى صار ذلك رسما وعادة يتحينها اهل الحاجة ومنها المهرجان الذى يقيمه يوم عاشوراء كل سنة لختان ذرية ضعفاء من مساكين الحضرة وأحواؤها وذوى الحاجة من أهلها يدخل بذلك أيده الله السرور على أولاد المومنين فيبكر الامناء ببابه العالى وقاضى الجماعة وصاحب المظالم المباشرة سنتها بالايوان الشريف ويتصاعد أهل حرفة الختان من أولى الحجامة وأهل الآلة والغناء \* بأسرها التى ألفوها من عوائد الصلوات والاحسان فيصطفون بالايوان الكريم وقد شجعت المواسى وتجاوبت الالحن واصطجبت أصوات المزاهر وارتفعت هضاب الكتان وأكداس الدراهم واستكثر من ذبح البقر فطمر بحر اللحمان وعلت أصسوات الصبيان يتضاغون على أعناق آبائهم وقد مثلوا بالابواب الشريفة عالما يغص به الفضاء يعلوا وجوههم منار الحاجة ومذلة الانكسار فتنبعث الرحمة وترق النفوس ويعظم الخشوع وتقدم الصبية أفواجا أفواجا فكل من تناوله الختان أعطيت له أذرع من الكتان وحصص من الدراهم وسهم من اللحم يعمر بإقامة هذه السنة بياض اليوم حتى ينهار الدم من كثرة ما استلجمته المواسى ويشمل الاحسان من ذلك أمما لاتحصى ويعم الصنيع أولى الحاجة وأهل الآلة الذين أقاموا مهرجاناتها وجلوا محاسنها وزيئة يومها وفخامة دعوتها فيحتقب مولانا أمير المومنين من مشوبة هذا اليوم المبارك مما يثقل الله به موازين أعمال بره يوم الجزاء الموعود وأما ما يجرى على يده 302

أيده الله فى سائر الاوقات من البر والصدقة ووجوه الاقتراب والزلفى من حال فى سبيل التوسعة على الفقراء بقسمه وطعام فى أوقات المجاعة يخرج وديون غرما مفاليس تقضى ورقاب أرقاء تملك وأسارى تفتدى فلا يدخل تحت ضبط ولا يتناوله حسبان تولى الله عن الامة جزاءه وأجزل له يوم نجد كل نفس ما عملت من خير محضرا فضله الواسع

واعطاءه

ذكر مبانيه الشريفة أيد الله تعالى واعز انظاره

هم الملوك اذا ارادوا ذكرها فبالسن الشعراء والبنيان

اقول ان امام الامة والماسك لعود الملة مولانا الامام امير المومنين \* ايده الله تعالى لما اختصه الله تعالى بالكمال وشرف الخلال وجمع له الفضائل التى سارت بها الامثال وعلو الهمة التى تنادم الفرقدين وتتوسد الدراعين وتفترش السمكين فتبتغى فوق ذلك مظهرا وتخرق الافلاك معبرا فلا يرضى ايده الله من الامور الا ما خرق الاعتياد ومن الاثار الا التى لم يخلق مثلها فى البلاد تخر لشهوخ انفا شوامخ الاطواد ويدين لها بالعجز فرعون ذو الاوتاد وتمود الذين جابوا الصخر بالوادى من شرف آثاره الجليلة الضخمة ومصانعه الجميلة الفخمة التى اخمل بها ايده الله تعالى ذكر مصانع قومه بنى العباسى ببغداد

ص 265

وبنى مروان بالشام وآثار بنى عبيد التي منها القاهرة وسائر ما يعزى الى اولى السلطان  
الاكبر من القياصرة والاكاسرة واهل الدول الاولى والاخرة قصره الشريف العظيم الخطر  
العديم الندو المثل الضخم العمل الذى هو المثل المضروب فى الارض عظمة وفخامة  
وضخامة وجلالة واحتفالا وتقنيا وتأنقا ولا بد عند الاستفتاح من ذكر هذا المصنع العظيم  
الشريف من مقدمة تكون هى النتيجة فى اقامة العذرة لى عما يستشعر من القصور من يقف  
على عين هذا الاثر الشريف الجليل المنيف فيرى ما ابصر اجل واعظم وافخر وابهر واخطر  
وارحب واوسع وآنف وارفع مما سمع فاقول ان الله تعالى لا يواخذ العبد الا بما يكون  
من العمل فى وسعه وطاقته والاحاطة بأوصاف هذا الاثر والآية الخارقة لا جرم من  
قبيل المحال والتطبيق بما لا يطاق لا يكفى اصف من الفلك بعضه وانقلد من العلا فرضه  
وانجنب البحر وخوضه فاقول

لقد وجدت مكان القول ذا سعة فان وجدت لسانا قائلًا فقل

فيا لله وللعجائب وللدنيا المتزوية فى ارض المغارب والخوارق التى لم يخلق مثلها  
فى البلاد بهذا العصر وفى العصر الدواهب فماذا اقول وقد رابت الامر جليلا وماذا اصف  
وقد حملنى العجز عن الوصف عبئا ثقيلا ، ايروم اللسان وصفا لشيء ما له فى الدنيا  
مثال وشبه وهذا المصنع العظيم ينبغى ان اثبه على مولانا امير المؤمنين ايده الله من  
النية الصالحة فى تشييده وهو ان موالينا الخلفاء من سلفه الكرام رضوان الله عليهم  
وان كانوا قد خطوا المدن ووطنوا القصور وشيدوا الاواوين واعلوا الصروح وبنوا  
المساجد ورفعوا المآذن واجروا الانهار ورضوا الرياض واحدقوا الحدائق وابدعوا  
البرك واغترفوا البساتين المفوضة فما قنع مولانا امير المؤمنين ايده الله \* لطموح همته  
الشريفة بالغاية التى وقفت عندها همهم رضوان الله عليهم فى كل شيء سمعت منه  
ايده الله مرارا اذا جرى ذكر التعجب من عظيمها اثاره المنيفة وضخامتها ومجاورة  
المائة فى فخامتها واحتفالها والمبالغة بما لا غاية بعده فى تأنقها ولطف وشيها وتنميقها  
واستعظام الحاضرين لما بلغ الاتفاق عليها يقول ما بعثنى على ذلك الا انى اذا نظرت  
الى اثار سلفنا الكريم اجد اثار الموحدين ما زالت تنازعها فضل تنجيز وضخامة واحتفال  
اربى عليها واثار بنى مرين تجاد بها رداء التائق وربما شقت فى تنميق الحلة وبديع  
الطراز وافقت لاهل النبوة ان يكون الفضل والشفوف لائلر من دونهم من الدول على اثارهم  
فلم ارض الا بما يضى على اثار الدولتين قلت (1) قال ايده الله على اثار المثلثين  
لم يبعدين الحق لقيام الشاهد على صحة دعواه وهذا المعيار بين الدول فى الآثار انما  
يرجع الى القصور لا الى مطلق الآثار والا فالمحمدية التى من مشيدات مولانا الامام  
المهدى رضى الله عنه قاعة بلاد السوس وأم القرى والامصار وملاك باب السودان ذات  
القصور المشيدة والاواوين الموطدة والرياض المسفوفة والانهار المطردة والمساجد المزخرقة

ص 266

(1) بياض بالاصل .

والمآذن المقرطة بالألوان النجوم المشنفة إلى معصر السكر العجائمة حواليها جثوم اهرام مصر يتناصر عن تشييدها اولوا القوة من عاد وثمود الذين جابوا الصخر بالوادي ما شئت من توطيد وتشديد وبرك مستبحرة وجفان كالجواب وقدور راسيات وحركات هندسية ولوالب فلسفية ومقاييس حسبة وانهار تنسم لاجراء اريختها العظيمة الاختاب ذرى الاسوار الممتدة الاعراف الى عنان السماء بتدبير وفلسفة تعار فيها حكماء يونان وجنان سليمان لا يطير تحت جناحها البلد الجديد من فاس الذى هو عند بنى مريين مشيد به (1) ولا قصة مراكش التى هى عند الموحدين ومن قبل الاعجاز بل اذا ذكرت المحمدية لف كل منهما رأسه استحياء وحسبها شهادة العيان رجع وبنى العمل ايده الله فى اختطاط هذا المصنوع العظيم على هذه النيلة الصالحة وارتاد له الجانب الشرقى وقصوره الكريمة لاتساع مساحته فاعتم له فى الطوالع النجومية ما رضى اهل الرصد اثره وتعينوا لوانه فكان الشروع فى تأسيسه فى شوال خامس الاشهر من خلافته السعيدة من عام ستة وثمانين وتسعمائة واتصل العمل الى هذا العهد وهو عام اثنين وعشر مائة لم يتخللها فترة وحشد به الصناع وارباب الحكمة من كل ارض حتى من بلاد الافرنجة مكان يجتمع فيه كل يوم من ارباب الصنائع الحكمة \* وجهابذة البساء واولى المعرفة والكفاية فى التنميق والتشييد ومن سائر الفصائل واسارى الدولة خلق عظيم يسمع لهم ومما يتألف برحاب القصر وساحته من (1) لشراء الخدمة والفعلة والفواكه المختلفة والالبان واللحان دوى كسوى الاسواق الهائلة ويختص هذا القصر الشريف من جميل الالقاب بالبديع لا جرم طابق الاسم المسمى لاحتوائه على كل نوع من انواع البدائع وغرائب العجائب يشرع اليه من الايوان فى مدخل عظيم عريض المسلك تسافر فيه الخطى وتكل القوى بعيد الشقة يسبح منه العابر فى بحر المديد الطويل لا تحصى لياته وتعاريفه والمدخل القصى من الباب الاقصى هذا القصر الكريم وهذا الذى كمل اليوم من المدخل الطويل المديد تربيعة وتم توطيده وتنميقة عنوان المحاسن وترجمان العجائب تتعدد فيه الخطى ويستلب الحجبى ويسحر بمحاسنه العيون والالباب واذا افضيت منه الى الدار الكبرى مشوى الامام نفسه ومطلع شمسه والفلك الذى تبدوا فيه طوالع سعده فهناك يخرس اللسان وتغار الاذهان ويملك الدهشة الجنان ويجف القلم ويرتعش البنان وهذه الدار ارام العجائب وديوان الغرائب اخذ جدارها المنحوت من الفلك المحيط جفوة وعظما جوانب البسيط الايفح بديمة الشكل متناسبة الاوضاع متقابلة المحاريب والتمائيل تزخر من يركرها الخمس بحار طافية العباب قد مثلت فى رؤوسها دوائر المرمر المختلفة الالوان العظيمة الاجرام ترقص فيها المياه الفزيرة على ايفاع طيور الادواح الموقفة ويخترق صحنها الفسيح الارحاء من هذه البرك البركة العظيمة الموقفة

ص 267

(1) بياض بالاصل .

الارجاء بنجوم الفواقع الطافية من اضطراب احشائها وقد استدارت بوسط سمائها هالة  
البلع الاعظم المتلع الجيد السلامى اللوائب والاعراب قد ظلمت هامة جيده الاعلى  
بالقنسوة المنمقة من منحوت المرمر بتماثيل مختلفة من انواع القتا وعراجين والاعناب  
والبطيخ والدبا تنبع من خلالها ميازيب المياه الدافقة قترشق بسهامها المفضضة نحور  
الواردين وتنعكس سموتها من الفلك الى الارض فتساب خلال المحنشة المنحوتة من  
المرمر اناء الارقم وعلى ضفة هذه البركة سماطان حافلان من اداع النارنج الباسق الافنان  
تروق العين منه كل عراء سريسة الخلاء جعدة الوفرة تتوسم محاسنها من البركة فى  
مرءة بديعة الصقل ونهرها المتدافع مخضر العذار بمماشى الزليج المنم الرشى المسهم  
البرد بالجداول المرمرية تنتهى قباب هذه الدار الى عشرين قبة والاربع المتقابلة \* طولاً  
وعرضاً توله العقل وتبهر الناظر وتسبح العين منها فى بحار الحيرة جفاء وعظمة  
وهياكل ماثلة تحتقر اهرام مصر وتلف العالم فى ملاءتها سعة ورجبا وتسخر بقصور اهل  
القرون الاولى نقشا وزخرفا وتمويها وصبغا متنوعة الاغراض متشعبة الاوضاع من محاريب  
وتماثيل ومقاصير وخزائن ومساجد الصلوات والتعبيدات ومجالس الخلوات والجلوات تختص  
القبة الشرقية منها بسقف الزجاج الملون فسميت هذه القبة بالزجاجيات بالاضافة اليه  
منظوم الالواح يفرج السقف المعتم لذلك من شجر الخلاف الموه بالابريز الفائض الشعاع  
واذا رمقت عين الشمس بمحاسن هذا السقف الزجاجى من خلال الكرى وفاضت اشعتها  
الملونة على الجدران فصبغتها رايت نعيمها وملكا كبيرا وكيفية تستخف الاطواد الراسية  
انفعالا وتائرا قد دحيت ارضها بالمرمر الصقيل الفضى الملاءة ترقص وسطها فوارة خضراء  
زمردية (1) ويكنف ابوابها الثلاثة برطال عريض المساحة ضخم العمل مثنى الصقوف  
بأعمدة المرمر تطاول جنوع النخل اعناقا وقوائم الجبال غلظا ونعومة على مئين السوارى النواعم  
الابدان صفاء الوان ورقة اشارة عمد انعطفت عليها اهلة الخراسن الخشبية الجامعة من غلظ  
الاجرام ولطف التائق وقد تنوع السقف الى سبع قباب نفتتت فيها الصنائع المقرسة  
الخشبية والمسطحة وتلومت بها آلات النقش تعميقا وتكريما تحت كل قبة من هذه السقف  
فوارة فوارة كانما قدت من اديم الدرتميس رقصا بالمياه وتزهوا هذه القبة ببهوها  
المتبرج الزينة البديع النظرة الى المشتهى الروض المنظوم بالبديع شرقا يشرع اليه من  
البهو على باب يسحر الطرف حسنا ولطفا وتديبجا انعطفت قوساه المنحوتتان من لباب  
المرمر انعطاف الحاجبين على قائمة من المرمر مسكية اللون ابنوسية الغلالة ابقى النحت  
فى حلق القوسين منه وفى اسارير جهته النائثة تجاه الروض من البدائع المقرسة  
اثرا يزهو على مرور الجديدين بين يديه شطرنجية كأنما نسجتها العناكب لطفا واذماجاً  
تمر الى بركة النهر ذات البلع المتلع الجيد التى تسافر فيها العين غربا الى القبة الخمسينية

(1) بياض بالاصل .

وهذه أقبلة العظمى الشهيرة بالخمسينية قيد البصر وانموذج الكمال وعنوان سعة الهمم  
 مثلت بين القباب مثل عقيلة القصر المترتبة على كرسى الجمال والكمال وضخامة الجلال  
 أبرزها الانقان وحيدة في مصانع الدنيا جفاء ووضعاً وتأنقاً وتقناً وزخرفاً ورجفة تقع  
 العين من عظيم هيلكلها البارز على ما يوجب البهت ويخير الفكر ذات الوفر العظيم الضخم  
 العمل الخشبي التأليف (1) \* المديد الجناح على جوانب الارض واملت بين العادة  
 اجرام الخشب الارزى المعتم في المقاطع المنشود في اغلال المنابت فاضلا اعجاز النخل  
 طولاً وسباطة وقام بجانبه عند مراكز اجرامه في الرقرق الهائل المحيط بالدار  
 عقابان عظيمان ترى السر فرقا منهما بين طائر وراقم وتبر هذه القبة بسقفها البالغ  
 اقصى مبالغ الجفوة والضخامة يولد الدهش الناظر اليه كأنما يرمى بطرفه الى قبة الفلك  
 مستهارة ورجبا وتجويفا وسموا مكفوا على الجدران بغير عمد سوى قبرة الذى يمسك  
 السماء ان تقع على الارض مظلا بالبراشيل الضخمة التى غادرت القحط فى المنابت  
 الاشبه والمعادن الجديدة ولقد بلغت المنارة التى عرج بها المعلمون الى السماء  
 وتسمنوا ذروتها حتى توصلوا الى تأليف اجزاء هذا السقف الضخم الى سبعمئة حمل  
 وهو كل زوج من افراد الاخشاب الارزية الضخمة التى لا يستقل معها المطايا البدن الا عن  
 رغاء يبكى الصخر ومن الحديد المؤلف لأجرامها مائة قطار واعتبر هذا فى السقف  
 الذى استفرغ هذا الوسع السلم اليه ثم فى البراشيل التى اكنته والتقمته فى  
 جوفها فسبحان من تناول قدرته واخذ الاحكام مقعد هذا السقف فولد فيه امهات  
 الصنائع واصول الخواتم من العمل المدعو بمنقار وميجم توليدا يستوقف الناظر اعتبارا  
 واستبصارا وتعجبا . وانساح من تحته مربل الجفت فى بحر من الجص طامى  
 العباب بالعجائب وهناك تخارف الاحكام وتماجت النقوش وتفتت الصنائع  
 تدبجا وتكريشا وتحرشفا وكتابة تركيب حروفها غصون التسجيرات وتتخللها قصب  
 الورق اللطيف ويتصل بشط هذا البحر من اسفل نطاق المرمر الفضى الذى توشحت به  
 القبة واستدار على خصرها مندمجا بالشعر فى وصف البناء واضح الكتابة بمرمر سبجى  
 اللون قد بين فيه الخيط الابيض من الخيط الاسود وساح عنه الزليج البراق الماون  
 تترقرق مياه صبغه صفاء ورقة ديباجة قد انتظمت فيه الازر بفرش الارض لفا واحدا  
 مشجرا بالقطيب اللون المعاطف تصعيدا وتصويبا وتحريفا وبسطا وتركيبا يشق  
 القبة بركتان انيقتان بين فوارات لجيشية وتمائيل مدهبة ومفضضة ما بين اسود فاغرة  
 الافواه تقذف باغصان اللجين انسكابا رقت رائفة الصفيير متلمظة الالسن بسلاسل  
 الفضة من سكب الماء وقد توسط فى البروخ بين البركتين فوارة رحبية القطر واسعة  
 الشكل كأنها عجتت من طينة المسوك يعلوا جوهرها بزر السنيب ومدارج النحل

(1) يياض بالاصل .

هذه القبة الرحب الفناء ذهب بمحاسن البناء تمويها وزخرفا تلقى بصدرة رءوس الطير  
 للأسفل نواطق بلسانها الاطراء والاغياء وابوابها المقرسة الموهة ومضارعها الضخمة تذكر  
 سد ياجوج جفوة وعظما بين يدي كل باب فوارة ضخمة متباعدة القطر كأنها هي سجنجل  
 تتوسم فيه القبة كلها (1) ومثل امامها البرطال العارض  
 الساحة المتعدد القسي البعيد الامد الضخم العمد مشى الضفوف من  
 جدوعها المرمرية المائلة كالجبال المنحوتة مدحو الارض بالرخام الصقيل كأنه صرح  
 ممرد من قوادير بين يديها مسيل الوادى المتدافع يعور فى الارض من تحتها ومعبره  
 على جسر من المرمر متعدد القسي تكنفها من عن يمينها وشمالها بركتان عظيمتان  
 مصقولتى الزرد بمدارس ومن النسيم الدائم الهبوب قام بحفافها سماطان من ادواح النارنج  
 المقىء الظلال ويسموا على رأس هذه القبة وأختها الزجاجية تيجان متلعة الجيد ضخام  
 العمائم المعنامة من أكوار نحاسية تراكب الذهب الابريز على سطوحها فيكاد سنا برقه  
 يذهب بالابصار قد نقص عندها من عدد أكوار تيجان الماذن وتطاطات عن نهضتها  
 تأدبا مع بيوت الله ويساجل هاتين القبتين الضخمتين ترباهما المتقابلتان عرضا والمدعوة  
 منهما بقبة النصر الاية المحكمة والمثل المضروب فى مصانع الارض جفاء ورجبا  
 وزخرفا ونفتا وتمويها وصبغا لا تتناهى أوضاعها وأغراضها من محاريب وتماثيل  
 ومفاخر وخزائن ومساجد ومخازن ومقابن ومنافس حتى لاتتقاذف دخنة الشموع  
 الدائمة الارق صونا لجلتها الموحية من درن أنفاسها واذا نازعتها لداتها من القباب السالفة  
 فضل احتفال وجاذبتها ملاة الطراز أبرت بسقف بهوها المعنم من منحوت العاج والابنوس  
 وبسقفها الرزم على فضائها الافيح رزوم رزوم الغمامة الوشيعة الرداء بالاشعة الاصلية  
 فمن أصفر فى أخضر فوق مبيض كل ذلك بالصنائع المقرسة التى تحار فيها جفأة  
 العماليق وحكماء يونان واذا نظرت الى غلائلها من الجص المرقومة بكل يد صناع  
 ودهن ملء بالحكمة نظرت الى ما يحجم عنه البيان وتكل العبارة تدقيقا وتعميقا وتخليصا  
 وتمويها وادماجا وفى زليجها المنظوم الازر بالفرش تحار الاذهان ويتعلم اللسان قد  
 تنادت فيها الصنائع المتفننة بالمبارزة وبلغ الاغياء فى لطف جواهرها الفردية لغاية  
 لا تستبين العين صورها دقة وادماجا كأنما رقمتها الابر اللطيفة يغشى العيون أشعتها  
 المنبعثة لايكاد يثبت البصر عليها صفلا وتبرجت منها القبة فى حلة من الوشى  
 سابغة تستهان عندها الستور المرقومة والزرايبى المبتوثة والبرطال المائل امامها قيد  
 الابصار وحلة اعتبار قد استدار قوس خرسنته العظمى متمطيا فى الهواء كأنما حلر  
 من قوس الغمام جفوة وضخامة وشاشية مسقفة \* الوسطى خباء مطنب فى السماء  
 تحف به قلانس فارغة السمك وعناقيد جعدة التركيب تبدوا من خلال خمائل مفوفة من  
 بديع النقش وزخرف التنميق وعمده المرمرية التى انعطفت عليها اهله مسية وتقبل القبة  
 منها بشمان تبهر الناظر جفاء وطولا تتخلل الخضر السندسية الغلائل منها البيض

(1) بياض بالاصل .

الحسان والفوارة العظمى الراقصة بالمياه أمامها الغرة الواضحة والشمس البادية التكوين فى الارض وقد جرت مع هذه القبة أختها المتبرجة أمامها المدعوة بقبة التيجان ذات الإبهاء الرحبة الفناء فى طلق واستبقنا فى ميدان الجمال والكمال وضحات الجلال استباق فرسى رهان وتتميز هذه بشعار سقف المخزن الذى عقدت سماواتها منه بالصنائع المقربسة التدى وجناتها بشامات زرق من سحيق اللازورد المزممل بالنضار الفائض الشعاع الى محاريب وتمائيل ومقاصير ومساجد وخزائن بادية التميميق رافلة فى حلال الانتقان وملابس الاحسان وكم من هذه القباب المنبثقة من اترابها الكواعب وضراتها البيض التراب من كل عقيلة تكبر ان توصف وتجل ان تحصي محاسنها وأوضاعها ويليف كالخضراء الرافلة من فرشها وعرشها فى مطارف سندسية واطراب الوادى ومركب السفينة ومسرح الطرف الى رياض المسرة (1) من القوية الضمهم العمدا الضخمة الحظية بملاك المعراج الى ادراج المصرية الشامخة الانف جليسة النجوم وكناس الغزالة الفلكية بالغة الصرح الطاعن بأسنة شرفانه كبد السماء الى لدائها تشبيدا وزخرفا ونقشا ورحبا وعمدا ضخمة ومحاريب متقابلة وتمائيل متناظرة ومحاسن جملة ومأرب متممة والرُفرف الذى يجمع فلك عمامته المعلمة على فودها عجب يروى وآية من الايام تنلى عظيم الهيكل ضخم العمل خشبي التأليف هريت شد: القب كسيفيه جافى أسنمته الفنى معقودا اسارير الجباه وزوايا القب بالصنائع المقربسة طلق المعجا بالعبيسات المسطرة والسوارى المصطفة ساينغ ازر المشيعات الفضفاضة قد استهينت فيه معار الصبغ والتمويه واستهلكت النقوش المتماجنة وتلوح بفراته المخدوشة وصفحاته الملس الات الزخرف فتفننت الصنائع وتخارق الاحكام تنطق أعالى طرره وأسافلها بلسان الاغياء والاعجاب وتنادى مصانع الدنيا هل من مبارز ويزيد زخرف الخمسينية على زخرف هذه الدار الهائل بكونه مثنى العمل فهو على ضخامته وبلوغه أقصى مبالغ الجفوة بديع (1) نظره سموا وشموخ أنف وقد التقت الاذواح وتفيأت \* الظلال وارتفعت الارض على أصول الاشجار ومنابت الدوح فلا يرى أهلها الا الفصون المدد وغلائلها الخضر وزهرها الغض وثمارها المتنادية القطاف قد اقترشت مماشى حدائقها الغلب المتخففة من الدار وأرض القبو الهائل الواصل بين عرصتى الدار بالزليج المليح الثوب ترقص الفوارات المرمية بالمياه السلسالة بحيث يرى المنحدر اليها دنيا من تحت الارض قد توارت محاسنها بالقور عن لفع العيون ينترها خدمة سلطان الملك من خلال الاولراق دنانير نفرش أرضهم وترقم اثوابهم ويحف بهذه الدار ديار عديدة تحيط بها اسماء وألقاب الدار (1) البيضاء والدار الحمراء كلما سرحت بها العين رتعت منها فى محاسن جملة من المياه الدايقة والفوارات الراقصة والنقر المربعة والبرك الريانة والسمر المرفوعة واذا بلغت الدار التى يقضى اليها من البديع

ص 272

(1) بياض بالاصل .



من اعلى يمين الخضراء متصاعدا مع الدرب المالك لابوابها حتى تنتهى الى أقصاها من الجانب الشرقى رأيت برنامج المحاسن فى وانموذج الكمال بناؤها عادى <sup>بجمل</sup> ~~بجمل~~ الازهان وتناهى التشييد بها والتويد الى أقصى مبالغ الفخامة والضخامة وتبر على المصانع الحافلة بغريب الوضع الذى لم يسبق اليه ولا حام طائر فكر عليه نتيجة همة صيغت من نور النبوة المتجدية بالخوارق الخارجة عن طوق البشر ومالوف الصور لما نظم مولانا أمير المؤمنين أيدى الله صورها الخيالية بذهنه الشريف وحسها الكريم الذى يخترع الاشياء فى أحسن تقويم أحضر عرفاء المبانى فاقترحها لهم وأخذ أيدى الله يرشدهم بحاسة الوصف الى أشكالها التى تصورها فلم يكونوا ليهتدوا حتى تولى لهم رسمها بينانه الكريم فى قرطاس فلمسوه بأيديهم ورأوا ما قد اهتدوا الى فهم ما لم يوتنه أولوا الحكمة من يونان فبهتوا ثم شرعوا فى تشييدها وفق الاقتراح الكريم والهمة الشريفة المنيفة فانظمت دوائرها المتراكبة بعضا على بعض فى الهواء وطبقا عن طبق سماطين متقابلين نظاما يوجب البهت والحيرة بحيث تسموا على قبابها المنيفة غرفها الاثيرة ثم لا يرى سكان علوها أهل سفلا مع جلب الضياء الفاضل الشعاع للديار السفلى المحجلة عن العليا بحكمة لطيفة المدارك دقيقة المسالك وانتسجت فوق صحنون أعيالها الشبايبك الحديدية وتمتاز المياه الدافقة بالبارد والسخن من الحمام المنتظم بينها شرقا ذى البركة العظيمة المفروغة الوقود من تحتها من النحاس الاحمر تنابها القواديس الفاغرة الافواه اليها من كل جانب فتعلا حواصلها وتسافر بها لهذه الديار وقد أخلت \* الاهبة لمصبها فى النقر الرمزية بكل دار من أنبوين ينبجس احدهما البارد والاخر بالسخن مفدين بلوالب تنجذب عند القتل طوع يه التخيير بين الحار والقاتر ومزجهما عند الاستعمال فاصبحت هذه الديار مكلمة الراء متممة المآرب قد ختم عليها التحصين والمنعة وأرخى عليها الاحتجاب سدوله بحيث لا يخلص اليها الطيف حتى لقد بلغ الاختفاء مبالغ فى ذلك مبالغ الاغياء الى انقاذ منحوت على شكل الفالوس الكبير مغشى بصفيح النحاس الاصفر الصقيل قد مثل بجدار كل دار منه شكل معتم لناولة مايرد من المرافق والمشاكل والمشارب على الديار يدور بوجهه عند الداعية من الاماء والخدم القائمة بخدمة سيداتها من أهل العجائب العالى فليس فى جوفه من وراء الجدار ، ثم يدور بوجهه لداخل المنزل فتقع المناولة من غير أن تتراى الى الاشخاص وتبدوا منها للعين قلامة ظفر انباء فى الاحتجاب وملاصقة فى العين التى صار بها اميرالمومنين المثل المضروب فى عالم الارض وتسمو بمنهاها شرقا بنية المجلس الكريم الرافل فى حلل الوشى والتنميق والزخرف ثم يزهو الجانب الغربى منها بالمصرية الشامخة الانف القريبة الشكل المستوية على عهد المرمر الشامخ فيها محكم الجص حتى فى الشبايبك البديعة التكريش والرغوس والجباه المقربسة

ص 273

(1) بياض بالاصل .

فأصبحت في ذلك نسجة وحدها ذات الغرف الأثيرة والشراييب البديعة والمجالس الكريمة  
المريبة على مصانع الدنيا ببديع النظرة الفاعلة بالنفوس والارواح فعل العقار  
إسفار بالإطلال على بستان النهر الذى تسافر منه العين الى رياض القبة  
وبساتين الملك التى تصرح خلالها القصور المنيفة كالنجوم العوائم ثم الى جناب الحضرة  
المحدقة بها على مسافة تناهز اليوم والمقام المقابل برد الريانة والجداول المنسابة والحدائق  
الغلب ثم الى بسائط الحضرة ذات الانهار الجارية والخلجان المتداقة والسواقي المتدافعة  
التي انتسجت منها أيدى الانواء ومجارى الماء نمارق مصفوفة وزرابى ماثوثة وتساجل هذه  
الديار فى التشييد والتوطيد والاحتفال والتعداد والاغيا. فى مأرب التجار والتحصين  
وجر ذيول المحاسن والتفخيم الديار المنظومة والمقامات الرافلة فى حلل الزين اللائذة  
بالعقيلة الكريمة من قبة النصر التى سجت عليها ذيول عزها وناقتها من خلفها تحت  
خفارة السور الاعظم الطامح الغرف المحيط بأقطار الدار ويفوت هذا القصر القصور  
الاولى من مباني الدار العظام ومصانع اولى الملك بالمرمر الكثير العدد الضخم العمد  
الصافى الجوهري \* الناصع البياض المعتم من المعادن النفيسة تتبارى التجار من أهل  
الحرف فى نقله وجلبه طوع اقتراح مولانا أمير المؤمنين أيدى الله من قاصية بلاد البنادقة  
متهاكين فى تجشم الشقة البعيدة وتحمل الاعباء الثقيلة ولقيا العنت برا وبحرا فى  
نقل اجرامه الجافية التى يثود حملها السفن الضخمة حتى لربما غرق بعضها وكان بنو  
عبد المؤمن خلفاء الموحدين لما اختلفوا وما أبقوا للتشييد قصورهم بمراكش ووكلوا بها همما  
طامحة لم ترض بالدون ولم تقتصر على النزر النافه قصارى ما انتهت اليه همهم جلب المرمر  
لها من عمل المزية بالاندلس ثم جاءت دولة بنى مرين فاتخلوا فاس دار ملكهم وترامت  
هم بنى عبد الحق ملوكهم الى مساجلة بنى عبد المؤمن فى اختطاط القصور بها وتشبيد  
المصانع فكانوا ينقلون المرمر لها من قصور الموحدين بمراكش ثم جاء الله بالدعوة  
الكريمة النبوية والدولة الغالبة القاهرة العاتبة الحاشرة فانفت الهمم الكريمة الامامية  
الاحمدية المنصورية أعلى الله منارها وخلص اثارها من تخريب مدينة من قواعد ممالكه  
الشريفة بتجديد أخرى كما فعل بنو مرين نهبة سيوفهم العلوية الزيدانية المظفرة وتخطى  
التي هى هى قصارى الموحدين الى تخوم البنادقة اغرابا بمعدنها النضيد  
الاديم المعقود من حصباء الفرد الملى الدمة مما يشاء من الفنون المقترحة فاشتملت قصوره  
من ذلك أيدى الله ومصانعه الشريفة على ما تقاصرت عنه قبل الخلفاء الاعاظم ودانت  
بالعجز عنه ول الاعايب والاعاجم فلقد دارت لوراء الدار الكبرى من قصوره الشريفة  
على خمسمائة عمود مرمرية مائلة كالجبال الرواسى ضخامة وجفاء وقسموا القباب  
وبراطيلها على مائة منها ترجح الواحدة بالاعداد من عمل الموحدين المائلة الاشخاص  
اليوم مع الشفوف فى المعدن ونضارة النحت ثم يتوزع الاربعمائة الجدار المحيط بأقوار

ص 274

(1) بياض بالاصل .

الدار ما بين المثلثات الاشكال والمفردات النابتة تحت السوارى الازرية لصق الجدار الى اعمدة ضخمة الاجرام زمردية الالوان منحوتة من معادن يعمل مراكش هدى اليها رائد البحث الناشئ عن طموح الهمة فواصل بين العمد البيض الحسن الموائد من القباب وأما ما تضمنت الحمامات والمساجد والمجالس والقباب والديار والمصانع فلا يعد ولا يحصى وقد تخارق الاحكام وتفننت الصنائع حتى استعمل المرمر فى ملاطم المساجد وقسى الابواب والمخاريب والتمائيل والمقاصد والخزائن وقبة النصر مليه اللمة من هله الفنون مشرات اليد من بيضاتها وصفرائها وخصرائها متفنة المساجد والمجالس والمخاريب والتمائيل منه رافلة من ذلك فى محاسن تكل العين عنها فأصبح \* البديع السعيد من هله ص 275

الانار الفخمة نسيج وحده فى مصانع الارض لايشق له غبار ولا تلحق القصور الاولى شأوه وقد قام على رأس هذا القصر الصرح العظيم الذى لاتطاوله بنية ولا تباريه قامه البادى الصلب العظيم التيه على المصانع بحسن الشكل وتعالى الزين وجر ذيول الوشى وشموخ الانف متواضعا على عظمته بيوت الله وماذنها حاصدا بنجمله المغرب فى الحسن مرمر الظلام لترعاه غزالة الصبح الكانسة فى النافه مغربا على الصروح المنيفة بالمجالس الكريمة المتراكبة فى معارجه طبقا عن طبق قد بلغ الاغياء فى الاحتفال فيها الى تنجيد الفوارات المرمية اللجينية المعدة للرقص بالمياه الفزيرة التى يسموا بها من الدولاب العظيم والفلك الكبير الداخلى فى جملة الانار العظيمة التى وكل بها امير المؤمنين ايدى الله عزمه فى هذا التاريخ ان شاء الله تعالى اسئل الله تعالى أن يمنح مقامه الكريم تماما على الذى احسن ويحفظ على الاسلام من دولته الغراء امة كى تقر عينها ولا تحزن وحمام هذا القصر العظيم الذى تبوا مقعد العز وشرف المنزلة الدالة على حسن الاختيار فدلكة المعاسن والجموع الخوارق وبيت القصيد وبيتية الجيد ومنتهى الكمال وخاتمة الاختراعات ذو الابواب الاربعة التى يفض منها الى قصر مولانا الامام المقدس مهدي الامة رضى الله عنه مآلف الائمة الخلفاء ونشيدة بسطهم الذى يجد منه الحال فيه نشوة لا يستطيعها الجريال منقبة استأثر بها على سائر القصور واية شاهدة على صلاح بنية بانيه رضى الله تعالى عنه وسقاه الرحيق المختوم فى دار نعيمه ثم الى حمى العقيلة الكريمة قبة التيجان ثم الى البديع ثم الى باب القصر حيث مقصد الخاصة والبطانة ناهيك من حمام خارق سياج العادة وعرض المتبر للتهمة وأعسى ذرع وصفه سنبك اللسان الى وصل القلم الطلق ما شئت من ضخامة البناء وتعالى المزين واختراع الوضع الذى اضحى به نسيج وحده فى حمامات الارض يشتمل من عمد الحمام على خمسين عمودا دارت قوراء الدار منها على اثنى عشر جدعا جافية الاجرام طافحة الاعناق رقراقة الاديم زمردية الالوان لجينية الرموس والقواعد وتمتوزع البيوت والمساجد

(1) بياض بالاصل .

والبراطيل والمحاريب بنية العدد وانزاحت فوق براطيله المتقابلة وصناعتها المتناظرة في حراسته التماثية منقطعة في الهواء انعطاف اقواس الغمام خنثية التاليف قد نلومت بها، آلات النفس والزخرف واستهينت فيها معادن الصبغ والتمويه وانسحب فوق قبته العادية البناء مسجده العديم النظير وبراطيله المتقابلة الاوضاع ذيل السقف العجيب المدعو بمنقار وميجم وكله \* بعمل المندروش قيد اللواظ والابصار حسنا وزخرفا وصيفنا وتمويها وسقاينه المغدقة السقيا والميضأة الطويلة الاعناق الدارة المياه المثل المضروب في الحسن والتنسيق البالغ اقصى مبالغ الاغياء ان اربضاء الاسود المرمية متناوبة بالمياه المصوغة من سنبك اللجين وسلاسل الفضة وقد سنخ المرمر فيه حكم الجص فصيغت منه الشباك المعقودة فوق الاساطين والرؤوس المقربسة من تحت الخراسن وتخارق الاحكام فاستعمل في قسى الابواب وملاطم المسجد والبيوت والمحاريب والمقاصير فادلج يجر ذيول الزهو والفخر على سائر المصانع الشريفة والقصور المنيفة الى الباجين المائلين في صدر البيت الاقصى من بيوتته المعدله للهواء المعتامين من نفيس المرمر لصبب الانبويين المنبجسين بالسخن ولقد رأيت ما يسحر الطرف ويوجب البهت حسنا وظرفا واختراعا ويتصل بهذا القصر الشريف قبلة بستان النهر وهو لقب وضعه مولانا امير المؤمنين ايده الله في تاريخه علما على الروض والاخذ ما بين لابتى سور القصور وسور القصبه قبلة الآخذ بالنهر الذي اخذ ايده ايده الله تعالى في اجرائه الى قصوره الشريفة واستفرغ كده في بنائه العادى عريض المسلك فسيح المد كان بناء المرصوص مفرغ من الصخر الملموم يشع ما بين ادواح هذا الروض المفوف صفوقا بشجر النارانج والاس متدافع السيل غير مغمم السيف حتى ينتهى الى ترابه من القبر المعد له تحت القبة الخضراء بروضة المجاز ومركب السفين ومن هنالك تتهاداه البرك والقباب حتى اتصلت من الخمسينية كما قدمنا ويقابل باب النهر من هذه الخضراء تجاه القبلة وبمتهنى بستان النهر الفضاء الافيح المرتاد للقبه العظمى التى امر مولانا امير المؤمنين ايده الله باختطاطها وتوطيد بنائها العادى فى ازيد من ثلاثمائة شبر طولا ليسح لحما والجسم الغفير فى الاعياد والمواسيم والوفود المتتالية على الابواب الشريفة من الممالك القاصية والارسال المتتالية من المشارق والمغارب ورسم ايده الله تعالى ان يكون مسقفها من البساط المزيف خلف التمدية والزخرف البديع الخواتم والنقوش المحسودب الظهر البين فى الاضلاع المصعد بالاحشاب الضخمة المزخرفة المعترضة بين الجدارين مثنى ويشرع باب الى المسرة وبهوها الضخم البناء الرحب الفناء الياجوجى السد المفرغ القطر العادى البرج القوى الناحية المعقود الظهر لحمل الانلاطات الفاذفة بمارج الباروط وشواطئ النار فى سبيل الاغياء والمبالغة فى المتعة والتحصين ينطبق على الباب المضارع البالغة اقصى مبالغ

الجفوة والفضامة مغطاة بصفيح \* الحديد المثبت بالمسمار الضخم التكوين وانتظمت القصور الشريفة الامامية بهذه البنية العظمى بضخامتها على الاواس الفخامة في ابداع اجادة والطف سلك واحسن ترتيب وذهب بمزية الفخار على قصور الخلفا وملوك الارض ببديع النظرة التي تسافر بها العين على فاسخ من باب قبة الزجاج القبلى بالدار الكبرى الى الباب الجوفى من الخضراء ثم الى باب النهر منها وتسموا مع بستان النهر ما بين القضب النخيفة القصور المتمايلة القدود على ارداف الموج الثقيلة حتى تند من بابى القبة العظمى متصاعدا مع الطريق المنحرفة الظلال من عن اليمين وعن الشمال حتى تنتهى الى البنية المنيفة المائلة على البركة العظمى فى اعلى المسرة وهذا الروض المدعو بالمسرة المنتظم ببستان ظهر المصرية الاخذ ما بين لابتى سور القصبية والصالحية عرضا هو ما هو من بعد الاقطار وانفساح الخطة قد مد على البسيط الافيج جناحا اخضر مكل فى جوبه جياذ الرهان بديع الوضع حسن الترتيب تتناظر فيه الحدائق الغلب من مفروس العنب والزيتون والرمان ونخيل صنوان وغير صنوان ومن كل قنوان دانية وجنات الفافا تنقسمها طولا وعرضا طرق شتى محفوفة باحواض الآس والنانج وشجر الخابور وحمائل السورد والنسرين والياسمين وغاب زينة المربى على التقدير كثرة وانبساطا على مناكب الارض عدة لامتياز البلاد واذا بلغت الى البحر الزخر من البركة العظمى التى باعلاه رأيت ما يبلى الفكر ويوجب البهت ضخامة وجفاء ورجبا يسع ممشى الضخمة الاجرام حلبة الخيل عرضا تضطرب احشاؤها اضطراب موج التيار وتسافر منها العين فى مجرى السفين متباعدة الاقطار تستبين للعين سيما الواقف بعدوتها الخمس المعقودة بالبناء لصق جدارها شرقا وغربا قيد البصر حسنا وضخامة يفور التنور منها بجدول متدافع السيل وتكتنفها ادواح الآس وشجر النانج والاترج وكل غريب من انواع الشجر الذى لا يسقط ورقة ولا تخلق الايام غلائلها السندسية والبنية العظمى المائلة عليها المثل المضروب فى حسن المنزلة وبديع النظرة يخترقها النهر المتدافع الى مصبه فى البحر المحيط فى البركة المتموجة بين يديها وتتصل بها قبلة مدينة انيقة شرع مولانا امير المؤمنين ايله الله فى تاسيسها ليخص بسكناها ممالكه الذين ازدهت الخلافة بباهر زيبهم وجمال موكبهم لا تنال حسن مكانها وشريف منزلتها وبديع نظرتها والانهار الجارية من تحتها والودية المخترقة لبساطها والرياض المحدقة بجناتها والمنازل المشرفة خلالها والقصور المنيفة امامها بظناد ودجلتها وجلق وغوطتها وقاهرة مصر \* ونيلها ومما اسهم به ايله الله وخلص ايله لدينه فاس من الاثار الشريفة والمصانع المنيفة التى هى طرز على عواتق تحصينها ومنعتها الحصون الشامخة الانوف الجائمة حواليتها والمامل المائلة اعلاما راسية ازاها ضرب بها ايله

الله على اهلها :

خواتم من طين الحصانة افرغت فليس لها حتى القيامة من فض  
بعول الله وقوته اما المدينة (1) قومه ال ادريس التي جمل عمرانها المتراف  
جانبى الوادى فيكتنفها شرقا وغربا المعقلان الضخمان اللذان انثاهما (1) بها تحت كفالتها  
ان شاء الله تعالى للموطد بالجانب الشرقي منهما الربوة المنيفة ذات الصخر الملموم  
الثقيل بحجرة قطران تجاه المصل القديم العيذى من باب الفتوح وبمقابلته بالجانب  
الغربى من المدينة اتجاه القبلة مدفن بنى مرين وبمصلاهم العيذى قريبة لابل كبيرة  
الذى يلفه على عظمته فى زاوية من زواياه ذو العمل الضخم والزوايا المثلثة الشكل والبناء البالغ  
اقصى مبالغ الجفوة قد اغرى بهما ايده الله عنايته ووكل بشأنهما كفايته فجاء بها اية الاعجاز  
توطيدا وتشبيدا وتحصينا متمى المآرب والمرافق مستكملى التحصين من مآرب الحامية  
المنتقات من جيش النار ودار قائدهم وخزائن العدة والسلاح والبارود والرصاص وأهراء  
الطعام وجبات المياه الرحبة الاجواف وابار منحوتة فى الصخر الى قعر البحر من المساء  
العذب الفرات مستكثرا فيها من الانفاط القاذفة بمارج البارود وشواظ النار والاكوار  
العادية والصخرية التى تلى الجبال كثيبا مهيلا وتلقى من صواعقها على الاسماع قولا  
ثقيلا فعوذ بهما ايده الله المدينة من كل طارق يطرق الى غابر الدهر بعز الله وعنايته  
اما البلد الجديد حيث متبوا الامر وغاب الملك فقد وفى له ايده الله السهم وأجزل القسط  
بما أدار به من الابراج الضخمة التى انتبذت لصق سوره حصونا شامخة واقطعت  
اعلاما مائلة سمت جدرانها وتصاقت شرفاتها وتفننت فى سبيل التحصين  
اوضاعها يحرس بعضها بعضا وتكائر النجوم عدد انفاضها الفاغرة الافواه لانتهاج من ينتابها  
كان كل برج منها قرية من قرى النمل واذا استهلكت رعوها فى العيدين عند العود من  
المصل او لورود بشارة عظمى فلا تسئل عن تزلزل الارض ورجفانها تذكر رجة الصعق  
والنفخ فى الصور ويمتد على البلدين ركام البارود كأنما هو ليل مطبق فترى الناس  
سكارى وما هم بسكارى من قعقة الرعود وهول الصواعق فسبحان القادر الغالب \* (1)  
والحصن الجاثم من هذه الحصون امام باب السبع اذ يأخذ بكنم البرج الجديد معدم سامى الدرورة  
شامخ الانف وفحل الرسيعة الذى لا يمتطى صهوته ولا يقذع انفه ولا يطرق حماه وحوزته  
وبرج العقرب الذى لا ترقى حمته ولا تعالج لدغته ولا تسام مع الايام المدينة التى كفلتها  
رقيبته قد انتبذ امام البلد الجديد ربيضة الجيش وبطل الكتيبة الذى يحمى الحقيقة قد  
اسبغ من لام الحصانة وظاهر منها فى ذرع مبالغ فنادى هل من مبارز واذا انتهت الى  
الاثرين العظيمين والفلكين المحيطين والحصنين الضخمين اللذين خيم بهما على انف عدو  
الدين بهرسى العرائش العديمة النظير فى مراسى المعمور سعة وانفساحا وهدوا رايت

ص 279

(لم) بياض بالاصل .

ما يوجب البهت ويبلد الفكر جفاء وضخامة ومنعة وحصانة استفتح ايده الله بالاولى  
 منها المسمى حصن الفتح كتاب اعماله البرية لاول خلافته السعيدة فكميل لسنين  
 منها ثم عززه بالثاني الذي ناهز اليوم التمام فجاء عديم النظير اطبق اهل العرقة بمباني  
 الحصون من العرب والعجم وارباب الجولة من اهل الملتين انه ماريء مثله في حصون البر  
 والبحر وضعا وشكلا وجفاء وضخامة وجمعها لشرائط التحصين جمعها مستوفى وقد شد  
 به ايده الله باخيه عضد الاسلام وركننه واتى بهما آيتين باهرتين ابطل بهما كيد  
 عدو الدين ودفع بهما في صدر طاغوث الشرك واقامهما مع الايام شجى في حلقة وصان  
 بلاده منهما باجمتين الاسود الفاغرة الافواه (1) بجز الله وعنايته ولبس الحصن الذي  
 اختص ايده الله تعالى على بلاد تازى ببعيد من هذه الآثار الضخمة والحصون الفخمة  
 تشبيدا وتوطيدا ومنعة وتحصينا \*

ص 281

واما ما اصلحه ايده الله تعالى ورمه او زاد فيه فتممه بمدينة اسفى وبلد ازموور  
 الذي جدد ايده الله سوره واداره بكماله ومدينة اصيلا وسائر الاطراف والثغور وبيعض  
 الجسور فشى يضاعف الله به الثواب والاجر ويجزل الذخر يوم تجد كل نفس ما عملت  
 من خير محضرا .

### الناحية الفكرية

ذكر علومه الشريفة وسائر مروياته ومن اخذ عنه من الائمة الاعلام ومشايخ الاسلام \*

أقول ان امام الامة ومهديها رضى الله عنه وان كان له الفضل الذي لا ينكر فى  
 القيام على علوم جمة ورسوخ القدم خصوصا فى علم القران الكريم اداء وفهما واحكاما  
 وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفهم طرقه ومعرفة اساليبه وما يحتاج اليه  
 من الفقه وفروعه ومن العربية وفنونها والتضاع وعلم الطلب \* والانفراد بمعرفة ديوان ابى  
 الطيب واستحضار حكمه وامثاله والبراعة فى علوم البيزرة فمولانا امير المؤمنين ايده  
 الله من بعد اعلم الخلفاء (2) وسعيد النصبة التى حكم له بها شرف بيته والامام الذى  
 صلت جماعة الملوك والخلفاء من فضله فضلا وكمالا واصالة وجلالا وشرفا محضا وملكا  
 ضخما وعلما جما ومشاركة تامة اقدرته الملكة بها ايده الله على فهم سائر العلوم والاضطلاع  
 بها معقولها ومنقولها اصولها وفروعها قديمها وحديثها يقتاد العويص منها والسهل  
 بزمام ادراكه ونفوذه واذا رءا مكانا عليا قالت همته انا اولى بمكان على ومن يرضى بالوقوف  
 دون مكان ابائه وجدوده الا قد رايت أن اعول فى تحقيق هذا الباب على تقييد شريف بخط

ص 218

ص 219

(1) بياض بالاصل .

(1) بياض بالاصل .

يده الكريمة ناولنيه ايده الله متضمنا لذكر ما قرأ من العلوم وذكر من اخذ عنه من  
 الشيوخ وسنده عنهم في كل فن حتى في الفقه الغريب الاسناد الى مؤلفه في هذه  
 العصور قال ايده الله بدأت قراءة كتاب الله عز وجل على معلم اولاد الملوكة في  
 الدولتين الفقيه الاستاذ امام جامع مشور فاس ابي عبد الله محمد الدرثي رحمه الله  
 الى ان انتقل السلطان بمراكش فاخذت في القراءة على الفقيه الاصولي النحوي العدي  
 الفرضي ابي الربيع سليمان بن ابراهيم الى أن تحرك السلطان رحمه الله لسوس ولعاودة  
 جبل درن رحلني معه رحمه الله فبدأت الرسالة بالسوس على الفقيه ابي عمران موسى  
 السوسي رحمه الله وسلكتها على الفقيه ابي الربيع سليمان باللوح مرتين وكنت اقرا  
 مختصر خليل لنفسى واكتب منه لوحا وبعد خروجي من الكتاب ادرسه اذ لم يكن يكلفني  
 السلطان رحمه الله قراءته لطوله ثم درست الرسالة ايضا باللوح على الفقيه النحوي ابي  
 محمد عبد العزيز بن ابراهيم سلكتين وقرأتها عليه قراءة فهم وتدقيق بعد حفظها وقرأت  
 عليه ايضا مقدمة ابن ابراهيم قراءة فهم وتدقيق مرارا متعددة واعربها عليه وقرأت عليه ايضا  
 القبة ابن مالك باللوح سلكتين او ثلاثا واعربتها عليه مرارا متعددة وقرأتها قراءة  
 فهم وتدقيق مرارا متعددة وكذا لامية الافعال له ايضا وقرأت عليه علم الحساب وقرأت علم  
 العربية على الفقيه الاستاذ نحوي زمانه بلا مدافع ابي العباس احمد القدومي رحمه الله  
 وبدأت قراءة الالفية على الفقيه المتفنن الدراك الفهامة ابي عبد الله محمد بن ابي القاسم  
 الشريف وعاق عن التمام ما كان من تحرك الطاغية باستدعاء ولد اخينا فتحركت لفاس  
 ومنه لبسيط ازغار وكنت في خلال \* الاقامة بازغار اقراها على الاستاذ ابي عبد  
 الله محمد الحارثي وقرأت على الفقيه العالم الاوحد ابي العباس احمد المتجور اصول الدين  
 وقرأت عليه كبرى السنوسي رحمه الله قراءة فهم وتدقيق وبحث ورويتها عنه وسائر  
 عقائد السوس عن شيخه وشيخ الجماعة بفاس ابي عبد الله محمد اليسيتني عن شيخه  
 الامام المتفنن ابي زكرياء يحيى السنوسي عن شيخه الموحد الصالح ابي عبد الله محمد  
 بن ابي مدين عن شيخه ابي عبد الله السنوسي قرأت عليه حاشية الصغرى عليها  
 من لفظي الى قريب للنصف واجازها لي وكذا اجاز لي حاشية الكبرى وشرحيه الكبير  
 والصغير على قصيدة ابن زكرياء وقرأت عليه ايساغوجي والشمسية في المنطق وقصيدة  
 ضياء الدين الخزرجي في علم العروض مرتين فيما اظن ومختصر السعد قرأت عليه بعضه  
 واجاز لي باقيه وكذا المطول وحدثنى بتلخيص المفتاح والايضاح للقرويين عن جماعة من  
 اصحابه الشيخ ابن غازي كالشيخ ابن هارون عن ابن غازي المذكور عن الشيخ ابن  
 مرزوق الكفيف عن ابيه شارح خليل عن جده شارح العمدة عن الشيخ جلال الدين  
 القزويني مؤلف الكتابين واخذت عنه شرحه على قصيدة ابن الصباغ المكناسي في علاقات

ص 220



المجاز قراءة لبعضه من لفظه واجارة لباقيه وقرأت عليه اوائل الكتب الخمس بل البخارى  
والترمذى ومسلم واجازنى فيها وفي باقى الكتب الخمس بسند متصل مذكور فى  
فهرسته التى كتب يرسمى واجازنى فيها بكل ما له من مقروء ومسموع رحمه الله وقد  
رويت عنه الحديث المسلسل بالاولية وحديث المصافحة وحديث مسح الخفين ورويت الفقه  
المالكى عن الشيخين العالمين الاستاذين شيخى الجماعة ابى العباس احمد المنجور والقاضى  
الاعلى ابى محمد عبد الواحد الحميدى الامام شيخ الجماعة ابى عبد الله محمد بن  
غازى رحمه الله كالشيخ ابى محمد سقين والشيخين الامامين ابى الحسن ابن هارون  
وابى عبد الواحد الحيدى والفقيه ابى محمد عبد الرحمن ابن ابراهيم وشيخهما الامام ابى  
عبد الله اليسمى رحمه الله عن شيخ الجماعة ابن غازى الامام الحافظ المحصل  
ابى عبد الله القورى عن شيخه الفقيه الصالح ابى عمران موسى الجانانى رواية الشيخ  
الفقيه الكبير ابى عمران موسى بن معطى العبدوسى عن شيخه الفقيه العبدوسى  
المذكور عن الفقيه المحقق ابى فارس عبد العزيز القزوينى عن شيخه ابى الحسن  
الصغير شارح التهذيب عن الفقيهين ابى الوليد راشد الوليد وابى ابراهيم الاعرج  
اورباغلى صاحب الطرر على الدونة عن شيخهما الفقيه الكبير الامام الصالح ابى  
محمد صالح الهسكورى \* عن اشياخه الفقيه ابى القاسم زانيف والفقيه ابى موسى  
المومنانى والفقيه ابى القاسم بن البقالى عن الفقيه المحدث الكبير ابى القاسم بشكوال  
عن ابى محمد بن عتاب عن ابى محمد مكى بن ابى طالب عن الشيخ ابى محمد بن ابى  
زيد عن ابى بكر بن اللباد عن يحيى بن عمر عن سحنون عن ابن القاسم عن ولى مالك ولى  
اسناد فى المذهب عن الشيخ ابى محمد المنونى على قرابته بالبلاد المشرقية وهو انى اخذت  
عن شيخنا ابى العباس المنجور وهو عن شيخهم الامام ابى عبد الله اليستينى وهو عن  
ناصر الدين اللقانى وهو عن الشيخ نور الدين السنهورى ونور الدين عن الشيخ عبادة  
الزنى والشيخ عبادة اخذ عن الشيخ جمال الدين الاقهنسى وجمال الدين عن تاج الدين  
بهرام وهو عن الشيخ خليل وهو عن الشيخ عبد الله المنونى ورويت توضيح خليل على  
فرعى ابن الحاجب عن شيخنا المنجور عن شيخه الامام الرجال ابى عبد الله اليستينى  
عن الشيخ ناصر الدين اللقانى عن الشيخ نور الدين السنهورى عن الشيخ عبادة  
الزنى عن الشيخ جمال الدين الاقهنسى عن الشيخ تاج الدين بهرام عن الشيخ ابى  
المودة خليل بن اسحاق وحضرت فى ايام الاخ رحمه الله مجالس عدة عند الفقيه الشيخ  
سيدى شترو بن هبة التلمسانى فى التفسير والفقه والنحو والكلام وممن اُخِلت  
عنه الفقه الفقيه المحدث الصالح ابو المنجاة رضوان بن عبد الله واجاز لى الكتب الخمسة  
فى الحديث وحديثى بالحديث المسلسل بالاولية وكلا الفقيه الرجال الصوفى ابو عبد

ص 221

الله محمد بن علي رويت عنه حديث الرحمة المسلسل بالاولوية وحدثني ياربوعين الاسيوطي  
واجاز لي اجزة عامة فيآله من مقروء ومسموع ومن جملتها احياء الميت بفضل اهل البيت  
للإسيوطي والجامع الصغير للإسيوطي قرأت عليه طرفا منه وأجاز لي فيه عن شيخه الامام  
العلقمي عن مؤلف الكتاب الاسيوطي وبجميع تأليف الاسيوطي عن العلقمي عن الاسيوطي  
وممن أخذت عنه الفقيه المعبر فاضى الحضرة بفاس ابو محمد الحميدى المتقدم الذكر  
قرأت عليه من التفسير والفقه وبعضا من كافية ابن الحاجب فى النحو والشمسية  
للكتاتبي وقرأت عليه من مختصر خليل دولتين احدهما من اولى الكتاب والثانية من النكاح  
وبعضا من جمع الجوامع الامام السبكي فى أصول الفقه وشرح جلال الدين المحلى عليه  
وكذا الفقيه المفتى بحضرة فاس ابى زكرياء يحيى السراج حضرت مجلسه بفاس وفتح  
الله على فى فهم كتاب اقليدس فى الهندسة بغير استاذ لعزة وجوده بهذه البقاع الغربية  
فكنت افك فى كل يوم شكلا من اشكاله ولم بعض معرفة بعلم التعديل انتهى ما نقلته  
من خطه ايده الله تعالى \* وكان ايضا يتعاطى ايده الله بمحضر الملا من الفقهاء والعلماء الذين  
يجمعهم للتخليق فى مجلسه الكريم للمداكرة بمراكش وفاس وفى بعض حركاته السعيدة  
كتباجمة فمنها ما يقرأ متنه ومنها ما يرجع اليه نقلا ومطالعة ومن ذلك الكشف فى علم  
التفسير وحواشيه للطيبى وسعد الدين والسيد والفارسي وابن خلين السكونى وللعلامة ابن  
البناء وتفسير البيضاوى وحواشيه للشيخ زكرياء والحافظ الاسيوطى وملا عصام وكتاب  
الرصاع على اى المعنى وهراثى المجد الى اى السعد من تأليف العلامة الامام ابى العباس  
احمد المنجور شيخ مولانا امير المومنين ايده الله وشيخ الجماعة ومعنى اللبيب فى العربية  
وحاشية الشمونى عليه وشرح ابن الدمامينى وحاشيته ايضا عليه والارشاد لامام الحرمين  
فى علم الكلام وشرح المقترح له وشرح تلميذه الشريف زكرياء والمعالم الدينية للفخر وشرح  
شرف الدين التلمسانى لها وشامل ابن عرفه الذى حاذى به طواع البيضاوى والصحائف  
وشرحها السمرقندى والمقاصد وشرحها لسعد الدين التقرانى والمواقف لعصم الملة  
والدين وشرحها للسيد الجرجانى وحاشية حسن جلبى على شرح السيد والاربعين للامام  
الفخر والقطب فى علم المنطق على الشمسية للكتاتبي وحاشية سعد الدين عليه وحاشية  
السيد عليه وشرح سعد الدين ايضا عليها ومنطق الشفا لابي على بن سينا وشرح  
الارشادات له أيضا لنصير الدين الطوسى وشرح الفخر لها ايضا وكافية ابن الحاجب  
كان يدارسها مع الحافظ العلامة الفقيه الاستاذ النحوى العروضى ابى العباس احمد  
بن على الزمورى وشرح النبيل عليها وهو من أنبل شروحيها وشرح الرضى عليها وشرح  
المؤلف عليها وملاجمى عليها وشروحيات وحواشى عليها غير ما ذكر وشرح ابن  
الدمامينى على تسهيل ابن مالك وغير هذا من المصنفات الجليلة النفع ومن المشايخ الاعلام

من 222

الذين اجازوه ايده الله كتابة ومراسلة من الشرق الى المغرب الشيخ الامام العالم العلم  
الصدر الكبير الشهير رئيس ائمة اعلم بالديار المصرية وقبلة اهل الارض قاطبة علم  
الطريقة ومركز دائرة الشريعة والحقيقة حجة الاسلام وعلم الاعلام وقبوة الانام الشيخ  
الامام الاوحد الفوت الرباني ولي الله ابو عبد الله محمد بن ابي الحسن اليكزي الصديقي  
ونص كتابه المتضمن الاجازة الى مولانا امير المؤمنين ايده الله تعالى (1) الله سبحانه  
ونعالي له العزة التي لا تضاهى والعظمة التي لا تباهى والكبرياء خضعت له املاك السماء  
وملوك الارض والجبروت الذي تهيض لذكره رواسى الدماء طولاً والعرض سبحانه فلق  
بنور الابداع ظلمة العلم وابدى ابداع وانشا \* واخترع وانفرد بذاتى القدم تضطرب من  
هيبته احشاء الزواجر فيتطير اديها فرقا وتتصدع من نواميس سلطانه الافلاك فتشق  
فرقا له الحمد سبحانه ان دل بمصنوعاته على واحدية ذاته العلى وشار بمسبحة مخلوقاته  
الى احديته قدسه الازلى ولاكمصنوع القى شعاع ارادته على مرآة حقيقته فاضاء بسبجات  
صمديته وموضع لنظم شتات المخلوقات محمول على اكناد العناية لم يستدخله قبله  
جنس ولا نوع بل هو مظهر وترتيبه حمد نفسه بنفسه وابرز سر حامديته من حيث  
هو وهو بمطلع محمدية واحمدية ثم انجب منه بالواسطة العلية العالوية من البتول الزهراء  
الطيبة الطاهرة النبوية ابناء لولا الختم المحمدى لكان كثير منهم ابناء الى ان تتم  
الدورة المفتحة بمحمد النبي صلى الله عليه وسلم المختمة بمحمد المهدي انتهاء لاجرم  
واختار منهم علماء رحماء خلفاء على البرية ملوكا طلعت شمس عظمتهم من الافاق  
المشرقية والمغربية فمحت ظلاما واذهبت باليقين شكوكا وواعجبا من طلوع الشمس  
من المغرب امانا للعالم وحفظا كافا كسف العدوان من بنى ادم كيف وهو احمد خليفة  
ملك ملك حبات القلوب وسلطانا بتلك الافطار استطار ذكره بين نقطتى الشروق والغروب  
لا بدع فهو فى ابناء الزهراء قسم من قسمت جبين جده المصطفى صلى الله عليه وسلم  
تسجد له الغزاة رابعة النهار وتجري على وفق بل فوق مراده باذن الله سبحانه الاضية  
والاقدار انفرد فلا يلز معه فى مضمار واحرز قضبات السبق فلا يشق له غبار ودعتسه  
العليا اليها لتدرك به شاو الفخار وحشرت لدعوته افئدة الموحدين فكل ينادى بالدار  
البنادى وارعدت من هيبه سيف ظهوره القوم الفقرات افئدة الملوك فلا سيف الا ذو الفقار  
هذا وعثرا فى تصيب القول الذى لم املك كفاقه فتلمظ به لسان القلم قبل اهداء التحية  
الى سدة الانافة فاما اولا فانى اقبل بجيبنى واهداب مقلتي اجلالا لتلك الحضرة الكريمة  
المقدسة عن شفتى عتبة النبوة والرسالة وساحة العظمة والجلالة بين يعنى نعمة مولانا

ص 223

(2) بياض بلاصل

امير المؤمنين وقبلة الموحدين نجل المصطفى صلى الله عليه وسلم وسليته ومن نصره  
بالرعب غنيا عن الاخذ وسليته والاقب وصهيله من طنت في آفاق العالم حصاته  
وتعبت بضبط مناقبه حفظة القول وحصاته ونزعه الى الانزاع البطين كرم الله وجهه  
عرق خلافة بغير العدل لا ينبض ونماه بالجد الاسعد الى الجد الاصعد سر خصوصية لم  
يزل يقسم له من المواهب او في العطاء ويفرض وفي القطر المغربي آثره الله وللتعميم حذفت  
له متعلقا واثراه من العلم \* والنسب واللولة والصباحة والفصاحة اذ كان ثم غيره منها  
مملقا واستله من غمد الغيب حساما لاعداء الملة حاسما وجعل انف الكفر لا يبرح من  
ذكره راغما وارسل لديه ارسال العطايا بما يخص ويعم البرايا واختاره لذلك قاسما  
وجعل بيده الشريفة ميسم السعادة فاذا اسعد عبدا كان له به واسما واورد سيوفه النبوية  
موارد ورائد عبدة الصليب فلن ترى لهم من باقية واخذهم الله على يده باسرهم ونجرهم  
اخلة رابية فاصبح الاسلام متوجا منه بعزة الحى القيوم واعدائه يدعون بالويل والثبور  
لبوار دولة الاقنوم وتشرف به تحت الخلافة على الممالك المغربية ورميت بسهامه الصائبة  
اكباد اهل الملة المسيحية فاصبحت ملوكهم يتهادها الرخم والبغات وياباها العقبان  
والنسور فلا احتفال ولا اكرام مفعمة اودية سيول عساكره فى موارد السوغى ومصادره  
باعراب كم دربوا على حرى اخلاف الحرب وورى زناد الطعن والضرب ومفاداة ومراوحة  
للجلاد وهز للصوارم وتثيف الصعاد من كل مقتعد من عرب الجياد واحسن معتقل من  
اصم الكعوب بكل رعاى الاناييب بناصرهم من فتاك الاتراك كل قسور قاسر ومن صيد  
الحقاد يدخل كسروى كاسر وغششهم همام وايهم مقدم جارين بذلك اجيش بحارا وسيولا  
ومن السوابل ذيولا حتى تركوا معاقل الكفر قنيصة حابل ونهبة عاجل عاقدين بالعثير  
من مشار النقع قبة آخلة باقطار الجو مسمعين من صلصلة رعود مفارعة السيوف والاسنة  
ما ملا اكناف الدوفيا له ادام الله نصره واقباله وابد له العظمة والجلالة من ملك جر  
على المجرة اذياه وفان القول مدحا فما الخضم بالنسبة لثناء عليه الا بلالة واستعل  
سناه على القمرين فما هما بالاضافة لنوره الا ذبالة ومع ما قدمته ورقمته ومن النسج  
المهلل من حيث الانشاء جبرته الا انى بغير اوصافه الشريفة ما جبرته فلا بد من توفية  
السنة الشريفة فى اهداء السلام حقها وانى الاحج واصاقب هديها ووفقها فاقول السلام  
عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فانى احمد اليكم الله الذى لا اله الا هو واصلى واسلم  
على عبده ونبيه ورسولنا سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وشيعته ووآرثيه وحزبه  
سلاما كانما هب من رياض رضوان من بين العور والولدان نسيمه بل كانما طيب  
فرايس الجنان خلال الرفارف والعبقرى الحسان شميمه وانهى الى تلك الحضرة  
المقدسة التى لم تزل على معاقل التنوى مؤسسه الباذخ شرقها بالفر اليامين من آل

هاشم وابناء العوانك والفواطم المنقطع درس مبدا شرفها \* العلي ليت كل ليت اراد ذلك  
السؤدد وتوخاه وبحسبي من كنت مولاه فعلي مولاه وكفاني وكل منتهض للحجاج لذلك  
المقام العلي ما روى لكل نبي نظير وانت نظيري يا علي وماذا عسى ان القم به فم  
المعارض من الحجر بعدما روى من قوله صلى الله عليه وسلم من لم يقل على خير الناس  
فقد كفر اما الحديث الاول فمشهور ومقبول واما الحديثان بعده فالقول بعلم وضعهما  
عند مهرة الفن منقول على أن في المحجة البيضاء غنى عن بنيات الطريق فقد علم  
الناس المفادى بنفسه والموذن ببراءة وآخذ الراية يوم خيبر ولو شئت لقلت وسلتني  
عن مخبات الفريق وحملته ما انهيه وبالنوع ارسم مبادئ فواده وخوافيه ان ادعيتي  
لذلك المقام النبوي والمحتد العالى العلوى تكاثر وبلى الغمام ومتعنجر السجام سيما اذا  
ارخى اليل سدوله وبسطت الى الله اكف لم تزل عنده مقبولة ولقد وصل الى المقال العديم  
المثال المزرى نظامه بعقود اللال فاذا به السحر الا انه الحلال يسكر سامعه بلا حد بيد أنه  
الجريال لا تبلغ طوامير البطحاء وكو طالت السنة اقلامهم عنان السماء عشيرة او لا تصل  
قواهم ولو امدتها كل النفوس الناطقة الى تجير مثله ولو كان بعضهم لبعض نصيره  
وظهيرد ولو ادعى احدان من معجزات احمد صلى الله عليه وسلم ان يمد الله كراما  
كاتبين في زمن نجله امير المؤمنين احمد بكتاب كريم على اسلوب قويم يرسله الى لجب  
قديم من النبعة والصميم لم نكذب دعواه فما من خارق في الامة الا وهو من معجزاته صلى  
الله عليه وسلم علاه وما جملني به من شعار او اثار او جررت به على الروض ديلا معطارا  
فذاك ولا تسأل عن الخبر وسبحان من يرضى من عبده بالشناء عليه وهو منه واليه فكأنه  
سبحانه لنفسه بنفسه شكر وما شافني به من طلبه الاجازة فالبيت والحديث له وهو في  
اوج هذه الرتبة الرفيعة المنزلة ولاكن رب أب ارسل الى ابنه على يد عبده عطاء فنقله واليه  
باهره وحمله وحيث وقع الامر قاهر مولانا حتم وطاعته غنم فمولانا مجاز من هذا العبد  
بجميع ما يجوز لهذا العبد وعنه روايته بشرطه المعتبر عند اهل الاثر وبمثل ذلك  
مجاز اهل العصر اجازة عامة بما ليكون ابناء الوقت جميعا على مائدة فضل مولانا وتحت  
ظلال ذلك الانعام فانه ايده الله بملائكته وهو السبب في تحصيل هذا المرام وما برز به  
من مجلدة جامعة مطبوعة واسعة لعل الله ببركة مولانا ييسرها ويجري بها قلم العناية  
فيجبرها ويحررها ويرسلها العبد الى حضرة سيادتكم \* ولعلها تقع موقع القبول من شريف  
حضرتكم ومولانا وابناؤه وعطاء حضرتته ووژراؤه وكبراء امرته وجنوده واركان دولته  
في امان الله وحفظه ورعايته ولحظه ما (1) وخطت الالاتار وعبت الهوادد وصبت  
المواطر احسن تحرير في رابع عشر ربيع الثاني عام اثنين وتسعين وتسعمائة العبد  
الداعي محمد بن ابي الحسن الصديقي سبط آل الحسن ومن اجازته ايله الله كتابه

(1) بياض بالاصل .

ورسالة الشيخ الامام نخبه الفضلاء الاعلام تاج الملة علم الايمة فخر العلماء الجلة قاضي القضاة المالكية بالديار المصرية الفقيه الجليل العالم العلم الفاضل الشيخ بدر الدين القرافي ونص الاجازة بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم الحمد لله الذي بعث اكمل خلقه المصطفى احمد وانزل عليه كتابه الكريم فكان اجل مبلغ واحمد وانه جوامع الكلم وجميل الارشاد والحكم فابرز القول الصحيح الحسن الاحمد والصلاة والسلام على تلك الحضرة العلية القرشية القاسمية الهاشمية اجل من قدمه الله الحى القيوم الاحد كشف به الغمة وكف به الظلمة ورقاه الى اعلى مراتب القرب واصعد وكمله وكمل به واسعد وعلى آله الطيبين الطاهرين اولى السيادة والسعادة والقدر الامجد وصحبه الفائزين بمصاحبته ومناصبته باوفى حال يحمد وبعد فان واردات العناية وامدادات الهداية نعم اختارها سبحانه لمن اختاره وقربه فكان من اهل الكرامة والرعاية ومنح قسمها بحسب ارادته كما شاء لمن شاء وهذبه فلا صنع للعبد فى بداية ولا فى نهاية قسمة حيرت اولى الالباب وحالة تفاوتت فيها مراتب الوصول والانتساب فوهب جزيل المواهب وذهب بمن سلك به طريق العلم احمد الطرائق واحسن المذاهب وانه زيادة السعادة والمطالب فكان لمحصلى هذا العلم النصيب الاوفى بما فقههم فى دينه وجملهم بجليل المناقب وجعلهم نجوما يهتدى بهم فى ظلمات الغياهب وقدمهم وقربهم وانا لهم مزايا المترب فرفلوا فى حبرات القبول وحصلوا من ثمرات العلوم الاطايب وبلغوا نجم سولهم لما بلغوا نصح الرسول المجتبى فى المشارق والمغارب فهم صفوة اصفيائه وورثة انبيائه الذين رقاهم بالصعود فى منازل السعود الى ارفع المراتب وفضلهم بما فتح عليهم من معانى العالم وفضلهم ففضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب فرفعت اقدارهم الدعوة المباركة ووضعت اجنتها لهم الملائكة فما لهم عن رضوان الله حاجز ولا حاجب وكفاهم من الله العلى العليم على مر الدهور \* مزيد التشريف والتكريم حيث اقامهم شهداء على وحدانيته بقوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ففازوا بعزته وحازوا من الكمال فاخر رفعتة وقد قبض الله سبحانه وتعالى لهذه العصابة من كل اهل السعادة والاصابة فى كل زمن رفع لهم شأننا وانا لهم ثوابه حفظا لهذا الشأن واهله وصونا له عن وقوعه فى غير محله ونفعا لعباده وارشادا لعباده فى ارض الله وبلاده فكان من اجلهم فى هذا الحيز شأننا وارفعهم واعلاهم مقاما ومكانا من انام الانام فى امن وامان على مدى الايام ورفع عنهم حوادث البغى والاثام وانتشر له هذا الذكر الجميل عند الخاص والعام ونظر فى رغبتة نظر مشفق عالما انه عبد من عبيد الله مكنه من خلقه ربه الله ومولاه فحفظهم باوفى ذمام وسلك بهم مراقبا اقبال الله عليه التمام وجاهد فى الله حق

جهاده فكان احمد قائم ما اعمد سيفه عن الطغاة اللئام العلم الخافق على رؤوس الانام  
سيد الاشراف بقية الاسلاف الحائز بجميل الاوصاف ذي العنصر الاظهر والمقام الابهى  
الاظهر والمجد الاسمى الاسنى الازهر سلامة سيد من تقدم وتاخر امير المؤمنين القائم  
بنصرة الدين مولانا احمد المنصور بن مولانا امير المؤمنين سلطان القطر المغربي وكافله  
لازالت اعلام عزته باهية التمكين ولا برحت مزايا عزماته مكلوة بعين الله الملك المعين  
مؤيدا بمدده الباهر المتين مشيدا عزه محفوظا سعده محفوظا باوفى تأمين وانه بهذا الشأن  
له عند الله اليد الطولى والفضل الاكمل الاوفى ومزيد الاجر فى الآخرة والاولى فان  
هذا الهدى من هذا البيت الشريف توالى وهم احق من نشره تولى وقد ورد علينا الامر  
الكريم من هذه الحضرة العلية السلطانية الهاشمية المحفوفة بعناية الملك الرحيم  
والخطاب الباهر الفخيم واستدعاؤه الوسيم الى هذا العبد الفقير المقيد بقيود التقصير  
المنكسر خاطره لقله العمل والتقوى ولحوق الحال الخطير بابراز سلسلة الفقه الى امام  
المتقين عالم دار هجرة سيد المرسلين مالك ابن انس الاصبحى ابن عبد الله المدنى الفقيه  
المدوح يقول البخارى اصح الاسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى  
عنه وارضاه وما لهذا الفقير من السند فى الحديث الشريف النبوى حسبما نطق به  
مرسومه العلى وابانه مكتوبه الجلى بعبارات جليلة النظم بديعة الرسم فاخرة فى جيد  
الزمان قلائد موشحة بفرائد الفوائد دالة على انه فى الاعتناء بهذا الامر من اعلى المراتب \*  
ص 228  
والمصاعد

ان وجها يضىء بالعرفان      نعمة قد زكت من الرحمان  
نحمد الله اذ ارانا كمالا      فيه عز للعلم من سلطان  
دام فى عزة وفاخر شأن      وبمقباة نيل اعلى الجنان

فرايت امره تشريفا وتكريما واقبالا واجلالا وتعظيما لازال علم الدين به مرفوعا وعلم  
امر على الرؤوس محمولا وعلى العيون موضوعا فبادرت لامثال ما ندب اليه واراده واقبل  
عليه ورأيت ان طاعته ومخالفته غرم مع ما انا عليه من كثرة الاشغال بالفتوى والقضاء  
وعدم الخلوص الى القضاء وكان فى هذه الاشارة الشريفة الهاشمية السلطانية فضل  
مزيد وحال سعيد وذلك ان سلسلة الفقه الى وقتنا هنا لم تقف على من تعرض من  
مشايخى ومشايخ من الطبقة التى فوقهم الى مالك ولا من حرد هنا الامر ولا نظر فيه وانه  
لامر يحتاج اليه كل فقيه فكان هذا الخطاب الشريف داعيا الى هذا الحال الجميل والاسلوب  
الجليل فوجهت الوجهة الى امره الشريف وفق ما طلب ووفيت من مقصده الارب واتحفت  
حضرته العلية بزيادة باهرة حسنا زاهية زاهرة الفضل والمعنى وهى الاجلزة بسورة  
الفاتحة للفوز ببركتها الناجحة بسند لهذا الفقير بينه وبين من انزلت عليه صلى الله

عليه وسلام وشرف وكرم من العلي الكبير على شريف ذلك الجناب خمس في المشايخ  
 الاعلام الانجاب وأنه الحقيق بالفوز بهذا السند العالي المستطاب والكمال الباهر العجائب راجيا  
 منه دعوة بظاهر الغيب لافوز بالمجاب وقلت متشرفا باقباله داعيا بازدياد دولته وصولته  
 وجلاله وحفظ مهجته الشريفة وحراسة السادة الشرفاء من اولاده وتمكنه في ارضه وبلاده  
 لنفع عباده

اجزت لمن تفضل واستجار	او بادر لاقتنا خيرا وحازا
وبرز في سلوك العلم حالا	به من فضل مولاه يجازي
امام كامل عون البرايا	امير المومنين حوى محازا
وذلك بعد تشريفي بامر	وقصد للاجازة واستجازا
فبادرت امثالا قدر وسمى	ومقتنيا مناهج من اجازا
وقد ابدت حقا لا مجازا	لما صار الامام به مجازا
بفاتحة وسنة خير هدى	وسلسلة لمن حاز امتياز
بدار الهجرة العليا امام	بما ابداه من فضل مجازا *
وارجو منه يبذل لي دعاء	بما ارجوه من خير مجازا
بخاتمة تبلغني مراما	بجنات اراها لي مفازا
واشياخي تبلغهم رضاء	ويوصلهم الي خير مجازا

ص 229

ورتبت هذا المطلوب على فصلين وخاتمة الاول في الاجازة بسورة الفاتحة ثم  
 بسند الحديث الشريف واظهاره الفاتحة الثاني في الوصول الى امامنا امام دار الهجرة  
 وسلسلة فقه الشريف والخاتمة في الاجازة وذكر مولدي وما يسر الله تعالى من التأليف  
 وانعم به من فضله المتيف وبالله التوفيق والهداية الى سواء الطريق وهو حسبي ونعم  
 الوكيل الفصل الاول في سند الفاتحة العالية والاحاديث الغالية اما الفاتحة الشريفة فقد  
 تلقيتها عن بلدنا المحدث الرحلة بقية الاوائل جامع الفضائل ولي المعارف وكنز العوارف  
 هو الواعظ الخاشع على ابو الحسن فخر الدين الشهير بلقبه بن احمد الانصاري  
 القرافي الشافعي وكان بيني وبينه من المودة والمحبة الشأن الكبير وله تهجدات مستمرة  
 ومسكنه بالقراءة المشكورة واجازني بجميع مسموعاته ومروياته ومؤلفاته وما له من منثور  
 ومنظوم وما له في طريق القدم من السلوك المعلوم وسأذكر مشايخه الآخذ عنهم في  
 الحديث قرأت عليه سورة الفاتحة واجازني بما له فيها من السند الجليل حسبما سمعته  
 من لفظه وكتبه لي بخطه وذلك انه قال قرأتها على قاضي القضاة شيخ الاسلام محمد بن  
 ابراهيم التتائي المالكي شارح مختصر سيد الشيخ خليل بن اسحاق وتساء بمثنائين  
 فوقيتين قرية من قرى مصر واجازني بها وربما قرأه من كتابه السلسبيل الفاضل



وبجميع مؤلفاته ومروياته قال وقرأتها ايضا على الشيخ العالم الصالح احمد شهاب الدين البلقيني الشافعي واجازني بها وهو قرأها على الشيخ العالم الحجة في مذهب مالك شمس الدين اللقاني واجازه بها وكل من الشيخين شمس الدين التتائي والشيخ شمس الدين اللقاني قرأها على شيخهما قاضي الجماعة برهان الدين التتائي المالكي واجزهما بها وشيخهما البرهان اللقاني المالكي قال قرأتها على العلامة المحدث علم الدين سليمان مؤدب أدب الجن واجازه بها قال علم الدين سليمان قرأتها على القاضي شهروتي قاضي الجن واجازني بها وهو قرأها على النبي العربي اكمل الخلق محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وللقاضي برهان الدين اللقائي مع الجن بعض وقائع متضمنة لمزيد توقيير عندهم وامثال قوله كما هو مستفيض مشهور وذكرت بعضها منها \* في غير هذا الموضوع وقد اجاز هذا العبد الفقير مولانا وسيدنا امير المؤمنين حافظ دين الله المتين بما اجازني به شيخى المذكور من هذه السورة الشريفة والنعمة السابقة الوريقة وادليته فيها ما وصلني منها وانها رتبة في الذروة العليا للقرب من اكمل خلق الله في الاخرى والدنيا جعلنا الله ممن شملته عنايته وعمته رعايته ووقفنا الى ما رضيه وسنه واقامنا في اتباع الكتاب والسنة

ص 230

خصصتك امرا ليس يخفاك شذاه فشديدا واداب لجمع المآثر  
 وكن عالما بالعلم تحمد سره - وتلقى رضا الباري بحسن الدخائر  
 وجد وجد بالنفس في طلب الرضى تلاحظ وجه الله في اليوم الآخر  
 اما قد رأيت الله اولادك رتبة بها شرف الدنيا ونيل المفاخر  
 وذلك عنوان القبول فمن رعى لنعمة مولاه حوى خير فاخر

وأما سندي في الحديث الشريف فقد اخذته عن العجلة من علماء بلدى واجلهم في هذا الباب شيخنا الولي الصالح الخاشع الناسك بقية السلف المحدث السندي يوسف المدعو جمال الدين ابن شيخ الاسلام قاضي القضاة زكريا الانصارى صاحب المؤلفات الفريدة في العلوم العديدة كان شيخنا المذكور له القدم الراسخ في التقوى والمجاهلة في رضى عالم السر والنجوى على سنن عجيب في الانجماع عن الدنيا واهلها والعكوف على بلل الفضائم في محلها واعانه طلبه العلم بمصغفات والده واخذ الحديث عنه لازمه مدة قرأت عليه من اول صحيح البخارى الى اول كتاب الصلاة وسمعت عليه بعضه مع بعض اصحابنا واجازني بالكتاب جميعه وبجميع ما يجوز له روايته بحق روايته للصحيح المذكور قراءة وسماعا واجازة بجميعه من والده شيخ الاسلام زكريا الانصارى الخزرجي الشافعي بحق روايته له قراءة لبعضه واجازة لسائرهم عن شيخ الاسلام ابراهيم الشهير بابن ابى شريف بكسر الشين المعجمة والراء المهملة المكسورة بعدها مثناة تحية لله القمى الشافعي بحق روايته له سماعا واجازة لباقيه عن شيخ الاسلام ابراهيم القلقشندى بقاف مفتوحة

تم شين معجمة مفتوحة ثم نون ساكنة ثم دال مكسورة بعدها ياء نسبة الى قرية من  
 فري مصر الشافعي مذهباً بحق روايته له اجازة فقط عن الشيخ الصالح القدوة ابي  
 عبد الله محمد بن الشيخ الصالح ابي الحسن علي بن نور الدين ابي بكر البكري الصوفي  
 القادري الشافعي \* وعن شيخ الاسلام عبد البر قاضي القضاة محي الدين بن الشيخنة  
 العنفي وعن الشيخ الامام العالم كمال الدين ابن حمزة الدمشقي الشافعي وعن شيخ  
 الاسلام خاتمة المحدثين الاعلام ابي الفضل عبد الرحمن المدعو جلال الدين السيوطي  
 الشافعي وعن الشيخ العالم الصالح ابي الجود محمد المدعو امين الدين الشهير  
 بابن النجار بنون وجيم امام جامع الشيخ القمري بمصر ومنهم شيخنا العلم الباهر  
 والعالم الفاخر خاتمة المحدثين بقية العلماء الماجدين ذو الوجه المنير الحسن من ظهرت  
 فيه دعوة جد الحسن صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع مقالتي فاداهما كما  
 سمعها الشيخ الكامل محمد المدعو نجم الدين بن احمد الغبطيني بغين منقوطة فمثناة تحتيه  
 فطاء مهمله فمثناة تحتيه الشافعي المصري مولداً كان نفعا لخلق الله وجابراً للقلوب  
 المنكسرة بلا اشتباه وكان المثار اليه في السنة الثشريفية ببلدنا وكان بينه وبين والدي  
 محبة قديمة قرأت عليه بالمدسة الاشرفية بمصر المحروسة في علوم الحديث وسمعت  
 عليه بعضاً من موطا الامام مالك ابن انس وبعضاً من صحيح البخاري وبعضاً من صحيح  
 مسلم بالجامع الازهر بمصر المحروسة بحضور اعيان ذلك الوقت من الفضلاء وصدور  
 الابحاث الجليلة وسمعت من لفظه الحديث الشريف المسلسل بالاولية وسمعت من لفظه  
 ايضاً باقى الكتب الستة واجازني بذلك وبجميع ما يجوز له وعنه روايته وكتبه بخطه  
 الشريف وذكر فيها سنده بالكتب المذكورة وذكر مشايخه في الحديث المسلسل بالاولية  
 وما فيه من الايات الشعرية شيخ الاسلام زكرياء وشيخ الشيوخ عبد الله السنباطي  
 والشيخ امين الدين ابن النجار المتقدمين والشيخ بدر الدين المشهدى ومن صحيح  
 البخاري شيخ الاسلام زكرياء المذكور والشيخ الامام المحقق الهمام ابو السعود شهاب  
 الدين بن الشيخ الامام عز الدين عبد العزيز السنباطي والشيخ امين الدين ابن النجار  
 المذكور وشيخ الاسلام قاضي القضاة كمال الدين ابو الفضل محمد بن علي القادري  
 الشافعي المعروف بالكمال الطويل شيخ الاسلام كمال الدين ابو البقاء محمد بن حمزة  
 الشريف الحسنى وذكر شيوخه في صحيح مسلم شيخ الاسلام زكرياء والسيد كمال  
 الدين المذكورين ومن شيوخه في صحيح سنن ابي داود والسنن المسماة بالجامع الترمذي الشيخ  
 زكرياء المذكور والشيخ عبد الحق السنباطي وفي سنن الترمذي الشيخ المحدث ابي الفضل  
 محمد بن الشيخ المحدث الشهير محمد بن بهاء الدين المهدي ومن شيوخه في السنن  
 الصغرى للنسائي الشيخ زكرياء والشيخ ابي هريرة \* عبد الرحمن بن عمر النشيلي

بنون ثم شين معجمة ثم مشاة تحته بعدها لام مشاة تحته نسبة لقرية من قرى مصر  
وفى السنن لابن ماجه شيخ الاسلام المذكور وشيخ الشيوخ هو ابو الفضائل عبد الحق  
السنباطى المذكور ومنهم شيخنا الولي الصالح والعارف الناجح والقنوة الفالح مربي المريدين  
قدوة السالكين العلم الخافق ابو عبد الله محمد بن الولي ابى الصفا احمد شهاب الدين  
بن الشيخ العارف ابى الفضل عبد الرحمن بن الاستاذ الوارث الراسخ والعلم السامخ  
الولي الكبير والمقتدى الشهير صاحب الكرامات الخارقة والاحوال الصادقة والمشاهد الفاتحة  
القطب الربانى الباقي بعض كراماته بزاورته بمصر الى يومنا هذا ابو الاخلاص محمد  
التيهى البكرى الصديقى الشاذلى الشهير بالحنفى بقيه العصاة الشاذلية اعاد الله  
تعالى علينا من بركاته وخالص امداداته اجتمعت به بمنزله الكائن بجوار زاوية  
جده المذكور وصدور بينى وبينه محبة عظيمة وكان بينه وبين والدى صداقة ومودة قديمة  
قال لى قد اجتمعت مع والدك يوما فى موضع فضمنى ضمة وقع عندى انها ضمة وداع  
وفراق وكان الامر كذلك ولم يقع بينهما اجتماع وكان يباليغ فى حفظ مودتى وخصنى  
بدعوات وحدث نفعها وكان توجهه الى فوق الحد وقد استجرت له وله علو السند كما  
ستقف عليه فاجازنى بالبخارى ومسلم وجميع ما يجوز له روايته من مقروء ومسموع  
وحديث وفقه واجازنى بطريق الشاذلية بالسلسلة التى قيدها عنه وقال انها اصح  
الطرق الشاذلية واجازنى بالباس الكوفية والعرقية والطيلسان وارخاء العذبة والجلوس  
على السجادة وتلقين الذكر على طريق القدم ولم ازل ملازما له الى حين وفاته وكان له  
اجتماع كثير على كثير من اولياء مصر المشهورين بالكرامات وذكر من مشايخه الشيخ  
الكامل الفاضل عبد القادر الشاذلى اخذ عنه صحيح البخارى عن الشيخ شهاب الدين احمد  
الشاوى سماعا لبعضه واجازه لباقيه بالمدرسة لكاملية بالقاهرة المعزية بين القصرين عن  
امام الحفاظ ابى الفضل عبد الرحيم بن الحسين العرافى ومن شيوخه قريبه الشيخ  
الفاضل ابى الخير خير الدين بن القطب سيدى محمد الحنفى المذكور قال اخبرنا به  
الشيخ شهاب الدين ابو العباس احمد بن محمد بن ابى بكر الواسطى بحق سماعه له  
من الشيخ صدر الدين ابى الفتح محمد الميديمى بسنده وقد ساوى الشيخ خير الدين  
المذكور الشيخ الحافظ السيوطى فى الرواية عند الميديمى بواسطة واحد الا ان السيوطى  
اخذ عن اربعة كلهم عن الميديمى واما الحافظ ابو الفضل العرافى فروى عن الميديمى بلا  
واسطة ومن شيوخه الحافظ الجلال السيوطى اخذ عنه صحيح مسلم وقرأ عليه فهرسة  
اسماء مؤلفاته \* وهى نحو مائة مؤلف واجازه بذلك وجميع ما يجوز له وعنه روايته بشرطه  
قال وكتب لى خطه بذلك ومن شيوخه ايضا شيخ الاسلام ذكره المذكور وقال انه  
اجازه فى ثمانى عشر جمادى الاولى سنة 894 والقاضى شهاب الدين الصير فى سنة 9

ص 233

وكلاهما من تلامذة الشيخ ابن حجر والشيخ نور الدين الأشمدي الشافعي والشيخ محمد بن محمد المدلجي العثماني الشافعي شارح الشفا للقاضي عياض والشيخ الصالح العمري ابو الحسن علي نور الدين بن ابي بكر الفيش الانصاري شيخ زاوية المتبولية وقف السلطان قايتباي ومن شيوخ الشيخ نور الدين المذكور عدة من الاعلام باخباره بذلك نسيخنا المذكور حين سألته وهو شيخ الاسلام الحافظ أحمد بن حجر وشيخ الاسلام يحيى المناوي وشيخ الاسلام علم الدين البلقيني والعلامة المحقق جلال الدين والشريف النسابة والشيخ عبد السلام البغدادي والشيخ برهان الدين البقاعي صاحب المناسبات وغيرهم من الاعيان ولما شيوخ نسيخنا المذكور من طريقة الشاذلية فمن طريقة جده القطب المذكور وهو أنه صحب والده على طريق السادة الشاذلية واقتدى به ولقنه والده كلمة التوحيد ووالده من ابيه المذكور وابوه المذكور من جده القطب محمد الحنفي وجده القطب المذكور من قطب زمانه الشهير بابن الميلى وابن الميلى اقتدى بجده شيخ الاسلام ابي العباس بن الميلى السكندري الاصولي الجليل وهو صحب واقتدى بالشيخ الولي العارف تاج الدين ابي الفضل احمد بن عطاء الله السكندري صاحب الحكم والتنوير ولطائف المنن ومفتاح الفلاح وتاج العروس ووجد بخط القطب الشيخ الحنفي الكبير المتقدم ابن الشيخ احمد بن الميلى اخذ الطريقة صحبة وتلقيا عن سيدي ابي الدرايقوت العرشي وهو وسيدي تاج الدين ابن عطاء الله اخذا عن الشيخ الولي ابي العباس بن عمر المرسى وهو صحب واقتدى واخذ التلقين عن استاذ هذه الطائفة الشاذلية القطب السيد الشريف ابي الحسن الشاذلي نفعنا الله ببركاته وهو صحب السيد الشريف والعلامة الشهير عبد السلام ابن مشيش بيا موحدة في اوله فشين معجزة فمئناه تحته ثم شين معجزة وهو اقتدى بالعوث الجامع السيد الشريف ابي عبد الرحمن الحسن المدني العطار الشهير بالزيات والزيات نسبة الى محل سكنه بالمدينة قال الشيخ ابراهيم المواهي وهاكذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية هذا السند شريف عن شريف الى سيدنا الحسن بن علي بن ابي طالب وهو اول اقطابها عن جده المصطفى عليه السلام قال سيدي الولي العارف محمد سبط سيدي ابي الحسن الشاذلي في كتابه شفاء الغليل ودواء العليل ان طريق جدي الشيخ ابي الحسن الى الشاذلي \* ص 234

فبدوها معروف مطروق بين الناس واخرها بغلبة الظن لم يتلقاها من السادة الشاذلية الا القليل والقسم الاول الى الشيخ الزيات المتقدم واما القسم الثاني وهو بقية طريق الشيخ الزيات المذكور فقد صحب واقتدى بشيخه القطب تقي الدين الفقير بالتصغير وفتح القافين منهما وهو الذي سمى بذلك تواضعا وهو صحب واقتدى بالشيخ القطب فخر الدين وهو صحب واقتدى بالشيخ القطب ابي الحسن علي وهو رضى الله عنه

صحب واقتدى بالشيخ القطب تاج الدين وهو صحب واقتدى بالقطب الملقب بشمس الدين  
 وهو صحب واقتدى بالشيخ القطب الملقب بزین الدين القزوينی وهو صحب واقتدى  
 بالشيخ القطب ابی القاسم المروانی وهو صحب واقتدى بالشيخ القطب سعيد وهو  
 صحب واقتدى بالشيخ القطب سعد وهو صحب واقتدى بالشيخ ابی محمد فتح  
 العودی وهو صحب واقتدى بالشيخ القطب جابر وهو رضى الله عنه صحب واقتدى  
 بأول الاقطاب السيد ابی محمد بن الحسين بن علی بن ابی طالب وهو صحب واقتدى بجدّه  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شيخنا ابو الاخلاص محمد الحنفی المذكور وهله  
 أصح طرق السادة الشاذلية وتفضل واجازنى بها وان افعّل ذلك لما طلبه من علی طرسق  
 التشبيه بالقوم واجازنى بكل ما يجوز له روايته من مقروء ومسموع وغير ذلك من  
 الباس كوفية وعرقية وطيلسان وارضاء عذبة وجلوس على سجادة وتلقين ذكر وحديث  
 واجازنى بما اجازّه به شيخه الشيخ الامام العلم الهمام عبد القادر بن محمد بن احمد  
 الشاذلى وغيره من المشايخ نفعنا الله ببركاتهم اما شيوخه من الصوفية فخلق كثير من  
 أشهرهم ابو الحسن على نور الدين النبتيتى بنون ثم باء موحدة ساكنه ثم مشاة قوقيتين  
 بينهما مشاة تحنية ثم مشاة تحنيه نسبة الى قرية من قرى مصر والشيخ شهاب الدين  
 المرحومى شيخ الولى الشهيد ابو السعود الجارحى والشيخ ناصر الدين المتوفى  
 الشاذلى والّد الشيخ ابى الحسن على الشاذلى المالکى شارح رسالة الشيخ ابن ابى زید  
 القيروانى الشروح المتعددة منها شرحه المشهور تحقيق المبانى قال شيخنا وكان  
 والده المذكور من المعمرين صحب خلّاق من مشايخ الصوفية منهم سيدى ابو الذهب  
 التونسى والشيخ ابو العباس الحنفى التونسى وسيدى الولى الكبير ابراهيم المتبول وسيدى  
 عمر النبتيتى وسيدى مدين المدفون بزوايته بمصر بطريق بولاق وغيرهم من السادة  
 الشاذلية والوقائية وتلقن الذكر المثلث والمربع على الشيخ ابى اسحاق بن طام بن منصور  
 الشيرازى قال شيخنا المذكور وهو لقن الفقير وله كتاب فى تلقين الذكر وفضله  
 وادابه وشروطه وفى الصجبة والمصافحة واجازنى بجميع ما فيه \* وكتب لى خطه  
 بذلك ومن شيوخ شيخنا المذكور فى طريق الصوفية الشيخ ابراهيم المواهبى الشاذلى  
 الحنفى قال قرأت عليه كثيرا من مؤلفاته فى الطريق وعلم واصول الدين ولقنتى الذكر  
 واجازنى بخطه قال وشيخ شيخه سيدى محمد المغربى لقنى كلمة لا اله الا الله قال وغير  
 هؤلاء المذكورين من العلماء والصوفية تركت ذكرهم طلبا للاختصار وخوفا من الاطالة  
 والاكثر قال شيخنا الشيخ محمد الحنفى المزبور قد اجتمعت بسيدى ابراهيم المتبول  
 وسيدى محمد بن اخت الشيخ مدين المذكور وحل نظرهما على انتهى كلما فى بعض ما  
 اثبتة فى اجازتى ومنهم شيخنا فى الحديث والفقه وغيرها الامام العلامة للحظق الفهامة

ص 235

المدقق بقية العلماء ذوى الرسوخ الحجة العمدة الخاشع المتواضع زين بن احمد الشهير  
بالجزائى بجيم مكسورة ثم متناة تحته ثم زاي مكسورة ثم متناة تحته الى بلده على  
النيل تجاه روضة مصر وبين الروضة ومصر بحر النيل كان على حاله عجيبة من هضم  
النفس والتواضع وتفهم الطلبة وتحقيق كلام العلماء والنظر فيه بكلام الدقة والتقدير لحفظ  
مقالهم ومقامهم كان اذا اشكل عليه كلام بعض العلماء وكان بظاهرة يفهم الاشكال  
بقول هذا من سوء فهمنا ثم لم يزل يجهد حتى يظهر صوابه ويقول كيف حالنا لو تساهلنا  
فى حق الناس وكان رفيقا لوالدى وابتداء القراءة معه فى مختصر الشيخ خليل على  
شيخهما العالم الصالح شمس الدين محمد اللقانى فى يوم واحد وكانا كالاخوين جمعهما  
الصدق والتواضع والخير والعلم وكان يتحدث بنواضعهما مع انفرادهما فى بلدهما الوالد  
بالقضاء والاخر بالافتاء قرأت عليه من اول الموطا الى احاديث الرضاع قراءة دراية واتقان  
بجودة وامعان ابدى فيها العجائب وقيدت عنه خصوصا فى الاعراب الغرائب وكان  
مجلسه يشتمل على فوائد لا تختصر بما يقرأ فيه وكان له صبر على البحث وتحريك الطلبة  
على التحصيل ويحرص على حصول المراد لفهامهم ويرد عليهم بكمال اللفظ كل ذلك  
طلبا للنفع واجازنى بذلك وبقى الكتاب وقرأت عليه بعضا من اول صحيح البخارى  
ومسلم والشفاء واجازنى بالكتب المذكورة وجميع ما يجوز له وعنه روايته وسند كل  
عندى ومن اجل شيوخه العلمان الزهران والعلمان الماهران الاخوان الجيلان البارعان  
المالكيان الشيخ محمد المدعو شمس الدين بن حسن اللقانى والشيخ ناصر الدين كان  
عليهما مدار المذهب المالكي والاول منهما اكبر منا واكثر فقهيا وكان له قدم راسخ فى الكشف  
واجتمع بعدد من الالياء المصريين والمغاربة والثانى اكثر تحريرا وتحقيقا فى العلوم  
العقلية ازداد النفع به لطول عمره وكثرة ملازمته ليلا ونهارا للاشتغال \* والاشغال  
وكان له صبر جميل على ملازمة الطلبة له من ذوى المذاهب الاربعة بمصر فى العلوم العقلية  
بحيث صار شيوخ الوقت كلهم طلبة له مع الجماعة على اهل الدنيا بحيث جاء وكيل  
السلطان الحافظ مصر الى الجامع الازهر وطلب الاجتماع به للتبرك والدعاء فقال ان  
عدل عن الاجتماع معى دعوت له والا فلا وقد كان ابتدا شيخه هذا بالعلم على اخيه  
الشيخ شمس الدين كما مر ثم انه اجتمع باخيه الشيخ ناصر الدين وحصل منه  
النصيب الوافر فيما قرأه وحضره فيه من العلوم وصارت له عنده مكانة وقدمه على  
بقية طلبته لتدقيقه وتحقيقه ومعرفته بكلام الناس وكان لا يوجه معظم كلامه الا اليه  
بحيث كان اذا بحث الشيخ ناصر الدين بعض المواطن يقول له انت معنا وكان لا  
يفارق مجلسه قال شيخنا وكان الشيخ ناصر الدين المذكور حقيقا بالتقدم على اهل عصره  
قلت وقد ادركته وحضرت بعض دروسه فى الفقه من مختصر الشيخ خليل وكان ترد عليه

ص 236

الفتاوى من الاقطار من الروم وغيرها من اجلاء مشايخ ذلك الوقت ويكتب بخلاف ذلك ويبرهن عليه وكان مجلسه في غاية المهابة كأنما على رؤوس اصحابه الطير وقد عرفت بهما في الدليل الذى وضعته على الديباج المسمى بتوشيح الديباج وحلية الابتهاج وتوفى شيخنا المذكور بعد ان حج وزار المدينة سنة 979 واخبرني ولد اخيه انه عند توجهه الى المدينة المشرفة على ساكنها افضل الصلاة والسلام كان كثيرا ما يتشد (اصبحت نفسي رهينة بين مكة والمدينة)

رحمه الله تعالى وطيب مرقدہ ومنهم صاحبنا جامع الفضائل ابو الحسن على المدعو نور الدين الانصارى ثم القرافى الشافعى المتقدم فى سند الفاتحة قرأت عليه الفاتحة كما مر وسمعت منه الحديث المسلسل بالاولية والحديث المسلسل بالاتكاء وجانباً من اول صحيح البخارى والباب الاخير منه واجازنى بذلك وبجميع ما يجوز له وعنه روايته وبما له من مؤلفات علمية ورسائل واحزاب صوفية وتقدم اسم مشيخته فى سورة الفاتحة ومن شيوخه فى صحيح البخارى وبقية الكتب السنة وغيرها من الكتب التفسير والحديث والفقه وغيرها من بقية العلوم الدينية جماعة اعلام منهم الشيخ الجلال السيوطى قال رويته عنه بالاجازة العامة بلا واسطة وبواسطة جمع كثير من تلامذته كالشيخ محمد الشامى صاحب النثرة والشيخ شبر موت الحركسى قال وسمعت منه الحديث المسلسل بالاولية ومن اعلى مشايخ الاسيوطى الشهاب الحجازى احد الشهب السبعة المجتمعين فى عصر واحد وهم اعلى ما عند شيخ الاسلام الكمال الطويل القادري \* قال شيخنا المذكور وقد قرأت عليه كثيرا من الحديث واجازنى بجميع رؤياته وكذا شيخ الاسلام احمد بن النجار واعلاما عنده المسند المعمر شمس الدين محمد بن ابي عمر الحنبلى بسماعه على (1) عبد البارى قال وقد وقع لى رواية الحديث وغيره من سائر المرويات ما عدى الفاتحة من الطريق المذكور عاليا بدرجة قراءة لبعض الحديث واجازة بجميع ما يجوز لى روايته من الشيخ المسند المعمر لما فوق المائة العلامة الفردى قريش البصيرى العثمانى عن شيخه الشيخ المقرئ شمس الدين الجزرى عن شمس الدين ابن الخباز عن الامام محيى الدين النووى قال والجزرى المذكور شيخ الحفاظ الجلال السيوطى واما شيوخه فى الطريق فقال اعلى مشايخي فيها القطب الربانى ابو السعود الجارحى تلقنت عليه المسبعات واعلى شيوخه شهاب الدين المرجومى عن مدين عن سيدى احمد الزاهد قال وتلقنت الذكر واخذت عن شيخ الاسلام احمد بن النجار المتقدم عن سيدنى محمد بن احث سيدى مدين عنه قال واخذت عن الشيخ القطب

ص 237

(1) يقرأ بالاصل .

الشيخ شاهين الحلولى بالجبل المعظم بمصر عن شيخه حسين جلى وسيدى احمد بن  
 عفة وعن الشيخ ناصر الدين اللقانى عن سيدى احمد بن عفة وتلميذه سيدى الشيخ  
 الصالح العالم زروق المغربى وروى عن الاول المامه معنى بجمع الخير كله وعن الشيخ  
 جلال الدين السيوطى عن شيخه الشيخ عبد الكبير نزيل مكة ومنهم شيخنا الشيخ المسند  
 المعمر بهاء الدين بن عبد الله بن الشيخ العارف بالله الشيخ نور الدين على العجمى  
 بن اليسا التركى المعروف والده وجده بالعجمى المعروف بالشنشورى بشينين معجمتين الاولى  
 مفتوحة والثانية مضمومة بينهما نون ساكنه ثم واو ثم راء مهملة بعدها ثنات تحته نسبة  
 الى قرية من قرى مصر الشافعى مذهبها كان من اهل الخير والدين سمعت منه الحديث  
 المسلسل بالاولية وهو اول حديث سمعته منه قال لى وهو اول حديث سمعته من  
 اشياخه وكذلك من فوقهم الى اخر السند فمن شيوخه الشيخ الحافظ عثمان الديلمى شيخ  
 الشيخ ناصر الدين اللقانى كما سنذكره عند التعرض لذكر السند وشيخ الاسلام  
 زكرياء والحافظ جلال الدين السيوطى وذكر سنده فى الحديث المسلسل بالاولية وهو  
 عندى بخطه فى اجازته لى وسمعت اول الموطا والجامع الصحيح وقطعة  
 من صحيح مسلم وبالسنة الصغرى للنسائى والجامع واول كتاب  
 السنن لابي داوود واجازنى بذلك للترمذى وسنن ابن ماجه والشفا وكتاب  
 جامع الاصول والترغيب والترهيب والسيرة النبوية للعلامة ابن هشام وسيرة ابن سيد  
 الناس ودلائل النبوة بحق روايته عن المشايخ الثلاثة المذكورين بالاسانيد المتصلة المعروفة  
 لهم والاتي ذكرها \* فيه وعن الشيخ برهان الدين القلقشندى عن الشيخ عبد الحق  
 السنباطى والشيخ تقي الدين الاوحافى وعن شيخه وقدوته ومربيه شيخ الاسلام كمال  
 الدين الطويل القادري وعن الشيخ نور الدين المحلى والشيخ المعمر سعد الدين الدهى  
 والشيخ بدر الدين المسهدى واجازنى ايضا شيخنا المذكور بمؤلفات شيخ الاسلام زكرياء  
 ومؤلفات الحافظ الجلال السيوطى خصوصا الاحاديث الثلاث العشاريات التى اجازه بها  
 شيخه الجلال المذكور وسندها عنى بخط شيخنا المذكور من جملة اجازته لى وم ر  
 تقريبا سنة 888 من الهجرة النبوية ومنهم شيخنا القدوة بقية السلف المسند المعمر  
 شرف الدين موسى الشهير بالبلينى الحنفى قرأت عليه من اول صحيح البخارى الى  
 احاديث الاذان واجازنى ذلك وبقية الصحيح المذكور وجميع ما يجوز له وعنه روايته ومن  
 شيوخه المشهورين العلامة جلال الدين عبد الرحمن السيوطى وقاضى القضاة برهان  
 الدين بن ابراهيم الكركمى بكافين اولاهما مفتوحة والثانية مكسورة بينهما راء مهمولة  
 ومنهم صاحبنا ورفيقنا فى الله محب والذى علم الحديثين صاحب السند التين الزامى  
 خلقا وخلقنا الباهر بهاؤه عبقا محمد بن الشيخ محب الدين ابن الامام المحبة عين

س 238



القضات الاخيار أحمد شهاب الدين الفيشى بفاء مكسورة فمثناة تحتية ثم شين معجمة ثم مثناة تحتية نسبة الى قرية من قرى مصر كان جده من القضات المشهورين بتنفيذ الحق واظهار سطوة الشرع على الجبابرة وقيل بسيف الشرع عدة وقد عرفنا به فى الدياج وكان والد ولده شيخنا فى الحديث على حالة حسنة من كمال الدين والخير والصلاح والجميل مع ايتام المسلمين ومعاملتهم بكل جليل مع الذكاء الثاقب وحال حسن جدا قرأت عليه اول سيرة شيخه الامام خاتمة المحدثين محمد الشامى الشافعى المسماة بسيل الهلى والرشاد فى سيرة خير العباد واجازنى بها وبالموطا وصحيح البخارى وما يجوز له وعنه روايته ومن شيوخه فى الموطا وغيره شيخ الشيوخ الشيخ شمس الدين اللقانى المتقدم وعبر عنه شيخنا بالقطب والشيخ الامام المعمر الرحلة محمد بن عمر النشيلي والشيخ الصالح ابى حفص عمر العبادى الشافعى شيخ البرقوقية بصحراء القاهرة ومن اشهر شيوخه فى البخارى او منهم الشيخ عمر العبادى المذكور بقراءته لجميعه عليه وشيخ الاسلام احمد بن النجار الحنبلى بقراءة غالبه والشيخ المسند المعمر الرحلة الشيخ جمال الدين يوسف السامى المشهور بالجميل قرأت عليه المجلس الاول منه الى كتاب الايمان واجازة لباقيه والشيخ الامام المسند الرحلة المعمر محمد وهو الشيخ الابودرى المالكي والشيخ الامام المسند الرحلة عبد العزيز الازدى بسماعه المجلس الاول منه وذكر \* شيخنا سنده بما ستقف عليه قال لندكر بقيقة السند كما وعدنا فى الكتب التى ذكرها اما الموطا فقد تقدم اخذنا له عن شيوخنا المتقدم ذكرهم قال شيخنا الشيخ رين الجيزى وصاحبنا الشيخ محمد القيسى انهما اخذاه عن شيخهما الشيخ ناصر الدين اللقانى قال الثانى انه قرأه بكماله على الشيخ المذكور وبعضه على شيخه النشيلي واجازته به شيخه العبادى كما مر قالا والشيخ العبادى تلقاه عن قاضى القضات برهان الدين ابراهيم اللقانى وهو تلقاه عن الحافظ ابن حجر قال الحافظ المذكور اخبرنى به الفقيه نجم الدين محمد بن نور الدين على بن الامام كمال الدين محمد بن عقيل البالى سماعا عليه قال اخبرنى به المشايخ زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن البتيتى ومحمد بن على بن محمد بن عبد المجيد الملقى وابو الحسن على بن محمد بن عبد القادر الهمداني من لفظه قال اخبرنا به ابو الحسن محمد بن الحسين بن عتيق بن رشيق الربعى وعبد الهيمن ابن سليمان بن موسى البكرى سماعا الاول سوى من اوله الى قوله الترغيب فى الصلاة فى رمضان وسوى من قوله بيع المكاتب الى الموطا وسماعا على الثانى لهذين وقال الملقى اخبرنا به زين الدين محمد بن محمد بن ابى الفتوح الكلاصى وعبد المحسن بن عبد المحسن فى آخرين وقال الهمداني اخبرنا به ابو العباس احمد بن ابى القاسم الصقلى وغيره قالوا كلهم اخبرنا به ابو الفضل عبد العزيز عبد الوهاب بن اسماعيل بن مكى

الزهرى انا جدى ابو الطاهر اسماعيل بن مكى بن اسماعيل الزهرى اخبرنا به الامام ابوبكر محمد بن الوليد الطرطوشى اخبرنا به ابو الوليد الساجى اخبرنا يونس بن عبد الله بن مفيث الصفار مناولة قال اخبرنا ابو عيسى يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن يحيى الليثى اخبرنا عمر ابن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن يحيى اخبرنا ابى اخبرنا مالك بن انس رضى الله عنه بجميع الموطا سوى ما فانه سماعه على مالك فرواية زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبظون عن مالك وكان يحيى بن يحيى قد سمع الموطا من زياد بسماعه من مالك قبل ان يرتحل اليه يحيى بن يحيى رحمه الله تعالى انتهى قال الشيخ السيوطى فى حاشية الموطا فى احاديث الاعتكاف فى حديث من اراد أن يعتكف وهذا فيما فات يحيى سماعه من مالك فى الموطا فرواه عن زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبظون وكان ثقة عن مالك وكان يحيى بن يحيى قد سمع الموطا منه بالاندلس ومالك يومئذ حتى ثم رحل يستمعه من مالك سوى ورقة فى الاعتكاف لم يسمعها اوشك فى سماعها من مالك فرواها عن زياد عن مالك انتهى المقصود منه هاكدا انقلت هذا السند من خط شيخ شيوخنا شمس الدين اللقانى قال ابن حجر قال لنا التنوخى قال انا ابو حيان رجال \* اسناده من شيخنا الى مالك فقهاء مالكيون وقال اللقانى قال ابن حجر واخبرنا بهذا الكتاب غالبا ابو العباس احمد بن عيسى الصقلى فى كتابه الى دمشق قالها (1) ابو العباس احمد بن عيسى الصقلى فى كتاب الينا من مصر قال اخبرنا ابو الفضل الزهرى بسنده وقال اى الزهرى قرأته بمثل هذا متصلا بالسماع ليس فى الطريق اجازة على ابن اسحاق التنوخى بالقاهرة واخبرنا به ابو محمد عبد الله بن محمد بن هارون وقاضى الجماعة احمد بن محمد زاد النشيلي ابن المحسن بن العمار الخزرجى والفقير ابو محمد عبد الله بن محمد بن هارون الطائى اى بزيادة الطاء قال ابن حجر قال قاضى الجماعة المذكور انا به ابو الربيع زاد النشيلي شيخ شيخنا الفيشى بعد ابى الربيع لفظ الحافظ سليمان بن موسى بن سالم الكلاعى قال اخبرنا به الفقيه ابو عبد الله زاد العبادى شيخ شيخنا الفيشى المذكور قرأت على ابى عبد الله محمد بن ابى الطيب ابن زرقون قال اخبرنا به ابو عبد الله احمد بن محمد الخولانى زاد الفشيلي ابن عبد الله بن عبد الرحمن زاد العبادى قال اخبرنا ابو عمر وعثمان بن احمد اللخمي زاد اللقانى بعد اللخمي انا ابو عيسى عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثى انا عمر ابن عبد الله بن يحيى بن يحيى قال اخبرنى به ابى يحيى بن يحيى انا مالك بن انس رضى الله عنه وقال ابن حجر قرأت على شيخنا ابى اسحاق التنوخى عن العلامة امين الدين ابى حيان بن محمد بن يوسف بن على بن حيان اجازة ان لم يكن سمعا انا ابن هارون بسنده المتقدم ايضا وقال ابن حجر قال شيخنا يعنى التنوخى واخبرنا به ابو محمد بن ابى غالب

ص 240

(1) هنا كلمة غير واضحة بالاصل

اجازة انا ابو الحسن بن المقبر مشافهة من ابي عبد الله الحميدى عن ابي عمر بن عبد  
البر عن سعيد بن نصر بن قاسم بن اصبح عن محمد بن وضاح عن يحيى بن يحيى بن  
فذكره قال انا التنوخى قال انا ابن جان رجال اسناده عن شيخنا الى مالك فقهاء  
مديون انتهى قال شيخنا القيشى المذكور قال شيخنا النشبل والابودرى اخبرنا به  
شيخ الاسلام قطب الدين ابو الخيرى بن ابي عبد الله محمد الخيضرى والشيخ المسند  
احمد بن عبد القادر بن محمد بن طريف بالطاء المهمله وءآخره قال الشاوى بشين  
معجمة سماعا عليهما خلا يوما فى اوائل المجلس الثالث ما جاء فى ذكر الله تبارك  
وتعالى وءآخره كتاب الاعتكاف قال القطب اخبرنا الشيخان الامام الحافظ ابو عبد الله  
محمد بن ابي بكر ابن ناصر الدين دمشقى والسيد الشريف العلامة اضى القضات زين  
الدين عبد الرحمن بن علي ابن زمام الحسن الحنفى سماعا من لفظ الاول لجميعة وقراءة  
على الثانى لجميعة خلا الجامع قال اخبرنا العلامة المسند شهاب الدين ابو العباس احمد  
بن عمر بن علي بن هلال الربعى المالكى سماعا زاد الحافظ ابن ناصر الدين فقال واخبرنا به  
قاضى القضات ولى الدين ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد \* ابن خلدون الحضرى 241 م  
المالكى قراءة عليه من اوله وانا اسمع من اوله الى العمل فى الوضوء ومناولة الباقية مع  
الاجازة ح وقال الشاوى اخبرنا به مسند لديار المصرية شيخ القراء ابو اسحاق  
ابراهيم بن احمد بن عبد الواحد الشاوى مشافهة ان لم يكن سماعا قال هو وابن  
هلال وابن خلدون اخبرنى به الشيخ الامام ابو عبد الله محمد بن جابر بن عبد الوادى  
ءانش بمشاة تحتيه بعد ذلك مهمله مهمزة مملودة معجمة سماعا قال شيخنا الفيشى  
فوقع بيننا وبين المؤلف من طريق الحافظ ابن حجر عن البالى ثلاثه عشر وعن التنوخى  
والخرائط اثنا عشر ومن طريق القطب الحنصرى والعقفى عن القرطبى احد عشر  
ومن طريق الشاوى والعقبى عن ابن المعمار عشرة واما سند البخارى فقد تقدم اخذه  
عن جماعة واخذ شيوخنا كما تقدم الشنشورى عن الحافظ عثمان الديمى وعنه اخذ الشيخ  
ناصر الدين المتقدم هذا الصحيح وله اعنى الحافظ الديمى فيه طريقان احدهما عن  
شيخه الحافظ ابن حجر والثانية عن ابن طريف الشاوى عن الحافظ ابي الفضل العراقى  
كما نبها شيخ شيوخنا العلامة المحقق ناصر الدين اللقانى المالكى اليه ووجدت الطريق  
الاول بخط فريد وفيه الشيخ احمد بن الشبل الحنفى معزيا ذلك الى الشيخ ناصر الدين  
المذكور فى اجازته لاميير المومنين المتوكل على الله محمد العباسى قال اجزت له ان  
يروى عنى جميع صحيح البخارى رضى الله عنه بروايتى له عن عدة من المشايخ منهم شيخ  
الحفاظ فى عصره ابو عمرو عثمان الديمى تغمده الله برحمته قراءة عليه لبعضه واجازة  
لباقيه قال اخبرنى به جماعة من المشايخ منهم حافظ العصر وفريد الدهر شهاب الدين ابو

الفضل احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد العسقلاني الكتاني الشافعي رحمه الله تعالى قال اخبرني به جماعة من المشايخ ابي اسحاق ابراهيم بن عبد الواحد التنوخي قال اخبرني به سند الافاق شهاب الدين ابو العباس أحمد بن ابي طالب ابن ابي النعم نعمة بن بيان الصالحى قال اخبرنا به ابو عبد الله الحسين بن المبارك بن محمد بن يحيى الترملى قال اخبرنا به ابو الوقت عبد الاول بن عيسى الهروى قال اخبرنا به جمال الاسلام ابو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن مظفر الداودى قال اخبرنا به ابو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسى قال اخبرنا به ابو عبد الله محمد بن مطر بن صالح ابن بشر الفربرى بفربر قال اخبرنا به مؤلف الامام العلامة الحافظ المجتهد الحجة ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى قال الشيخ اللقانى ومنهم اى من مشايخه فى الصحيح شيخ الحفاظ والمحدثين الشيخ جمال الدين القلقشندى الشافعي ومنهم شيخ الاسلام والمسلمين ابو اسحاق ابراهيم اللقانى المالكي ومنهم الشيخ الامام \* المحقق شمس الدين ابو عبد الله محمد بن قاسم الشافعي اسانيدهم الى البخارى بالطريق الاولى والطريق الثانى للديهم عن ابن طريف كما رأيت ذلك بخط الشيخ ناصر الدين اللقانى فى اجازة الجنابى الشهابى احمد بن محمد العبادى سبط الشيخ الفهامة محمد الافهسى قال اجزت له أن يروى عنى جميع الجامع الصحيح برواى عن شيخنا الامام فخر الدين ابي عمر وعثمان بن محمد بن عثمان بن محمد بن ناصر الدين الشافعي تغمده الله برحمته بقراءتى عليه لبعضه واجازه لباقيه بقراءته لجميعه على السند ابي العباس احمد بن طريف الشماوى قال اخبرني به الحافظ ابو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقى ورفيقه الحافظ ابو الحسن على الهيثمى والعلامة المقرئ ابو اسحاق ابراهيم التنوخي والخطيب ابو الحسن على بن ابي المجد الدمشقى قال الاول اخبرنا الشيخ ابو على عبد الرحيم بن عبد الله بن يوسف الانصارى عرف بابن شاهد الجيش سماعا قال اخبرنا به المشايخ الثلاثة ابو العباس احمد بن على بن يوسف الدمشقى وابو الطاهر اسماعيل بن عبد القوى بن عزوز وابو عمر وعثمان بن عبد الرحيم بن رشيق سماعا عليهم لجميعه سوى من باب المسافر او اخذ به السير يعجل الرجوع الى اهله فى اخر كتاب الحج الى كتاب الصيام ومن باب ما يجوز من الشروط فى الجهاد ومن باب غزو المرأة فى البحر الى باب دعاء النبى صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فاجازه بسماع الثلاثة من الشيوخ ابن القاسم هبة الله بن على البوصيرى وابن عبد الله بن حمد الارتاحى قال البوصيرى اخبرنا به ابو عبد الله محمد بن بركات بن هلال النحوى سماعا وقال الارتاحى اخبرنا به ابو الحسن على ابن الحسين بن عمر الفراء اجازة قالا اخبرتنا ام الكرام كريمة ابنة أحمد المروزية قالت اخبرنا به ابو الهيثم

محمد بن مكي الكشهيني ح وقال الهيثمي قرأته على الشيخ مظفر الدين محمد العسقلاني قال اخبرني به ابو عبد الله محمد بن ابي بكر الصقلي ح وقال التنوخي وابن ابي المجد اخبرنا به ابو العباس احمد بن ابي طالب الصالحى الحجار سماعا قال التنوخي لجميعه وقال ابن ابي المجد للثلاثيات منه ومن كتاب الاكراء الى آخر الصحيح واجازة منه بسائره زاد فقال واخبرتنا به أم محمد وزيرة التنوخية سماعا وقاضى القضاة تقى الدين سليمان بن حمزة بن ابي عمر وابو بكر بن محمد بن عبد الدائم وابو المعالى عيسى بن المطعم وفاطمة بنت عبد الرحمن بن عمرو الفراء قالوا كلهم وكذا الصقلي واخبرنا به ابو عبد الله بن الحسين بن المبارك الزبيدي قال الصقلي والحجار ووزيرة وابن عبد الدائم سماعا لجميعه وقال الباقر حضورا قال التقى سليمان لجميعه وقال المطعم لما عدا من باب تحويل الاسم الى اسم احسن منه الى باب الرقاق لاعيش \* لاعيش الاخرة وقالت فاطمة لقطعة منه وهى من باب الركاب والعرر للدابة الى باب نسبة اليمن الى اسماعيل زاد الحجاز والتقى سليمان وابن عبد الدائم والمطعم فقالوا واخبرنا به ابو الحسن محمد القطيعى وعلى بن ابي بكر بن روزية القلانسي اجازة وزاد الحجاز والتقى والمطعم فقط فقال واخبرنا به ثابت الجندی وعمر بن كرم الدينورى ومحمد بن زهير شعرانه ومحمد بن عبد الواحد المدينى اجازة قال الثمانية اخبرنا به ابو الوقت عبد الاول الهروى سماعا لا (1) اللقى فمن باب غيرة النساء ووجدهن الى آخر الكتاب واجازة لسائره قال اخبرنا به ابو الحسن عبد الرحمن المظفر الداودى قال اخبرنا به ابو محمد عبد الله بن حموية السرخسى بسماعه هو والكشهيني اخبرنا به ابو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربرى قال اخبرنا به مؤلفه الحافظ المجتهد ابو عبد الله البخارى قلت تقدم ان شيخنا الفيشى اخذ الصحيح عن الشيخ ابي حفص عمر العبادى والعبادى اخذه عن ابن طريف الشافعى فساوى شيخنا المذكور وشيخه الشيخ اللقانى فى الشاوى فى ان كلا منهما بينه وبين واحد وكذا شيخنا سيدى محمد العنقى اخذ عن الشيخ عبد القادر الشاذلى وهو عن الشاوى وتقدم ايضا لشيخنا الفيشى المذكور انه اخذ عن الابى درى وهو اخذه عن ثمانية وعشرين شيخا بقراءة الحافظ عثمان الديلمى منهم جدى اقضى القضاة محمد شمس الدين القرافى تلميذ البساطى واحضرت فيه الفتوى بعده وقد ذكرته فى ذيل الديباج وما له من مزايا وجدى هذا اخذ عنه الصحيح العلامة عبد العزيز السنباطى المتقدم شيخ شيخنا الشيخ نجم الدين الفبطى وجدى المذكور اخذ عن المعمر المسند الشيخ شرف الدين ابي الطاهر محمد بن ابي اليمن عز الدين محمد بن

(1) بياض بالاصل .

التومك الربعي سماعا عليه الثلاثيات من الصحيح واجازة لسائره عن المسند أم محمد زينب (1) الرحمة بن عبد الرحيم المقدسية مكاتبه منها قالت انبأنا عبد الخالق بن الانجب الشيتري عن ابي بكر وجه بن طاهر بن محمد السحامي عن ابي سهل محمد بن احمد الحفصي عن ابي الهيثم محمد بن الكشمهيني انا ابو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربري سماعا قال انا به مؤلفه محمد بن اسماعيل البخاري سماعا عليه مرتين مرة ببخارى ومرة بفربر انتهى ورجاله اقل عددا مما قبله وسند الحافظ السيوطي فيه تقدم اخذ عدد من شيوخنا عنه وقال اعنى الحافظ السيوطي اخبرنا بصحيح البخاري الشيخ جلال الدين ابو الفضل عبد الرحمن بن احمد القمصي بقراءتي عليه من كتاب البيوع والمسند لحب الدين ابو عبد الله محمد بن علي العلبي المعروف بابن الالواحي بقراءتي عليه من كتاب \* البيوع الى آخر الصحيح واجازة منها بسائره قالا اخبرنا به ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن ابي المجد الدمشقي سماعا لجميعه قال الثاني الا من قوله باب من خص بالعلم قوما دون قوم الى باب هل يخرج من الميت من القبر بعده فاجازة قال اخبرتنا به وزيرة بنت عمر بن سعد بن المنجا التنوخية قالت اخبرنا به ابو عبد الله الحسين بن المبارك بن محمد بن المظفر بن داوود بن الداوودي قال اخبرنا به ابو محمد عبد الله بن حموية الحموي قال اخبرنا به ابو عبد الله محمد بن يوسف الفربري قال اخبرنا به البخاري واما صحيح مسلم فقد تقدم اخذ شيوخنا المذكورين له ومنهم الشيخ محمد الحنفي قال ارويه سماعا لبعضه واجازه لباقيه عن جماعة من المشايخ منهم شيخنا الحافظ الجلال السيوطي قال اخبرنا به شيخ الاسلام علم الدين البلقيني سماعا لبعضه واجازة لباقيه وشيخنا العلامة تقي الدين ابو العباس احمد بن الشيخ كمال الدين محمد السمشي سماعا عليه بمجالس من اوله واجازة لسائره قال البلقيني اخبرني والدة اجازة انه لم يكن سماعا قال اخبرنا العلامة شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن القحام الشافعي سماعا عليه من اوله الى حديث ابي مسعود الانصاري انبأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية اثر سما كانت من الليل الحديث الى الحديث الذي فيه خروج الموحدين من النار ما جازه منه للقوت ولباقي الكتاب قال شيخنا البلقيني وانا به غالبا ابو اسحاق التنوخي عن ابي الفضل سليمان بن حمزة عن ابي الحسن علي بن الحسين بن المعتز عن الحافظ ابي الفضل محمد بن ناصر السلامي عن الحافظ ابي القاسم عبد الرحمن بن ابي عبد الله برسده عن الحافظ بن بكر بن عبد الله ابن محمد بن زكرياء بن الحسن الخورفي عن

ص 244

(1) بياض بالاصل -

ابن الحسن مكي بن عبدان النيسابوري عن الامام القدوة مسلم قال الحافظ بن حجر هذا  
السند في غاية العلو وهو جميعه بالاجازات وتقدم اخذ شيخنا الشيخ نجم الدين الفيطي  
له عن اخذ شيخ الاسلام زكرياء قال قال شيخ الاسلام زكرياء انا بصحيح مسلم المشايخ  
الاسمية الحافظ الرحلة ابو القيم رضوان العقبى وامام المحققين ابو عبد الله القاياني  
وحافظ العصر الحافظ احمد بن حجر ومسند الوقت ابوذر عبد الرحمن الزركشي قراءة  
على الاول وسماعا على الباقيين قبل القاياني لجميعه وعلى الاخرين اولهما للكثير وثنائهما  
لبعضه وقال يعنى الشيخ زكرياء وقال شيخنا الثانى انا به الحافظ يعنى ابن حجر قال  
ابن رضوان وابن حجر انا به ابو الفضل الربيعي سماعا لجميعه بقراءة ثانيهما وشيخ  
الاسلام ابو حفص عمر البلقيني سماعا للاولى لبعضه واذا للثانى زاد ابن حجر فقال  
واخبرنا به ابو الحسن محمد الالسي سماعا لجميعه وقال القاياني انا به امام المصنفين  
الشراح عمر بن علي الانصارى عرف بالملقن \* ادنا قالوا انا به الزين عبد الرحمن بن عبد  
للهادى الحنبلي سماعا لجميعه الا البلقيني فلبعضه قال انا به ابو العباس احمد بن عبد  
الدائم بن احمد المقدسى سماعا لجميعه ح قال الزركشي وهو اعلم ممن تقدم انا به  
ابو عبد الله بن ابراهيم الخزرجي البياني سماعا قال انا به الشرف ابو الفضل هبة  
(1) بن تاج الامناء ابن عساكر المشقى قال (2) وابن عبد الدائم انا به المويدين بن محمد  
الطوسي اذنا قال انا به فقيه الحرم ابو عبد الله محمد بن الفضل بن احمد الفراءى سماعا  
قال اخبرنا به ابو احمد محمد بن عيسى الجلودى سماعا قال انا به ابو اسحاق ابراهيم بن  
محمد بن شعبان الفقيه الزاهد سماعا قال انا به مؤلفه الامام مسلم ولم نستوعبه السنة في  
هذه الكتب الثلاثة من طريق شيوخنا المذكورين لتعدد شيوخهم خشية الاطالة

### الفصل الثانى

فى سلسلة الفقه الموصلة الى الامام مالك بن انس امام دار  
الهجرة رضى الله تعالى عنه من طريق شيوخنا المالكية وسياتي من طريق شيخ الاسلام  
زكرياء الانصارى المتقدم سلسلة اوائلها شافعية وما بعد ذلك مالكية اما من طريق  
شيوخنا المالكية فقد اخذنا الفقه عن جماعة من الشيوخ الا ان اكثرهم نفعا لنا شيوخ  
الوقت فى الفقه وهم المشايخ الاربعة المتقدمون وهم والذى يحيى بن عمر بن احمد  
بن يونس الانصارى وينتهى نسبه الى سيد الخزرج سعد بن عباد واشتهر بالقرافى  
شهرة جده من ذرية المولى الكبير والعارف الشهير عبد الله بن ابي حمزة الازدى نفعا  
الله بمدده والشيخ عبد الرحمن الاجهورى والشيخ عبد الرحمن التاجورى والشيخ  
زين الجيزى نور الله مرقدهم وطيب مشهدهم وهم اخلوا عن عدة من الشيوخ اجلهم فقها

(1) بياض بالاصل .

(2) هنا كلمة غير واضحة بالاصل

الشيخ المدعو شمس الدين بن حسن اللقاني المتقدم ذكره وهو اخذ عن الشيخ الامام الورع الزاهد مفتي المسلمين نور الدين السنهوري والسنهوري اخذ عن الشيخ العلامة القدوة مفتي المسلمين زين الدين عبادة بن علي بن صالح بن عبد المنعم الانصاري الخزرجي القاهري والشيخ عبادة اخذ عن قاضي القضاة جمال الدين عبد الله بن مقداد بن اسماعيل بن عبد الله الاخفهي المعروف بالاقفص شارح الرسالة والمختصر والاقفهي اخذ عن الشيخ الامام الحجة الفهامة قاضي القضاة تاج الدين ابي البقاء بهرام بن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الدميري القاهري شارح مختصر الشيخ خليل وصاحب الشامل والتصنيفات العديدة واخذ الشيخ بهرام عن شيخ المذهب وحامل لوائه الناظر الى مسائله كانها مجموعة بين يديه الواقف على نقول الذهب كانها محصلة لديه الامام الزاهد ضياء الدين خليل بن اسحاق بن موسى القاهري الشهير بالجندی صاحب المختصر في الفقه وشارح ابن الحاجب الفرعي والتكلم على بعض المدونة وهو تفقه بالشيخ الامام العالم \* العامل الزاهد ولي الله تعالى ابي محمد عبد الله بن سليمان المتوفى صاحب الكرامات الكثيرة والاصناف الجميلة الشهيرة وهو تفقه بشيخ المالكية في زمانه العلامة ركن الدين ابن القوبع بالقاف فوار بعدها موحدة ثم عين مهمله وبالشيخ الامام شمس الدين محمد بن ابي القاسم التونسي مختصر تفسير ابن الخطيب كذا ذكره الشيخ خليل المذكور زاد الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر في كتابه الدرر الكامنة في ابناء المائة الثامنة في مناقب شيخه الشيخ ابو عبد الله المتوفى ان ابن القوبع تفقه بالشيخ يحيى بن الفرج بن زيتون والشيخ شمس الدين التونسي وان حسس وابن النانوس ولما ذكر شيخ شيوخنا الشيخ شمس الدين اللقاني المذكور سنده من شيخه البرهان اللقاني الى الشيخ خليل كتب الى قاضي القضاة برهان الدين الدميري المالكي في اتصال السلسلة من الشيخ خليل الى الامام مالك فلم يجبه كذا وجدته بخط سيد الشيخ شمس الدين المذكور وهو عندي لکن رايت في سند قاضي القضاة بمكة المكرمة نجم الدين ابن يعقوب تخريج العلامة المحدث نجد معب الدين المدعو جار الله من الحافظ عز الدين بن عبد العزيز بن الحافظ نجم الدين عمر بن الحافظ تقي الدين محمد بن فهر الهاشمي المكي الشافعي الذي سماه شفاء القلوب لمرويات قاضي القضاة نجم الدين بن يعقوب قال بعد ان ذكر السند المتقدم الى الشيخ عبد الله المتوفى وترك بياضا يسيرا ثم ذكر السلسلة من الامام الحجة ابي محمد عبد الكريم بن عطاء الله السكندري الى الامام كما سنذكره فكتب على التخريج المذكور الشيخ المحدث الحافظ شمس الدين محمد الداودي تلميذ شيخ الاسلام الحافظ الجلال السيوطي انه يقال ان النسوفي اخذ من ابن عطاء الله وهو قريب لقرب زمن الشيخ عبد



الله المنوفى من الشيخ ابن عطاء الله انتهى وإن كان الشيخ خليل لم يذكره من مشايخ شيخه إذ لا حصر في عبارته قلت قال شيخ شيوخنا الشيخ شمس الدين اللقاني كما وجدته بخطه والشيخ خليل رفيق اخذ معه عن الشيخ عبد الله المنوفى وهو أحمد بن عمر بن علي بن هلال الريعى نسبة الى ربيعة الفوس بن نزار بن معد بن عدنان المتقدم فى سند الموطا تفقه على ابن هلال المذكور قاضى القضاة احمد فخر الدين المخلطة وفخر الدين تفقه بجماعة منهم الفقيه الجليل ابو حفص عمر بن فراح السكندرى وابن فرح تفقه بجماعة منهم ابو محمد عبد الكريم بن عطاء الله السكندرى وتفقه ابن عطاء الله بجماعة منهم الاستاذ المحقق ابوبكر الطرطوشى وتفقه الطرطوشى بجماعة منهم العلامة الحجة القاضى ابو الوليد سليمان بن خلف الباجى وتفقه الباجى بجماعة منهم المقرئ الاديب ابو محمد مكى بن ابى طالب بن مختار العيشى الاندلسى وتفقه مكى بجماعة منهم الامام القدوة الورع الزاهد جامع مذهب مالك وشارح اقواله ابو عبد الله محمد بن ابى زيد عبد الرحمن القيروانى \* صاحب الرسالة وتفقه ابن ابى زيد بجماعة منهم الامام الزاهد احد الحفّااء الملودين والفقهاء المبرزين ابو بكر محمد بن اللباد بن وشاح اللخمى الافريقى الشهير برائده وتفقه بن اللباد بجماعة منهم امام القدوة الزاهد الموصوف باجابة الدعاء يحيى بن عمر بن يوسف بن عامر الكنانى العلوى الافريقى صاحب كتاب اختلاف ابن القاسم واشهب المعروف بابن عمر وتفقه يحيى بن عمر بجماعة منهم الامامان الحجة الزاهد ابو سعيد عبد السلام المدعو سحنون باسم طائر لحدته فى المسائل ابن سعيد بن حبيب التنوخى الافريقى والامام العلامة القدوة ابو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان الاندلسى وهما تفقها بجماعة منهم الامامان الجليسان الققيهان ضابطا المذهب ابو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة المعتقى المصرى والعلامة الزاهد ابو عمر اشهب ابن عبد العزيز بن داوود بن ابراهيم القيسى العامرى الجعدى وهما تفقها بامام دار الهجرة النبوية الحجة المجتهد ابن عبد الله مالك بن انس رضى الله تعالى عنه وهو تفقه بالامامين ربيعة ونافع وتفقه ربيعة على سيدنا انس بن مالك ونافع على سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وهما ممن اخذ عن سيد المرشدين وامام المتقين وقائد الفر المحجلين الى جنات النعيم ابى القاسم محمد الامين صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله الاكرمين وصحبه الطاهرين ورضى الله عن سائر الائمة المجتهدين واما طريق شيخ الاسلام زكرياء فاروى عن شيخنا الصالح المعمر يوسف المدعو جمال الدين المتقدم ولد شيخ الاسلام زكرياء الانصارى صاحب حاشية تفسير القاضى البيضاوى وشارح البهجة وغيرها من المؤلفات الفريدة عن والده المذكور بالسند الاتى ذكره فيه بالكتب التى تذكر فيه فالمدونة قال الشيخ زكرياء اخبرنى بها ابو عبد الله القاينى اذا

ص 247

عن ربي حفص الباغيني انبأنا الجوال ابو علي الانصاري عن ابن القاسم محمد بن محمد بن سراج العامري انبأنا ابو القاسم احمد بن يزيد بن تقي اخبرنا محمد بن عبد الرحمن الخزرجي اخبرنا محمد بن الفرج مولى ابن الطلاع اخبرنا ابو عمر احمد بن محمد بن عيسى عن عبد الرحمن بن احمد التجيبي عن ابيه عن احمد بن خالد بن يزيد عن محمد بن وضاح عن سحنون واما الرسالة قال الشيخ زكرياء اخبرنا ابو اسحاق الصالحى اذنا عن الفقيه ابي عبد الله محمد بن عرفة انبأنا ابو عبد الله محمد بن عبد الخالق عن ابن عبد الله محمد بن فرج مولى ابن الطلاع عن مكى عن ابي طالب وابي عبد الله بن عابد كلاهما عن ابن ابي زيد واما مختصر ابن الحاجب الفرعى قال اعنى الشيخ زكرياء اخبرني ابو الفتح محمد المراعى اذنا عن ابي طلحة الحدادى انبأنا الشريف ابو احمد الدهياطى عن ابي عمر بن الحاجب واما مختصر الشيخ خليل قال \* الشيخ زكرياء اخبرني به ابو النعيم العقبي وغيره اذنا عن بدر حسين البوصيرى اخبرنا به مؤلفه اذنا وكان خاتمة اصحابه فلذكره انتهى فاستفده الخاتمة احسن الله تعالى الخاتمة وجعلها لكل سوء حاسمة وافاض الله تعالى على هذا المجد العالى والشرف العالى وادام لديه مزايا جليل المسالك وحرس مهجته ودولته وابقى رفعتة وصولته بجرمة النبى والملائك وقد تقرر فى كتب الحديث ان السند خصوص هذه الامة وشرفها فى القديم والحديث وهو نعمة وى نعمة وسلسلة عالية تتصل بمن هدى الى الخير وسنة عالية بالوفاء لمن روى حديثا تقام به سنة او ترد به بدعة فله الجنة وقد اجاز الائمة الاجازة بالكتابة ورغبوا فى الانابة وتحصل الاصابة لتكون هذه الفضيلة الجليلة والحالة الجميلة متصلة غير مقطوعة مرفوعة غير موضوعة وجرى على ذلك امائل العلماء واجلاء الكمال النبلاء وحازوا من ذلك اجرا وافرا وثوابا فاخرا وقد طلب من هذا الفقير سلوك هذا الطريق وان اكون من هذا الفريق وسند باهل الاجازة انما قضى الموت مرقى (1) الاماجد وقد رغب ولى الامر ايد الله به الدين وقمع به الطغاة والتمردين فى لقاء هذه السلسلة وطلب ازديادها ودوام الخير المستمر والاجر المستقر فتوجهت الى هذا الامر الجليل والشأن الجميل رجاء الاجر الجزيل واجزات جناب عن الاسلام والمسلمين عون المظلومين غوت المكروبين قاطع دابر المارقين والكافرين مؤيد الدين سيف الله القاطع وسنانه النافذ اللامع ونوره المستبين حضرة امير المؤمنين مولانا احمد سلطان القطر المغربى الموهى اليه فى طى هذا الكتاب والمنعوت بجليل الوصف المستطاب فى هذا الخطاب لازال بعزة الجناب بالفاتحة الشريفة بالطريق المذكورة المنيفة والموطا وصحيح البخارى ومسلم وباقى الكتب الستة والكشفا والسيرة المذكورة وسيرة ابن سيد الناس وفقه خليل وجميع ما يجوز لى وغنى زوايته من مقروء مسموع ومجاز ومناولة ووجارة ووصية كتابة مراسلة وفروع

(1) هنا كلمة غير واضحة بالاصل

واصول ومعقول ومنقول وتأليف وتخريج منقول من كتب تفسير وقرآن وكتب حديث وصحاح وسنن ومسانيد ومعاجم ومستخرجات وسير ومغازي واصول وكلام وتصوف ووعظ وتواريخ ودواوين خطبية وشعرية وقصائد مفردة نبوية وغيرها مما هو لي ولغيري وقلم ونثر وبما لي من مؤلفات لفتها وجمعتها وضممتها ورتبتها ارجوا من الله سبحانه ان تكون لقاصدها مؤلفه وان لا تكون في شؤونها مختلفة اذ ليس كل من اقف ولا كل من تحلى بحلية وصف خصوصا عند اختلاف الفرض \* وما يكون لها عرض والمدار على حسن النية وخلوص الطوية فمنها ما تم وهو شرح مختصر الشيخ خليل الذي حميته عطاء الله الجليل الجامع لما عليه من شرح جميل وحاشية القاموس المسماة بالقول المانوس وشرح ديباجة القاموس مؤلف مستقل لم اقف على من كتب على ذلك شرحا مستقلا واجوبة حوادث فقهية وهي احكام التحقيق باحكام التعليق والدرر النفائس في هدم الكنائس واداء الامانة بالتزام ما اشترط عن اسقاط الحصافة وهي من افراد قاعدة اسقاط الحق قبل وجوبه وقد حصل منها الدمامين شيئا ونظمها وزاد الثناء اربعا وكملت على ذلك الى ان اوصلتها ثلاثين ونظمتها وشرحتها والدرر المنيعة في الفراغ عن الوظيفة والدرر المنثورة في هبة السيد لام الولد والمدبرة الى غير ذلك من الاجوبة التفسيرية وغيرها مما وقع فيه البحث بين فضلاء بلدنا ومن ذلك هداية السالك بمعرفة شراح مدونه الامام مالك وذيل الديباج وحلية الابتهاج تكملة طبقات ابن فرحون وما شرعت فيه وارجو الله سبحانه اتمامه شرح الموطا وقد رابت الامام في النوم في واقعة طويلة وسالته قراءته فاجاز لي ذلك وشرح التهذيب وجل القصد منه تعيين المشهور خصوصا ما ذكره الشيخ ابو الحسن الصغير من الخلاف في تقييده المشهور وبعض تقييد على اوائل ابن الحاجب والمذيل على حاشية الحلبي لسيرة ابن سيد الناس وهي حاشية جليلة وبهجة النفوس في المحاكمة بين لصاح والقاموس فيما نسبه صاحب القاموس الى الجوهري من الوهم وغير ذلك من منثور ومنظوم وسائر ما يصح اسناده الى عما تلقينه عن اساتذتي وشيوخى واولياء نمكنى ورسوخى مما يصح اسناده اليهم من معلومات او تتوقف فيه الرواية عليهم من مقاديرهم ومولدى في ليلة السابع والعشرين من رمضان عام تسع وثلاثين وتسعمائة كما سو بخط والدى واسئل الله لي حسن الخاتمة ولكن دعى لي بها اجازة عامة مطلقة تامة بشرطها العتبر عند اهل الاثر متلفظا بها عند كتبي

لها ومتبعا سنن الاكرمين من اهلها وقلت :

ولو كان علمى شربة لسقيته	وبالقت في فعلى لتحصيل قصده
ولم لا وقد جاء الزمان بمثلته	ورغبته في العلم مد لسعده
فدم وابق وانشر مكرمات جليلة	وصل واستظل وارغم علوا بصده

بقيت بقاء نستمده ظلاله ودمت جمالا للزمان ورفده

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ربنا لاترغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ربنا \* عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشفع اعوذ بك من شر هؤلاء الاربعة اللهم انى استئلك ولهذه الحضرة العلية توفيقا فى العلم والعمل يستمر اقباله واسعادا يحفظنا من الخطا والخلل يتوالى اجلاله واقبالا من فيض الفضل العلى يزيد نواله ويزين كماله وخاتمة تبلغ الى السعادة الاخروية وحالة توصل الى الاستناد الى جناب الحضرة القاسمية المصطفية ورتبة فى جنات النعيم وفى حال (1) ولى ذلك والقادر عليه والمرشد الى الخير والسابق اليه وصلى الله وسلم على سيدنا محمد امام المرسلين وخاتم النبيئين وعلى جميع الانبياء والمرسلين وعلى اله وصحبه الطيبين الطاهرين الاكرمين وكان الفراغ من هذا التقرير والتحرير فى اوائل جمادى الاولى سنة (1000) الف من الهجرة النبوية الهاشمية قال ذلك وكتبه العبد الفقير محمد بدر الدين بن يحيى بن عمر بن أحمد بن يونس الشهير بالقرافى المالكى من ذرية ولى الله القطب الكبير عبد الله بن ابي حمزة الازدى نفعنا الله تعالى بامداداته وخلواته -امين -

#### ذكر منظوماته ايدى الله وأدبياته الرائعة

أقول ان هذا الامام ايدى الله تعالى وان كان فى سائر العلوم علما تأتم الهدات به فلا كفن الادب فهو الروض الذى لاتزال طيور أفكاره صادحة على أريكة وشموس احسانه بازغة من فلكه وروحه الزكية سارحة فى رياضة كارعة فى حياضه لا تكاد دواوينه تفارق راحته ولا يروى فى غير واديه انسه وراحته حتى تملأ من حفظ اللسان وتضلع واشرق من ثنيات الانسان وطلع وجلا فكره كل مخدرة تستلب قلوب البرايا لاجرم هو ابن جلا وطلاع الثنايا فهو ايدى الله اخذ من شرف الشعر باسمه وتعرف على حكمه آية فى قرصه ونقده وحله وعقده حسن الاختراع لطيف التوليد غريب المنزع قد نازع راية السبق فى هذا المضمار فحول الخلفاء والامراء والابناء من قومه واسرته من آل على والعباس ومروان كالثريد بن المهدي والواثق ابن المعتصم وعبد الله بن المعتز العباسيين وسليمان بن الحكم المروانى الخليفة الذى كان بقرطبة وتميز بن المعتز من الشيعة الخلفاء بمصر ولئن تقدموه ايدى الله زمانا فما تقدمون احسانا بل ربما كان أسلس عنانا واحد لسانا وسنانا والطف اشارة واجزل عبارة بالفاظ لو ما زجت البحر لاعذته ومعان لو واجهت دجى الليل لازاحته وسيشهد لما ذكرت شاهد عدل مما اجره \* من كلامه الذى يعد من السحر وله الانفراد بالبراعة فى علم المعنى من فنون الشعر ومعرفة طرقه

(1) هنا كلمة غير واضحة بالاصل

واسمائه واللقابه وهى طريق يدق على الخواطر سلوكها ولا يهتدى اليها من العقول الا ملوكها  
وقد رأيت ان اعول فى اثبات ما له من ذلك ايده الله وترتيبه على تقييد شريف بخطه  
الكريم وقد تكلم فيه على بعض ماآخذه والموازنة بين كلام القوم وكلامه واذا انتهى  
الى بيت من ابيات المعنى شرع بتفسيره لاهل الادب بابه حتى يطلعوا على ما اشتمل عليه  
من المحاسن ويعلموا بذلك فضل اهل البيت وقد قسم ايده الله المنظوم المرتب الى الابيات  
المزدوجة والمثلثة والمربعة والمقطوع ونصه بسم الله الرحمن الرحيم قال ايده الله من  
اوليات شعري ما قلت فى وردة مقلوبة بين يدي محبوبه

ووردة شفعت لى عند مرتهنى راقى وقد سجدت لفاتر الحدق

كان خضرتها من فوق حمرتها خال على خده من عنبر عبق

ومن يعلم الخال العبرى الذى يوضع على الخدود يعلم عقم هذا التشبيه ولى وصف

رفيب ملازم :

رفيبى كان فى الارض مرآة شخصه فاين تولى الطرف منى يراه

مقيم بوجه الوصل حتى كانها وصالى هلال والسواد صده

وفى غير ذلك المعنى :

ايا روضة ضنت على بزهرها ولم يتلق ناظر اى سناك

ايحى لنفسى من شلاك بقاءها اذا فت طرفى على انفى يراك

وهذا ماخوذ من قول الشريف الرضى:

عار صار فى ركب الحجاز وسله فمتى عهدى باكناف جمع

واستملا حديث من سكن الحنيف ولا تكتباه الا بدمعى

فانى ان ارى الديار بعينى فاعلى ارى الديار بسمعى

وهو ماخوذ من بشار قوله

قالوا بمن لا ترى تهلى فقلت لهم الاذن كالعين توفى القلب احيانا

وانت اذا تأملت هذا وجدتنى اقنع بالقليل من الرضى وبشار وذلك ان من

يحدثهما يصف لكل منهما حبيبه واين هو وباية حال تركه فيتعل بذلك وقد قيل

يكفى المحب من الحبيب قليل وينوب عن شخص الحبيب خياله

انه لم يكنه فانه تمثيل \* وما تمتع به انا لا يغنى فتىلا وما هو الا كما قال

ص 252

الارجانى

سال الصدى عنه واصفى للصدى كيما يقول فقال مثل يقاله

ناداه اين ترى محط رحاله فاجاب اين ترى محط رحاله

وقد علمت ان الشم انما يحصل بواسطة تكييف الهواء المتصل بالخيشوم بتكييف

الرائحة لا بطريق نقل الرائحة من ذى الرائحة الى الهواء لاقتناع انتقال الاعراض وقولى  
ايحى لنفسى بقاءها التى هى الرائحة ولا بقاء لها بغيره ليس كقول الرضى ولا تكتباه  
الا بدمعى ومن المزدوج ايضا

على جدول غطت بشعرها ليلا يرى الشمس الرقبة لى طرف  
فبت ارى فى جدول بدر وجهها غريقا ونقطات العبير به كلف  
ومنه وهو فى التجنيس المركب :

لما ناي المحبوب رق لى الدجا واتى يعلنى بزهر كواكبسه  
اول غراب الليل ودك يا حشا البين مرى الصباح كواكبسه  
ومنه ايضا وقد جرى ذكر بيتى الواثق وقوله ولو درى حل به الويل  
طرقت حماه والاسود فوادربه فتولى فى الظبا وهو يبعد  
فعلمت آساد الثرى كيف تقدم وعلم غزلان النقى كيف تشرد  
وفى طريق التعمية فى اسم نسيم :

يا هلالا طلوعه بين حجسبى وغزالا كناسه بين جنبسبى  
ان سهما رميت غادرهما لو تناهى ما شك آخر قلبسبى

فقولى ان سهما تنصيص وغادر هما اسقاط وهو اشارة لاسقاط هما من هذا  
الاسم وقولى لو تناهى انتقاد والانتقاد هو اشارة الى الكلمة ليؤخذ جزء  
الاسم المطلوب كان يذكر الوجه او الصدر او التاج الصافى والرأس ويريد به الحرف الاول  
من الكلمة او يذكر القلب والجوف والحشى والخصر ويريد به الوسط او يذكر الآخر  
والمنتهى والختام ويريد به آخر الكلمة فقولى لو تناهى معناه انه اخذ لفظه هم غير متناهية  
ايضا اردت باخر قلبى اليا ايضا لتسمية فبقيت الميم من هم وقولى ما شك آخر قلبى  
وهو ان تذكر الاسم وتزيد المسمى او تذكر المسمى وتريد الاسم وقد تم الاسم واعلم انهم  
لم يشترطوا فى استخراج التعمية بطريق التعمية حصولها بحركاتها وسكناتها بل  
اكتفوا بحصول الكلمة من غير ملاحظة هيئتها الخاصة فاذا وقع ذلك فمن المحسنات\*  
ويسمى العمل التديبلى وفى اسم غزال وهو ما جمع بين تعمية ولغز : واملد مطوى الحشا  
زال ردفه فلا خصر الا ان تصورته وهما

ص 253

بنصف اسمه يرمى القلوب وعكس ما بقى ابدا اذن المحب به حما

فقولى املد اردت به بعمل المترادف غصن مطوى الحشى انتقاد وزال ردفه قضيب  
به عرضين ازلت به النون بعمل الاسقاط الباقي من غصن بعد طى الصاد التى بوسطه  
واثيته بموضعه بعمل الانتقاد واوضحت ذلك بقولى فلا حصر وان كنت لا احتاج اليه ليلا  
يكون فى البيت شىء خارج عن التعمية ومنه فى اسم شلاف :

(1) هنا كلمة غير واضحة بالاصل

واحور وسانان الجفون كأنما سقى لحظه من ريق فيه يقرظ

نضر صارما لافل صارم لحظه تزايد منه مند سل تلادف

فقولى تلادف من طريق التسمية وفى العمل التذييل وهو ان ياتى بالكلمة بحركاتها

وسكناتها وهو من المحسنات كما سبق

من شقاى قفصته وهو خشف لم أقل ف ان قلت فات فهمت

املك مملفه تحلل خصر وثنى عن حبه ما عدلت

فقولى املد اردت الالف بعمل التشبيه وتحلل خصر منه انتقاد اردت بالخصر

وسط لفظه منه وتحلله ان ينحل السكون الذى على النون وقولى وثنى اى الالف من

التثنية الا التثنى فتم الاسم بحركاته وعدده ومنه أيضا ولها حكاية

وصفوا اشتياقى للحبيب وسرهم قول الحبيب انا انا فيه

قلبي له حجر فقلت مغالطا للحاسد الموذى انا فيه

وفى هذا البيتين عدة من المحسنات غير التعمية منها جناس التورية المسمى

عندهم بالملق وجوده بانه يكون كل من الركنين مركبا من كلمتين وهذا هو الفرق

بينه وبين المركب وقل من فرق بينهما ومنه الاستخدام وعهدى بالفقيه على بن منصور

الشيظمى تعرض الى شرحها بكرامة والتعمية فى هذين البيتين بالعمل الحسابى وهو كثير

الا ان هذا العمل احسب ابا عنتره اذ لم أراه لغيرى ومادة التعمية فيه انا انا فيه

قلبي له حجر فقولى انا انا فيه اضرب انا فى هو قولى فيه نص فى الضرب ويخرج من هذا

مائتان وستون عدد حروف هيماى وحقك بـ وقولى قلبي له حجر بعمل القلب يصير رجح

فصار المجموع هيماى وحقك يرجح وفيه التورية \* وهيماى وحقك الخارج من هذا

ص 254

الضرب فبصيتكم بالواشى وهو من المحسنات ايضا اعنى قوله له وحقك وتصلح ان تسمى

هذه التعمية بالافتتان لان الافتتان عندهم ان يفتن الشاعر فياتى بفنين متضادين من فنون

الشعر فى بيت واحد وهذا وقع التضاد فيه فى كلمة واحدة فظاهر انا انا فيه يضاد

هيماى وحقك يرجح الذى يخرج بطريق الحساب فافهمه ويمكن استخراج تعمية اخرى

من قولى للحاسد انا فيه ومن المزدوج ايضا وفيه التورية

ان يوما لناظرى تبدى متمل من حسنه تكحيفا

قال جفنى لسنوه لا تلاقى ان بينى وبين لقياك هيفا

ومنه ايضا

هدب الجفون بصحن خدك سجلت ولدى الهوى زكهم عيناك

فقضى الهوى جور السكرى زورا شهدت لهم انى على مضناك

ومنه وفيه التورية :

بستان حسنك ابدعت زهراته  
وقوام غصنك بالمسرة ينثنى  
ومن الابيات الثلاثة قولي وقد قطفت وردة  
وافى بها البستان صنوك وردة  
اهدى البهار مجاجرا واتى بها  
فبعثتها مزادة بنسيمها  
ومنها ايضا

لى حبيب يأتى بكل غريب  
لست أشكو لصيرفى ونجوى  
فعماله فى لازم متعد

ومن الابيات المربعة

تبدى وزند الشوق يقدحه النوى  
وهش لتوديعى فاعرضت مشفقا  
ولولا ثواه بالحشى لاهنتها  
فاعجب آساد الشرى كيف تحجم

ص 255

ومنها ايضا

تخالفت منه عيناه الى سبب  
فحدقة العين تقصينى وتؤيسنى  
اسكوا نهاى وشوقى وافتراقهما  
ان طعت ذاك فمن لى فاتنى ارب

ومنها ايضا

لا وطرف علم السيف فقد  
ووميض لاح لما بسمت

ومنها ايضا

ما هلال الافق الا حاسد  
ولدا عاش قليلا ناحلا

وهن مقطوع

من عنبر الشجرام من مسك دارين  
مهقهف ان نشنى قلت مقتضب  
ذنبى اليه ولا ذنب محبته  
بلى ومنه نسيمات الرياحين  
من قضب نعمان او من كتب بيرين  
لاجلها بسهام اللحظ يرمينى



اما اميجلة ظلما رضيت به      لو انه دام منه كان يبغييني  
 معذب قد حرمت النوم بعدكم      فانعم بنوم هني غير مفتون  
 (1) على ورد ذاك الخد برق      فم يعوض الخد من ورد بنسرين

### توقيعاته ايده الله

كانت تصدر عن مولانا امير المؤمنين ايده الله توقيعات نبيلة تتيه بها الرقاع وتتهادها  
 الاططار والبقاع يرمى بها الى الاغراض فيصيب فيها الكلا والمفاصل باوجز لفظ وارشوق  
 عبارة فمنها ان مولانا الهمام كافل الامة بعد الامام بادى الفرر فى حياه الليالى والايام  
 مولانا الامير الاجل الاكمل الاصيل مولانا ابا عبد الله محمد الشيخ المامون بن امير المؤمنين  
 وولى عهده كتب الى ولانا امير المؤمنين ايدهم الله تعالى ايام مخيهم بمحلتهم السعيدة  
 بظهر الزاوية من ساحة فاس المحروسة فى عام تسعين يفاوضه فى امر اوقف نفوذه  
 على اذنه الكريم وموافقة رايه الشريف \* وكان فى الرقعة والله تعالى اعلم ان امر مولانا  
 امير المؤمنين بذلك ووافق فوق له مولانا الامام امير المؤمنين ايده الله تعالى بضمير  
 للتكلم المعظم وهونا واثبت امام وافق معناه واقفنا فلم ندر ساعتئذ بايهم ايدهم الله تعالى  
 نعجب معز عبيدهم ولا من ايهم حماهم الله تعالى تعجب امن حسن توقيع مولانا امير  
 المؤمنين وايجازه ام من ذكاه مولانا ولى عهده اعزه الله واهتدائه بديهه الى فهمه وهو على  
 ما كان عليه حينئذ من صفر السن ولله در من قال صغيرهم عند الانام كبير ومنها ما  
 وقع به ايده الله تعالى وخلص ملكه لسكية صاحب السودان (999 هـ) كان لما عقد له  
 مملوك الجناب العالى الاملى جوذر باشى المسلم من بعد متالبته والايقاع به وبجنوده وتشريده  
 عن كاغوا قاعة مملكته حسبما كلمنا وكان المسلم مقودا على مال بله سكية وضريبة  
 ضربها عليه المعظم جوذر باشى ورفع شأن المسلم الى مولانا امير المؤمنين ايده الله فوقع  
 لسكية بقوله تعالى اتمدوننى بمال فما اتى الله خير مما حقاكم بل اتمم بهديتكم تفرحون  
 ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون فكانت  
 العاقبة كما اقتضى التوقيع الكريم ومنها ان ادبيا يعرف بطلم الدين الخليل كان ورد  
 على ابوابه الشريف من البلاد المشرقية مستجيبا ومسترفعا ولا ازمع القول لبلاده  
 فملوء الحقايب موفى الرغائب انشد عند الوداع من نظمه بين يلى مولانا امير المؤمنين  
 ايده الله تعالى :

اسير عنك ولى فى كل جارحة      قم بحدث عن احسانكم عجباً

(1) بياض بالاصل .

لا نلت قصدي اذا ما كان في أملي      أكون في خدمة المنصور ان رغبا

فان رضى بي فيا فخرى وياشرفي      وان ابى الملك المنصور واحربا

فوق له ايده الله على لفظه رغب رغبتنا فيك وعلى أن رضى بي رضينا بك وعلى أن  
ابى اردناك ومنها انى رفعت الى جلاله العالى ايده الله تعالى مرة رقة اشكوا لفضله العميم  
بعض ما أهمنى من امور دنيائى فبرز لى توقيعه الشريف ايده الله تعالى بيتين فى  
نظمه البارع

يا كاتبها اذا كتب      غرس روضا ذا فنن

ان جوابى الذى يشكو      دناه اردد حزن

وانت اذا تأملت هذا التوقيع الشريف وجدت بيتيه عامرين بمحاسن جمه \* اما  
اولا فلذلالتهما على شرف القائل فان كل من له ذوق سليم يفهم أن هذه نفس ذى  
عزة وسلطان وعلو شأن وهمة من شأنه أن يشكى اليه وتعرض قلاص الامال لديه لما  
تدل عليه قرينة ان جوابى الذى يشكو ادناه من العظمة والجلالة والعز العريق الاصاله  
واما ثانيهما فلما افاده قوله اردد حزن من مواجهة الشاكي بالمواساة والتسليه وهذا هو  
الشأن فى الشكوى الى ذى مروءة فكيف بسبط النبوة واما ثالثا فلما يدل عليه مجموع  
البيت الثانى من كرم قائله ايده الله وسعة بذله لما تقرر ان الموصول من معيار العموم  
فهو بذلك وعدمه ايده الله تعالى لكل من يشكو الدنا كائنا من كان برد الحزن عنه  
ودفع الهم عن ساحته بالمرادف الذى هو درهم الملقز فيه وما كفاه ايده الله وخلد  
ايامه حتى اكذ الوعد بالاداء الدالة على تحقيق الحصول على الامنية وتمام البغية الهنية  
وبيان اللفز الذى زمله ايده الله تعالى بشعار التورية المركبة فى الاصل ان قوله اردد يرادف  
در حكاية لقول العامة وحزن يرادف هم فحصلت التورية المركبة فى درهم برمته وفى  
دورهم مفككين وهذا من السحر الجلال ونكتة الدرهم لا يهتدى لصوغها الا من صاغ الله  
جوهره النفيس من اطيب المعادن واشرف العناصر ومحاسنه ايده الله فى هذا الباب  
كثيرة سئل الله تعالى ان يزيد مقامه الشريف تماما على الذى احسن

ذكر تصانيفه وتأليفه

كنا وقفنا بما اوردنا من علوم مولانا امير المؤمنين ايده الله لتبقى الاطلاع عليها  
الراية والعلم واوقدنا المسارين ليلها فى دياجى نفس هذا الكتاب نارا على علم وعجلنا  
لوفد أهل الادب من القرى الذى قدمنا من منظوماته الراققة ما تغدوا به ارواحهم  
اللطيفة وتستطعم حلاوته اذواقهم السليمة وءان الان ان اجمع ارباب المعارف اجمع على  
موائد مؤلفاته الكريمة التى تشبع نهمتهم ويحترقون عندها نعمتهم فاقول ان مولانا  
الامام امير المؤمنين ايده الله لما أمتلات حواصل تحصيله من درر الكلام وملك

الدقيق من حر النضر والنظام فاصبح يتصرف فيها تصرف المالك المقندر ويدعوها الى ما يشاء من الانشاء فيبتدر وكان بما قلد مع ذلك من رعاية الخلق وسياسة المغرب والمشرق ومارس من الحروب وكابد من الاهوال والخطوب وعانى من انتظام الممالك بين الشروق والغروب واقعد الناس بسياسة الملك واعرفهم بنظم ذلك السلك ومن اعلم ممن تنثال على بابيه امور العجم والعرب والسودان والروم والترك تسامت همته الشريف ايده الله \* الى تدوين كتاب في علم السياسة ودعاه خلد الله دولته الى تخبيره واجراء جياذ الاقلام فى ميادين تحريره مقصدان سنيان احدهما ان فى الاشتغال بذلك شغلا بمصالح العباد وحيطة البلاد لما يفيد من المعرفة التامة لتحصين الحصون واختطاطها وتشييد المعامل وتوطيدها وتعبئة الحروب ومكائدها والاتها وخذعها وانواعها والحصار والاته (1) وادواته ومعرفة انواع مدافع القذف والرجم واسماؤها والقابها وكيفية عملها طولا وقصرا وخفاء وتفريع ذلك عما يقتضيه غرض الرمي الى البعد او القرب او الى السماء او الى الارض او الى الاستقامة او الى الانحراف وتحت التى يرمى بها شواط النار وتعداد انواعها وقسمتها الى الحجرية والمعدنية وغير ذلك مما تقتضيه السياسة العلمية حتى فى اقامة الحدود وافراديات لذكر ماخداها من الشرع وانتزاع اقوال العلماء فيها من الكتاب والسنة لا كمثل من تصدى من الملوك الى التصنيف فيما هو من نوع البطالة فى حقه بالنسبة الى ما هو اوكد من مصالح الخلق كما فعل المنصور يعقوب ببن يوسف بن عبد المومن من خلفاء الموحدين فى العكوف على تصنيف كتاب الفه على مذهب امامهم فى نفس الراى واخذ الناس فى سائر الاقطار بحفظه والعمل به كما هو مشهور فكان اشتغاله بذلك عما هو اهم من مصالح العباد محض بطالة لوجود من هو اقعد به واقدر عليه من علماء زمانه والمقصد الثانى انه ايده الله رءا كل من تعرض الى الندرين فى هذا الفن قصاراه الوقوف عند السياسة العلمية الراجعة الى المصطلح فى الوزير والنديم والمشير وتنمية الخراج والعدل فى الرغبة وسيرة المملكة فى الموكب والمركب والملبس ونحو ذلك مما تعرض اليه السلطان ابو حمو من آل زيان ملوك المغرب الاوسط فى كتابه المسمى بواسطة السلوك وكسل اكتفى بالقول واضرب صفحا عن العمل ولله در من قال نحن الى امام فعال احوج منا الى امام قوال فارى ذلك مولانا امير المومنين ايده الله ان يجمع بين الفائدتين ويفوز بالخصلتين وسمى ايده الله تعالى هذا التأليف الشريف بكتاب العارف فى كل ما تحتاج اليه الخلائف واستهل براءة خطبته الشريفة بما هو اشرق من مطالع البدور وابهى من شمس الخدور ورايت ان امل الخطبة الشريفة بكمالها ليعلم منها موضوع الكتاب ونصها نحمدك اللهم على ما اثلت من رياسة وعلمت من سياسة وذهبت من ملك ونظمت من سلك وكفيت من اعداء وهديت من اراء ونصلى على مبلغ

(1) بياض بالاصل .

انبائك وخاتم انبيائك المؤيد باهل ارضك وسمائك من به اقامت لنا على حلقك الحجة  
وبلسانه الصادق نهجت لهم في اتباعنا الحجة صلاة تكون لهم كفاء ولجده السامى وقد  
وبعد \* فبنا حاجة الى تكميل نفوسنا فى قواها البشرية باستعمالها فى حقائق المعلومات  
العلمية والنظرية وعلوم الحكمة العملية اولى بنا فيما نحن فيه واعون على ما نجلبه لهذا  
الامر العلوى الفاطمى او نفيه فلنصرف اولا عنان القول اليها ولنوجف بالخيال والرجل  
فى ميادين هذه الطروس عليها ومن الله سبحانه نستمد وعلى عونته جل اسمه نعتد  
وهو حسبى ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا به ومنها الجزء اللطيف الذى جمع فيه لنفسه  
ايدى الله الادعية الماثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى سائر ما يستعمل من العادات  
والعبادات وفى سائر الحركات والسكنات وما يقال فى المساء والصباح استخرجت من  
معادنها من كتب الائمة وجمع العلماء على تتبعها واستقصائها حتى انتظمت قلادة  
جمعها وانسقت دررها فى سلك الترتيب والتبويب والتأليف الغريب والعمل المرجو  
والقبول عند السميع المجيب واتخذته ايده الله تعالى اصلا يرجع اليه فى اوراده التى  
يعكف عليها فى الخلوات والجلوات وكهنا يلوذ به عند قرع ابواب حضرة الملك العلام  
لما يرى ايده الله تعالى ان انجح الوسائل التى يهب عليها نسيم القبول ويفتح بها كل  
باب مقفول هو ما سأل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وليه وخليته فتوحى ذلك ايده  
الله لهذا القصد الجميل واعتمده انجح وسيلة وتوج هذا الكتاب من انشائه الشريف بخطبة  
بارعة تسعى امراء الكلام على الاقدام حافية وهى لك الحمد يا من طيب بريحان ذكره  
انفاسا ناشقة وارواحا وانهل من جريال هيلانته وعلى من سلافة سبحاته وتكبيراته  
افئدة ظامية واشباحا والصلاة والسلام على نبيك وعبدك المبتعث وقد ادلهم الخطب فكان  
السوق الضلالة صباحا ولابواب الهداية مفتاحا والرضى عن الله وضجبه المقتدحين بهديه  
زند الايمان فاورى بعد ان كان شحاحا وبعد فان اضواء صبح يمزق جلايب ليل الغفلات  
واضوع ند تستنشقه الانفاس بالاصال والبكرات واسد ساعد تحل بانمله عرى  
الازمات ويرمى عن قسيه جيش الذنوب الموبقات ذكر الله بارى البريات والتملق له  
سبحانه بكريم الدعوات سيما بكلم من اولى (1) الكلمات فهى للتصديقات بالنسبة  
اليها تصورات فصلى الله على نبيء آيات نبوته بديهيات وآيات سائر اخوته من  
النبئين عليهم السلام نظريات وانى لما حملت من ثقل هذه الامامة حملا عظيما وحزت من  
تراث النبوة والمنة لله جسيما واعوزوان كنت الامام الفاتر الاخ العاصد واذا عظم المطلوب  
قل المساعد \* هذا والقلوب متفرقة والاهواء على حب المفاصد متفقة وللانسان فى خاصته  
لقب اخرى من شافهته بشؤونها العجم والعرب لذت بمن له الطول واستقدرت من له القدرة  
وييده القوة والحول وجتته سبحانه من باب بان تملقت له بكم اخص احبابه فانام بحمد

(1) هنا كلمة غير واضحة بالاصل

الله الامر وانشق وانصدع فجر الاستقامة عن ليل الاعودجاج وانفلق وكنت ابدا حريصا على جمع تلك الكلم الكريمة من بطون الدفاتر والفوص على دررها واستخراجها من قعر تلك البحور الزواخر الى ان وقع الفتنش بالجامع الكبير والوضع الذي وسم كل موضوع سواء بالتصغير فالقى على كل ربوة من رباه روضة مورقة وعلى كل ورقة وردة مونة فجردت منه الدعاء من مثله يلتمس الشفاء وكتبته محلوف الاسناد متصل الاعداد على هيئة الوظيف والاوراد لم انظم بين تلك اليواقيت خزفه ولا سقتها بتعريف لم يزدتها معرفة فلكل كلمة نبوية من ذاتها طرب وعلى كسل قطيع من جريالها حجب وبما تنبئك مقاطعها عن ميزها عجب وما ورد موقوفا على الصحابي ربما اخرته فيما حشدته وجعلته ساقا للباب مهما وجدته والله سبحانه وتعالى يتم النفع به ويجعله سيلا موصلا لخدمة بنيه آمين وكان ايده الله تعالى من قبل الخلافة وفي ايام الفراغ من الشواغب على عهد الخليفة الغالب بالله اخيه قد انبعثت همته الشريفة الى جمع اشعار العلوية من امهات الادب والدواوين الشعرية وعزم ايده الله على افرادها بديوان يصبون عصابتها الشريفة من المخالطة بمن دونها في النسب وياخذ لها البيعة بالتقديم على رعايا الادب وربما قيد من ذلك تقاييد ثم قطع عن وصل هذا العمل ما كان من الخروج عن المغرب الى جهة المشرق عند انتقال الغالب بالله بالموت حسبا قدما وجاءت دولة المعتصم بالله بفتن كقطع اليل وحروب سال على الارض من دمانها السيل وكان ايده الله صالى حرها حتى خمد وخافض لجها حتى سكن وركد فاتصل بذلك القطع وتأكد المنع الى ان جاءت ايام الخلافة العلية والدولة الكريمة الهنية فنسخ حكم الهزل حينئذ الجد واستولى على الفكرة الكريمة في مصالح العباد وفتح البلاد وحيطة الخاص والباد الكدح والكد وصرفت العناية من ذلك الى ما هو الراى الاسد اللهم الا ان يكون من التاليف ما يدخل في جنس هذا العمل فانه مما يتناوله الحد واما ماله ايده الله وخلد ايامه من التقاييد الشريفة والانتقال العجيبة على الاسئلة والاجوبة العلمية والفوائد الادبية فييد الفضلاء من ذلك ما اغنى عن تسيطره في هذا الباب لشهرته وكان التاليف مند تقلص \* ظلال الدول بالمغرب وبلوغها الى سن الهرم والضعف قد انقطع بانقطاع اهله وخرست السن الاقلام وغاضت مياه المجابر واستوحشت ربوع الدفاتر واموت منازل العلم حتى تدارك الله الدعاء الباقي وجدد الدين بهذه الدولة الكريمة الحسنية فاستقل جد الاسلام من عثاره وحبي ميت العلم الدارس ونلخ في شبحه روح الحياة فنهضت به الدولة وبسائر مناصب الدين في معارج السمو والارتقاء تصعد من فلك الى فلك حتى انتهت به من خلافة مولانا امير المؤمنين ايده الله ودولته الشامخة الانف الى الفلك السابع وهناك استوى على اشرف المناصب واسمى المراتب فلقيت حياض العلم والتحصيل واعملت مشبخة العلم الى الحضرة

س 261

الشريفة من أوب وصوب الرسيم والدميل واينع رياض التدريس فى سائر الحواضر وامهات الامصار بعد ان صوح بهيجه واستعار من الحسرة اجيجه واستدارت فى سماء الدروس هالاتها وازينت من المشيخة الجهابذة بدارايها فنقق سوق العلم وكثر حاملوه وتعددت ايمته ومشيخته وشحد امير المومنين ايده الله الهمم واغرى بكل من اهله وجذب بضيغ كل فهامة فتنافس الناس ونبغ التأليف فى ايامه السعيدة وجدته الشريفة وتبارى الفضلاء بحضاره فاحرزوا قصبات السبق من كل فوار العنان يستل من قراب فكرته الوفادة سيفا ماضى الفرار فيبارق به المناضل (1) الخزانة الكريمة العلية الامامية الشريفة اليوم على عدد جم من تصانيف اهل العصر فى كل فن حتى فى الطب والهندسة واخص بمزية الذكر من هذه التصانيف الشريف الكريم الذى تعرض فيه صاحبنا العلامة الفقيه الحافظ المتفنن الدراك سابق الحلبة وفارس الميدان ابو عبد الله محمد بن عبد الله الرجراجى الى الجمع بين تقييدى الامامين البسيلي والسلوى عن شيخهما صدر الائمة وعالم علماء الملة شيخ الاسلام وعلم الائمة الاعلام ابى عبد الله بن عرفة مع شرح ما لم يتكلم عليه المفيدان من الاى الكريمة وكل ذلك باقتراح هولانا امير المومنين ايده الله وبمشاركته الكريمة بما كان ايده الله تعالى يوتر تفسير الامام ابن عرفة الذى بتقييد تلميذيه الامامين المذكورين ويحضره عند قراءة ورده من المصحف الكريم لمراجعة ما يستشكل من المعانى الشريفة القرائية والاسرار التنزيلية ثم لا يجد وليجة من دون مطالعة التقييدىن معا اذ ربما قيد احدهما على ما اغفل الاخر وبالعكس وربما تخطيا معا محل الحاجة ولم يلتم احدهما بساحتها ولا عاج عليها بركاب تقييده فوقع لذلك الاختيار الكريم والرأى الشريف على الجهل بين \* التقييدىن لفائدة الجمع اجمع بين كلام الفحلين على محل واحد وسند الثلمات التى اتصل كلاهما بكلام الاخر مع التتميم بشرح ما اغفل الامامان رأسا من الاى الكريمة وندب لهذا الشأن العظيم ايده الله علماء الحضرة والحلبة التى نجمت بدولته السعيدة وتخرجت بعنايته الشريفة الفقيه ابن ابى عبد الله والقى منه ايده الله من يدعوا به الراية فوضى بالشرط وتخطاه الى امام بالكلام مع الامام ابن عرفة بما لم يغفل من ابحات لطيفة وقوائد جملة منيفة ثم اتنى عنان القول الى شرحى الامام نخبة علماء الاسلام شيخ المثابة العلية الامامية الشريفة المنصورية وشيخ الجماعة ابى العباس احمد بن على المنجور على رجز ابن زكرياء فى علم الكلام وانا استغفر الله من رد الصدر الى العجز بتأخير ا لشيخ عن ابن ابى عبد الله ولاكنى اعتذر بشرف شرح كلام الله تعالى على شرح البتر واقول ان الشيخ رضى الله عنه شرح هذا المنظوم المعزولابن زكرياء التلمسانى بشرحين جليلي النفع عظيمى الفوائد اما الصغير منهما وهو الذى بيد الناس فهو الذى سهل به الشيخ الطريق الى هذا الرجز وقتم

ص 262

(1) هنا كلمة غير واضحة بالاصل

به بابه المقفل وهو الذى عليه معول شيوخ الكتاب واليه مرجع العلماء المتعاطين لتدريسه اليوم واما الكبير فما هو الا كما قيل اتى الوادى فطم على القرى فان الشيخ رضى الله عنه جرى فيه ملء العنان لغاية لا يلحق فيها شاو لكثرة ما جمع من الاقوال واورد من الابحاث وبسط من المعانى فلو اقترحه ابن التلمسانى على الامام لقال هذا فوق مقترحتى حتى او طالعه البيضاوى لقال لطواله اعزبى ومات الشيخ رحمه الله وتركه منتبذا فى مسودته بين اوراق خزانته ولم يبرزه للناس فتلافى مولانا الامام امير المؤمنين ايدى الله امره وبحث عنه فرفعه الى مقامه العلى اولياء الشيخ مبدد الشمل فتوجهت اليه العناية الكريمة فانظم جمعه وترتبت قلالته وكتب الله لمولانا الامام امير المؤمنين ايدى الله مثوبة استخراجيه من لثيف الاهمال وانقاذه من لهوات التلف وهو من العيون التى استأثرت بها الخزانة الشريفة الامامية ومن المخدرات التى اسبل عليها حجاب الصون بخطوط الشيوخ من مهنة الابتذال ومن تأليف الشيخ التى جل نفعها وسمى الى اعلى المقامات وضعها حاشيته الكبرى التى علق على شرح الامام ابى عبد الله السنوسى لكبراه وهى التى يتوكا عليها العلماء اليوم عند النهوض باعباء هذا الشرح ويستضيئون بقبسها فى مدلهجات اشكاله ومنها فهرسة شيوخه الكبرى التى جمع لمولانا امير المؤمنين ووسمها باسمه الشريف وقد شحن سفينتها التى استوى بها على جودى الكمال ببضائع راجحة الوزن من كلام شيوخه وفوائدهم ومحاضراتهم \* وبسط احوالهم واخبارهم ومن ملح اهل العصر وانشاداتهم والامام ببعض ادبياتهم ولا يبد بعد هذا من مراقى المجد الى اى السعد وهو جزء لطيف تكلم فيه على ما لسعد الدين التفنازاني من الاى التى استشهد بها فى فصوله على تلخيص المفتاح للقزوين ثم اسموا من هذه المراقى الى مرتبة الهادى الى (1) ( المرادى تأليف الشيخ الامام الاوحد الفذ الفريد استاذ المغرب فى وقته فى علوم الفرائد وسيبويه زمانه فى العربية والنحو الشيخ ابى العباس احمد القدومى وكان مولانا امير المؤمنين ايدى الله عند وجهته الاولى بركابه العالى لغاس اشار على الشيخ ابى العباس رحمه الله بالتعليق على الفية ابن مالك فاسرع الاجابة وقابل الاشارة الكريمة الامامية الشريفة بما يجب لها من (1) لذلك وعكف عليه وكان رحمه الله من اهل الجد والعناية فما مضت ستة اشهر او ثمانية والله اعلم حتى حرر تصنيفا جليلا من مجلدين ضخمين ما اتفق للمتاخرين ولا للمتقدمين فى فن العربية مثله ولا نسج فاضل ولا عالم على منواله لو رءاه الفارسى لترجل بين يديه او لمحاه ابن عصفور لطار من قفصه اليه لما التزم فيه رحمه الله من الاثيان بجميع ما لاهل فاس من طبقة وطبقة شيوخه واشياخ اشياخه من الابحاث اللطيفة والايرادات العجيبة واللطائف الغريبة والاجوبة المرقصة وجعل الكلام مع المرادى اس العمل ثم ما ترك ياقوته او درة يتيمة او لؤلؤة مكنونة الا

س 263

(1) بياض بالاصل .

وعاص عليها في معادنها من سراج السلور وتاويه ابن الحاجب وتسهيل الفوائد وغيرها من غنائل الفن فطرز بها الكتاب وكلل بها تاج مفرقه وفضل بها عقوده الثمينة فصار هذا المصنف الغريب طرازا تزهوا به الطاف الخزانة الشريفة الامامية ومما تيمس به تيهها وعجبا على الخزائن الملوكية تأليف الفاضل العلامة السرى النزية (1) الرحالة الحاج ابي جمعه سعيد بن مسعود الماغوسى التى منها شرح لامية العجم املاه بالبلاد المشرقية ورفعه الى حضرة مولانا امير المومنين ايده الله وقد وسمه باسمه الشريف وعليه تقریفات علماء مصر وفضلائها وبعض علماء الشام ثم شرح لامية العرب له ايضا املى جله او كله ببلاد المشرق ايضا وهديه من بعد قفوله للمغرب بهراكنى دار الخلافة ختم به المقام العلى الامامى الاحمدى المنصورى موسوما بشريف اسمه النبوى الكريم واذا وصلت الى شرحه على درر السمط فى اخبار السبسط الامام ابن الابار فى تابين اهل البيت وصلت الى الروض الانفس حسن تصنيف وترصيف وتنضيد وتفويف ومزج الشرح بالمشروح شرح الحياة بالروح يتضوع منه مسك النبوة ويندى بماء الرسالة (1) جمع من اخبار

ص 264

اهل البيت واستوعب من حسن مئاثرهم وشريف دولهم \* والامام بكل من ولى منهم وذكر وقائعهم متعلقا فى ذلك باذيال ابن الابار وقلما طارسه لاشتمال الدرر مع صغر حجمها وجازتها على علوم جمعة من اخبار اهل البيت التى يكتفى فى الاشارة اليها بلطيف التلويح وبديع التلميح ومن الاقتباسات القرآنية والحديثة ومن التضمينات الشعرية ومن الاسرار الادبية والبيانية فلم يرع له الفاضل ابو جمعه ذلك تلويحا الا اوضحه ولا تلميحا الا شرحه ولا اقتباسا الا اقتبس من تدر مشكاته (1) لياى السطور بساطع اشعائه ولا تضمينا شعريا الا وكملة ان كان من قصيد او مقطوع بما قبله وبعده من الابيات وعزاها الى بانيتها وعرف الملم من وفد اهل الادب باهليها واذا انتهى الى الاسرار العربية والبيانية فهناك تظهر صولته وتقوى على دول العربية دولته والمنقبة العائمة التى ذهب هذا المصنف العجيب بفضلهما هو ما ذكرنا من جمع اخبار اهل البيت جمعا مستوفى لكون الكتاب ورد فيهم على الخصوص وبذلك صار روضا انفا كما ذكرنا بحيث لو وقع الناظر فى خميلة من خمائله ما احب الانتقال عنها واذا ذكرنا اهل البيت فلنلهم من مئاثرهم بديوان الشريف الفاضل السرى محمد بن ابنى الفضل المكى المتقدم الذكر وهو الذى جمع فيه مدائحه فى مولانا الامام امير المومنين ايده الله لاطرب السامعين من اشعاره بذكر سلع والعقيق واشوقهم بها الى الحمى والبيت العتيق وكان كتاب الدولة وجماعة اهل الادب

(1) بياض بالاصل .



وعلماء القريض بالحضرة العلية يستريب بما ينتحل هنا الافاضل وانا اسئل ستر الاعضاء  
واحكى ما حكى انشد رحمه الله عند وفادته على الابواب الشريفة في قصيدة قام بها بين  
يدى مولانا امير المومنين ايده الله وهي

أتري زمان الرقمتين يعود	ومذيب جسمي بالبعاد يعود
أم هل زمان نوى الاحبة ينقض	عنا ويقضى للذنو وعود
ويضمنا دار الهوى بطولع	ويظلنا ظل هناك مديد
دار عرفت بها الصباية والصبي	والعيش غرض والشباب حديد
بابانة العلميين من لتيم	فتكت به منكم قنى وقسود

مطبعة و مكتبة عصرية  
الرباط

# الفهارس العامة

1 - فهرس الفصول

2 - فهرس الوثائق

3 - فهرس أسماء الاعلام

4 - فهرس أسماء القبائل

5 - فهرس أسماء الاماكن

6 - فهرس القطع الشعرية

7 - فهرس أسماء الكتب

# فهرس الفصل •

- 1 - مقدمة
- 25 - ذكر خلافة امير المؤمنين المنصور بالله
- 41 - نكبة الملا من قواد الاندلس
- 48 - ذكر وفادة ارسال ملوك الارض بالفتح والخلافة
- 51 - ذكر تجهيز الحركة الاولى لتمهيد السوس
- 52 - ذكر اعتلال امير المؤمنين
- 55 - ذكر مفر داوود بن المولى الامير عبد المومن من الحضرة وخروجه بالسوس
- 59 - ذكر خروج امير المؤمنين وعسكرته بتناسيفت
- 61 - ذكر ارتحال أمير المؤمنين فى العساكر لفاس
- 73 - ذكر استيلاء العساكر على قطرى توات وتيكورادين
- 78 - ذكر نهوض العساكر الى بلاد السودان
- 81 - ذكر تجدد البيعة لولى العهد الامير ابى عبد الله محمد الشيخ المامون
- 92 - ذكر قسيمة الممالك والاعمال بين الامراء بنى الامام امير المؤمنين
- 93 - ذكر خروج الدعى ابن قرقوش بجهات الهبط وجبال غمارة
- 96 - ذكر ارتحال امير المؤمنين لفاس للمرة الثانية
- 102 - ذكر انتزاع الخيل من عرب الخلط وسائر قبائل ازغار
- 114 - ذكر ارتجاع مدينة أصيلة من يد المشركين.....
- 115 - ذكر قفول العساكر من توات وتيكورادين من بعد التمهيد
- 117 - X - ذكر افتتاح بلاد السودان
- 120 - X - ذكر تجهيز العساكر الى السودان
- 136 - ذكر الايقاع بسكية وجنوده .....

- 146 - ذكر لوتجاع الصاكر من كانوا الى تنبكتو وما تظلل ذلك من الاخبار .....
- 149 - ذكر انتهاض محمود باشا لعودة فتح البلاد .....
- 152 - ذكر استئصال شافة سكية
- 154 - ذكر اصطلاء اخي سكية الناكث بنار مكره .....
- 163 - ذكر استدعاء محمود باشا
- 165 - ذكر ما اشتملت عليه هذه الممالك المنتظمة في سلك الايالة العلوية المنصورية من  
من الخصائص والمزايا والمفاخر التي لا تتوازي
- 169 - ذكر ثورة الناصر بن الغالب بالله ومقتله
- 171 - ذكر خروج الناصر بهليلية وايقاع المولى الامير ابي عبد الله محمد الشيخ به
- 174 - ذكر ايقاع المولى الامير ابي عبد الله محمد الشيخ بالناصر على فاس ثم القبض  
عليه وقطع دابره
- 191 - ذكر الايقاع بعرب العرب
- 197 - الناحية الادارية
- 204 - الناحية الاقتصادية
- 211 - الناحية الاجتماعية
- 235 - ذكر الاجتهاد للميلاد الكريم
- 252 - ذكر مبانيه الشريفة
- 265 - الناحية الفكرية
- 265 - ذكر علومه الشريفة وسائر مروياته ومن اخذ عنه من الائمة الاعلام ومشايخ  
الاسلام
- 294 - ذكر منظماته ايده الله
- 299 - توقيعاته ايده الله .....

## فهرس الوثائق

- 69 - بيعة ملك بورنو
- 82 - نص البيعة بولاية العهد للمولى محمد الشيخ بن المنصور
- 123 - رسالة المنصور الى أسكية اسحاق
- 131 - رسالة المنصور الى عمر بن محمود بن عمر قاضي تنبكتو
- 143 - رسالة المنصور الى الجهات والاقطار بعد فتح السودان
- 183 - رسالة المنصور الى قائديه بالسودان جودر باشا بعد القضاء على ثورة الناصر
- رسالة المنصور الى أهل فاس وأهل الثغور من بلاد الغرب يشكرهم على الثبات  
على العهد وعلى موافقهم أيام ثورة الناصر
- 185
- 187 - رسالة المنصور الى صاحب مكة والمدينة وارض الحجاز السلطان حسن
- رسالة المنصور الى كبير المشايخ علم الطريقة بالديار المصرية زين العابدين  
الفكرى .....
- 189
- 204 - ظهير تولية المنصور لابراهيم الشط على رئاسة الاسطول المغربى
- تقييد شريف بخط يد المولى احمد متظمنا لذكر ما قرأ من العلوم وذكر ما أخذ  
منه من الشيوخ وسنده عليهم
- 266
- نص اجازة الشيخ الامام رئيس ائمة العلم بالديار المصرية ابو عبد الله محمد  
بن ابي الحسن البكرى الصديقى للمولى أحمد المنصور
- 629
- 272 - نص اجازة الشيخ الامام قاضى القضاء المالكية بنص بدر الدين القرافى
- 301 - مقدمة كتاب (المعارف فى كل ما تحتاج اليه الخلائف) للمنصور
- 302 - مقدمة كتاب الادعية للمنصور .....

# فهرس اسماء الاعلام

- أحمد بن علي الزموري - 196
- أبو عبد الله الهزميري - 197 - 198
- القاسم الشاطبي - 199 - 209 - 215
- أبو عبد الله البصري المكناسي - 209
- أحمد بن علي الزموري - 209 - 210 - 217
- أحمد بن علي المخبور - 120 - 244
- أحمد الوئشريس - 220
- أيود يوس - 238
- أحمد القدومي - 223 - 287
- أبو الحسن بن هارون - 244
- أحمد البلغيتي - 253
- أبو هريرة - 255
- أحمد بن حجر - 257
- أحمد بن عطاء الله السكندري - 257
- أبو عبد الله السنوسي - 286
- أبو الحسن المدني - 154
- ب - بنو مرين - 32 - 63 - 64 - 94 -
- بنو حفص - 32 -
- بنو الاحمر - 32 -
- بنو زيدون - 36 -
- (دون سباستيان) - 38 - 136 -
- بنو عثمان - 57 - 59 - 61 - 134 -
- ابن خلدون - 62 - 63 -
- الزياني - 63 -
- بوحصون - 83 -
- بن تودة - 88 -
- ابن غانية - 94 - 188 -

- أ - أحمد المنصور في معظم الصفحات
- أبو الفضل الغربي - 30 - 36 - 52
- ابراهيم السفيناني - 34 - 3 - 58 - 61
- أحمد أزواوي - 34
- الاتراك - 35 - 37 - 83 - 165 - 238
- انريك - 39 - 136 (هنري)
- أبو الطيب البكري - 40
- اندرس السوط - 44
- أحمد بن وده - 58
- أحمد الهوزالي - 58
- أحمد الاعرج - 63
- أحمد الحناني - 65
- ابراهيم بن ابي شريف - 254
- أحمد بن القاضي - 72 - 226
- اسحاق - 77 - 79
- أبو فارس - 82 - 128 - 137
- الافرنج - 94 - 159
- ابراهيم الشط - 326
- ابراهيم بن رضوان - 63
- ابراهيم القلشندي - 254
- أبو الحسن بن المنصور - 128
- أبو مسلم - 244
- أحمد بن موسى - 130
- أحمد - 132
- ابن بيل (إيليزابيت) - 136 - 158
- أبو الحسن المريني - 154
- الانكليز - 160

الحسن بن ابي فكر - 32 -  
 الحسن - 69 -  
 حسن بن ابي نحى - 181 -  
 ي - يوسف الملولى - 28 -  
 يوسف الانصارى - 254 -  
 يحيى بن الناصر الموحدى - 88 - 89 -  
 يحيى السوسى - 244 -  
 يحيى بن محمد السراج - 209 - 245 -  
 ل - لاتوين (مارتين لوتى) - 159 -  
 م - محمد النبى محمد عليه السلام - 26 -  
 239 - 253 - 257 -  
 محمد بن سليمان - 27 - 33 -  
 مومن بن غازى العمرى - 27 - 29 - 31 -  
 - 84 -  
 محمد الدرعى - 29 -  
 محمد الدفالى - 32 - 33 - 34 -  
 محمد زرقون - 32 - 34 - 35 - 36 -  
 محمد الزغيبى - 32 -  
 المتوكل السعدى - 33 - 48 - 52 - 14 -  
 2 - 237 - 238 - 239 -  
 محمد الشيخ بن المنصور - 33 - 37 -  
 41 - 51 - 53 - 55 - 114 - 115 - 134 -  
 - 35 - 47 -  
 المعتصم السعدى - 33 - 37 - 48 - 2 -  
 5 - 53 - 88 - 220 - 224 -  
 محمد بن أحمد - 33 - 48 -  
 المعتد بن عباد - 36 -  
 المستكنى - 36 -  
 محمد بن سالم - 38 - 112 -  
 فؤاد الثالث - 40 - 60 - 61 -  
 محمد بن موسى - 48 - 53 -

ابن قرقوش - 129 - 216 -  
 البربر - 163 -  
 بدر الدين القوافى - 181 - 250 - 253 -  
 بنى ويسعدن - 214 -  
 البياك - 222 - 223 -  
 ابن حيان - 235 -  
 ابن الصباغ المكناسى - 244 -  
 ابن خليل السكونى - 246 -  
 ابن عرفة - 246 -  
 - برهان الدين الثانى - 283 -  
 ابن حمزة الدمشقى - 255 -  
 برهان الدين - 257 -  
 المولى - 285 -  
 ج - جودر باشا - 77 - 97 - 138 - 152 -  
 175 - 218 - 280 -  
 الجلائقة - 221 -  
 جلال الدين - 244 -  
 جلال الدين - 245 -  
 جلال الدين المحلى - 245 -  
 الجرجانى - 246 -  
 جلال الدين السيوطى - 255 -  
 د - داود بن على - 60 -  
 داود بن عبد المومن - 38 - 52 - 54 -  
 دون انطون - 136 - 160 -  
 دون كشتوبان (دون كريستوف) -  
 - 160 -  
 و - ولادة - 36 -  
 ز - زيدان - 62 - 128 -  
 زين العابدين - 181 - 246 -  
 ح - حم بن برمكة - 31 - 60 - 68 -



محمد الطيب - 49 -  
 محمد بن علي الهوزالي - 68 - 240 -  
 محمد بن ابراهيم - 52 - 54 - 130 -  
 162 - 166 - 185 -  
 منصور بن عبد الرحمن - 54 - 150 -  
 175 -  
 موسى بن علي - 55 -  
 محمد بن ابراهيم الزدوتي - 55 -  
 محمد بن علي الشاطي - 60 - 61 -  
 محمد بن عسب - 64 -  
 محمد بن بركة - 65 - 66 - 134 - 140 -  
 محمد السويري - 66 -  
 الموحلون - 94 - 188 - 238 -  
 موسى العمري - 112 -  
 منصور الفيلالي - 137 -  
 الحاج محمد - 137 -  
 محمد باشا - 146 - 240 - 151 -  
 223 -  
 منسا سليمان - 154 -  
 محمود بن مبارك - 167 -  
 محمد بن عبد المومن - 168 -  
 الحاج محمد بن عبد القادر - 182 -  
 مومن بن ملوك - 185 -  
 الموفق العباسي - 187 -  
 المنصور الموحدى - 188 -  
 المامون الموحدى - 191 -  
 مالك ابن انس - 218 - 251 -  
 محمد الشاوى - 224 -  
 محمد بن علي الفشتالي - 231 -  
 محمد ابن ابى الفضل المكي - 314 -  
 محمد ابى احمد بن موسى - 326 -

محمد البرعى - 243 -

موسى السوسى - 243 -

محمد بن ابى القاسم الشريف - 243 -

محمد الحارثى - 244 -

محمد السويتى - 244 -

محمد ابن ابى هدين - 244 -

محمد بن غازى - 244 -

محمد بن تستين - 244 -

موسى العيلوبى - 244 -

محمد بن علي البكرى - 254 -

محمد بن احمد المصوطى - 255 -

محمد بن ابى الصفا - 256 -

محمد البكرى - 254 -

محمد ابن ابى عبد الله الرجراجى -

285 -

ن - ناصر الدين الثانى - 254 -

نور الدين الطوسى - 246 -

نور الدين الاشدنى - 257 -

نور الدين العجوى - 261 -

البخارى - 62 -

الناصرى الغالب - 32 - 158 - 161 -

162 - 165 - 169 - 185 -

الانكشارية - 176 - 221 -

ص - صالح - 83 -

صالح السكورى - 244 -

ع - عبد النبى بن احمد - 28 - 29 -

عبد الله الغالب - 28 - 32 - 35 - 37 -

48 - 41 - 64 - 83 -

عبد الكريم بن موسى - 33 - 195 -

215 -

عز الدين السنباطي - 255 -  
 عبد القادر التادلي - 256 -  
 عبد الرحمن العراقي - 256 -  
 عبد السلام البغدادي - 257 -  
 عبد السلام بن شيش - 257 -  
 علي الشاذلي - 257 -  
 عمر العبادي - 262 -  
 علي بن أبي المجد الدمشقي - 266 -  
 عبد الكريم بن عطاء الله السكندري -  
 - 270 -  
 ف - ملك اسبانيا - 39 - 56 - 59 - 183 -  
 ض - ضواء الدين الخزرجي - 244 -  
 د - الروم - 40 - 41 -  
 الرشيد الموحدى - 191 -  
 رضوان بن عبد الله - 209 -  
 س - سعيد الدفالي - 32 - 33 - 34 - 37 -  
 - 241 -  
 سلومان مهر باشا - 136 -  
 السمرقندى - 246 -  
 سعد الدين التفتاونى - 246 - 287 -  
 سعيد المانحوسى - 287 -  
 ب - الترميدى - 244 -  
 تاج الدين بهرام - 245 -  
 ج - خليل بن اسحاق - 245 - 253 - 269 -  
 ش - القاضي شريم - 218 -  
 الشنشوية - 222 - 223 -  
 الشواشى - 222 -  
 شقرون التلمسانى - 245 -  
 شمس الدين اللقانى - 253 - 259 -  
 شهاب الدين الصيوفى - 257 -

عزوز الوزكىتى - 33 - 38 - 102 - 1  
 - 23 -  
 العجم - 35 - 221 - 224 -  
 على - 57 - 58 - 59 -  
 عبد الرحمن بن منصور - 60 -  
 عمر بن محمد بن عمر - 61 - 66 -  
 - 67 - 98 -  
 عبد العزيز الوطاسى - 63 -  
 عبد الواحد بن أحمد - 78 -  
 علي بن داود - 81 -  
 علال بن داود - 81 -  
 علال بن محمد - 87 -  
 علي بن موسى - 115 -  
 علال بن عبو - 136 -  
 العرب - 163 - 164 - 221 -  
 العبيديون - 187 -  
 عبد الرحمن بن احمد - 198 - 199 -  
 - 209 -  
 علي بن سليمان - 199 -  
 عبد الواحد الحميدى - 209 - 244 -  
 علي بن ابي طالب - 218 - 257 -  
 عبد الرحمن شبطون - 220 -  
 عبد الملك بن مروان - 236 -  
 علي بن منصور - 242 -  
 عبد الرحمن ابراهيم - 244 -  
 عبد العزيز التروينى - 244 -  
 عبادة الزينى - 245 -  
 الامام العلقمى - 245 -  
 علي بن أحمد الانصارى - 253 -  
 عبد البر الحنفى - 255 -

فهرس أسماء القبائل

مطاع - 133 -	أ - ادوو لتوبت - 48 -
المعقل - 151 -	ب - بنو خالد - 131 -
مدغرة - 166 -	ج - جثم - 82 - 151 - 187 -
مسفوة - 225 -	هـ - هوزالة - 55 -
ص - صنهاجة - 93 -	الهبط - 131 -
ع - أود عبد الكريم - 86 -	هسكومة - 187 -
س - سفيان - 82 - 133 - ✓	و - الوداية - 54 -
اود سالم - 137 -	ز - زغار - 63 -
خ - الخلط - 82 - 168 - 192 -	زناتة - 63 -
ل - لندراش - 36 -	ح - اولاد حسين - 60 - 129 -
غ - غياثة - 166 -	الحيابنة - 168 -
الغرب - 168 - 184 -	ي - اليمن - 184 - 135 -
ش - الشرافة - 34 - 223 -	بنويزناسن - 164 -
اولاد شعيب - 162 -	ك - كزولة - 48 -
	م - مختار - 82 -

فهرس أسماء الاماكن

- أ - اندلسى - 32 - 34 - 36 - 37 - 94  
 - 161 - 180 - 188 -  
 أسفى - 39 - 137 - 305 -  
 أزغار - 84 -  
 أصيلا - 88 - 136 - 137 - 305 -  
 انشاي - 104 -  
 اصواد - 104 -  
 اغمات - 130 - 164 - 108 - 197 -  
 أم الربيع - 133 - 192 -  
 أبو الخمائر - 133 -  
 لاشبونة - 136 -  
 اكنسو - 151 -  
 اساطوس - 237 - 241 -  
 أسوف أنوال - 304 -  
 أزموور - 305 -  
 ب - باب السبع بفاس - 37 -  
 الباب الجديد بفاس - 37 -  
 يونو - 40 - 42 - 151 -  
 بحر النيل - 42 -  
 باب أغمات بمراكش - 59 -  
 البحر المحيط - 90 -  
 باريس - 159 -  
 بحر الزقاق - 160 -  
 البديع - 222 - 233 - 289 - 290 -  
 291 - 292 - 293 - 294 - 295 - 296 -  
 297 - 298 - 299 - 300 - 301 -  
 البرجة - 39 - 52 -  
 ج - الجزائر - 35 - 37 - 38 - 40 - 58 -  
 - 59 - 83 - 224 -
- جبل شلين - 36 -  
 جبال ششاوة - 53 -  
 جبل دون - 48 - 53 - 225 -  
 جبل هوزالة - 54 -  
 جبال غمارة - 60 - 129 - 164 -  
 جبل مدغرة - 163 -  
 جبل يزناسن - 165 - 217 -  
 جامع الازهر - 255 - 260 -  
 د - دمنات - 62 -  
 درعة - 157 -  
 دار بن مشعل - 165 -  
 دكالة - 169 -  
 دار السلام - 211 -  
 ه - الجند الغربية - 39 -  
 الهند - 39 -  
 هشوكة - 48 -  
 هلانة - 48 -  
 الهوط - 60 - 88 - 129 - 208 - 215 -  
 وادي المخازن - 27 - 30 - 35 - 38 -  
 47 - 52 - 84 - 136 - 236 - 326 -  
 وادي الجواهر - 33 -  
 وادي آش - 34 -  
 وادي سبو - 60 -  
 وادي الساورة - 86 -  
 وادي السد - 114 - 131 -  
 ز - ظهر الزاوية - 34 - 37 - 38 - 100 -  
 - 85 -  
 ح - حاحا - 48 - 169 - 303 -  
 حصن الفتح - 59 -

انكلترا - 136 - 137 - 158 - 150 -  
ص - صعود مصر - 151 -  
صنعاء - 247 -  
ع - العرائش - 58 - 59 - 303 -  
عين اغبال - 133 -  
ف - فاس - 31 - 32 - 33 - 37 - 57 -  
58 - 59 - 60 - 62 - 65 - 85 - 86 -  
87 - 131 - 134 - 137 - 165 - 177 -  
246 - 302 -  
افريقية - 32 - 187 - 188 -  
الفحص - 58 - 88 -  
فجيج - 61 - 64 -  
فرانسة - موريطانية - 159 -  
فلانضس - 160 -  
فج الفرس - 160 -  
ق - القسطنطينة - 38 - 40 - 41 - 57 -  
58 - 59 - 61 -  
القصر الكبير - 39 - 88 -  
القاهرة - 55 -  
قلعة الكرار - 131 -  
قادس - 159 - 160 -  
قشتالة - 160 -  
القيروان - 188 -  
ر - الريف - 31 - 58 - 60 -  
رباط ماسة - 30 -  
رباط سلا - 327 -  
الركن - 33 - 34 -  
رأس الماء - 40 - 59 - 60 - 61 - 62 -  
134 -  
روان - 159 -

الحجاز - 181 -  
ط - طنجة - 157 -  
ي - يوكوم - 159 -  
ك - كاغو - 75 - 76 - 79 - 107 - 111 -  
112 -  
كدية المخالي - 93 -  
كارت - 166 -  
م - مصر - 29 - 154 -  
المغرب - 30 - 31 - 32 - 35 - 37 -  
38 - 40 - 52 - 55 - 57 - 87 - 188 -  
مراكش - 30 - 31 - 37 - 38 - 39 -  
42 - 52 - 53 - 54 - 56 - 59 - 61 -  
62 - 65 - 73 - 79 - 83 - 87 - 99 -  
137 - 165 - 246 - 303 -  
المشرق - 30 - 35 - 38 - 40 -  
مكناسة - 38 - 40 - 65 - 66 - 126 -  
134 - 137 -  
مالي - 42 - 154 -  
مليبية - 162 -  
مكة - 181 -  
المدينة - 181 -  
مورقة - 188 -  
مسجد القصبة - 222 -  
المشتهى - 222 -  
المدرسة الاشوفية بمصر - 255 -  
المدرسة الكاملية بالقاهرة - 256 -  
الصورة - 300 - 301 -  
ن - تطيس - 32 -  
النيل - 90 - 91 - 111 - 83 - 143 -  
154 -  
النوبة - 90 - 151 -  
تمسارة - 159 -

تاكر اكوى - 48 -  
 تلمسان - 213 - 94 - 63 - 52 -  
 تانسيفت - 58 - 57 - 56 - 55 -  
 164 - 219 -  
 تادلا - 157 - 128 - 62 -  
 تيمومن - 87 - 66 - 65 -  
 تمنطوط - 66 -  
 تنوكنو - 98 - 76 -  
 تغازى - 138 - 137 - 80 -  
 تالغت - 85 -  
 تازى - 167 - 166 - 163 - 162 -  
 تافراط - 166 -  
 توتزوت - 241 - 214 -  
 التناء - 253 -  
 فم تانوت - 54 - 52 -  
 ث - ثنية الكلاوى - 53 -  
 غ - غرناطة - 36 - 32 -  
 ش - شلين - 32 -  
 شوشاوة - 303 - 54 -

السوس - 48 - 47 - 37 - 33 - 30 -  
 128 - 86 - 83 - 55 - 54 - 53 - 52 -  
 169 -  
 سكتانة - 53 - 33 -  
 سلا - 33 -  
 السودان - 91 - 89 - 74 - 42 - 40 -  
 92 - 107 - 111 - 114 - 140 - 153 -  
 سجلماسة - 6 - 65 - 63 - 61 - 60 -  
 8 - 136 - 169 - 212 -  
 سنفاى - 76 -  
 غوثة - 135 - 131 -  
 سهريج المنارة - 137 -  
 اساييس - 167 -  
 السجن - 219 -  
 ت - تامسنا - 169 - 114 - 28 -  
 تيطاون - 224 - 133 - 32 -  
 توات - 64 - 62 - 61 - 60 - 41 -  
 65 - 86 - 111 -  
 تيكوارين - 65 - 64 - 62 - 60 - 42 -  
 67 - 85 - 86 - 87 - 111 - 135 -

فهرس اسماء الكتب

- |                               |                                      |
|-------------------------------|--------------------------------------|
| مقدمتين اجرم - 243 -          | أ - ألفية من مالك - 243 -            |
| الفتاح والايضاح - 244 -       | ايا فوجسى - 244 -                    |
| مفنى اللبيب - 246 -           | كتاب الاسيوطى - 245 -                |
| المعالم الدينية - 246 -       | كتاب اقلودس - 250 -                  |
| منطق التقا - 246 -            | الارشاد - 246 -                      |
| موطأ مالك - 255 -             | كتاب الادعية للمنصور - 283 -         |
| المعارف للمنصور - 282 -       | ب - كتاب البخارى - 162 - 166 - 244 - |
| المفتاح - 287 -               | 254 - 255 -                          |
| ع - كتاب العبر - 62 -         | ج - جمع الجوامع - 245 -              |
| ف - كتاب الفائق - 220 -       | د - دور السوط - 287 -                |
| ر - الرسالة - 243 -           | ح - حاشية الصغرى - 244 -             |
| كتاب الرضاع - 246 -           | حاشية الشمونى - 246 -                |
| س - السلسبيل - 253 -          | حاشية حصن جلى - 246 -                |
| سنن ابي داوود - 255 -         | ط - الطور على المدونة - 244 -        |
| سنن الترمذى - 255 -           | ك - كبرى السنوسى - 244 -             |
| سنن ابن ماجة - 256 -          | الكتب الخمس - 244 -                  |
| ت - تاريخ ابن حيان - 235 -    | كافية ابي الحاجب - 245 -             |
| تفسير البيضاوى - 246 -        | الكشاف - 246 -                       |
| ش - الشمسية فى المنطق - 244 - | ل - لامية الافعال - 243 -            |
| الشمسية للهاشمى - 245 -       | لامية العجم - 287 -                  |
| شرح ابن الدمامين - 246 -      | لامية العرب - 287 -                  |
| الشفاء - 245 -                | م - المصحف - 166 -                   |
| شفا الفليل - 257 -            | مختصر خليل - 243 - 245 -             |

## فهرس القطح الشعرية

- 54 - قصيدة للفقير البليغ ابو عبد الله محمد بن على الهوزالى عدد ابياتها (10)  
ومطلعها
- تردى اذى من سقمك البر والبحر وضبحت لشكوى جسيمك الشمس والبر
- 104 - قصيدة للكاتب ابي زيد الفازازى عدد ابياتها (22)  
ومطلعها
- الظن والضرب منسوبان للعرب بالسهمية والهندية القصب
- 104 - قصيدة لابي عبد الله بن الصفار عدد ابياتها (37)  
ومطلعها :
- نسيت شر عبيد العجم للعرب جهلا بفضل رسول الله والنسب
- 149 - قصيدة عدد ابياتها (19) ومطلعها
- جيش الصباح على الدجى متدفق فياض ذاالسواد ذاك محقق
- 140 - قصيدة للكاتب البارع الاصيل ابو عبد الله محمد بن على الفشتالى عدد ابياتها (40)  
ومطلعها
- بشرى تزف من الزمن المقبل لمنصه الجدل الذى لم يرحل
- 140 - قصيدة لابي عبد الله محمد بن على الهوزالى عدد ابياتها (32)  
ومطلعها :
- المث وقد الوى على وصلها الهجر كما افتر اثر الليل عن ثغره الفجر
- 156 - قصيدة عدد ابياتها (14) مطلعها
- هكذا تحرز العلى والمعالى وتلق الطلا بسمر طوال
- 157 - قصيدة للشاعر الحلية الفضية ابو عبد الله محمد بن على الهوزالى عددها (25)  
ومطلعها
- جرى بمناك الدهر ملء عنانها وساعدت الايام فى عنفوانها
- 158 - قصيدة لابي الحسن بن احمد المسفيوى عدد ابياتها (31) ومطلعها
- تجلى بسعد الجده مقتبل النصر كذا غاية العليا كذا غاية الفخر
- 159 - قصيدة للكاتب الحسن بن احمد المسفيوى عدد ابياتها (31) ومطلعها :
- فتح لمنجليج الصباح المسفر تجنيه من وقع القنى المتاطر
- 160 - قصيدة للفقير الوجيه الاصيل الجليل المشارك القائد ابي الحسن على بن  
منصور الشيعظمى عددها (50) ومطلعها
- وافى كما طلع الاصباح تأييد لكن سرى ليله مسح ذاك محمود
- 162 - قصيدة للكاتب البارع المجيد ابو الحسن على بن احمد المسفيوى عددها (23) ....  
ومطلعها :



- كذا فليكن مدرك للفخار      كذا فليكن مجد حامى النعمان
- 179 - قصيدة للهوزالى عدد ابياتها (29) ومطلعها: .....
- هو النصر يجنى من فواجل مران      خياشمها يرعفن بالعلق القانى
- 180 - قصيدة للكاتب ابو الحسن بن احمد المسفيوى وعددها (30) ومطلعها
- وافاك فتح واضح الاقبال      أربى على الماضى مدى استقبال
- 181 - قصيدة للكاتب ابو الحسن على ابن منصور الشيطمى عددها (37) ومطلعها
- هاكذا هاكذا تكون العالى      مسندات عن العلى والعوالى
- 182 - قصيدة عدد ابياتها (14) ومطلعها :
- الفتح من حركات احمد واجب      كل العواهى فى العدالة طالب
- 218 - قصيدة للكاتب ابو الحسن على ابن منصور ابن سليمان الشيطمى عددها (16) ومطلعها
- أيا عالم العلم يا ناشره وحامل راياته الظافرة
- 222 - قصيدة للكاتب ابو الحسن بن على بن منصور الشيطمى عددها (47) ومطلعها
- فيطلع قرص الشمس من تحت دجنة تمد بها أملود بأققدم
- قصيدة للعلامة ابو محمد عبد الواحد بن أحمد بن الحسن الشريف الحسنى
- عدد ابياتها (52) ومطلعها
- 238
- الا حى نجدا والمعاهد من نجد      وسائل فها من حل المحتافها بعدى
- 240 - قصيدة للقائد ابو الحسن على بن منصور الشيطمى عدد ابياتها (64) ومطلعها
- أترى الزمان يوصل ليلى مسعدى      وهل التقى ليلاً بها فى مشهد
- 242 - قصيدة لمؤلف الكتاب عدد ابياتها (47) ومطلعها
- أعد أحاديث سام والحمى أعد      وعد بوصل اللوى والرقمتين عد
- 244 - قصيدة للكاتب ابي عبد الله محمد بن على الفشتالى عدد ابياتها (85) ومطلعها
- أسرار وجدك من جفونك تعلم      ولسان دمعك عن هواك مترجم
- 247 - قصيدة للفيح الفاضل علقمة عدد ابياتها (57) ومطلعها
- يا جبدا ربح اتاك تسليها      ولديه من اخبارهم مكتوما
- 249 - قصيدة للكاتب ابو الحسن بن احمد المسفيوى عدد ابياتها (41) ومطلعها
- حيث ر..بومك جدة من دار      وسرت عليك من الغمام سواد
- 274 - قصيدة عدد ابياتها (11) ومطلعها
- أجزت لمن تفضل واستجار      أو بادر الإقتنا خيرا وحازا
- 297 - قصيدة عدد ابياتها (6) ومطلعها
- ان يوما لناظرى تبدي      مثلى من حسنه تكجيسلا

لقد اعتمدت على النسخة المخطوطة من (مناهل الصفا)  
الموجودة بالمكتبة الملكية بالرباط ، ويسعدنى أن يكون مسك الختام  
التنويه بالمكتبة الملكية وشكر القائمين عليها لما أبدوه من مساعدة  
مكنتنى من نسخ المخطوط ومقارنته .

وفى الوقت نفسه ، أرجو أن يعتبر هذا الجهد المتواضع  
محاولة للكشف عن الحقيقة جهد الامكان والله المستعان